مذكرات الفريق

عبد المنعم خليل

حروب مصر المعاصرة



مذكرات الفريق

عبد المنعم خليل

بسم الله الرحمن الرحيم



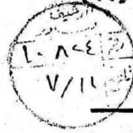
وزارة الدفاع

إدارة المخابرات الحربية والاستطلاع

جهاز / الأمن الحربي / مج (٢٦)

رقم القيد ٢/ض/١٠٦/

تحريرا في ١١/٧/١٩٨٨



الموضوع

المرفقات (   )

السيد / اللواء أ ح متقاعد / عبد المنعم خليل

إيماء لطلب سيادتكم بخصوص التصديق على نشر مذكرات (لمحات من شريط الذكريات) والتي تتناول مراحل حياتكم العسكرية منذ بداية الخدمة بالقوات المسلحة وحتى تولي منصب قيادة الجيش الثاني الميداني خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

برجاء التكرم بالإحاطة بأن السيد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والإنتاج الحربي والقائد العام للقوات المسلحة قد صدق على طلب سيادتكم على أن يتم النشر على نفقتكم الشخصية .

مرفق طية الكتاب بعد اعتماده من طرفنا .

مع وافر التحية ....

التوقيع: ([توقيع])

عقيد / محمد عفيفي أحمد موسى

قائد المجموعة / (٢٦) بالنيابة

صدق السيد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والإنتاج الحربي والقائد العام للقوات المسلحة على نشر مذكرات (لمحات من شريط الذكريات) للسيد اللواء أ ح متقاعد / عبد المنعم خليل

بكتاب الأمانة العامة لوزارة الدفاع رقم ١٦٢١٧

بتاريخ ١٩/٦/١٩٨٨

تصريح النشر

مذكرات الفريق

عبد المنعم خليل

حروب مصر المعاصرة





لمزيد من المعلومات عن الكرمة للنشر والتوزيع: www.facebook.com/alkarmabooks

خليل، عبد المنعم.
مذكرات الفريق عبد المنعم خليل: حروب مصر المعاصرة. – القاهرة: الكرمة للنشر والتوزيع، ٢٠١٦.
٤٦٤ ص؛ ٢٣ سم.
تدمك: 9789776467545
١ – خليل، عبد المنعم - المذكرات.
٢ – العسكريون المصريون
أ – العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٩٦٩ / ٢٠١٦

٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ٩ ٧ ٥ ٣ ١

تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾

صدق الله العظيم

إلى عقل وقلب كل مَن يريد أن

يعلم علم اليقين،

ويرى بعين اليقين،

ويقتنع بحق اليقين،

أهدي شريط ذكرياتي عن الحروب المعاصرة التي خاضتها مصر:

ـ أثناء الحرب العالمية الثانية: ١٩٣٩-١٩٤٥.

ـ الجولة المصرية-الإسرائيلية الأولى ـ حملة فلسطين: ١٩٤٨-١٩٤٩.

ـ الجولة المصرية-الإسرائيلية الثانية ـ العدوان الثلاثي: أكتوبر ١٩٥٦.

ـ العملية ٩٠٠٠ ـ مساندة ثورة اليمن: ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢-١٩٦٧.

ـ الجولة المصرية-الإسرائيلية الثالثة: ٥ يونيو ١٩٦٧.

ـ الجولة المصرية-الإسرائيلية الرابعة: ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

مع الحب والوفاء... دائمًا لمصر أولًا.

والله ولي التوفيق

المحتويات

تقديم

تستقبل المكتبة العسكرية في الوطن العربي مذكرات اللواء عبد المنعم خليل بكل تقدير وامتنان، إذ إنها تسجل أحداثًا ووقائع عاشها مؤلفها طوال مدة خدمته الطويلة في القوات المسلحة المصرية من عام ١٩٤٢ حتى عام ١٩٧٥. وقد اشترك المؤلف في جميع الحروب المعاصرة: عام ١٩٤٢، وعام ١٩٤٨، وعام ١٩٥٦، وحرب اليمن ١٩٦٢-١٩٦٥، وعام ١٩٦٧، وحرب الاستنزاف، وحرب أكتوبر ١٩٧٣.

ارتفعت سمعة وتاريخ اللواء عبد المنعم خليل في أربعة مواقف ميزته عن غيره من القادة، وقد شرحها بالتفصيل في هذه المذكرات، وهي:

- قيادته لتشكيل ميداني في حرب اليمن،
- ثم قيادته للقوة المنفصلة في شرم الشيخ يونيو ١٩٦٧،
- ثم قيادته لقوات الجيش الثاني الميداني في حرب الاستنزاف،
- ودفاعه المستميت عن مدينة الإسماعيلية في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

كما تميز اللواء عبد المنعم خليل بإيمانه العميق بالله سبحانه وتعالى وبالقضية التي يقاتل من أجلها وهي أمن مصر ورفعة الأمة العربية، واتخذ من هذا الإيمان قاعدة عقائدية وتربوية لتنمية روح القتال في الضباط والجنود تحت قيادته للدرجة التي أكسبته تاريخيًّا حب وثقة واحترام القاعدة القتالية في القوات المسلحة.

نجح المؤلف في ذكر الحقائق التاريخية من واقع مُفَكِّرة الجيب الشخصية التي احتفظ بها طوال مدة خدمته، فجاءت الوقائع تسجيلًا دقيقًا وأمينًا خلال هذه المذكرات. وأشيرُ بالذات إلى نجاح المؤلف في تدوين محاضر جلسات الرئيس

القائد جمال عبد الناصر في اجتماعاته المستمرة مع قادة القوات المسلحة عام ١٩٦٩ وعام ١٩٧٠، وهي تعتبر وثائق نادرة لعدم وجود أصل لها في الوقت الحاضر، وهي في جملتها توجيهات تبرز الإرادة السياسية والتصميم على تحقيق الهدف للزعيم الراحل، كما أنها تعتبر درسًا للقادة وللقوات على ضرورة تمسكهم بأهدافهم العسكرية مع الحفاظ على إرادة القتال للمقاتلين خلال فترة الصمود والاستنزاف من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠.

ويا ليت جميع القادة الميدانيين الذين اشتركوا في بعضٍ من هذه الحروب أن يمتثلوا لما قام به اللواء عبد المنعم خليل، حتى يمكن للمكتبة العسكرية أن تثرى بشهادتهم الواقعية، وبهذه الطريقة فقط يتوفر لدى المؤرخين مستقبلًا مراجعُ دقيقة أمينة لكتابة التاريخ العسكري لحروب مصر المعاصرة.

باسم المكتبة العسكرية أقدم للقارئ في الوطن العربي شهادة حق عن ثلاثين سنة مضت في الحقل العسكري والتربوي باسم اللواء عبد المنعم خليل، من أجل تعليم وتوعية الأجيال القادمة.

الفريق أول محمد فوزي

وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية سابقًا

١٩٨٩/١١/١٨

تحية حب واحترام لروح هذا القائد العظيم
الفريق أول محمد فوزي
وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة المصرية سابقًا

بدأت حياته العسكرية منذ عام ١٩٣٤ وانتهت عام ١٩٧١، وبالتحديد يوم ١٤ مايو ١٩٧١، واشترك في الحرب العالمية الثانية في وحدات الدفاع المضاد للطائرات عن القواعد البحرية والجوية في الإسكندرية وبورسعيد وقناة السويس عامي ١٩٤١-١٩٤٢، ثم في الجولة العربية الإسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ في فلسطين، ثم في الاعتداء الثلاثي البريطاني-الفرنسي-الإسرائيلي على مصر عام ١٩٥٦، ثم في معركة ٥ يونيو ١٩٦٧، وانتهت الخبرة العسكرية الميدانية بحرب السنوات الثلاث ١٩٦٧-١٩٧٠، وكان مركزه القيادي في الأخيرة يسمح له بالاشتراك في صنع القرار الإستراتيجي للدولة. ولما وصلت نهاية الصراع على السلطة بوفاة المشير عبد الحكيم عامر وإعادة الأوضاع غير العادية إلى وصفها الطبيعي ورَفْض الشعب الهزيمة وتمسكه بالقائد الرئيس عبد الناصر ـ الذي بدأ تنظيم الأداة الحكومية وترَأس مجلس الوزراء ووضَع إستراتيجية جديدة وحدَّد هدف الشعب والقوات المسلحة بالصمود والتحدي ومواصلة القتال مع إسرائيل ـ قاد الفريق أول فوزي سفينة إعادة بناء القوات المسلحة من جديد، واندفعت عجلة بناء وتنظيم وتسليح وتدريب وإعداد القوات المسلحة مع عمليات الصمود بالقتال مع العدو، كما تم، لأول مرة في القوات المسلحة المصرية، دخول الجندي المثقف خريج الجامعة والمعاهد العليا في صفوفها، مع وضع الأسس والمبادئ العملية لتطوير أسلوب إعداد المقاتل معنويًّا.



المؤلف مع الفريق محمد فوزي

ونجح الفريق أول فوزي في تنظيم أضخم تجمع دفاع جوي غرب قناة السويس وحول المدن والمطارات والأهداف الحيوية، ووصلت مصر إلى قدرة تحدي إسرائيل، وانتهت حرب السنوات الثلاث يوم ٨/ ٨/ ١٩٧٠ بمكاسب سياسية لمصر، كما أن القوات المسلحة عبرت الهزيمة وتكاملت قدراتها على تنفيذ خطة تحرير سيناء بالقوة.

وجاء في مذكرات الفريق أول فوزي، «حرب الثلاث سنوات»، الفصل الثالث: «وحتى بدأ القتال في ٥/ ٦/ ١٩٦٧ كانت حدود أعمالي ونشاطي في مهمات القوات المسلحة محض شكلية»، وهو رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية في هذا الوقت!

تحية حب واحترام لهذا القائد العظيم، فلولا ما أنجز من أعمال في كل مجالات إعداد القوى ورباط الخيل لَما كنا نجحنا في أكتوبر ١٩٧٣.

لواء عبد المنعم محمد خليل

من تقديم الطبعة الثانية

يجد القارئ الكريم على الصفحات التالية طرفًا من قصة حياة قائد ميداني وزملاء في الحب والحرب، امتدت أيامها عبر ثلاثة أرباع القرن العشرين، بما توالى خلالها من وقائع وأحداث... ومما أعجب له، أنني وقد زاملت اللواء أركان الحرب عبد المنعم خليل قرابة نصف القرن في السلاح، فإن طريقنا لم يلتقِ إلا في نهايته، عندما جمعتنا لجنة تسجيل التاريخ العسكري لحرب رمضان المجيد، فتوثقت بيننا أواصر الصداقة والمحبة الخالصة لوجه الله. وكم كان أملنا أن تحدث مبكرًا عن ذلك حتى تعيننا على تجاوز ما صادفناه من مشاقّ وأتراح، وتضاعف ما حظينا به من نجاح وأفراح في قلب المعركة التي خضناها معًا على امتداد نصف قرن امتلأ بأخطر ما مر بمصرنا العزيزة من أحداثٍ جسام على نحو ما يجده القارئ الكريم في هذا الكتاب الشيق، الذي أتحفنا به هذا الضابط العظيم والقائد الهُمام، اللواء أركان الحرب عبد المنعم خليل، وضمنه جانبًا من حياته الحافلة، وخبرته الواسعة، وإيمانه الصادق.

اللواء أركان الحرب

حسن أحمد البدري

تعارف

شاء الله سبحانه وتعالى أن يحقق لي أمنية، وهي أن يُعِينني أن أسطر بقلمي شريط ذكرياتي طيلة سنوات عمري الميداني، خاصة سنوات الحرب التي تعدت الأربعين عامًا، وقد ظلت دفينة مسجلة بدقة في قلبي وعقلي إلى أن شاء الله لي أن أكتبها، فهي نبضات قلب، وإعمال عقل، وتجارب وخبرات جندي، ورحلة حياة قائد تدرَّج في جميع مناصب القيادة، من قائد فصيلة مشاة إلى قائد جيش ميداني ضم كل أسلحة القوات المسلحة البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوي وقوات حرس الحدود والسواحل، وحتى عناصر من رجال الأمن المركزي والدفاع الشعبي والعسكري في عمليات متكاملة مشتركة، وخبرة مُعلم تعلَّم وعلَّم في الكليات العسكرية، وكلية القادة والأركان، وأكاديمية ناصر العسكرية العليا، وفي معاهد القوات المسلحة ومدارسها، وفي معاهد إنجلترا والاتحاد السوفيتي. كما تعين رئيسًا لهيئة تدريب القوات المسلحة في فترتين حاسمتين من فترات إعداد القوات المسلحة للقتال، وتولى الإشراف على كل ما يخص التوجيه المعنوي وكفاءة الفرد المقاتل معنويًا كمساعد لوزير الحربية، وأسندت إليه قيادة قوات الدفاع الشعبي والعسكري عن جمهورية مصر العربية.

أما في فترات الحرب، فقد شارك في الحرب العالمية الثانية منذ يونيو ١٩٤٢ إلى نهايتها في أعمال دفاعية وتأمين وحراسة قواعد عسكرية ومنشآت للحلفاء، واشترك في حملة فلسطين عام ١٩٤٨، وفي العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وفي حماية ثورة القوات المسلحة اليمنية في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢.

وعندما أُعلنت حالة الطوارئ في القوات المسلحة المصرية في ١٤ مايو ١٩٦٧،

كُلف ـ كقائد لقوات المظلات ـ بتأمين خليج العقبة وقيادة منطقة شرم الشيخ- رأس نصراني، اعتبارًا من فجر ٢٠ مايو ١٩٦٧، وتولى بعد ذلك قيادة قطاع السويس-بورتوفيق وقطاعات أخرى بالجبهة في قطاعات جنوب الإسماعيلية وشمالها، واشترك في معركة رأس العش في ١ يوليو ١٩٦٧، وفي وضع خطة الدفاع عن قطاع بورسعيد-بورفؤاد، وتعين رئيسًا لأركان الفرقة الثانية المشاة بالإسماعيلية، ثم قائدًا للفرقة الثالثة المشاة بالجبهة أيضًا، ثم رئيسًا لأركان الجيش الثاني، ثم قائدًا له لمدة أكثر من ثلاث سنوات ونصف خلال سنوات الاستنزاف والحسم، ثم نُقل قائدًا للمنطقة العسكرية المركزية بالقاهرة بعد تعيين الفريق أول أحمد إسماعيل علي وزيرًا للحربية خلال أكتوبر ١٩٧٢، واستمر في قيادته للمنطقة حتى نهاية العشر الأيام الأولى من حرب رمضان، إلى أن عاد مرة أخرى قائدًا للجيش الثاني الميداني يوم ١٦ أكتوبر المسمى بيوم الثغرة، وبعد خدمة ٧ سنوات برتبة اللواء أُحيل إلى التقاعد اعتبارًا من أول يوليو ١٩٧٥، وحصل على وسام بطل الجيش الثاني الميداني ونجمة الشرف العسكرية.

وكرمته القوات المسلحة المصرية بشهادة تقدير عن عمره العسكري طول هذه السنين بدرجة الدكتوراه الفخرية يوم ٢٤ يونيو ٢٠١٣. ثم نال رتبة الفريق فخري في ٢٦ يونيو ٢٠١٣.

مقدمة

النفوذ الغربي إلى قلب العالم العربي

بدأ التواجد العسكري البريطاني شرق السويس في الهند منذ عام ١٦٦٠، وفي منطقة الخليج عام ١٨٥٦، فعندما تعرضت التجارة البريطانية للتهديد البحري من المنافسين لإنجلترا في التجارة إلى الشرق، مع تهديد بري داخلي من حكام الأقاليم وشعوب البلدان التي أنشأت فيها بريطانيا مراكزها التجارية، استدعى الأمر تأمين القوافل التجارية البريطانية وحماية مراكز التجارة والخطوط البحرية في المجاري المائية، خاصة البحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج الفارسي، تحت شعار تأييد وحماية محلية لحكام الأقاليم الذين لا يستطيعون تحقيق حماية دويلاتهم. ثم تطورت الحماية والتأمين إلى وضع قواعد خاصة بها وخطط تأمين متكاملة بمعرفة بريطانيا، ثم وضعت قوانين وأصدرت أوامر لتنظيم العملية. وهكذا دخل الاستعمار إلى تلك المناطق، وبدأ في تصدير الحضارة الأوروبية الغربية ومستلزماتها من تقاليد وعادات ولغة ودين. ومن ثَمَّ أخذت بريطانيا على عاتقها المسؤولية الكاملة للدفاع الخارجي والأمن الداخلي، وبالطبع كانت إمارات المنطقة ودولها لا تملك ولم تحاول إعداد القوى لحماية ذاتها!

وجذبت السياسة الاستعمارية الإنجليزية أعدادًا جُددًا للإمبراطورية البريطانية، كما شكلت مشاكل أمن جديدة. ففي عام ١٨٨٢ وجهت حملة إلى مصر واحتلتها لمدة ٧٤ عامًا، وفي عام ١٨٨٤ دفعت قواتها إلى دخول السودان، وقامت بحملة

تأديبية ضد الحبشة في عامَي ١٨٦٧ و١٨٦٨، واشتركت فيما بعد عام ١٨٩٠ حتى عام ١٩٠٤ في عمليات بالصومال.

وبعد هذا التوسع الكبير وجدت بريطانيا نفسها فيما يسمى بـ«ورطة إستراتيجية» حاولت التخلص منها فيما بعد في السبعينيات عندما وجدت نفسها عاجزة عن تحقيق القوة والتأثير الكامل والسيطرة التامة على كل القواعد البريطانية المنتشرة شرق السويس وغربها، وبدأت تعتمد على الأسطول الأمريكي المتواجد في المحيط الهادي لمواجهة جزء كبير من الأسطول الياباني واحتوائه.

وهكذا واجهت بريطانيا الأعداء في المحيطات الثلاثة حتى عام ١٩٣٠ وما بعده.

وعندما أُعلنت الحرب العالمية الأولى في أغسطس ١٩١٤ وشملت كل أنحاء العالم واستمرت حتى عام ١٩١٨، أعلنت بريطانيا حمايتها على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤، وكانت الحرب العالمية الأولى سببًا في ظهور الوطن القومي اليهودي إلى حيز الوجود.

وعندما انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، سجل التاريخ أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت قد مارست دورًا نشيطًا وفعالًا للتخطيط لدور أكبر كي ترث النفوذَين البريطاني والفرنسي معًا، فشمل اهتمامها آنذاك منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، أي قلب العالم النابض بموقعه الإستراتيجي المتميز في النزاع بين الكتلتين، لأهميتها الإستراتيجية الفائقة للدفاع عن غرب أوروبا، ولاحتوائها على موارد نفطية هائلة، تجمعت حول شاطئ الخليج الفارسي (العربي)، والتي تحتوي على ٦٠٪ من احتياطي البترول العالمي الثابت وجوده فيها والذي يستخدم في تزييت وإمداد آلات الإنعاش الاقتصادي في الولايات المتحدة وأوروبا واليابان. ولعل هذا يفسر لنا السبب في اهتمام الغرب بربط دول هذه المنطقة الحيوية في حلف دفاعي ونظام أمني ضد الخطر السوفيتي.

وقد وطَّد الاستعمار البريطاني أقدامه في الوطن العربي منذ الاحتلال الأول، ونفذ إستراتيجيته القائمة على تفكيك الجسور العربية وإيجاد منازعات دائمة بين الدول وبعضها بعضًا. وهكذا تفاقمت المنازعات القَبَلية بين إمارات الخليج العربي، خاصة في ترسيم الحدود حسب الخرائط التي وضعها الاستعمار البريطاني

بدهاء وخبث، لتستمر المنازعات على أرض هنا وجزيرة صغيرة هناك ربما يكون تحتها كنز بترولي يغرق صاحبه بالمال الوفير. ونجحت هذه الإستراتيجية في إثارة التنافس بين حكام الأقاليم والإمارات، خاصة في الستينيات عندما يظهر البترول هنا ولا يظهر هناك، وأصبح من الواضح أن هذه الإمارات الصغيرة التي ظهر فيها البترول لا ولن تستطيع أن تقاوم أي تدخل لقوة خارجية، وأراد حكامها حمايتها وإثبات حقهم في ملكيتها بقوات لا يملكونها ولا يستطيعون إعدادها، وإن كانوا يستطيعون استئجارها من الخارج بالثمن! وكانت بريطانيا في ذلك الوقت هي صاحبة القوة والسيطرة والنفوذ. وهكذا اعتمدت الإمارات العربية على بريطانيا في توفير الحماية وتقديم المشورة، التي استمرت حوالي ١٤٠ عامًا، وارتبطت معها بمعاهدات للدفاع والحماية...

وقد أعاد التاريخ نفسه في النصف الثاني من القرن العشرين، واستمرت إستراتيجية الاستعمار كما هي مع تغير الوجوه إلى مَن يمتلك القوة الأكبر والذي يمكنه تأجيرها بالثمن، وهو السيطرة التامة الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية والعسكرية، مع تأمين مصالحه أولًا، خاصة بالسيطرة على آبار البترول المنتجة والتي يؤكد التطور التكنولوجي أنها مخزونة انتظارًا لمن يفجرها.

الباب الأول

حروب مصر المعاصرة

ما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٩

الفصل الأول

نظرة شاملة إلى حروب مصر المعاصرة

في حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ (٢٠ رمضان ١٣٩٣)، دقَّ جرس التلفون الخاص المتصِل بين القيادة العامة للقوات المسلحة وقيادات الجيوش الميدانية. وكان المتكلم هو اللواء محمد عبد الغني الجمسي، رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، قائلًا لي:

ـ أنت مطلوب فورًا لمقابلة الفريق الشاذلي.

وبعد حوالي خمس عشرة دقيقة كنت أتلقى المهمة من الفريق الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية، الذي قال لي:

ـ لقد اخترتك على مسؤوليتي الخاصة للتوجه إلى قيادة الجيش الثاني الميداني لتولي القيادة، حيث تمكَّنتْ أمس سبع دبابات إسرائيلية من التسلل إلى الضفة الغربية في الدفرسوار، والموقف غير واضح لنا تمامًا، واللواء سعد الدين مأمون، قائد الجيش، في حالة صحية لا تسمح له بالاستمرار في قيادة الجيش، حيث قيل إنه مصاب بهبوط مفاجئ في القلب، ويتولى إدارة المعركة حاليًّا اللواء تيسير العقاد، رئيس أركان الجيش.

ثم استطرد قائلًا:

ـ والرئيس والقائد العام في مجلس الشعب حاليًّا، وسأخطرهم باختياري لك، وعليك تقع مسؤولية السيطرة على الموقف، وتولَّ القيادة لفترة يومين أو ثلاثة إلى أن يتضح الموقف الصحي للواء سعد مأمون، وقد تتولى قيادة الجيش

بدلًا منه إذا استدعى الأمر ذلك، وعليك معرفة تفاصيل الموقف من العمليات قبل تحركك، مع السلامة.

وانتهت مقابلة الفريق الشاذلي.

وتوجهت إلى نائب رئيس هيئة العمليات، اللواء أ. ح محمد حسن غنيم، وكان يجلس في مواجهة الفريق الشاذلي وبجواره اللواء الجمسي، وقال لي اللواء غنيم نفس المعلومات التي سمعتها توًّا من الفريق الشاذلي ولا جديد، ولكني أردت استيضاح الموقف عن فكرة قرار قائد الجيش الثاني الميداني وموقف وحداته في شرق القناة وغربها وكفاءتها القتالية من بورسعيد شمالًا إلى جنوب فايد، وفي عمق سيناء ومدى ما وصلت إليه قواتنا، وأيضًا توزيع القوات كفكرة عامة، وأخذت فكرة سريعة عن موقف العدو ونشاطه، خاصة الموقف الجوي.

والحقيقة، كانت هذه المعلومات غير كافية لي في هذه اللحظات الحاسمة، ولم أعرف موقف الجيش الثالث الميداني، الجار الأيمن للجيش الثاني، ولا أي معلومات أخرى. ولما كان الفريق الشاذلي يستعجل تحركي إلى الجبهة، أسرعت بالعودة إلى مركز قيادتي في المنطقة العسكرية المركزية بالعباسية، حيث سلمت قيادتها إلى اللواء سعيد إبراهيم سعيد، رئيس أركان المنطقة، وركبت عربتي الجيب الحربية ومعي سائقي، الرقيب محمد الشافعي، الذي رافقني منذ أن كنت قائدًا لوحدات المظلات عام ١٩٦٥، وكذا حرسي الخاص، الرقيب محمود السيد من الشرطة العسكرية، ومعي حقيبتي الميدانية الجاهزة دائمًا للمفاجآت. وتحركنا إلى قيادة الجيش الثاني بالإسماعيلية.

وفي هذه اللحظات تذكرت زوجتي وأولادي! هل أمُر على المنزل لأودعهم، أم ماذا أفعل؟ ترددت لحظات بين استعجال تحركي وواجبي وشوقي إلى أهل منزلي، ربما يكون آخر لقاء: إنها الحرب! واكتفيت بمكالمة تلفونية سريعة ودَّعْتُهم فيها.

وانطلقت إلى رجالي في الجيش الثاني، الذين وحشوني بعد غياب ٦٥٤ يومًا عنهم، فهم أسرتي وأهلي ومَن عشتُ معهم أسعد أيام حياتي، فقد كنت لهم أبًا وأخًا وصديقًا وقائدًا، وبنيت قيادتي لهم على أساسٍ من العدل والمحبة والوفاء، وغرسنا معًا بذورها من أعوام طويلة مضت، فنَمَتْ وترعرعت، وأصبح أصلُها

ثابتًا وفروعها في السماء تستمد من الإيمان بالله وبمصر عقيدةً تستقر في أعماق القلوب، وتسيطر على النفس والعقل، وتتحول إلى سلوك كريم وعمل جليل.

سلوك كريم ينير الطريق إلى الفوز والنصر...
وعمل جليل تتحقق به الغاية وتعلو به كلمة الله.

ودار في ذهني فيلم حياتي العسكرية السابقة.. حياة طويلة حافلة، وأول لقطة تذكرتها هي يوم ١٩ مايو ١٩٦٧، عندما كنت قائدًا لوحدات المظلات برتبة العميد، وأُعلنَت حالة الطوارئ في القوات المسلحة، واستُدعيتُ في التاسعة مساءً إلى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة في مدينة نصر، يُطلق عليه اسم المجمع، وكُلفت بمهمة عاجلة ومحيرة، ودائمًا المهام عاجلة، وهي «تأمين خليج العقبة قبل أول ضوء يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧»!

ولم يكن أمامي إلا ساعات قليلة قبل التحرك جوًّا إلى مطار شرم الشيخ ومعي الوحدات المكلفة بالمهمة.. وهنا أدوِّن ما قالته زوجتي بعد انتهاء القتال:

ـ إنك تحب عملك أكثر منا، إننا لم ننسَ عندما قامت ثورة اليمن في ٢٦ سبتمر ١٩٦٢ واستدعوك في منتصف ليلة ١٧-١٨ أكتوبر ١٩٦٢ ونحن في فايد بمنطقة القنال للتحرك والسفر في الفجر إلى اليمن! سامحهم الله.

وتحركت السيارة الجيب الحربية روسية الصنع إلى الإسماعيلية، وجالت بخاطري خواطر كثيرة والسيارة تنهب الطريق الصحراوي، مارِّين بأنشاص، حيث كانت تتمركز قوات المظلات وبجوارها قوات الصاعقة شقيقتها التوأم، والأرض الممتدة حولي تحكي قصة وحداتي في المنطقة العسكرية المركزية في خيامها وخنادقها، وهي على استعداد تام للتحرك والاشتراك في القتال حسب خطة الشرارة، بعضها قد تحرك فعلًا بأوامري وبعضها الآخر ينتظر أوامر القائد الجديد.

وعبرت السيارة كوبري معديات البراطيم على ترعة الإسماعيلية الحلوة كما نسميها نحن الشراقوة، وهي جنوب بلبيس إلى الطريق الزراعي المسمى طريق المعاهدة إلى الإسماعيلية، وهنا تذكرت قصة هذا الكوبري أو المعبر الحيوي. فعندما كنت قائدًا للجيش الثاني الميداني، أمرتُ بإقامته في الأشهر الأولى من

عام ١٩٧١ لتسهيل التحرك من وإلى الجيش الثاني برغم أنه خارج حدود الجيش التي كانت تنتهي عند بلبيس حيث توجد الكلية الجوية.

وتذكرت أيضًا المحافظات التي كانت تقع في حدود قيادتي للجيش الثاني، وهي محافظات الشرقية والإسماعيلية وبورسعيد ودمياط والدقهلية، وأذكر تعاون السادة المحافظين ورجال الأمن والحكم المحلي جميعًا معنا بصدق وإخلاص، في كل ما يخص الجيش الثاني والمجهود الحربي عامة، وما يخص رجالي خاصة، ولهم مني في هذه اللحظات الحرجة المحيرة كل الشكر والتقدير.

ويستمر شريط الذكريات وأعود إلى نفسي وأقول: «اللهم إنك حققت لنا النصر في العاشر من رمضان واليوم، وبعد عشرة أيام قتال وانتصار تحدث ثغرة في مواقعنا غرب القناة وفي الدفرسوار بالذات، حيث كنا نركز في جميع خططنا على تخصيص عناصر قوية للدفاع عنها خاصة وأسلحة مضادة للدبابات ومدرعات مع المشاة، وكنا في كل مشروعاتنا نتوقع عبورًا إسرائيليًّا عند الدفرسوار أو شمال القنطرة وخططنا هجماتنا المضادة على هذا».

وأعود إلى نفسي وأقول: «هل المعلومات التي سمعتها من الفريق الشاذلي ومن نائب رئيس هيئة العمليات، أن سبع دبابات للعدو الإسرائيلي نجحت في التسلل غربًا في الدفرسوار تُحدث هذا الوجوم الذي قرأته في وجوه كل مَن قابلتهم في مركز القيادة بالقاهرة؟! هل ٧ دبابات إسرائيلية ـ على حسب قولهم ـ تحتاج للاستعانة بقائد جديد يعيدونه إلى قيادة وقوات تركها منذ أكثر من ٢١ شهرًا؟! يريدون منه قيادة هذا الجيش الكبير وهو في حالة اشتباك مع العدو في قتال مرير، برًّا وبحرًا وجوًّا، من بورسعيد شمالاً إلى بورفؤاد شرقًا، ومن فايد جنوبًا إلى عمق سيناء شرقًا، وفي ثغرة الدفرسوار غربًا وفي قطاعات القتال المتلاحم في الإسماعيلية شرقًا والقنطرة شرق وما بينهما.. ولا يعلم هذا القائد ما هي خطة قائد الجيش الثاني المريض، ولا يعرف موقف وحدات وتشكيلات الجيش ولا أي تغييرات في قياداته أو دعمه، وما هي القوات الجوية المخصصة لمعاونته، وكذا سفن الأسطول البحري المخصصة للتعاون معه، ولا يعلم بالتأكيد موقف العدو أمام مواجهة الجيش الثاني أو في عمق سيناء ولا أي تفاصيل أخرى عن قطاع الاختراق الإسرائيلي غربًا».

وإلى سيناء اتجه تفكيري عن طبيعة القتال فيها، وكيف قفزت سيناء إلى مركز الصدارة بين مسارح الحروب التاريخية وذكرياتي في سيناء منذ عام ١٩٤٧، حيث اشتركت في بعثة استطلاع عسكرية حتى طابا عند رأس النقب، وشمالًا إلى العريش مارًّا بنخل والكونتلا ثم أبو عجيلة وغيرها، ذكريات حلوة مريرة عن أرض الفيروز، أرض الذكريات.

وتمر السيارة في طريقنا إلى الإسماعيلية على استراحة لقائد الجيش الثاني في مكان هادئ، وبالطبع انتقل مركز قيادة الجيش إلى مركز تبادلي آخر في الأمام أكثر منذ بداية العمليات في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وتبعًا لتطور القتال في عمق سيناء، وقال الرقيب محمد الشافعي، سائقي الخاص:

ـ هل نمر على العنكبوت؟

فأومأت له بالموافقة، واتجه بالسيارة إلى داخل المكان الذي كنت أجد فيه متعة الهدوء والراحة وسط حدائق البرتقال واليوسفي والليمون، وبالطبع لم نجد أحدًا هناك إلا أفراد الحراسة.. وأديت صلاة العصر في مسجد القرية الصغير، وشكرت الله تعالى أن مكنني من الصلاة.

وكنت قد سعدت بصلاة الظهر جماعة مع ضباط قيادتي في المنطقة العسكرية المركزية بالقاهرة، وكنت إمامًا لهم في الصلاة، وشعرت بأني بعد هذه الصلاة سأذهب إلى الجيش الثاني قائدًا له.. وصرحت بهذا إلى صديقي ونائبي اللواء سعيد إبراهيم.

وانطلقنا إلى غايتنا للوصول إلى الإسماعيلية قبل الإفطار، فقد كنت وسائقي وحرسي الخاص صائمين رمضان والحمد لله، ومع خواطر رمضان وذكرياته تذكرت حروب الرسول عليه الصلاة والسلام في رمضان، وتذكرت أيضًا مأمورية لي في شهر رمضان في عام ١٩٤٨ في أثناء حرب فلسطين، عابرًا من غزة إلى الفالوجا وعراق المنشية إلى بيت لحم، مارًّا بالخليل وأنا صائم، لتوصيل جنود مجندين إلى منطقة بيت لحم المشرِفة على القدس.. ثم أعود إلى الحاضر مرة أخرى مع أصوات الطائرات وطبول الحرب. فعندما كنت قائدًا لهذا الجيش الكبير ومعارك التراشق بالنيران والمدفعية والمدرعات، وأثناء حرب الاستنزاف وحصولنا

على أسرى من العدو الإسرائيلي لأول مرة بعد نكسة ١٩٦٧، وبرغم محاولات العدو المتكررة للعبور للضفة الغربية ونشاطه أمامنا على الضفة الشرقية للقناة، فقد باءت جميع عملياته بالفشل، بل وقد تمكنَت قواتي من الحصول على ضابط أسير يسمى «دان أفيدان» عام ١٩٦٩ واثنين من رجال المظلات الإسرائيليين من رجال «شارون» في يوم السبت الحزين ـ كما سمته الصحافة الإسرائيلية ـ الموافق ٣٠ مايو ١٩٧٠، وقد ذكرت وكالات الأنباء العالمية الخسائر الكبيرة التي مُنيت بها إسرائيل في هذا اليوم الحزين!

وتمر السيارة على مناطق التدريب في البعالوة وأبو صوير، حيث أقمنا نماذج من مواقع العدو الحصينة في خط بارليف على ترعة المياه الحلوة إلى الإسماعيلية، وفي مناطق البلاح على قناة السويس تحيط بها الأسلاك الشائكة والألغام المضادة للأشخاص والشِّرَاك الخداعية ليكون التدريب واقعيًّا، وهذا يسمى في العرف العسكري: «تطعيم المعركة».

وتخترق طائراتنا السماء إلى الشرق ونسمع انفجارات ونشعر بهزات أرضية، ثم أسمع أزيز الطائرات الإسرائيلية وانطلاق الصواريخ أرض-جو إلى أهدافها، وانفجارات في السماء وأخرى على الأرض، ثم دويَّ أصوات دانات المدفعية الثقيلة والمتوسطة وطلقات متفرقة هنا وهناك، فنحن نقترب من خط القتال، أي خط الاشتباك بين قواتنا وقوات العدو الإسرائيلي.

ولست أدري لماذا مر بخاطري في هذه اللحظات بالذات ذكرى دويِّ مدافعنا في فلسطين وذكريات الغارات الجوية الإسرائيلية على قواتنا وعندما دخلت قواتنا فلسطين في عربات «باميه»! وهو متعهد فلسطيني للنقل بالسيارات.. وقصة الصراع الأول لنا في حرب فلسطين.

حتى ذكريات ما قبل حرب فلسطين أثناء الحرب العالمية الثانية واشتراك اليهود في وحدات مقاتلة بجوار الحلفاء على مسرح القتال في العلمين ومَرْسَى مطروح وسيدي براني، وكنا نلتقي مع الضباط الإنجليز والحلفاء في النوادي العسكرية بالقاهرة والإسكندرية ومدن القناة وغيرها.

وأذكر أيضًا عام ١٩٥١، وكنت في مدرسة المشاة في «وارمنستر» بإنجلترا،

وبجواري كابتن إسرائيلي اسمه «س. كوهين»، صورته عندي ضمن مجموعة طلبة الفرقة التعليمية، وأنهم اختاروني في أحد المشروعات لأكون معاونه في قيادة السَّرية وحامل الجهاز اللاسلكي له! وهذه لها قصة...

وبرغم ما أشاهد وما أسمع من انفجارات وأصوات الطلقات ودويِّ المدافع، فشريط الذكريات يمر أمامي واللقطات الحية تظهر كأنها بالتصوير البطيء الواضح.

ذكريات العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ ومعارك سيناء التي لم تأخذ حظًّا في تاريخنا الحديث، برغم ما أثبتت أحداثُها ـ بشهادة العدو ـ بطولاتٍ لبعض الوحدات المصرية المقاتلة وشجاعةَ الجندي المصري وصموده وصبره وتضحيته.

وذكريات صراعنا مع اليهود كثيرة ومُضنية ومريرة، ولكن صدمة النكسة ما زالت صورتها وذكرياتها باقية في النفوس راسخة في القلب، برغم ما تم من إعدادٍ للقوى لمحو آثارها!

وفي طريقي إلى الإسماعيلية أرى صورة الجندي المصري خير أجناد الأرض كما وصفهم الرسول القائد عليه الصلاة والسلام، وأتذكر هذا القائد القدوة، وتسبح أفكاري عبر التاريخ القديم منذ نشأت الدولة الإسلامية، وجولات الحق والباطل في السلم والحرب، ونقض العهود والمواثيق من جانب اليهود، وأسلوب الرسول القائد والمُعلم العظيم في التعامل معهم في السلم والحرب، وقد أوضح القرآن الكريم لنا كيف يتم ذلك حتى تحقق النصر والعزة للإسلام وللمسلمين.

وتمر الذكريات مر الكرام على أحداث الثورة اليمنية من عام ١٩٦٢ ودور القوات المسلحة المصرية في مساندة هذه الثورة.

وتغلبت الأفكار والتوقعات عن أحداث ثغرة الدفرسوار، وأشعر بدقات قلبي تزداد، ولا أستطيع أن أتصور كيف استطاعت القوات الإسرائيلية الاختراق غربًا!

وكل مشروعاتنا التي كنا نتدرب عليها وتوقعاتنا للاختراق في هذه المنطقة بالذات كثغرة ضعيفة في الدفاعات، نظرًا لطبيعة الأرض واتساع المواجهة في هذه المنطقة لوجود البحيرات المُرة في الفاصل ما بين الجيشَين الثاني والثالث.

كيف نغفل الدفاع عن هذه المنطقة؟ وكيف نسمح لليهود بالتسرب منها؟

إنها موضوعات تحتاج إلى دراسة كاملة، دقيقة، واضحة، وصريحة.

ورأيت في الفانوس السحري أمامي لقطات ما بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، عندما اختارت القيادة السياسية المصرية مَن يقف بجانبنا للمعاونة في إعداد القوات المسلحة للقتال، ولقطات أعوام الاستنزاف والحسم والصمود والتحدي، ولقطات اجتماعات القمة المصرية في مجالس الحرب قبل النكسة وبعدها وما دار فيها من أقوال وحكايات! حتى لقطات الصراع النفسي الخفي والعلني بين هؤلاء القمم تمر أمامي سريعة مؤلمة! إلا أن لقطة قرار حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت كالماء البارد في الجو المملوء بالقيظ الشديد، أطفأت لهيب الهزيمة وأضاءت أنوار النصر والاطمئنان والثقة.

وهكذا كانت الشرارة في السادس من أكتوبر ١٩٧٣، حيث ارتفعت الهامات كما ارتفعت الأعلام، منادية: «الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر».

وها هي الإسماعيلية، عاصمة القناة وأجمل مدن مصر، هادئة إلا من أصوات المركبات الحربية تنهب الطرقات، وأصوات المدافع والدانات تكسر هدوءها، وغبار القنابل يملأ سماءها الصافية. وبمجرد أن دخلتُ معسكر الجلاء، وشاهدت صالة السينما الشتوي في مدخلها وعليها شعار «دائمًا مصر أولًا»، تذكرت آخر لقاء لي مع رجالي وأحبابي في اليوم الخامس من يناير ١٩٧٢، يوم أن وقفت بينهم أودعهم ويودعونني الوداع الصادق، متضرعًا إلى الله سبحانه وتعالى أن أعود إليهم مرة أخرى عندما يعبرون القناة شرقًا، وأن يكون لي شرف الشهادة في سبيل الله ومصر.

وها هو يوم السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣ الموافق ٢٠ رمضان ١٣٩٣ يستجيب الله لتضرعي الأول، وأعود إليهم بعد فراق ٦٥٤ يومًا لأتولى قيادتهم في ظروف قاسية مريرة، لأعاونهم على النصر وعودة الحياة إلى طبيعتها، متممًا رسالة مَن سبقني في القيادة، الذي كان له الفضل الأكبر في هذا النصر، ودعوت الله له بالشفاء، وعدت إلى رجالي فرِحًا شكورًا.

ونزلت الدرجات العشر إلى المركز المتقدم للجيش الثاني الميداني حيث

قابلت رجالي الأوفياء، وبعد أن أخذت فكرةً عن الموقف وقفت على كرسيٍّ أمام خريطة موقف العمليات وكتبت بالقلم «الفلومستر» الأحمر بخط يدي في أعلى الخريطة هذه الآية الكريمة:

﴿رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

فأحسست بدهشة كل أسرة مركز العمليات واطمئنان قلوبهم.

وهكذا اطمأن قلبي وازدادت ثقتي بالنصر إن شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

قيادة الجيش الثاني الميداني

التاريخ ٢٠/ ١٠/ ١٩٧٣

نداء

قائد الجيش الثاني الميداني

أيها الأبطال رجال الجيش الثاني الميداني... لقد أراد الله أن أعود إليكم لتولي قيادتكم نظرًا لمرض اللواء سعد مأمون شفاه الله.

إن مصر كلها تبني آمالها عليكم، فقاتلوا عدوكم بغلظة وشدة يعذبهم اللهُ ويُخزِهم وينصركم، ونفِّذوا قول الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ﴾.

صدق الله العظيم

لواء عبد المنعم محمد خليل

الفصل الثاني

مصر والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥

لعبت منطقة الشرق الأوسط دورًا حاسمًا في الحرب العالمية الثانية نظرًا لأهميتها الإستراتيجية عند ملتقى القارات الثلاث، واحتلت مركزًا مهمًّا في الصراع العالمي، ففيما بين انتهاء معركة فرنسا في يونيو ١٩٤٠ ومعركة العلمين في أكتوبر ١٩٤٢ كانت منطقة الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط المسرح الرئيسي للعمليات الحربية بين بريطانيا من ناحية والقوات المحورية من ناحية أخرى.

وتأرجح مصير الحرب كلها فوق رمال هذه المنطقة، حتى تمكنت قوات الحلفاء في هذا المسرح، بعد إحراز التفوق العام، من قهر هذه القوات والانتقال بالعمليات الحربية إلى أوروبا.

وقد امتد مسرح الحرب في الشرق الأوسط من العراق شرقًا إلى مراكش غربًا، ومن اليونان شمالًا إلى قلب القارة الأفريقية جنوبًا، ودارت العمليات البرية الرئيسية في ميدان شمال أفريقيا، بما فيها الصحراء المصرية، بين عامي ١٩٤٠ و١٩٤٣، حتى تم تطهير هذا الميدان من القوات الألمانية-الإيطالية المشتركة.

واستوعب هذا المسرح ثلاث مراحل للحرب. كان أولها مرحلة الدور التمهيدي للحرب، ما بين نوفمبر ١٩٤٠ ويوليو ١٩٤١. ثم كانت المرحلة الثانية من العمليات، وتشمل الصراع من أجل إحراز التفوق في جميع ميادين هذا المسرح برًّا وبحرًا وجوًّا، حتى سبتمبر ١٩٤٢. ثم المرحلة الثالثة حتى مايو ١٩٤٣ وتعتبر بداية النهاية، وهي من أخطر مراحل صراع هذه الحرب بأكملها، إذ ألقت كلٌّ من بريطانيا وألمانيا

في الميدان بأعظم قوات شهدتها الحرب في حوض البحر الأبيض المتوسط في سبيل إحراز التفوق، وانتهت هذه المرحلة بانتصار بريطانيا التاريخي في معركة العلمين، التي اعتبرت نقطة التحول في الحرب ضد ألمانيا.

وبعد أن انتصرت القوات السوفيتية في معركة «ستالينجراد»، بدأت المرحلة الرابعة لقهر ألمانيا بصفة نهائية في جميع مسارح الحرب التي انتهت في عام ١٩٤٥.

وعلى الرغم من أنه قد انقضى أكثر من ٤٤ عامًا على نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد اندثر معظم الأسلحة التي استخدمت في هذه العمليات، وعلى الرغم من التطورات الثورية في التسليح والتنظيم التي نعاصرها اليوم، فما زالت المبادئ العامة للحرب قائمة وصحيحة، وإن كان من المُحتم أن تتطور أساليب تطبيقها في العمليات، ولكن العبرة في التعمق في دراسة إستراتيجية هذه الحملات، وتقدير العوامل المختلفة التي أثرت على وضع الخطط وتنفيذها، وارتباط وتنسيق العمليات المشتركة البرية والبحرية والجوية لتحقيق الأهداف الموحدة، وعلاقة القرارات الإستراتيجية الرئيسية بالاعتبارات السياسية، والأسلوب الذي اتُّبع بين هذه الاعتبارات جميعًا.

العرب والحرب العالمية الثانية

لقد خَدعت بريطانيا العرب عدة مرات، خاصة في الأوقات التي تكون حاجتها ماسة إلى تأييدهم. ففي أثناء الحرب العالمية الأولى وَعَدت الحكومة البريطانية الشريف حسين باستقلال الأمة العربية إذا ما أيد العربُ قضية الحلفاء ووقفوا إلى جانبهم. وصدَّق العرب هذه الكذبة، وبرغم هذا فقد جاءت الكذبة الأخرى في الحرب العالمية الثانية في صورة كتاب أبيض الوجه أسود القلب تطمئن فيه العرب على مصير فلسطين!

اليهود والحرب

أما في الجانب الآخر فقد انتهزت الصهيونية اشتعال الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ ودخول تركيا الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء، فوجدت فرصتها السانحة لإنشاء قوات مسلحة يهودية تشارك في غزو فلسطين وفي القتال الدائر في

الشرق الأوسط، حتى لا ينفرد العرب بكل الغنائم! وفي الحرب العالمية الثانية تم إنشاء لواء يهودي، واشترك في القتال بجانب الحلفاء على مسرح عمليات الشرق الأوسط، وبدأت إسرائيل في إعداد القوى والتدريب القتالي.

مصر والحرب

أبدت مصر منذ اللحظة الأولى لتوتر الموقف الدولي عام ١٩٣٩ استعدادًا تامًّا للتعاون مع بريطانيا في نطاق معاهدة ١٩٣٦، فعندما نشبت الحرب في أوروبا بادرت الحكومة المصرية بإعلان الأحكام العرفية في ٢ سبتمبر ١٩٣٩، وفرضت الرقابة على المواصلات الخطية واللاسلكية وعلى الصحافة، كما قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا. وفي ٩ سبتمبر أعلن الدكتور علي ماهر، رئيس مجلس الوزراء، أن مصر ستقف قلبًا وروحًا في صف بريطانيا في صراعها من أجل الحق والحرية والديمقراطية، وأنها ستنفذ التزاماتها طبقًا للمعاهدة نصًّا وروحًا!

وفي الوقت نفسه سارعت مصر إلى تعزيز قواتها المسلحة واتخاذ التدابير الكفيلة بتأمين المناطق الحيوية والأهداف الإستراتيجية، فشكلت القوات المرابطة لأعمال الحراسة العامة، واستدعت بعض وحدات الاحتياط ونُظم الدفاع الجوي عن القاهرة والإسكندرية، كما عززت منطقة قناة السويس لحماية الملاحة بها... ووزعت الوحدات المصرية على الحدود الغربية لحراستها وللدفاع عن مَرْسَى مطروح.

وقطعت مصر علاقتها الدبلوماسية مع إيطاليا في ١١ يونيو، واتخذت إجراءات أمن واسعة النطاق لتأمين الدولة ضد أي أعمال تخريب قد تقوم بها العناصر الإيطالية المتطرفة، خاصة أن مصر كان بها جالية إيطالية كبيرة (حوالي ٦٠ ألف إيطالي).

وفي ١٢ يونيو ١٩٤٠ أصدرت الحكومة المصرية تصريحًا رسميًّا حددت فيه موقف مصر، وأنها لن تدخل الحرب إلا إذا هوجمت بإحدى الوسائل التالية:

- إذا غزت الجيوش الإيطالية الأراضي المصرية.
- إذا ضُربت المدن المصرية من الجو.
- إذا هوجمت الأهداف العسكرية المصرية.

وفي سبتمبر ١٩٤٠ عبرت القوات الإيطالية الحدود المصرية وضربت قاذفاتُها

بعضَ المدن المصرية، وبرغم هذا فقد استمرت وزارات مصر التي تعاقبت بعد ذلك في اتباع سياسة تجنب الحرب، مع تقديم جميع المساعدات الممكنة للقوات البريطانية في مصر.

أما من وجهة نظر الحلفاء عامة، وبريطانيا خاصة، فقد اعتبروا ميدان العمليات في شمال أفريقيا الميدان الحيوي، واعتبرت مصر مفتاح الموقف كله في الشرق الأوسط. ولذلك تقرر أن يركز المجهود البريطاني الرئيسي في الدفاع عنها كأسبقية أولى.

وبنيت الخطة الدفاعية البريطانية في الصحراء الغربية على أساس عدم مقاومة الغزو الإيطالي على الحدود المصرية الغربية، واستدراج القوات الإيطالية شرقًا إلى مَرْسَى مطروح، وبمجرد اشتباك القوات الإيطالية بدفاعات هذه المنطقة وتورطها في القتال تقوم الفرقة المدرعة الإنجليزية من منطقة جنوب مَرْسَى مطروح بالهجوم المضاد.

وتحولت منطقة مَرْسَى مطروح إلى قاعدة دفاعية رئيسية وأُعدت لمواجهة الهجوم الإيطالي في السهل الساحلي، وكُدست فيها المطالب الإدارية للقوات المدافعة لتصبح مكتفية ذاتيًّا في حالة تطويقها وقطع خطوط مواصلاتها شرقًا.

وكان للجيش المصري في ذلك الحين مجموعة لواء مشاة في مَرْسَى مطروح تحتل ثلثَي الدفاعات، ومعها وحدات مدفعية مضادة للطائرات، وأرسلت قوة خفيفة عبارة عن سيارات ومدفعية محملة إلى منطقة القصابة، حيث بقيت بها حتى نهاية معركة سيدي براني في ديسمبر ١٩٤٠.

كما وزعت وحدات من سلاح الحدود المصري فيما بين السلوم وسيوة للقيام بالدوريات على طول الحدود.

أما في الدلتا فكانت القيادة البريطانية تخشى ثورة العناصر الوطنية المصرية داخل الدلتا وقيامها بأعمال عدوانية ضد القواعد البريطانية، وقد تُعاونها بعض عناصر مسلحة من الجيش المصري، ولذا طلب وزير الدفاع البريطاني إشراك القوات المصرية الميدانية في أعمال حربية، أو توزيعها في مناطق نائية لشَغلها عن الاشترك في أعمال عدوانية ضد القوات البريطانية في الدلتا.

في أوائل سبتمبر ١٩٤٠ أتم المارشال «جرازياني» حشد الجيش العاشر الإيطالي على الحدود المصرية الغربية، ويتكون الجيش من فِرق مختلفة ومنها ٢ فرقة ليبية، وبدأ الهجوم الإيطالي يوم ٩/١٣، ولما تورطت القوات الإيطالية أمام مَرْسَى مطروح نجحت القوات البريطانية في ردها حتى توقفت شرق سيدي براني، وخططت بريطانيا لطردها إلى الغرب قبل تدخل ألمانيا المباشر في شمال أفريقيا.

وفي خلال النصف الأول من عام ١٩٤١ مر الشرق الأوسط بأحداث كادت تودي بمركز بريطانيا، لولا ما قام به الجنرال «ويفل» من عدة ضربات حاسمة في شرق أفريقيا لتصفية الإمبراطورية الإيطالية فيها، ولكن تدخُّل القوات الألمانية أحدث قلقًا كبيرًا لبريطانيا.. كذلك مر الأسطول البريطاني بفترة حرجة جدًّا في البحر المتوسط، كما تعرضت قناة السويس لعمليات إسقاط ألغام بحرية من الجو وتعطلت المِلاحة فيها عدة مرات.

وسارعت بريطانيا في تحسين مواني العقبة وسفاجة والأدبية والسويس ليتم فيها تفريغ السفن، كما بُدئ في العمل لازدواج الخط الحديدي من السويس إلى الإسماعيلية، وفي مد خط أنابيب البترول من بورسعيد إلى السويس لإمداد الأسطول من بورسعيد مباشرة.

ودار القتال بين القوات البريطانية والألمانية-الإيطالية المشتركة على أرض مصر بالصحراء الغربية، حتى وصل القتال في شهر يوليو ١٩٤٢ إلى منطقة العلمين بين جيشين مُتعبَين، فالجيش الثامن البريطاني كان متقهقرًا بعد هزائم متكررة من الغزالة ومَرْسَى مطروح حتى العلمين، والفيلق الألماني كان متقدمًا بقوات مرهقة متعبة أنهكها طول القتال بلا تغيير أو تبديل، وكان «روميل» يريد اختراق منطقة العلمين للانطلاق للأرض المفتوحة شرق الإسكندرية، بينما كان القائد البريطاني «أوكنلك» يقاتل وظهره للحائط لإيقاف تقدم «روميل».

وقرر الجنرال البريطاني «مونتجمري»، بعد نجاح معركة علم حلفا في سبتمبر ١٩٤٢، أن الألمان لن يمكنهم القيام بهجوم كبير آخر قبل مُضي وقت طويل لضرورة تعزيز قواتهم في منطقة العلمين بالرجال والعتاد، واستأنف فورًا استعداده لهجومه المقبل الكبير. ونجح «مونتجمري» في معركة العلمين اعتبارًا من أكتوبر

١٩٤٢، وتراجعت قوات «روميل» إلى الغرب وطاردتها القوات البريطانية في كل الشمال الأفريقي.

وخلال هذه الفترة والجيش المصري لم يكن إلا جيشًا للدفاع عن مصالح بريطانيا في مصر وحماية خطوط مواصلاتهم البرية وكابلات الاتصال التلفوني عبر البحار، مارة بأرض مصر، وكذا المنشآت البريطانية من الخارج والمصانع والمعامل والورش والمستودعات، وكل الأمكنة التي تخدم المجهود الحربي لبريطانيا في المملكة المصرية.

واشتركت كتائب المشاة وكتائب مدافع الماكينة وكتائب الخدمات العامة في هذه المهام، كما اشتركت وحدات المدفعية المضادة للطائرات، ومعها وحدات الأنوار الكاشفة، للدفاع ضد الطائرات المغيرة الألمانية والإيطالية، التي كانت تشن غاراتها على المنشآت والمعسكرات والكباري والمناطق الحيوية التي تخدم المجهود الحربي للحلفاء.

وقد كان حَظِّي أن أخدم في كتائب الخدمات العامة، ثم في كتائب مدافع الماكينة التي تولت الحراسة على بعض المنشآت البريطانية في المملكة المصرية، وكذا على معسكرات الأسرى الألمان والإيطاليين في منطقة قناة السويس.

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ لم يكن للجيش المصري نصيب يُذكر من خبرة الحرب أو التدريب القتالي، ولكنه كان له نصيب كبير في الخضوع لتعليمات وأوامر القيادة البريطانية الاستعمارية لخدمة مصالحها!

مخلفات الحرب العالمية الثانية

تركت الجيوش التي قاتلت على رمال الصحراء الغربية آلافًا من القتلى من مختلف الجنسيات والألوان والأديان، ودفنوا في مقابر قتلى الحرب على أرض مصر في مناطق مختلفة بالصحراء الغربية وفي قلب القاهرة أيضًا. وتدور الأيام ويأتي ذوو قرباهم لزيارتهم كل عام تقريبًا، ويلتقي الأحفاد وأحفاد الأحفاد على أرض مصر في زيارة سريعة لمقابر أجدادهم ضحايا الحروب الوحشية.

كما تركت الجيوش خلفها مخلفات لا حصر لها، وأخطرها ملايين الألغام

المضادة للأفراد والمضادة للدبابات والعربات والمصفحات التي تحكي للأجيال قصص الرعب والموت والدمار، وللأسف أنها ما زالت مدفونة في رمال الصحراء حول المسالك الرئيسية والطرق المهمة والمدقات عبر هذه الصحراء المتسعة، وكذا حول الأماكن الحيوية الحاكمة التي اتخذتها الجيوش ميدانًا للدفاع والانطلاق. وما زالت هذه الألغام غير معروف أماكنها بالضبط، حيث قامت العوامل الجوية وعوامل التعرية وتحركات الرمال بإجراء حركة تنقلات لهذه الألغام بعثرتها هنا وهناك. وقد بذلت مصر ـ وخاصة رجال المهندسين ـ جهدًا كبيرًا في نسف أعداد ضخمة منها أو تأمين بعضها، وراحت أرواح كثيرة في هذا الجهد العظيم، سواء من الجنود أو الأعراب الآمنين العابرين إلى لقمة العيش هنا وهناك.

وحتى مَن يسير على الأرض من السياح والكشافة والعمال لم يَسلموا من شر انفجارات الألغام، وكذا كثير من القنابل التي لم تنفجر منذ عام ١٩٤٢ حتى لحظة معينة في وقت معين بعد عشرات السنين عندما تجد لها صيدًا ثمينًا بريئًا.

وتقول الإحصائيات إنه تم إزالة ٣٠٠ ألف لغم ومخلفات تكلفت ملايين الجنيهات، وما زالت آلاف من الألغام ومخلفات الدمار باقية فوق كتف مصر تمثل جزءًا مهمًّا من أرضها وتمنعه من النمو والحركة.. وتثير الرعب والفزع لكل مَن يخطو نحوها، ويوميًّا تحدث حوادث انفجارات تودي بحياة كثيرٍ من البشر، وحتى الحيوانات!

ويجب أن تتضافر جهود الدول الكبرى التي زرعت هذه الألغام في إزالتها بالاشتراك مع مصر، ليعم السلام والرخاء أرض الصحراء الغربية المصرية، حيث يحتوي باطنها على خيرات لا يعلم قدرها إلا الله...

مظلة الإيمان على مصر في الحرب العالمية الثانية

في أوائل سبتمبر ١٩٤٠ أتم المارشال الإيطالي «جرازياني» حشد الجيش العاشر الإيطالي على الحدود المصرية تجاه السلوم-سيدي براني، وبدأت عمليات التمهيد للحرب بالإغارات الجوية على المواقع البريطانية والمعسكرات والمنشآت الحيوية التي يستخدمها الحلفاء في مصر، وامتدت الغارات الجوية إلى القاهرة

والإسكندرية، وقررت ألمانيا التدخل المباشر في ميدان شمال أفريقيا لتعزيز القوات الإيطالية بعناصر ألمانية قوية، وتعين الجنرال «روميل» الألماني قائدًا للقوات الألمانية-الإيطالية في شمال أفريقيا، وبدأت الغارات الألمانية ضد الأهداف العسكرية في مصر تمهيدًا للزحف الألماني-الإيطالي لاحتلالها، واشتدت الغارات الجوية كثافة وعمقًا ودقة ضد مناطق حيوية في القاهرة والإسكندرية، وكانت القنابل الألمانية أقوى وأشد فتكًا ووزنًا ودقة، وتعرضت الأحياء السكنية في الإسكندرية القريبة من المواقع البريطانية إلى القصف الجوي المُركَّز، وأصابت كثيرًا من المساكن الشعبية وأماكن إيواء المدنيين المصريين الأبرياء.

وهنا أحس الشعب المصري عامة وشعب الإسكندرية خاصة بقدرة الله سبحانه وتعالى، وأن هناك مظلة إيمانية تحمي ألوف البشر من انفجارات الطوربيدات الألمانية التي كانت تدك بها منطقة الميناء في الإسكندرية.

فدمرت أعداد كبيرة من المساكن الآهلة بالسكان، كما سقطت طوربيدات كثيرة في منطقة أبي الدرداء والبوصيري والمُرسِي أبي العباس في بحري، ولكنها لم تنفجر! فكانت هذه فاتحة خير وأمان وسلام إلى أهالي الإسكندرية الذين كانوا يزحفون ليلًا إلى جوار هذه المناطق المباركة ويحتمون بها، على ثقة بأن مظلة الحب الإلهي ستحميهم وتحمي فلذات أكبادهم من هذه الطوربيدات التي تسقط حول هذه المناطق المباركة ولم ينفجر معظمها، وكانت هذه آيات من آيات الله خير الحافظين.

وكانت هذه المناطق التي استقرت بها الطوربيدات ولم تنفجر ملاذًا لنا جميعًا، وقامت السلطات المصرية تُعاونها السلطات البريطانية في تأمين الطوربيدات وسحبها بعيدًا، والحمد لله.

الفصل الثالث

حملة فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩

دفعت بريطانيا الجيوش العربية إلى دخول فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ وهي غير مستعدة، وأرادت من جيش مصر أن يلقن العصابات الصهيونية الإرهابية درسًا في الأدب! ولذا سمي عام ١٩٤٨ بعام النكبة الكبرى، فقد اغتُصبت فيه فلسطين، ومنها طُرد مليون عربي من أرضهم وديارهم وبياراتهم، تركوها هائمين على وجوههم ليعبث بها شر غاصب آثم...

وفي منتصف ليلة ١٤-١٥ مايو ١٩٤٨ أصدر مجلس الوزراء المصري البلاغ الرسمي التالي:

> صدرت التعليمات إلى قوات من الجيش المصري بدخول فلسطين لإعادة الأمن والنظام فيها، ولإيقاف المذابح التي تقترفها العصابات الإرهابية الصهيونية ضد العرب وضد الإنسانية.

ثم صدر البلاغ العسكري المصري رقم ١، وأعقبه بلاغات أخرى عربية ومصرية متعددة.

الرحلة داخل فلسطين

محطة القاهرة مزدحمة بالجنود والضباط والمودِّعين من عائلات الضباط والجنود، ودق جرس الإنذار الأول باستعداد القطار للتحرك، وبدأ المودِّعون ينزلون إلى الأرصفة للوداع من الشبابيك، وفي الساعة السادسة والنصف من مساء يوم ١٨ مايو ١٩٤٨ دوت صفارة القطار التقليدية من مركبته البخارية، وتحرك

القطار بهدوء وذرفت الدموع... دموع الوداع إما إلى لقاء أو وداع، والله وحده يعلم المصير، وكتبت في مذكراتي كلمة عن هذا أقول فيها:

إنها دموع الوداع، فمن يدري هل سنعود أم تُكتب لنا الشهادة؟

وفي صالون الدرجة الأولى بالقطار جلستُ مع المجموعة المكلفة بإنشاء معسكر الإمداد بالرجال والتدريب في العريش، وكان الصاغ محمد فؤاد الدجوي هو قائد هذه المجموعة، وكان معنا مجموعة ممتازة من الضباط معظمهم من مُدرسي مدرسة المشاة، وهم: اليوزباشي محمد السيد عبد الرحمن، واليوزباشي محمد حمدي عبيد، والملازمون الأوائل: أحمد سليمان، وأحمد سالم، ومحمود ممتاز محمد، وإبراهيم كامل، وعبد الغني فرحات، وأنا. وكان يجلس بالصالون المجاور مجموعة من الضباط وضباط الصف الإنجليز في طريقهم إلى معسكر القوات البريطانية في رفح.

وفي فجر اليوم التالي وصل القطار إلى العريش، وكان في انتظارنا في المحطة ملازم أبو الفتح البهي سلامة، ومعه الحملة التي نقلتنا إلى رئاسة قاعدة العريش ثم إلى معسكر الاستقبال وسد الخسائر، حيث استقبلنا قائده اليوزباشي محمد سليم مشرفة. المهم وجدنا مكانًا للراحة وأكلنا اللحم الميري المجلد.. وأعتقد أن اليهود علموا بوصولنا، فكان استقبالهم لنا جميلًا بغارة جوية من طائرتين! ولم تحدث خسائر والحمد لله.

وأعود بالذاكرة إلى رحلة القطار وما دار فيها من مناقشات وحكايات.

فقد استعرضنا الأحوال الخارجية، حيث بدأ عام ١٩٤٨ والقتال الداخلي مستمر بين عرب فلسطين واليهود، ورفض العرب قرار التقسيم وابتهاج اليهود بتحقيق حلمهم القديم بقيام دولة تجمعهم، فقد كان في فلسطين عام ١٩٤٧ حوالي ٦٠٠ ألف يهودي في المدن الرئيسية: تل أبيب، والقدس الجديدة، وحيفا، وبعض المستعمرات المنتشرة في مناطق متفرقة من فلسطين. وكان العرب أكثر من مليون ونصف عربي، ثلثهم في المدن الكبيرة: القدس العربية، يافا، حيفا، والباقي في القرى الصغيرة الكثيرة.

وجاء ذكر المحارب اليهودي وأنه اشترك في تجارب الحروب، ومنها الحرب

العالمية الثانية مع الحلفاء وفي مصر بالذات، وأخذ خبرة قتال أعطته الروح العسكرية الهجومية والانضباط في السلوك كرجل عسكري.

أما الفرد العربي فلم يخدم في الجندية ولم يحمل السلاح إلا في أوقات الثورات القصيرة المحدودة، وقص علينا الصاغ الدجوي قصة ردًّا على سؤال: لماذا نحن في الطريق إلى فلسطين؟

فقال:

- لقد شعر اليهود والعرب في فلسطين أنهم بحاجة إلى أسلحة ورجال مدربين يشتركون في القتال، فاهتم اليهود بشراء الأسلحة والمعدات ونقل المحاربين والمهاجرين واستئجار مقاتلين، واعتمد العرب على الجيوش العربية المتحمسة ظاهريًّا، واستخدم اليهود الإرهاب وبناء جدار الخوف والرعب لإحباط هِمم العرب داخل فلسطين وخارجها.

أما إنجلترا فقررت الانسحاب من فلسطين وإنهاء الانتداب ليلة ١٥ مايو ١٩٤٨، وكأسلوبها الاستعماري خططت لانسحاب قواتها من فلسطين بأسلوب يسمح لليهود بالاستيلاء على مناطق لها أهمية معينة، وتركت للعرب مناطق أخرى أقل أهمية. وهكذا ارتفعت في سماء فلسطين لأول مرة راية إسرائيل ذات نجمة داود السداسية الزرقاء!

والحقيقة أننا شعرنا جميعًا بأننا ضحية مؤامرة محبوكة أجبرت الحكام العرب على دفع قواتهم إلى معركة لم يُعدوا لها، ودخلت الجيوش العربية فلسطين برغم الخلافات فيما بينهم.

وجاء سؤال آخر لم نستطع معرفة إجابته بوضوح:

ما هو موقف المملكة المصرية من هذه الحرب الفلسطينية؟

كانت مصر تعارض فكرة تقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وكان من رأيها أن القضية يجب حلها بواسطة القوات غير النظامية من المجاهدين الفلسطينيين والمتطوعين العرب والمصريين وغيرهم، والمساهمة في تسليح وتدريب المتطوعين والإنفاق عليهم بسبب عدم استعداد الجيش المصري للقتال وقلة الأسلحة والمعدات والعتاد.

الحقيقة أن بعض القادة السياسيين والعسكريين عارض في دخول مصر الحرب، ولكن الملك فاروق زج بالجيش المصري إلى الحرب الفلسطينية لتحقيق أهدافه الخاصة.

وهكذا تضافرت مساعي فاروق مع مكائد الإنجليز وتصريحات الملك عبد الله في خلق جو خاص صارت فيه معارضةُ دخولِ الجيش معركةَ فلسطين خيانةً وطنية كبرى.

ومرت بالذاكرة أحداث ٤ فبراير وحضور الملك فاروق لمقابلة الضباط بنادي ضباط الجيش بالزمالك وحديثه معنا، مما أعطاه قوة من الجيش يستند عليها في مواقفه حسب ما يراه!

وعن سيناء التي يخترقها القطار البخاري من القنطرة شرق إلى غزة وتل أبيب، وإلى الشمال، كانت ذكرياتي لإخواني في القطار عن وسط سيناء وجنوبها، حيث قمت برحلة استطلاع عسكرية في مارس ١٩٤٨، وعبرنا ممر متلا، وقضينا ليلة في نِخِل، ثم زرنا التمد والكونتلا، ومررنا من رأس النقب إلى طابا أو بئر طابا، ثم عدنا إلى القاهرة.. قصصت عليهم قصة هذه الرحلة وما شاهدته كمعلومات قد تنفع أحدًا منا في يوم من الأيام...

ورحلة القطار ليلًا مستمرة، قصصت عليهم للتسلية رؤيا رأيتها ليلة ١٠-١١ مايو ١٩٤٨، قبل حوالي أسبوع من سفرنا للحرب، وهي أني أراني أصلي إمامًا بجماعة من الضباط في الصحراء على طريق الكونتلا-نِخِل. اللهم اجعله خيرًا يا رب.

دخول القوات حدود فلسطين

في يوم الجمعة ١٤ مايو ١٩٤٨ أُعلنت الأحكام العرفية في القُطر المصري استعدادًا لحماية ظهر الجيش المصري عند دخول فلسطين، وفي الساعة دقيقة بعد منتصف ليلة ١٤-١٥ مايو ١٩٤٨ دخلت القوات المصرية الحدود الفلسطينية عند رفح في عربات نقل متعهد فلسطيني اسمه «باميه»! وبالطبع كانت نكتة!

وعلمنا أن الخطة التي وضعتها إنجلترا لمصر لدخول فلسطين هي أن تحشد القواتُ المصرية في منطقة العريش-رفح بهدف التحرك إلى غزة يوم ١٥ مايو

١٩٤٨، وتقوم البحرية المصرية بمراقبة الشاطئ الفلسطيني في منطقة غزة-رفح، وفرض الحصار عليها بالاشتراك مع القوات الجوية المصرية التي تعاون الجيش المصري في تقدمه إليها.

ونحن كضباط وفي طريقنا للحرب لا ندري عن القوات التي يحتمل أن نحاربها شيئًا! فلم نكن نعرف عن العدو الإسرائيلي شيئًا! ولم نكن نعلم أيضًا مَن نحن! وإلى أين نحن مساقون! وللأسف لم أكن أعلم كثيرًا من آيات القرآن الكريم التي تصف اليهود وتوضح صفاتهم وأعمالهم وأسلوبهم في القتال.. وكيف يمكن الانتصار عليهم.

ولم يخبرنا أحد من رجال الدين عنهم شيئًا! قد يكون هذا ممنوعًا بقانون الملك فاروق! كل ما عرفناه أن الجيش المصري دخل فلسطين تعززه وحدات سعودية وسودانية ومتطوعون من مصر وبعض الدول العربية، وأن كتائب المشاة المصرية دُعمت ببعض المصفحات والدبابات الخفيفة ومدفعية الميدان وبعض قطع مدفعية مضادة للطائرات مع وحدات إدارية وطنية.

أما عن القوات الجوية أو سلاح الطيران الملكي، فقد كنا نفخر ببعض طيارينا الممتازين بطائراتهم «سبيت فاير»، منهم الطيار أبو زيد، وكان أملنا فيهم كبيرًا وخاصة بعدما أذيع علينا أن الطيران المصري استمر يقصف تل أبيب عدة مرات يوميًّا، وأن صفارات الإنذار انطلقت بها أكثر من عشر مرات في اليوم، وكانت بعض الإغارات تحدث فجأة ثم تطلق صفارات الإنذار ذعرًا.

سير القتال

اجتازت القوات المصرية الحدود المصرية-الفلسطينية عند رفح قبل فجر يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ بهدف الوصول إلى غزة بأسرع ما يمكن، وقد اشتبكت المدفعية المصرية مع مستعمرة الدنجور التي تقع على ربوة مرتفعة وتشرف على طريق رفح-خان يونس، وإلى مسافة حوالي خمسة كيلومترات شرق الطريق الأسفلت. واشتعلت النيران في المستعمرة، ولكن للأسف لم تتقدم الكتيبة المكلفة باقتحام المستعمرة واحتلالها، وقيل إن السبب هو سرعة وصول الجيش المصري إلى

غزة في نفس يوم ١٥ مايو ١٩٤٨. وفي طريق القوات إلى غزة كانت مستعمرة «كفاردروم»، وكان يجب مهاجمتها والاستيلاء عليها لتأمين التقدم إلى غزة، ولكن للأسف خصصت القيادة بعض المتطوعين لمحاصرتها من ناحية واحدة فقط وتُعاونهم بطارية مدفعية ميدان ٢٥ رطلًا.

ولقد دخلت طلائع القوات المصرية غزة عصر يوم ١٥ مايو ١٩٤٨، واستمرت المدفعية المصرية في الاشتباك مع المستعمرات القريبة من غزة مثل «بيروت إسحق» و«اللاسلكي»، إلخ. وفي يوم ١٦ مايو ١٩٤٨، حاولت قواتنا الاستيلاء على مستعمرة «بيروت إسحق» بالقرب من غزة، ولكن مقاومتها لقواتنا جعلت القائد يغير مهمته إلى حصارها فقط كغيرها، واستمر في التقدم.

وفي ١٧ مايو ١٩٤٨ صدرت الأوامر إلى قوات المتطوعين بقيادة أحمد عبد العزيز بالتقدم إلى بئر السبع عن طريق غزة–بئر السبع، وتمكنت من التغلب على المقاومات، ودخلت قوات أحمد عبد العزيز بئر السبع واتصلت بالقوات المصرية التي تقدمت من العوجة والعسلوج، ومن ثَمَّ حدث اتصال وتعاون بين هذه القوات والمتطوعين في بلدة الخليل، ثم تقدموا إلى بيت لحم على مشارف القدس.

الاستيلاء على مستعمرة دير سنيد

في يوم ٢٩ مايو ١٩٤٨ كُلفت بمهمة توصيل خرائط فلسطين إلى القيادة المصرية في غزة، وتسلمت عددًا ضخمًا من الخرائط ملء حمولة لوري ٣ أطنان! ووقَّعت باستلام الخرائط حسب القانون على ٥٠٠٠ خريطة! ووصلت غزة، ولكن قيادة القوات المصرية برئاسة اللواء المواوي كانت قد انتقلت إلى مستعمرة دير سنيد التي دخلتها قواتنا بعد معركة عنيفة يوم ٢٤ مايو ١٩٤٨، ووصلت إلى المستعمرة وهي شمال غزة قبل الغروب بقليل، ولكن كان الظلام كثيفًا نتيجة سحابات الدخان من الحرائق المنتشرة في المستعمرة ورائحتها خليط من لحوم تحترق وأخشاب ووقود، وكان الجو مملوءًا بكمية كبيرة من الريش المتطاير من المخدات المحترقة ومن ريش الدجاج السمين. وقابلت الصاغ صلاح سالم رئيس عمليات القوات المصرية، وأخبرته بأني أحضرت الخرائط المطلوبة، ولكنه رد عليَّ بحدة:

ـ مين قال إننا عاوزين خرائط؟!

وتركني وانصرف ولم يُعِرني أحد أي انتباه! ولم أجد أي شخص أستطيع أن أسلمه الخرائط لأعود أدراجي هربًا من هذه الروائح الكريهة!

وقضيت ليلتي في اللوري مع الخرائط والجنود، وكانت ليلة سمعت فيها كل أنواع الأصوات من مدفعية وهاونات ورشاشات وقنابل تُطلق جزافًا، هذا بالإضافة إلى الروائح الكريهة الخانقة.

وفي الصباح وجدت مَن يتسلم الخرائط التي وضعت في مخزن بالمستعمرة، وربما لا تزال موجودة حتى الآن! وأثناء تواجدي بالمستعمرة علمت بشجاعة وبطولة صديق لي (دفعتي) استشهد على أسلاك المستعمرة في أول هجوم عليها، اسمه الملازم أول مصطفى كمال عثمان رحمه الله، وقابلت البطل الملازم أول محمود عبد الحميد التلت الذي اقتحم أحد تحصينات المستعمرة القوية أمام فصيلته، فكان له الفضل بعد الله في نجاح قواتنا في هذه المعركة، وشاء الله أن يُستشهد باليمن ـ رحمه الله.

وبرغم نجاح قواتنا في احتلال المستعمرة، فقد تمكنت حاميتها من الهرب من اتجاه البحر تحت نظر بعض وحداتنا الذين لم يفطنوا أنهم يهود!

ودخلت قواتنا بعد ذلك بلدة أسدود، وأصبحت على مسافة أقل من ٣٠ ميلًا من تل أبيب! ونجح قول آخر من قواتنا في دخول الفالوجا وعراق المنشية في الطريق إلى الخليل، واستولت قواتنا على حصن منيع يسمى حصن عراق سويدان لتأمين الطريق إلى الفالوجا.

الهجوم المضاد الإسرائيلي على أسدود

قام اليهود ليلة ٥-٦ يونيو ١٩٤٨ بهجوم ليلي صامت، إلى أن وصلوا إلى الخطوط الأمامية لقوات الكتيبة التاسعة مشاة، وقد صدرت أوامر القائد بحبس النيران حتى آخر لحظة، وفي اللحظة المناسبة أصدر القائد أوامره بفتح النيران وقوات العدو الإسرائيلي على مسافة حوالي خمسين مترًا، وبدأت جهنم المصرية تلتهم أبناء صهيون، وفر منهم مَن استطاع مذعورًا هاربًا من هذا الجحيم، أما مَن

بقي منهم فقد لقي حتفه على الأسلاك الشائكة وفي حقول الألغام في الخور الكبير الواقع تحت تأثير نيران قواتنا المثبتة ليلًا، وبرغم هذا فقد تمكن اليهود من سحب كثيرٍ من جثث قتلاهم.. وفي اليوم التالي لهذه المعركة زرت هذا الموقع وشاهدت آثارها، وبالطبع كانت نشوة النصر حلوة.

معركة «نيتساليم»

عندما تقدمت القوات المصرية إلى أسدود تركت خلف ظهرها تَبَّة مرتفعة تسمى تَبَّة الفناطيس، نسبة لوجود فناطيس مياه في أعلاها، وهي تشرف وتسيطر على طريق المجدل-أسدود ومستعمرة «نيتساليم» القوية المشرفة على الطريق من ناحية، وعلى البحر من الناحية الأخرى، وكانت تعتبر كشوكة في جنب قواتنا، وكان بها قوة من العدو الصهيوني تحتلها. وصدرت الأوامر إلى قائد الكتيبة التاسعة مشاة بمهاجمتها، فتم اكتساحها وطرد اليهود منها، ولكن قواتنا تركتها أيضًا بعد الاستيلاء عليها بدون أي حراسة! فأعاد اليهود احتلالها! ثم صدرت الأوامر مرة أخرى باحتلالها، وأعاد المصريون الكَرة عليها، ونجحت قواتنا في استعادتها وتأمينها، واتخذتها القوات المصرية قاعدة لها للهجوم على مستعمرة «نيتساليم». وبعد تمهيد نيراني مُركَّز بالمدفعية وبمعاونة طائرتين، اقتحمت قواتنا أسلاك وخنادق المواقع الإسرائيلية في الجانبَين الجنوبي والشرقي من المستعمرة، وتوغلت إلى داخل المستعمرة الحصينة، وتم قتل عدد كبير من اليهود الصهاينة وأسر ١٠ أسرى إسرائيليين منهم ٧ نساء! ولكن اليهود قاموا بهجوم مضاد لاستعادة المستعمرة، وفشلت كل مجهوداتهم وانسحبت قواتهم الباقية في اتجاه البحر.

ولقد زرت هذه المستعمرة بعد دخول قواتنا إليها بحوالي ٢٤ ساعة، وعلمت قصة غدر من فتاة يهودية جريحة قتلت الملازم أول محسن حمد ـ رحمه الله ـ فقد كانت ترقد على حافة الخندق، فتركها جنودنا طالما أنها جريحة، أو أعتقد أنهم ظنوا أنها قتيلة، ولكنها تمكنت من تسديد مدفعها الرشاش على ظهر قائد الفصيلة فأصابته بعدة طلقات، فاستُشهد في الحال.

إيقاف القتال الأول ١١ يونيو ١٩٤٨

صدرت لنا الأوامر ليلة ١٠-١١ يونيو بالانتقال إلى غزة، وفي الطريق كانت جموع الشاردين والفارين واللاجئين الفلسطينيين تزدحم على الطريق الرئيسي والطرق الفرعية، ووسط بيارات البرتقال، ولما دخلنا غزة فوجئت بازدحامها بالفلسطينيين في المقاهي يدخنون النارجيلة واللامبالاة على وجوههم!

وتم إيقاف القتال يوم ١١ يونيو ١٩٤٨، ووصل عدد كبير من المراقبين الأمريكان إلى أماكنهم لمراقبة تنفيذ قرار مجلس الأمن.

ووصل الملك فاروق إلى غزة صباح يوم ٦ يوليو ١٩٤٨ في موكب حافل وسط الزغاريد والتصفيق والهتاف، ودخل غزة كأنه فتح عكا!

وفي ٧ يوليو ١٩٤٨ فتح اليهود النيران في عدة مناطق لتحسين أوضاع قواتهم، وإمكان إمداد المستعمرات الجنوبية بالنقب بما يلزمها من إمدادات عاجلة. فالطريق البري مقفول وتسيطر عليه قواتنا، ولكنهم بالغدر والمفاجأة تمكنوا من تأمين الطريق في بعض المناطق بما يمكنهم من توصيل الإمدادات بطريق البر بالسيارات.

استئناف القتال

قبل استئناف القتال في ٨ يوليو ١٩٤٨ بحوالي ١٢ ساعة ظهرت في سماء غزة قاذفة قنابل ذات أربعة محركات، قيل إنها إحدى القلاع الطائرة التي حصلت عليها إسرائيل من أمريكا لإحداث الذعر والرعب في قلوب العرب عامة والفلسطينيين خاصة! وبدأ القتال في اليوم التالي.

وعلمنا بمفاجأة من الملك عبد الله أنه أصدر أوامره إلى قائد قواته في فلسطين بسحب القوات الأردنية من منطقة اللد والرملة، وسمح للقوات الإسرائيلية بدخولها، وراجت إشاعة أنه سلمها لهم مقشرة!

لقد اشترك معنا في القتال قوات سودانية، وقد قامت بأعمال قتالية ناجحة: منها قيام سرية سودانية بإغارة ليلية ناجحة على موقع يهودي في مستعمرة بيت دوراس، وفاجأت حاميتها الإسرائيلية وهم نيام وقتلت منهم ما قتلت، ولكن

القائد السوداني أخطأ في إطلاق طلقة النجاح الخضراء لإعلان الانتصار، وأطلق بدلها الطلقة الحمراء التي يطلب بها نيران المدفعية للمعاونة، فأحدثت خسائر في قواته مما اضطره للانسحاب متحملًا بعض الخسائر من قصف مدفعيتنا المركز!

وهنا درس من الدروس المهمة في الحروب.

وفي يوم ١٨ يوليو ١٩٤٨ أعلنت الهدنة في القدس، أما في باقي الجبهات فقد تحدد في الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم ١٩ يوليو توقيت إيقاف القتال!

وهذا بالطبع ساعد اليهود على الحصول على أسلحة ومعدات وإمدادات كما يشاءون!

وعلمنا في يوم ١٨ أيضًا بأن طائرتين إسرائيليتين أغارتا على القاهرة للإرهاب، ولم تعلن مصر عن نتائجهما. ومن مصر أيضًا علمنا خبرًا مزعجًا: وهو وصول أسلحة جديدة وذخائر لتجربتها في مدرسة المشاة بألماظة، ولكن للأسف الشديد انفجر منها مدفع هاون ٨١ مم في طاقم التجارب أصاب البكباشي مهران وآخرين من أفراد الطاقم بإصابات قاتلة! وبعدها مباشرة انتشرت إشاعة الأسلحة الفاسدة التي أهداها الملك فاروق إلى الجيش المصري المحارب في فلسطين! سامحه الله...

وفي يوم ٢٣/ ٨/ ١٩٤٨ قتل البطل الشهيد أحمد عبد العزيز برصاصة طائشة من قواتنا قرب الفالوجا، كما قتل اليهود «برنادوت» يوم ١٨/ ٩/ ١٩٤٨ في القدس الجديدة، وبعدها في ٢٥/ ٩/ ١٩٤٨ تألفت حكومة عموم فلسطين ـ اسم فقط ـ برئاسة أحمد حلمي باشا، ولم يعترف بها الملك عبد الله. ولست أدري يا رب ما يخبئه القدر لفلسطين!

مظاهرة عسكرية

في يوم ٨ سبتمبر ١٩٤٨ استولى اليهود على قرية المجحز في منطقة جنوب الفالوجا، وتحيط بها سلسلة تِباب تسيطر سيطرة تامة على طرق الاقتراب إلى مستعمرات النقب الجنوبي، وتمكَّن اليهود من السيطرة عليها وفتح طريق الإمداد إلى الجنوب.

وتمكنت القوات المصرية من استردادها وطرد اليهود منها بعد أن خسرنا عددًا كبيرًا من الشهداء، وتم تسليمها للفلسطينيين ليدافعوا عنها. ولكن اليهود تمكنوا من استردادها في مساء اليوم نفسه من المجاهدين الفلسطينيين، وحاولت القوات المصرية استردادها للمرة الثانية، ولكن فشلت المحاولة، وكانت الخسائر كبيرة. وقد رسمت القيادة خطة ثالثة للهجوم على قرية المجحز والتلال المحيطة بها بقوات سبق لها الهجوم عليها من قبل في المرتين السابقتين، ومع هذا الهجوم تقوم عملية خداعية مظهرية بقيادتي، وهذه لها قصة طريفة:

وهي أنه في فجر يوم ١٠ أكتوبر ١٩٤٨ تحركت ومعي قوة من ٣٠٠ صف ضابط وجنديٍّ من جنود سد الخسائر المستجدين وتحت إمرتي ثلاثة ضباط، وأعطونا مائة بندقية تعليم غير صالحة للاستخدام كنا ندرب بها الجنود الجدد في معسكر الإمداد بالرجال في غزة.

وركبنا عشرين سيارة لوري جديدة مكشوفة بهدف عمل مظاهرة عسكرية خداعية على الطريق الرئيسي من غزة إلى المجدل والفالوجا وعراق المنشية حتى قرب المجحز لجذب انتباه اليهود إلى هذه القوة الجبارة حاملة الأسلحة السرية! عشرون لوري محملة بالجنود رافعة أسلحة القتال الفاسدة حقيقة.

وتحقق المراد، إذ عند وصولنا عراق المنشية حامت فوقنا طائرة استطلاع مروحية يهودية، وأعتقد أنها كشفت اللعبة لأننا لم نتعرض بعدها لأي شيء!

وفي عراق المنشية قابلت الصاغ جمال عبد الناصر أركان حرب الكتيبة السادسة مشاة المحتلة قطاع عراق المنشية، حيث عين معنا ضابطًا كدليل للوصول إلى منطقة الكبيبة (فكرتني بالكبيبة الشامي!) لاستطلاع منطقة المجحز، ليس للهجوم ولكن لجذب انتباه اليهود إلينا، هكذا لقنني الصاغ جمال عبد الناصر. وتحركنا ومعي يوزباشي من الكتيبة ومعه اثنان فلسطينيان ككشافة أمامنا، وتركت القوة منتشرة في عراق المنشية، وأخذنا عربة جيب ولوري به حراسة مسلحة من الكتيبة السادسة المشاة. والله كتَّر خيره جمال عبد الناصر كان خايف علينا... وجاء معنا ضباطي الآخرون وتم الاستطلاع ولم نرَ شيئًا سوى أننا شعرنا بنيران تسقط قريبًا منا، وشاهدنا عربة نصف جنزير يهودية تتقدم نحونا. وانسحبنا إلى عراق المنشية

وقابلت الصاغ جمال عبد الناصر مرة أخرى وكان قائدنا قد وصل وهو الصاغ محمد السيد عبد الرحمن دفعة جمال عبد الناصر، وكانت الأوامر الجديدة أن تتحرك القوة إلى الكبيبة الفلسطينية والمبيت بها استعدادًا للهجوم الخداعي أو الثانوي على المجحز في اليوم التالي.

وتحركنا فعلًا إلى الكبيبة، فوصلناها حوالي الثالثة بعد الظهر، وتم توزيع العربات وإخفاؤها على قدر المستطاع بين أشجار الزيتون والبرتقال، وعاد الصاغ محمد السيد إلى غزة لاستلام أسلحة جديدة، قيل إنها هاونات ورشاشات وسيحضرها لنا وعلينا أن ننتظر في الكبيبة لحين عودته. ربنا يستر... ومرت علينا في مواقعنا المكشوفة ليلة رهيبة، وبرغم البرد والظلام فكان الخوف على المصير أكبر وأقوى ـ مصير من معي من الرجال الأبرياء، وكانت مسؤوليتهم في عنقي! فقد كنت القائد المسؤول! والقيادة بدون إمكانات قيادة هشة. وكان العدو الإسرائيلي نشطًا في الجو وعمليات النقل الجوي مستمرة طوال الليل إلى قواته في النقب الجنوبي.

وفي الصباح حامت حولنا طائرة استطلاع إسرائيلية فأصدرتُ الأوامر بالانتشار. وكان في الموقع سَرِية سودانية، وذهبت لزيارة قائدها في قيادته بمنزل مختار القرية، وكان الصاغ أبو زيد قائد السرية السودانية ما زال نائمًا، ولكنه رحب بنا ترحيبًا كبيرًا، ثم قمت بجولة في المنطقة لزيارة أفراد السرية السودانية واستطلاع الأرض، وفي أحد المواقع المرتفعة شاهدنا بئرًا عجيبة وآثار مبانٍ قديمة قال عنها مختار القرية إن بعض طوائف اليهود تحج إليها. والحقيقة أنني شاهدت من هذا الموقع معظم وسط فلسطين والنقب الجنوبي!

وفي المساء وصل الصاغ محمد السيد ومعه قول من العربات المحملة بعدد كبير من الصناديق المملوءة بالأسلحة والذخائر ومعظمها هاونات ٨١ مم جديدة بشحمها، وعدد كبير من البنادق الجديدة وكمية ضخمة من القنابل اليدوية الحمراء.

وقال لنا لقد أحضرت لكم هذه الأسلحة وعددًا من الجنود الجدد، فاستعِدوا يمكن نقوم بالهجوم صباحًا! وهنا تذكرت إشاعة الأسلحة الفاسدة وما حدث

منها في مدرسة المشاة في مصر! فلم نحاول إخراج الأسلحة من صناديقها وقلنا الصباح رباح! وجاء فرج الله مع الصباح الباكر يوم ١٣ أكتوبر ١٩٤٨، فقد أرسل إلينا الصاغ جمال عبد الناصر مندوبًا عنه يخطرنا بإلغاء العملية وعودتنا إلى غزة فورًا. فقلت: «الحمد لله».

وفي الطريق إلى غزة مررنا بالفالوجا لتحية عبد الناصر بمناسبة وقفة عيد الأضحى المبارك. وعلمت منه أنه صدرت نشرة عسكرية في مصر وترقيتُ إلى رتبة اليوزباشي والحمد لله. وكان هذا آخر لقاء لنا مع جمال ومع أسرة قوات الفالوجا وعراق المنشية حتى فبراير ١٩٤٩ في رفح بعد فك الحصار عن القوات المحاصرة بالفالوجا وعراق المنشية بقيادة الضبع الأسود.

الهجوم الإسرائيلي الكبير

قبل فجر يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٨ قام اليهود بعدة تحركات وأعمال تكتيكية مفاجئة، منها اغتيال أفراد نقط حراسة بعض الكباري، ونسف الكوبري الرئيسي على طريق غزة-المجدل وعدد من الكباري الأخرى الفرعية شمال وجنوب غزة، وتمكنوا من قطع طريق الإمداد الرئيسي ما بين غزة والمجدل، وقاموا بإغارات على معظم المواقع المصرية خاصة في قطاع الفالوجا وعراق المنشية، وزاد نشاط الطيران الإسرائيلي بدرجة لا مثيل لها في إغارات على مواقعنا في العريش ورفح والعوجة والمجدل، حتى مستشفى المجدل دمرتها القنابل (كانت عبارة عن عبوات صفيح مملوءة متفجرات)، وألقت الطائرات عدة منشورات لإضعاف المعنويات، ثم تعرضت غزة يوم ١٩ أكتوبر ١٩٤٨ في الساعة الواحدة بعد الظهر لقصف جوي عنيف من ثلاث طائرات سكاي ماستر أمريكية تحرسها ٣ مقاتلات، وسمعنا دويَّ انفجارات رهيبة ورأينا أعمدة مرتفعة من الدخان تتصاعد من منطقة محطة سكة حديد غزة نتيجة اشتعال قطار سكة حديد بضاعة محمل بسولار وزيوت. واستشهد عدد من الجنود والأهالي وفقدنا اليوزباشي جلال حجاج قائد تشهيلات محطة غزة، الذي كنا نحسده على متعة الحياة بها حيث المياه والنور والمباني! وكان معه يوزباشي آخر اسمه جورج، استطاع القفز من الشباك ونجا والحمد لله.

وفي صباح اليوم التالي هاجمت غزة من اتجاه البحر ثلاث مدمرات يهودية، وحدث اشتباك بحري بين بعض السفن الإسرائيلية ومدفعيتنا الساحلية، واشتركت طائراتنا في القتال وعلى رأسها طائرة قائد السرب أبو زيد الفيتوري، كما كنا نسميه، وانقض بها على باخرة يهودية وأغرقها، وتمكن من إسقاط طائرة إسرائيلية في معركة جوية، ولكنه ذهب هذه المرة ولم يعد... رحمه الله فقد كان بطلًا. وبدأ الهجوم الإسرائيلي الكبير على بئر السبع، ولكنها سقطت بعد مقاومات عنيفة، وحاصر اليهود الفالوجا وعراق المنشية وقطعوا الطرق الموصلة إليها، وسيطروا على معظم مناطق فلسطين الجنوبية.

وبرغم صدور قرار وقف إطلاق النيران الساعة الثانية يوم ٢١ أكتوبر ١٩٤٨، فقد أَغرقت أربعةُ بوارج يقال إنها أمريكية المدمرةَ «فاروق» بواسطة طوربيد، وغرقت في الحال أمام سواحل غزة-المجدل في مساء نفس اليوم.

الانسحاب المصري من أسدود والمجدل

في ١٧ أكتوبر ١٩٤٨ أصدرت قيادة القوات المصرية في فلسطين أوامرها بانسحاب قواتنا من مواقعها القوية في أسدود و«نيتساليم»، ثم صدرت أوامر في ٣٠ منه بانسحاب قوات المجدل! ولا ندري السر في صدور هذا القرار الذي أعطى اليهود فُرصًا كثيرة لتدمير قواتنا المنسحبة. وبالطبع كان معظم الانسحاب سيرًا على الأقدام على الغُرود الرملية على الساحل ما بين المجدل وغزة، وتعرضت القوات لقصف بحري من السفن الإسرائيلية من اتجاه البحر وإلى نيران من البيارات والحدائق على طول طريق الانسحاب.

واستمرت قواتنا في الانسحاب غير المنظم والمعرض للنيران من كل مكان، والحقد والكراهية للقيادة يملأ نفوس كل المنسحبين وكل مَن تعرض للحصار وكل مَن تواجد على أرض فلسطين!

وفجأة يُصدر المواوي قائد القوات المصرية في فلسطين أوامر جديدة في أول نوفمبر ١٩٤٨ بوقف الانسحاب من المجدل! وبدأت القوات تعود مرة أخرى إلى المجدل.

ثم تغيرت الأوامر بالانسحاب مرة ثانية، وهكذا تمر الأيام ونحن حيارى فيما يجري حولنا!

تغيير القائد العام وترقية الضبع الأسود

عاد اللواء المواوي بك إلى القاهرة في إجازة، وأشيع أنها إجازة طويلة، وارتفعت معنويات القوات لتعيين اللواء أحمد فؤاد صادق قائدًا للقوات، وصدر مرسوم ملكي بترقية القائمقام السيد طه إلى أميرالاي، وتمكنت قوات الفالوجا وعراق المنشية من صد هجمات اليهود وطردهم من منطقة استطاعوا اختراقها واحتلالها، وتكبد اليهود خسائر كبيرة، وأرسل فاروق برقية تهنئة وشكر إلى الضبع الأسود في الفالوجا، وانتصرت قواتنا في معركة التبة ٨٦ في دير البلح جنوب غزة، وارتفعت المعنويات التي كادت تنهار، وتحكي هذه التبة إلى الآن قصة قاذفات اللهب المصرية التي أحرقت اليهود وأحدثت فيهم الذعر. تحية إلى كل مَن اشترك في هذه المعركة، وعلى رأسهم قائدهم البلتاجي.

يد الله فوق أيديهم

في يناير ١٩٤٩ عُينت قائدًا لسرية مشاة ومعي ملازم احتياطي أحمد فتحي بهنسي، كلفت بحراسة خط السكة الحديد ما بين محطة رفح حتى محطة العريش، ووزعت القوة في مجموعات التأمين ومحاولة منع التسلل. ولقد نجح اليهود في التسلل مرتين إلى جسر السكة الحديد، ولكن الله أنار لنا طريق اكتشاف المتفجرات قبل انفجارها بفضل رجال الحدود الذين كانوا معنا في اقتفاء الأثر. والحقيقة كان الموقف في هذه الفترة حرجًا بالنسبة لمصر، فقد تمكنت قوات اليهود من الوصول إلى أبو عجيلة على الطريق الأوسط: بئر السبع-أبو عجيلة-الإسماعيلية، وإلى جنوب-شرق العريش، وانسحبت قواتنا من مناطق كثيرة في فلسطين، ومعظمها كان يسلك طريق رفح-العريش. وسيطرت القوات الجوية الإسرائيلية على الطريق في موجاتٍ لضرب فلول المنسحبين، كما أغارت على العريش وعلى مناطق متفرقة ما بين رفح والعريش، ولم تحدث خسائر تُذكر والحمد لله. وتعرضت، ومعي

حوالي خمسة أفراد من رجالي، لضرب مُركز من طائرتين إسرائيليتين انقضتا علينا عدة مرات ما بين رفح والعريش، وألقتا علينا قنابل يدوية خلاف نيران رشاشات الطائرات، والحمد لله لم تحدث لنا خسائر.

وكانت معركة رفح من المعارك العنيفة في القتال بين القوات الإسرائيلية وقواتنا ومدرعاتنا، حتى توقيت إيقاف القتال في يوم ٧ يناير ١٩٤٩.

وحدث حادث عجيب في التاريخ

فقد أغارت خمس طائرات إنجليزية على المواقع اليهودية ونجح اليهود في إسقاطها جميعًا، عدا طائرة واحدة نزلت اضطراريًّا في العريش ونجا أحد طياريها الإنجليز وأعيد إلى فايد!

وفي المساء هدأ الموقف... وبدأت مفاوضات «رودس».

إضاءة شعلة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

في ٢٨ فبراير ١٩٤٩ اجتمع في رفح العائدون من الفالوجا وعراق المنشية مع زملائهم في الكفاح بعد حصار دامَ كثيرًا، والتقى الشوق والحنين بدموع الفرح والشكر لله رب العالمين. ووقف السيد طه (الضبع الأسود) بجوار قائد القوات اللواء فؤاد صادق، وقال القائد:

ـ لماذا نحن هنا؟ هل هذه هي إستراتيجية مصر؟ الدسائس تُحاك لنا في القاهرة ونحن عندنا إيمان بالملك فاروق بعد الله.

وقال كلمة وداعٍ بعد انتهاء مهمته كقائد للقوات المصرية المحاربة في فلسطين، وقال:

ـ سأترككم لتسيير الجيش لرفعة مصر الحبيبة.

وانتهى المؤتمر الكبير، وكانت القوات العائدة مشتاقة للعودة إلى الوطن، ولكن صدرت الأوامر ببقاء القوات فترة أخرى في رفح المصرية والعريش وشرق القناة، ومعها معدات القتال إلى حين. وأشيع أن القيادة العليا في مصر تخشى عودة الرجال إلى القاهرة وإلى القرى في ربوع مصر تحكي أسرار الهزيمة وأسباب موت الأبرياء.

وجاء حيدر باشا في اليوم التالي وقرأ على رجال الفالوجا الإنعامات السامية على ١٧٠٠ رتبة مختلفة بالأنواط والنياشين، تقديرًا للبطولات ورفعًا للمعنويات وتهدئة للنفوس.

ولكن بعد فترة استقبلت القاهرة قوات الفالوجا العائدة استقبالًا رائعًا.

وأكتب في نهاية المطاف:

> إن القلوب التي تجهل الله ولا ترى لحبه طريقًا إليها هي قلوب مظلمة سوداء، إنها لن تدوم ولن ينفعها ما تملكه من ثروة في النميمة وحب الذات والأنانية، إنها لن تدوم... يا رب أظهر الحق وأعد للمهووسين عقولهم... آمين...

وعادت الوحدات من فلسطين إلى ثكناتها في أنحاء المملكة المصرية، وعادت مجموعتنا إلى مدرسة المشاة بالقاهرة وذكريات هذه الحملة تملأ النفوس ألمًا وحزنًا، وتركنا شهداءنا تروي دماؤهم أرض فلسطين.

وبدأت عجلة الحياة تدور، وشاء القدر أن أنجح في امتحان بعثة قادة سرايا بإنجلترا عام ١٩٥١، حيث درست ومعي صديقي اليوزباشي حسن عليش في مدرسة المشاة في «وور منستر». ولكن الحكومة المصرية استدعتنا ومعنا كل البعثات التعليمية التي تدرس في مدارس الجيش البريطاني، حيث ألغت الحكومة المصرية المعاهدة وظهرت جريدة «الديلي إكسبريس» صباح يوم ٩/ ١٢/ ١٩٥١ بالعنوان التالي:

> ٥١ ضيفًا مُحرجًا يعودون إلى فاروق

وعدنا جميعًا إلى مصر وفي نفسي ذكرى أليمة لما حدث خلال مشروع تدريبي بمدرسة المشاة بإنجلترا، إذ عينوني حاملًا لجهاز لاسلكي لقائد السرية اليهودي الكابتن «س. كوهين» من القوات المسلحة الإسرائيلية!

وفي مصر كانت حركة الضباط الأحرار تتحرك في الخفاء، وكانت منشوراتهم توزع على مختلف وحدات القوات المسلحة.

وفي مدرسة المشاة بألماظة بالقاهرة كانت مجموعة كبيرة من الضباط الأحرار، أذكر منهم: الصاغ محمد السيد عبد الرحمن، والصاغ حمدي عبيد، والصاغ

صلاح نصر، واليوزباشي كمال الحناوي، واليوزباشي عباس رضوان، والملازم أول محسن عبد الخالق من المدفعية، ثم انضم إلى أسرة المدرسة الملازم أول شمس بدران، والملازم أول علوي حافظ ياقوت محولًا من كلية الطيران إلى المشاة، والملازم أول حامد محمود، وغيرهم. وانضم أيضًا إلى هيئة التدريس بالمدرسة بعد ذلك الصاغ أحمد إسماعيل علي.

الدروس المستفادة من حرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩

١ ـ كانت الحرب العالمية الأولى سببًا في ظهور الوطن القومي اليهودي إلى حيز الوجود، أما الحرب العالمية الثانية فقد ولدت بعدها الدولة اليهودية. فقد عرفت الصهيونية كيف تستثمر أحداث هذه الحرب لصالحها في إعداد القوى المقاتلة اليهودية بعد أن أخذت خبرات القتال الحقيقية في الحرب، وبذا أمكن للصهيونية تحويل فلسطين العربية إلى دولة صهيونية في ١٥ مايو ١٩٤٨. وقد تحقق للجيش الإسرائيلي وفرة من الخبرات المكتسبة في حرب العصابات، مع المعرفة الطبوغرافية الجيدة بالأرض وترسيخ العقيدة الصهيونية بين أفراد القوات المسلحة الإسرائيلية، مع خبرة بتعاليم ونظريات المدارس العسكرية الأجنبية، خاصة البريطانية، والخبرات المكتسبة من خلال الاشتراك الفعلي في الحرب العالمية الثانية بجانب الحلفاء وعلى أرض مصر. أما نحن العرب فلم نكتسب أيًّا من هذه الخبرات قبل حرب فلسطين ١٩٤٨.

٢ ـ حققت إسرائيل تفوقًا على العرب في القتال الذي دار على أرض فلسطين من ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى الهدنة في ٧ يناير ١٩٤٩ للأسباب التالية:

أ) قدرة إسرائيل الفائقة على التعبئة، ولم تصل القوات العربية إلى درجة مماثلة في التعبئة.

ب) تفكك العرب سياسيًّا وعلى جبهة القتال، ولم يحققوا مبدأ تجميع القوى.

جـ) لعبت المخابرات الإسرائيلية دورًا مهمًّا في هذه الحرب، وكانت تعرف كثيرًا عن الجيوش العربية وأسلحتها وقدراتها وقادتها. أما نحن

العرب فقد كانت معلوماتنا عن العدو الذي سنواجهه غير معروفة تمامًا، والمعروف غير واضح، وهذا سبَّب كثيرًا من التشكيك في القيادات.

د) أظهرت إسرائيل قدرة كبيرة واهتمامًا مثاليًّا بالجرحى والقتلى ومحاولة إخلائهم من أرض المعركة بأسرع ما يمكن وبالقوة في كثير من الأحيان. أما في جانبنا فقد كانت خطة معالجة الجرحى وإخلائهم على مستوى متواضع بالنسبة للإمكانيات. أما إخلاء القتلى، فقد تسبب تركهم فترة طويلة في الميدان في انخفاض كبير لمعنويات الرجال، وحتى المقابر الميدانية لم تكن على درجة جيدة من الإعداد والتنظيم.

٣ـ تعتبر حرب فلسطين ١٩٤٨ أول صراع مسلح حقيقي تخوضه القوات العربية عامة والمصرية خاصة، وقد حصلنا فعلًا على خبرة قتالية معقولة في عمليات الدفاع الطويلة برغم الحصار (جيب، الفالوجا، عراق المنشية) والعمليات الهجومية على المستعمرات والمناطق المبنية مع خبرة في الإغارات الليلية وعمليات الهجوم المضاد.

٤ ـ التدخل السياسي في القرارات العسكرية هو سبب النكبة دائمًا في كل الحروب، وكانت تجربة حملة فلسطين رائدة للفشل العسكري نتيجة التدخل السياسي وعدم تمكن القائد من تطبيق أيٍّ من مبادئ الحرب المعروفة، مثال:

أ) الحشد: لم يكن هناك حشد مادي أو معنوي لخوض المعارك.

ب) تحديد الهدف: لم تحدد القيادة السياسية الهدف للقائد العسكري، وكان احتلال الأرض هو المثل الواضح لنا في قرارات القيادة العسكرية.

جـ) خفة الحركة: وتتحقق في إمكانية نقل القوات إلى ميدان المعركة بسهولة وإمكانية مطاردة العدو مطاردة فعالة. ويكفي أن أشير هنا إلى نقل القوات المصرية إلى داخل فلسطين في عربات مؤجرة من المتعهد الفلسطيني السيد «باميه»!

٥ ـ تميز الجندي العربي عامة والمصري خاصة في بعض المواقف بصفات

المقاتل الصامد الصابر الشجاع المطيع للأوامر مهما كانت محيرة. وقد شهدت أرض فلسطين بطولات عربية كثيرة في قطاع النشاط المصري، منها جنود سعوديون وفلسطينيون وسودانيون مع إخوانهم المصريين برغم قلة الإمكانيات وضعف نوعية الأسلحة والمعدات. ثم ما حدث من انتشار إشاعة الأسلحة الفاسدة التي أضعفت المعنويات وغرست في نفوسنا الشك عند استخدام السلاح.

البلاغات العسكرية

١ ـ البلاغ الأردني الأول

عمان في ١٥ ماي ـ جاء في البلاغ الرسمي الذي أصدرته الليلة حكومة مملكة شرق الأردن: «إن قوات الملك عبد الله قد عبرت نهر الأردن، وإنها تواصل تقدمها نحو الغرب».

٢ ـ البلاغ العسكري رقم ٢

سعت ١٥٠٠ يوم ١٥ ماي ٤٨

أذاعت الوزارة بعد الظهر بلاغًا ثانيًا هذا نصه:

١ ـ تمت عملية تطهير مستعمرة الدنجور بإبادتها حيث رفضت التسليم، وقد أُسر أعرابيان كانا يعملان مع الصهيونيين داخل المستعمرة.

٢ ـ قام السلاح الجوي الملكي بإغارة ثانية صباح اليوم على مطار تل أبيب، وقد تحقق إتلاف حظيرة الطائرات وحرق طائرة داكوتا كانت على الأرض.

٣ ـ البلاغ العسكري رقم ٣

سعت ٢٣٣٠ يوم ١٥ ماي ٤٨

عند منتصف الليل أذاعت وزارة الدفاع الوطني البلاغ الحربي الآتي عن العمليات الحربية التي تمت أمس، وهو:

١ ـ اجتازت قواتنا برعاية الله الحدود الشرقية فجر يوم ١٥ مايو ٤٨ إلى فلسطين مارة بمستعمرة الدنجور القوية التحصين حيث اشتبكت معها المدفعية، واستمر زحف باقي القوات إلى غرضها حيث اجتازت خان يونس الساعة

الثامنة صباحًا. وقد تم تطهير مستعمرة الدنجور بعد أن رفضت التسليم بتدميرها، وقد اشتعلت النيران في كل ناحية فيها.

٢ ـ اشتبكت قواتنا المتجهة إلى غزة مع مستعمرة «كفار جيروم» التي تبعد عن غزة حوالي ١٦ كيلومترًا، وقد أطلقت عليها تجمعات نيران بالمدفعية نظرًا لقوة تحصيناتها المبنية بالأسمنت المسلح، وبعد أن دمرتها تمامًا تركتها والنار مشتعلة فيها، واستمرت في طريقها إلى غزة حيث دخلتها المقدمة في الساعة السادسة والخامسة والأربعين مساءً.

٣ ـ قامت طائراتنا المقاتلة وقاذفات القنابل بغارة ناجحة على المطار الحربي خارج تل أبيب، وكانت نتيجة الغارة تحطيم حظائر الطائرات وإشعال النار بها وبكافة منشآت تل أبيب. كما دمرت طائرة من طراز داكوتا كانت على الأرض، وكذلك ألقت قذائفها في طريقها على مستعمرتَي بيت حانون وبيرون إسحق شمال وجنوب غزة إلى الشرق وقد التهمتهما النيران بما فيهما من طائرات وعربات.

٤ ـ قام السلاح الجوي الملكي بغارة ثانية على مطار تل أبيب في الساعة الثامنة والنصف صباحًا، وألقى قنابله فأصيبت محطة توليد الكهرباء المجاورة للمطار بعدة إصابات مباشرة، وقد عادت جميع طائراتنا إلى قواعدها سالمة فيما عدا طائرة واحدة هبطت اضطراريًّا.

٥ ـ احتلت قوة من المتطوعين المصريين مرتفعات «علي منطار» بضواحي غزة المصطلح على اسمها عسكريًّا «مفتاح المدينة».

٦ ـ جميع العمليات التي جرت للآن سبقها إلقاء منشورات من الجو تدعو فيها الصهيونيين إلى التسليم والإخلاد للسلام حقنًا للدماء.

٧ ـ خسائرنا في الأفراد طفيفة.

٤ ـ البلاغ العسكري رقم ٤

سعت ١٩٠٠ يوم ١٥ ماي ٤٨

سعت ١٠٣٠ يوم ١٦ ماي ٤٨

سعت ١٣٥٠ يوم ١٦ ماي ٤٨

سعت ١٦٠٠ يوم ١٦ ماي ٤٨

أذاعت وزارة الدفاع الوطني البلاغ الحربي الآتي عن العمليات الحربية التي تمت في يوم ١٦ مايو ١٩٤٨:

١ ـ دخلت قواتنا الأساسية مدينة غزة الساعة السابعة مساءً يوم ١٥ مايو ٤٨ بعد أن قطعت ٩٥ كيلومترًا واجتازت رفح الفلسطينية وخان يونس وبني سويلة ودير البلح الصهيونية ثم غزة. وقامت القيادة بتنظيم الإدارة المدنية والأمن الداخلي والمواصلات البريدية والسكك الحديدية والتلفونات. وقد قابل الأهالي دخول الجيش لمدينة غزة بحماسة شديدة وهتافات حارة بحياة جلالة الملك فاروق وجيشه الباسل.

وقد اطمأن الأهالي لوجود القوات المصرية وابتدأوا في مباشرة أعمالهم العادية وضم محصولاتهم التي كان يمنعهم عنها الإرهابيون الصهيونيون.

٢ ـ أغارت طائراتنا المقاتلة على التحصينات الصهيونية المبعثرة بين غزة وبير سبع وأحدثت بها خسائر جسيمة.

٣ ـ قامت طائراتنا من قاذفات القنابل بغارة على مطار «بطاح تكفيا» فدمرته تدميرًا بحيث لم يعد صالحًا للاستعمال، كذلك أغارت على مطار عكير وأصابت طائرتين كانتا على الأرض.

٤ ـ ظهرت بعض السفن تحمل عتادًا حربيًّا متجهة إلى ميناء تل أبيب.

٥ ـ رتب السلاح الجوي الملكي هجومًا مباشرًا على ميناء تل أبيب، فقامت قاذفات القنابل في الساعة العاشرة والنصف صباحًا وقذفت أرصفة الميناء بالقنابل شديدة الانفجار، فحطمت رصيف الميناء وانهار إلى البحر. وقامت في الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين بغارة ثانية على نفس الميناء، فحطمت مخزنين من مخازن البضائع المكدسة بالميناء.

وفي الساعة الرابعة بعد الظهر استأنفت الهجوم للمرة الثالثة وأمطرت الميناء بالقنابل شديدة الانفجار وقنابل حارقة، فنسفت أربعة مخازن ترانسيت وأشعلت النيران في محتوياتها، وكانت النيران ظاهرة على مدى عشرة أميال، وقد عادت جميع طائراتنا من هذه العمليات إلى قواعدها سالمة.

٦ ـ أما خسائرنا الآن فتكاد لا تُذكر بجانب ما قامت به القوات من العمليات الحربية.

٥ ـ البلاغ الحربي رقم ٥

يوم ١٧ ماي ٤٨

أذاعت وزارة الدفاع الوطني البلاغ الحربي الآتي عن العمليات الحربية التي تمت يوم ١٧/ ٥/ ١٩٤٨:

١ ـ بدأت العمليات الحربية باستكشافات واسعة النطاق على طول الجبهة، وقامت دورياتنا بعمليات التطهير.

٢ ـ قامت طائراتنا من قاذفات القنابل في الصباح الباكر بإلقاء قنابلها الشديدة الانفجار والحارقة فوق حصون مستعمرة «شميد»، وأصابت مخازن الوقود والذخيرة وحَشْدَ المدرعات الذي كان مكدسًا بداخلها، وتركتها والنيران تشتعل فيها بكل مكان.

٣ ـ هاجم سرب من السلاح الجوي الملكي ميناء تل أبيب صباح اليوم، وسجل إصابات مباشرة على أرصفة ومخازن البترول ومعامل الزيت، وأشعل فيها النيران.

٤ ـ قام السلاح الجوي الملكي بهجوم مباشر على مطار تل أبيب بعد ظهر اليوم، ودمر ست طائرات كانت جاثمة على الأرض، وأحدث بالمطار أضرارًا بالغة.

٥ ـ دلت التقارير والصور الجوية على أن هذه الإغارات جميعها قد كللت بالنجاح، وقد عادت جميع طائراتنا من هذه العمليات إلى قواعدها سالمة.

٦ ـ غارات الطائرات المصرية

قامت قاذفات القنابل المصرية بغارات موفقة على ميناء تل أبيب ومحطة توليد الكهرباء فيه، فأصابت المخازن وأتلفت الميناء.

٧ ـ إبادة مستعمرة دير البلح

جاء في البلاغات الحربية الرسمية أن القوات المصرية ضربت مستعمرة دير البلح اليهودية بقنابل المدفعية الملكية، فهدمت جميع المباني الظاهرة في المستعمرة، ثم تخطتها بعد ذلك في طريقها إلى غزة.

٨ ـ اتصال الجيش السوري بالعراقي واحتلاله صفد والمستعمرات المحيطة بسمخ

أذاعت القيادة العامة للجيش السوري بلاغًا جاء فيه أن القوات السورية تقوم بضغط شديد على العدو في سمخ والمستعمرات اليهودية المجاورة، وأن أعنف قتال يدور الآن في المنطقة الشمالية من فلسطين بين القوات السورية واللبنانية وقوات العدو. وقد تم اتصال قوات الجيش السوري بالجيش العراقي حسب الخطة الموضوعة، وقامت الطائرات السورية بضرب مدينة طبرية التي احتلها اليهود ومطار «روشينا» ومستعمرة الهراوي. وقد استردت القوات السورية قرية المالكية، واستشهد الملازم شفيق العبدي.

٩ ـ الطائرات العراقية تضرب بيسان

وضربت القوة الجوية العراقية مدينة بيسان بقنابلها ضربًا شديدًا أسفر عن نتائج طيبة، كما ألقت منشورات على المستعمرات اليهودية تدعوها فيها إلى الاستسلام. وبعد استيلاء القوات العراقية على جسر الجامع ومحطة كهرباء «روتنبرج»، ضربت المدفعية العراقية مستعمرة «جيشر» فدمرتها.

واحتلت القوات العراقية في طريقها غربي محطة «روتنبرج» مستعمرة يهودية أخرى.

وحاصرت القوات السورية مستعمرة «موزيب» على ساحل بحيرة طبرية الشرقي وضربتها من الجو بالقنابل.

١٠ ـ استيلاء الجيش السوري على صفد

تقول الأوساط المطلعة إن الجيش السوري استولى اليوم على مدينة صفد.

١١ ـ تدمير المستعمرات اليهودية حول سمخ

وأذيع نبأ بأن المدفعية السورية دمرت معظم المستعمرات اليهودية المحيطة ببلدة سمخ، وأن الجيش السوري استولى عليها جميعها.

١٢ ـ الجيش العراقي يحتل «كيشر» وطائراتُه تدك المستعمرات اليهودية حولها

أوردت اليوم وزارة الدفاع العراقية بلاغًا جاء فيه أن سلاح الطيران الملكي العراقي شن غارات بالغة الشدة على مستعمرات اليهود في «كيشر» وبيت يوسف ومجدو، وأن النيران شوهدت مشتعلة فيها.

كذلك جاء في البلاغ أن السيارات المصفحة والدبابات العراقية احتلت مستعمرة

«كيشر» واستولت على محطتها. وقد تحصن اليهود بعد احتلال المستعمرة بالقلعة المجاورة لها، ولا تزال الطائرات العراقية تضرب تلك القلعة بقنابلها مسببة خسائر فادحة لليهود.

١٣ ـ بلاغ وزارة الدفاع الأردنية

أصدرت وزارة الدفاع البلاغ التالي:

١ ـ لقد اجتازت القوات الأردنية الحدود الفلسطينية واحتلت مواقعها المخصصة لها داخل الحدود حسب الخطة المرسومة.

٢ ـ نتيجة للأعمال الحربية التي قام بها الجيش في منطقة مستعمرة كفار عصيون استسلمت المستعمرات اليهودية التالية: «نوريم»، «بيسون»، «رفورديم»، و«سكاريا». وقد كان عدد الأسرى من اليهود ٢٦٠ رجلًا و٨٦ امرأة. وقد سلمت النساء وكذلك الأطفال إلى جمعية الصليب الأحمر الدولية، وأما الأسرى الرجال فقد نقلوا إلى المعسكرات الخاصة بهم. وقد استولى الجيش الحر العربي على كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر، وأرسلت جميعها إلى المناضلين العرب في تلك المنطقة.

٣ ـ تم أمس احتلال مطار اللد ومستعمرة «قسلندية» اليهودية الواقعة على طريق القدس–رام الله.



الهجوم العربي في الجولة الأولى - صيف ١٩٤٨

ملحق ١

معركة دير سنيد أول مواجهة نظامية بين مصر وإسرائيل، وربحها الجيش المصري

في يوم ٢٢ مايو ١٩٤٨ استشهد مصطفى الأمين ـ رحمه الله ـ ومعه شهيدان آخران في نفس الوقت والمكان والتاريخ.

دير سنيد على سفح التل المشرف عليها.

رحمهم الله.

عبد المنعم خليل
٢٢/ ٥/ ١٩٤٨

قصة أول ضابط مصري ينال الشهادة على الأراضي المقدسة

نشرت مجلة «المصور» في ١٥ مايو ١٩٥٣ قصة «أول ضابط مصري ينال الشهادة في حرب فلسطين»، وهو اليوزباشي (النقيب) مصطفى كمال محمود عثمان، من واقع زيارة لأسرته في مدينة بني مزار بمحافظة المنيا، قائلة:

«كان أبوه محمود عثمان من صغار موظفي الدولة، وظل ينتقل من مركز إلى مركز كشأن الموظفين غير المحظوظين، لكنه كان سعيدًا بزوجة صالحة وَلَدت له في ٢٤ أكتوبر ١٩٢٢ طفلًا سماه مصطفى كمال، تيمنًا باسم بطل الترك الذي يملأ الأرجاء في هذه الأيام: مصطفى كمال أتاتورك.

وكرت الأيام، ودخل مصطفى مدرسة بني مزار الابتدائية، وأتم تعليمه الابتدائي في جِدٍّ واجتهاد، ثم التحق بمدرسة بني سويف الثانوية، فلم يكن مغمورًا. كان

فتاها اللامع الذي يشترك في المناظرات ويحصل على الجوائز الأولى في اللغتين الإنجليزية والفرنسية.. ولم ينتهِ من دراسته حتى لقبه زملاؤه بالكابتن، لطول ما كان يتحدث عن الكلية الحربية التي قُدر له أن يلتحق بها في عام ١٩٣٩.

ويشعر مصطفى أنه بحاجة إلى صديق، فلا يجد أخلص ولا أكتم لسره من مفكرة يبثها نجواه وهمسات نفسه.. ويعقد صداقته مع هذه المفكرة في أحد أيام مايو سنة ١٩٤١، ويسجل في صفحة ذلك اليوم خواطره فيقول: «صحوت متأخرًا لأني سهرت أمس إلى الثانية صباحًا.. وعلى ذكر أمس أقول إنه كان يومًا حافلًا في تاريخ حياتي.. كان أول يوم أقف فيه على منصة الخطابة في أكثر من ٢٠٠ رجل من طبقات لا بأس بها.. لقد كنت أحد طرفَي مناظرة.. وكنت متهيبًا الموقف.. ما كدت أقف على المنصة حتى شعرت بقوة تدفعني إلى الكلام.. فتكلمت.. وكانت كلماتي الحماسية غير مفتعلة لأنني أشعر في قرارة نفسي بواجباتي نحو وطني.. لقد كان موقفي المشرف بالأمس داعيًا لأن أصبح مسرورًا».

ينقطع مصطفى عن مفكرته نحو عامين ثم يعود إليها وقد أصبح ضابطًا، فيروي كيف عقد الامتحان في يناير ١٩٤٢.. وكيف نجح وكان ترتيبه الـ٢٢ من ١٥١ طالبًا في دفعته.

وتروي يوميات مصطفى قصة تجواله بين المعسكرات المختلفة في الخرطوم وفي جبل أولياء ثم في ألماظة، وكيف كان مولعًا بالصحراء. ويشاء الله أن ينتقل إلى صحراء العريش فيصل إليها ظهر ٣ مايو ١٩٤٨، ويرسل للأسرة برقية يبلغها بوصوله ويلتمس منها صالح الدعاء.. ويريد أن يُطمئن والدته فيقول: «صحتي جيدة جدًّا.. ورزقني الله بمجموعة من الضباط على جانب كبير من سمو الأخلاق».

وفي خطاب آخر يُمَنِّي الأسرة بقرب التقائه بها بعد شهرين.. ولكن تشاء الأقدار أن تعلن الحرب في ١٥ مايو.. فيكتب إلى والده يقول: «لقد وصلت بمعونة الله إلى غزة.. وستسمعون عنا خيرًا إن شاء الله.. سأكتب لكم كلما قضينا على موقع من مواقع اليهود». ثم يكتب التاريخ على الرسالة: ١٧ مايو ١٩٤٨م. تصل الرسالة إلى والده.. وتصل معها في الوقت نفسه إشارة من وزارة الدفاع: «إن الضابط مصطفى كمال في عِداد المفقودين».. وهو تعبير ملطف لخبر

الوفاة. وبعد أيام تتلقى الأسرة حقيبة البطل المفقود، وفيها ملابسه وآثاره التي تروي قصة بطولته الرائعة».

لم أكتفِ بما ذكرَته «المصور» عن الشهيد مصطفى كمال، ورحت أبحث عنه في قائمة شهداء الجيش المصري في حرب فلسطين ١٩٤٨، التي نشرها المؤرخ الفلسطيني عارف العارف في كتابه «النكبة الفلسطينية والفردوس المفقود»، فوجدت أن العارف ذكر اسمه «مصطفى كمال محمود عثمان»، وفي خانة الرتبة مكتوب «يوزباشي»، وأمام تاريخ الاستشهاد: ٢١ مايو ١٩٤٨، والمعركة التي استُشهد فيها: دير سنيد.

ولأن قائمة الشهداء التي نشرها العارف تضم الشهداء من الضباط، ضباط الصف، والجنود، حسب الترتيب الأبجدي لكل منهم، فقد قمت بفحصها اسمًا اسمًا.. بحثًا عن أول ضابط شهيد وتاريخ استشهاده، فوجدته مصطفى كمال ومعه ضابطان آخران استشهدا معه في نفس اليوم (٢١ مايو ١٩٤٨)، ونفس معركة «دير سنيد»، وانتهت بنصر مصري بعد تضحيات جسيمة. أما الضابطان الشهيدان الآخران، فهما: الصاغ (الرائد) عز الدين صادق الموجي، والملازم أول أحمد تيسير بشير. وبذلك يكون هؤلاء الثلاثة هم أول ٣ ضباط مصريين يُستشهدون على أرض فلسطين في حرب ١٩٤٨، وقد سبقهم عدد من ضباط الصف والجنود والمدنيين المتطوعين.

ملحق ٢

الجيوش العربية

في نوفمبر عام ١٩٤٧ بعد إعلان مشروع التقسيم الصادر من الأمم المتحدة، أعلن الحاج أمين الحسيني مفتي القدس الحربَ المقدسة ضد يهود فلسطين، وتم تشكيل جيش غير نظامي سُمي بجيش الجهاد المقدس من المتطوعين، وعين عبد القادر الحسيني قائدًا له.

وفي الجانب العربي الآخر تم تكوين قيادة جيش التحرير العربي في دمشق بقيادة فوزي القاوقجي (الضابط السوري الذي كان يعمل في الجيش التركي أثناء الحرب العالمية الأولى)، وكان من المقرر أن تتألف قوات جيش التحرير من متطوعين من البلدان العربية، ومن سكان فلسطين العرب.

وكان وجود هذين الجيشين العربيين عاملًا قويًّا للانشقاق بين العرب وبين الفلسطينيين أنفسهم، وهذا بالطبع أضعف من تنسيق الجهد العربي ضد الصهيونيين المنظمين المتحدين! وكان الاتفاق الوحيد بين الجيشين العربيين هو تقسيم عام لمناطق المسؤولية بينهما، فجيش التحرير العربي في الشمال تحت قيادة القاوقجي وقواته حوالي ٧٧٠٠ رجل، وجيش الجهاد المقدس في الجنوب وقوامه فرقتان فدائيتان أساس كل منهما ١٠٠٠ متطوع في الجليل والقدس.

وتطوع مع جيش التحرير العربي عدد من جماعة الإخوان المسلمين من مصر للقتال ضد اليهود في فلسطين، وقد سمحت الحكومة المصرية والملك فاروق بالطبع باشتراكهم في هذا الجهاد الذي يعتبر معاديًا أيضًا لاتجاه الملك عبد الله

سرًّا! حيث قيل إن عبد الله له أطماع ضد المفتي لتوحيد فلسطين مع شرق الأردن في مملكة أردنية جديدة.

وكانت موافقة فاروق أيضًا لسبب آخر، وهو دفع هؤلاء المجاهدين المسلمين خارج مصر لتوفير الأمن والأمان له ولأسرته ولمن تبعه داخل مصر. وعينت الحكومة المصرية العقيد أحمد عبد العزيز من سلاح الفرسان المصري ليقود هؤلاء المتطوعين مع مَن تطوع من العرب للقتال الفدائي والجهاد ضد يهود فلسطين.

(٢٠٠٠ متطوع مصري وسوداني وليبي مع بعض عناصر من الجيش المصري ومدافع ماكينة وهاون).

وفي ٢٥ أبريل ١٩٤٨ وافقت الجامعة العربية على أن تتدخل دولها الأعضاء في القتال في فلسطين بمجرد انسحاب القوات البريطانية منها، وأن تَحول بقوة السلاح دون تقسيم فلسطين الذي قررته الأمم المتحدة، وأن تكفل السيادة العربية على الدولة الفلسطينية الجديدة في فلسطين. وقد اعتبر الملك عبد الله ملك شرق الأردن هو القائد العام للجيوش العربية، وهي جيوش سوريا ولبنان والأردن ومصر والعراق والسعودية والسودان (عناصر سودانية فقط)، بالإضافة إلى قيادته للفيلق العربي الأردني والخاضع للقيادة البريطانية، بالإضافة إلى قيادته أيضًا لجيش التحرير العربي، وجيش الخلاص.

الجيش العربي السوري

أصبحت سوريا مستقلة عن الحكم الاستعماري الفرنسي منذ أبريل ١٩٤٦، وطوال فترة الانتداب الفرنسي كان عدد صغير من الوحدات السورية قد جرى تكوينه كعناصر من الجيش الاستعماري الفرنسي، ثم أصبحت تلك القوات هي نواة الجيش السوري الجديد.

وعندما استعدت سوريا لإرسال قواتها إلى فلسطين في مايو ١٩٤٨، لم يكن لضباطها أو جنودها أيُّ خبرات ميدانية، كما لم يكن عددهم يتجاوز ٨٠٠٠ فرد يشكلون:

- ٢ لواء مشاة.

- ١ كتيبة ميكانيكية (تشمل سرية من الدبابات الفرنسية الخفيفة).
- قوة جوية حوالي ٥٠ طائرة متنوعة (لم يكن يصلح منها للقتال إلا ١٠ طائرات فقط) قاذفات ومقاتلات.

الجيش اللبناني

لم يكن في لبنان ما يمكن تسميته بجيش، بل جندرمة من حوالي ٣٥٠٠ فرد في ٥ كتائب مشاة، وعناصر صغيرة من الدبابات والعربات المدرعة والفرسان.

الجيش العراقي

حصل العراق على استقلاله عن الانتداب البريطاني في ٣ أكتوبر ١٩٣٢، وبرغم هذا فقد كان الجيش العراقي قليل الخبرة والتجارب، وكان عدد هذا الجيش في أوائل عام ١٩٤٨ حوالي ٢١ ألف فرد من المشاة والمدرعات والمدفعية، وكان لديهم حوالي ١٠٠ طائرة متنوعة. وكان مقررًا إرسال قوة إلى مسرح فلسطين قوامها ٥٠٠٠ رجل تتضمن ٤ لواءات مشاة، وكتيبة مدرعة، وقوات مساعدة.

وقد واجهت هذه القوة ـ التي خاضت معارك قليلة ـ صعوبات جمة في الإمداد، نظرًا لطول خطوط مواصلاتها عبر الصحراء من نهر الفرات إلى الأردن، وقد تجمعت غرب إربد بالأردن.

الجيش المصري

كان الجيش المصري حتى أوائل عام ١٩٤٧ ملحقًا صغيرًا لجيش الاستعمار البريطاني في مصر، ولم تكن هناك فرصة للضباط المصريين لاكتساب خبرة قيادية ميدانية تتجاوز مستوى السَّرِية أو الكتيبة، عدا قوات الدفاع الجوي المصري وهي المدفعية المضادة للطائرات وبطاريات الأنوار الكاشفة، فقد اشتركت في الحرب في حماية المواني المصرية وخطوط المواصلات البريطانية بكفاءة.

وكانت أسلحة الجيش المصري أسلحة بريطانية قديمة، وكانت وحدات الجيش مبعثرة في حاميات في الدلتا وجنوب الوادي وفي مَرْسَى مطروح بالصحراء الغربية.

وللأسف الشديد عندما قرر الملك فاروق زج الجيش المصري في حرب

فلسطين، لم تستطع الحكومة المصرية تخصيص حملة مناسبة للقتال، فصار استئجار عربات من متعهد فلسطيني اسمه «باميه». وتشكلت القوة المصرية في لواء مشاة واحد ومعه بعض الدبابات الخفيفة، وكانت مصر تمتلك بعض الطائرات المقاتلة مع عناصر بحرية محدودة، واتخذت هذه القوات العريش قاعدة أمامية لها.

القوات العربية المشتركة في المواجهة يوم ١٥ مايو ١٩٤٨

العرب: ٤٢٠٠٠. موزعون كالتالي:

- جيش التحرير العربي: ٥٥٠٠
- جيش الخلاص: ٥٠٠٠
- لبنان: ٢٠٠٠
- سوريا: ٥٠٠٠
- الأردن: ٧٥٠٠
- مصر: ٧٠٠٠
- العراق: ١٠٠٠٠

وكانت القوات الإسرائيلية المواجهة لها حوالي ٦٧٠٠٠ مقاتل طبقًا لتقدير مخابرات سلطة الانتداب البريطانية على فلسطين.

ملحق ٣

الجيش المصري في الميزان

قامت في مصر الثورة العرابية ضد التدخل الأجنبي حتى تحقق للبلاد الحرية والعدل والمساواة للجميع، ولكنها فشلت لهبوط الروح المعنوية بين الضباط المصريين أساسًا وحدوث حالات تمرد وتذمر بين أفراد الجيش المصري. ولم تكن الثورة شعبية منظمة بالمعنى المفهوم، ولم يشترك الشعب معها في القتال اشتراكًا فعليًّا. ودخلت القوات البريطانية القاهرة يوم ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ليبدأ الاحتلال البريطاني لمصر، واختير أحمد فؤاد سلطانًا على مصر في ٩ أكتوبر ١٩١٧. قامت ثورة مصر عام ١٩١٩ نتيجة لما تحمَّله المصريون أثناء الحرب العالمية الأولى من صنوف شتى من المتاعب، وهلك من المصريين مئات الآلاف وهم يعملون في تمهيد الطرق ووضع قضبان السكة الحديد وفي الأعمال العسكرية المختلفة لخدمة بريطانيا، ليس في مصر وحدها ولكن أيضًا في الشام والعراق وفلسطين.

وتولى الملك فاروق سلطته الدستورية في ٢٩ يوليو ١٩٣٧ بعد وفاة والده الملك فؤاد في ٢٨ أبريل ١٩٣٦، حيث اعتلى عرش مصر في نفس يوم وفاة والده. وبالطبع لم يكن هدفه هو إعداد القوى لتأمين مصر، بل كان هدفه الرئيسي هو حماية عرشه وأملاكه ومصالحه، فاختار قادة ومعاونين وتابعين لسلطته وسلطانه وجبروته ونزواته، ولم يهتم بإعداد الجيش المصري اهتمامه بتأمين ملكه، ولم يحسن إعداد القوى أو رباط الخيل، فلما حان وقت الجهاد زج بالجيش المصري في أتون حرب غير قادر على خوضها، وزوده بأسلحة فاسدة ليقضي على خيرة قادة مصر ورجالها معنويًّا بالدرجة الأولى، وارتوت أرض فلسطين بدماء مئات من شباب مصر الشهداء.

وبرغم هذه الفترة وما فيها من إضعاف للقوى وليس إعدادها، إلا أن هناك حقيقة واضحة تحتم الأمانة ذكرها بعناية ووضوح: فقد كان بعض القادة العظام في الجيش المصري يعملون لإعداد القوى بإقامة قواعد ثابتة في إعداد القادة الأصاغر وإعداد الجندي المصري إعدادًا تلقائيًّا. ومن أمثلة ذلك:

في عام ١٩٤٢ والحرب دائرة في الصحراء الغربية وعلى مشارف الإسكندرية، كان لا بد من صقل القوى الوطنية والانضباط وتعليم أدب الحرب وأسلوب الإدارة والقيادة السليمة ومحاولات لحل مشاكل الجنود وتقليل المسافة بين الضابط الصغير وجنوده.

فقد كان على الضابط الصغير أن ينتظم في صفوف التعليم والتدريب بمجرد وصوله الوحدة ولمدة ستة أشهر مع زملائه من الجنود الجدد ليعيشوا معًا عيشة ميدانية واحدة خاصة في الطعام. كما أن قائد الوحدة كان يصل إلى الوحدة مبكرًا قبل اصطفاف الجند والضباط بفترة كبيرة ويمر على الجميع، خاصة طهارة الرجال ونظافتهم الظاهرية والداخلية، وكل من يجده غير معتنٍ بجسمه وملابسه يجلد ٥ جلدات فورًا، وكل من يجده نظيفًا يأخذ هدية أو إجازة فورًا! وبالطبع كانت الطهارة هي سعي الرجال إلى نيل الإجازة، وكان كل ضابط فصيلة مكلفًا بعمل دفتر لاستحمام الجنود ويشرف على نظافتهم شخصيًّا. أما طعام الجنود فكان موضع اهتمام رئيسي من القائد من مطبخ الجنود إلى نظافة أدواته وحسن طهي الطعام وحسن توزيعه ومعدلات اللحوم، حتى ينال كل فرد حقه بالعدل. أما الحملة فبرغم أن العربات قديمة ومستهلكة، إلا أنها كانت نظيفة صالحة للاستخدام، مع الصيانة الكاملة والتنسيق اليومي المستمر على المياه والزيوت وإدارة الماكينات وكل ما يخص الصيانة.

وهكذا كان القدوةَ، تعلمنا منه كثيرًا من أسلوب القيادة وإدارة الرجال والانضباط. أما حل مشاكل الوحدة، فكانت تُحل صباح كل خميس في حفل إفطار بسيط في الوحدة من طبق واحد للجميع من العاشوراء (كان يدفع القائد تكاليفها من حسابه الخاص!)، ويدعى إلى مائدة الوحدة القائد الأكبر ومن بيدهم حل مشاكل الوحدة من رئيس أركان الجيش المصري إلى مسؤول المهمات مثلًا، وبعد تناول وجبة العاشوراء تحل مشاكل الوحدة. هذه إحدى الدعائم المهمة التي شعرنا بها كدعامة

من دعامات إعداد القوى، فحل مشاكل الرجال يقود إلى تأمين المعنويات، فتصبح الأرض خصبة لازدهار باقي القيم والمثل والنظم العسكرية مهما كانت قاسية.

طوبى لهؤلاء الرجال العظماء في تاريخ مصر العظيمة.

وهكذا طويت صفحة حرب فلسطين التي كانت أول وأخطر جولات العرب مع إسرائيل، والتي اغتصبت خلالها نحو ٦٦٠٠ كيلومتر مربع من الأراضي العربية، وضمتها إلى رقعة الدولة البالغة مساحتها ٢٠٧٠٠ كيلومتر مربع طبقًا لقرار التقسيم. ويعني ذلك أن دولة إسرائيل قامت على مساحة قرار التقسيم كـ«حق قانوني» (de jure)، وعلى مساحة الأرض الإضافية المغتصبة بحق «الأمر الواقع» (de facto).

ولما لم يكن ذلك هو كل ما تطمع فيه إسرائيل من أرض وحقوق العرب، فقد توالت الاعتداءات الإسرائيلية بعد تلك الجولة الأولى حتى عدوانها الخامس على لبنان في عام ١٩٨٢.

بعض من شهداء حرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩

- القائمقام أركان حرب أحمد عبد العزيز، من الفرسان، محامي مدرس في الكلية الحربية من عام ١٩٤٠، الفالوجا ٢٢/ ٨/ ١٩٤٨
- القائمقام أحمد عبد السلام عفيفي، من المشاة، الفالوجا، ١٧/ ١٠/ ١٩٤٨، بعد أن اخترق اليهود مواقعنا ١٥/ ١٠/ ١٩٤٨
- صاغ فؤاد نصر هنري، من لواء المدرعات من المشاة، بيروت إسحق ١٥/ ٧/ ١٩٤٨
- صاغ محمد عبد المنعم العديسي، من المشاة، بيروت إسحق ١٥/ ٧/ ١٩٤٨
- ملازم أول محمد محسن حمد، المشاة، مستعمرة ميتساليم ٧/ ٦/ ١٩٤٨
- ملازم أول سعد حنفي، المدرعات، أبو عجيلة ٣٠/ ١٢/ ١٩٤٨
- يوزباشي جلال حجاج، خدمة الجيش، محطة غزة ١٩/ ١٠/ ١٩٤٨
- ملازم أول مصطفى كمال عثمان، المشاة، مستعمرة دير سنيد ١٩/ ٥/ ١٩٤٨
- قائد أسراب محمد عبد الحميد أبو زيد (وكنا نطلق عليه أبو زيد الفيتوري لأنه كان يقود الطائرة الفيتوري)، طيران، قوة البحر الأبيض/ غزة ١٩/ ١٠/ ١٩٤٨



الملك فاروق خلال زيارته للجبهة في غزة



حضرة صاحب العزة اللواء أحمد محمد علي المواوي بك مدير سلاح المشاة الملكي وقائد حملة فلسطين



المؤلف، ملازم أول عبد المنعم خليل، في غزة، فلسطين - ١٩٤٨



يوزباشي أنور محمد طعيمة
١٦ أكتوبر ١٩٤٨



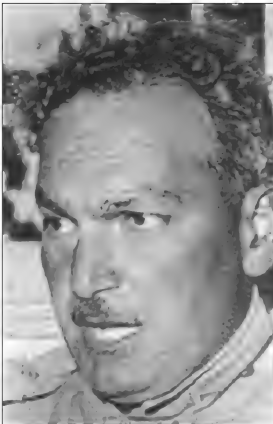
صاغ أحمد عبد السلام
١٥ يوليو ١٩٤٨



القائمقام (أ. ح) أحمد عبد السلام
شفيق ١٧ أكتوبر ١٩٤٨



صاغ عز الدين صادق الموجي
١٩ مايو ١٩٣٨، دير سنيد



الشهيد البكباشي أحمد عبد العزيز



مدينة بيت لحم ١٥ سبتمبر ١٩٤٨



الشهيد سيد حنفي ٧ أغسطس ١٩٤٨



ملازم أول عبد المنعم خليل مع مجموعة من رجال الجيش المصري في منطقة دفاعية مشرفة على مدينة القدس - ١٩٤٨



أمام كنيسة المهد بيت لحم
١٥ سبتمبر ١٩٤٨



مجموعة ضباط معسكر الإمداد
في حرب ١٩٤٨

الباب الثاني

جولة في حروب مصر المعاصرة

الفصل الرابع

العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

عادت الجيوش العربية من حرب فلسطين بعد أن خسرت ما لا يقل عن ١٥ ألف شهيد، وحوالي ٣٠ ألف جريح معظمهم من مشوَّهي الحرب والعاجزين عن القتال. وهكذا خسرنا نحن العرب خيرة الشباب على أرض فلسطين. وقد خسرت إسرائيل أيضًا ما يقرب من ٤٠٠٠ قتيل وحوالي ١٢ ألف جريح، ولكنها خرجت من الحرب وقد حققت تفوقًا ساحقًا على العرب في العدة والعتاد والسلاح، وساندتها الدول الكبرى وأخذت بيدها إلى تحقيق أحلامها.

أما مصر، فبعد عودة قواتها من فلسطين عام ١٩٤٩ إلى أرض الوطن بعدما ذاقت طعم الخسارة في الرجال والتضحية بالدم في سبيل فلسطين، شعرت بحالة من التمزق النفسي وعدم الرضا عما حدث في فلسطين. فكلنا يعلم أن بريطانيا لعبت معنا لعبة الشطرنج من جانب واحد، فكانت تحرك الملك والوزراء والجنود كما خططت وأرادت، حتى الطوابي كانت هي التي تختار أماكنها بما يحقق الدفاع عن مصالحها. كما انتشرت موجة قوية من الحقد الدفين عن تجارة الأسلحة الفاسدة التي أصابت عز الرجال في وقت الحرب بدون داعٍ، وتعاونت الأحزان مع الأحقاد وعدم الرضا بما وصلت إليه أحوالنا، فأشرقت شمس الثورة حاملة معها معاول هدم الاستعمار وأعوانه والإقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، وحاولت بكل قواها بناء جيش مصري وطني قوي مع عدالة اجتماعية لهذا الشعب المرهق

وتمكينه من إقامة حياة ديمقراطية سليمة... وفي طريقها إلى تحقيق أهدافها رسم الاستعمار لها خطط السدود والموانع التي يجب إقامتها لعرقلة نجاحها وتقدمها. وعندما جاء عام ١٩٥٥ وأتمت مصر توقيع اتفاقية الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا، قامت الدنيا ضدنا وأعلنت إسرائيل أن مصر ستستخدم هذه الأسلحة ضد أمنها في عام ١٩٥٦!

وكانت حالة الحرب ما زالت قائمة بين مصر وإسرائيل، وحرمت مصر السفن الإسرائيلية وحتى البضائع المشحونة على سفن أجنبية من المرور عبر قناة السويس إلى إسرائيل، كما فرضت حصارًا بحريًّا على مضيق «تيران» منذ عام ١٩٥٣، ومنعت مرور السفن الإسرائيلية إلى ميناء «إيلات» وبالعكس. كما منعت تحليق الطائرات التجارية الإسرائيلية فوق المضيق منذ عام ١٩٥٥. ونجحت الثورة في مفاوضاتها مع بريطانيا على الجلاء النهائي عن مصر في يونيو ١٩٥٦. وبذا انتهى الاحتلال العسكري البريطاني لمصر والذي استمر ٧٤ عامًا.

العدوان الثلاثي على مصر - أكتوبر ١٩٥٦

١ ـ فكرة العدوان الثلاثي على مصر

في السادس والعشرين من يوليو ١٩٥٦ أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم الشركة العالمية «شركة قناة السويس البحرية» شركةً مساهمة مصرية، وأعلن أن مصر ستستخدم أموال هيئة قناة السويس وعائد رسوم المرور بالقناة في تنفيذ مشروع السد العالي الذي وافقت روسيا على إقامته بفائدة سنوية قدرها ٢٪ فقط. واعتبرت كلٌّ من بريطانيا وفرنسا هذا العمل تهديدًا للسلام العالمي وتهديدًا لطريقهما إلى بترول الشرق الأوسط، فقررت الحكومة البريطانية برئاسة «مستر إيدن» استخدام القوة عند الضرورة ليلغي عبد الناصر قرار التأميم.

أما إسرائيل فقد كانت تضيق بالحصار البحري في مضيق «تيران» وبمنع سفنها من العبور في قناة السويس، كما قلقت من الدعم السوفيتي والأسلحة التشيكية التي ستعطي مصر القدرة على تهديد إسرائيل، كما أنها لم تعُد تقتنع بالحالة التي أصبحت لا تطاق مع جيرانها العرب، ولا يمكن تسوية هذه الحالة

إلا بالحرب... وفعلًا تم الاتفاق بين فرنسا وإسرائيل خلال أغسطس ١٩٥٦ على الغزو المشترك لمصر، كما بدأت وزارة الدفاع البريطانية التخطيط لعملية قناة السويس.

٢ ـ فكرة العملية

تتضمن فكرة عملية العدوان الثلاثي على مصر ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: تدمير السلاح الجوي المصري.

المرحلة الثانية: استمرار الهجوم الجوي لإيقاع الفوضى بالاقتصاد المصري والإمداد وإضعاف معنويات المصريين، بينما تكون القوات البرمائية متقدمة في عرض البحر إلى أهدافها.

المرحلة الثالثة: الهجوم بقوات محمولة جوًّا وبحرًا على الطرف الشمالي من قناة السويس، ثم احتلال منطقة قناة السويس في بورسعيد والإسماعيلية والسويس.

٣ ـ مراحل تنفيذ العملية

- ٦ سبتمبر ١٩٥٦: استعداد القوات الفرنسية البريطانية المشتركة (تأجل توقيت العملية حتى تتاح الفرصة لإسرائيل للقيام بالاستعداد لتتفق مخططاتها مع مخطط العملية الفرنسية-البريطانية المشتركة).
- ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦: هجوم القوات الإسرائيلية وتهديد قناة السويس حتى يجد الحلفاء سبيلًا للتدخل حتى لا تتعطل الملاحة في قناة السويس، وفكرتها هي إسقاط كتيبة مظلات إسرائيلية غرب ممر متلا (٣٠ ميلًا من قناة السويس).
- ٣١ أكتوبر ١٩٥٦: قيام فرنسا وبريطانيا بالعملية المشتركة.
- ٧ نوفمبر ١٩٥٦: نزول القوات المشتركة في بورسعيد.
- ١٠ نوفمبر ١٩٥٦: تكون القوات الفرنسية-البريطانية قادرة على شق طريقها جنوبًا إلى الإسماعيلية والسويس.

٤ ـ القوات المصرية

كانت القوات الرئيسية المصرية منتشرة في مواقع دفاعية ثابتة في مناطق رفح والعريش وأبو عجيلة، في كل منها حوالي مجموعة لواء مشاة، وكانت رئاسة الفرقة

الثالثة في العريش ومعها اللواء الرابع المشاة. وكان يدافع عن قطاع غزة قوات فلسطينية مكونة من مجموعتَيْ لواءَيْن مدعمَيْن بضباط صف مصريين ويقودها ضباط من الجيش المصري.

أما في شرم الشيخ، فكانت حاميتها مكونة من كتيبة مشاة وكتيبة حرس وطني، وبعض الأسلحة المعاونة من مدفعية ساحلية ومضادة للدبابات ومضادة للطائرات وفرقاطة بحرية تسمى «رشيد»، ويوجد في غرب قناة السويس قوة فرقتَي مشاة وفرقة مدرعة ومخصص لها مجهود جوي مناسب.

٥ ـ سير العمليات الإسرائيلية

المرحلة الأولى: أسقطت إسرائيل كتيبة مظلات شرق ممر متلا قبل غروب شمس يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، على أن تلحقها القوة الرئيسية في المساء، وكان المفروض أن تسقط المظلات في طرف ممر متلا الغربي لتكون على بُعد حوالي ٣٠ كيلومترًا من قناة السويس وليس شرقه، حيث بعدت عن القناة أكثر من ٦٥ كيلومترًا.

وبهذا الخطأ يكون تهديد القوات الإسرائيلية لقناة السويس وللملاحة بها أقل تأثيرًا من الإسقاط الذي إن تم غربًا تكون المسافة أقرب وأخطر وتعطي ذريعة أكبر للقوات البريطانية–الفرنسية بالتدخل.

ولقد نجحت القوات المصرية في التعامل مع كتيبة المظلات الإسرائيلية وأربكت أعمالها وأحدثت بها خسائر جسيمة وعطلتها عن إتمام مهمتها، كما عطلت تقدم القوات الرئيسية اللاحقة لها بقيادة «شارون» حتى نهاية يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦.

المرحلة الثانية: مهاجمة المواقع المصرية في منطقة أبو عجيلة–أم قطف ليلة ٣٠–٣١ أكتوبر ١٩٥٦ بعد أن تتأكد إسرائيل من أن التدخل الفرنسي–البريطاني يسير حسب ما تم الاتفاق عليه بينهم مسبقًا.

وحاولت القوات الإسرائيلية بقوة ثلاثة لواءات ـ اثنان مشاة ولواء مدرع ـ تعاونها مدفعية الميدان والقوات الجوية الإسرائيلية مهاجمةَ المواقع المصرية في أبو عجيلة عدة مرات، ولكنها باءت بالفشل، ولم تستطع التغلب على المقاومة المصرية الصامدة في مواقعها. وقد اضطُرت القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب

للخلف بعيدًا عن نيران المدفعية المصرية المؤثرة، وفي المحاولة التالية للهجوم تحت ستر قواته الجوية تمكنت قواتنا بأسلحتها الصغيرة من إسقاط عدد من الطائرات الإسرائيلية، وتدمير وإصابة حوالي أربعين دبابة ومركبة نصف مجنزرة، بالإضافة إلى خسائر كبيرة في الأفراد.

وحتى عندما نجح العدو الإسرائيلي في الاستيلاء على جزء من الموقع تمكنت قوات أبو عجيلة من طرده منها في هجوم مضاد جريء، وبرغم صدور أوامر القيادة المصرية العليا بالانسحاب من أبو عجيلة وإخلاء الموقع، فقد تمكنت قوات أبو عجيلة من السيطرة على الموقف وإرغام القوات الإسرائيلية على الهجوم على مواقعنا التي كانت تحتلها قوات سائرة فقط، حيث تمكنت القوة الرئيسية من التسلل غربًا سيرًا على الأقدام ليلة ١-٢ نوفمبر ١٩٥٦ تحت ستر وحماية هذه القوة الصغيرة التي تمكنت من إيقاف تقدم العدو الإسرائيلي غربًا وتعطيله حتى آخر طلقة وآخر رجل.

وهذه قصة حقيقية سجلها التاريخ بحروف من نور تدل على أن الجندي المصري حقًّا خير أجناد الأرض.

سير المخطط الفرنسي-البريطاني

١ ـ الإنذار الفرنسي-البريطاني

في السادسة من مساء ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ وجهت بريطانيا وحليفتها فرنسا إنذارًا حاسمًا لمصر وما يسمى تأكيدًا لإسرائيل في صورة إنذار ضعيف بضرورة الاستجابة إلى المطالب الآتية:

أ) وقف الأعمال الحربية فورًا في البر والبحر والجو.

ب) انسحاب القوات المصرية إلى الضفة الغربية لقناة السويس والقوات الإسرائيلية إلى عشرة أميال شرق القناة.

جـ) تقبل مصر الاحتلال المؤقت لبورسعيد والإسماعيلية والسويس من جانب القوات المشتركة الفرنسية-البريطانية حتى يمكن الفصل بين القوات المتحاربة من مصر وإسرائيل، وحماية حرية الملاحة لجميع السفن بقناة السويس.

ومطلوب الرد خلال ١٢ ساعة فقط وإذا لم تستجب الحكومة المصرية، وبالطبع شكليًّا الحكومة الإسرائيلية، لهذه المطالب قبل انتهاء هذه المهلة فسيكون للقوات المشتركة الفرنسية-البريطانية الحق في القيام بأي أعمال ضرورية لضمان التنفيذ.

ورفضت مصر الإنذار الفرنسي-البريطاني.

وربما تكون إسرائيل قد رفضته أيضًا كنوع من الخداع والمكر والدهاء.

٢ ـ تنفيذ المخطط الفرنسي-البريطاني

في الساعة السابعة من مساء يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ بدأ الطيران الفرنسي-البريطاني في قصف القواعد الجوية المصرية في ألماظة وأنشاص وأبو صوير وكبريت، وحتى مطار القاهرة الدولي.

وفي صباح أول نوفمبر ١٩٥٦ والأيام التالية تكرر القصف الجوي للقواعد الجوية في الدلتا ومنطقة القناة.

ولقد أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة المصرية أمرًا بانسحاب القوات المصرية الموجودة في سيناء لتفادي عزلها والضغط عليها من هذه الكماشة الإسرائيلية-الفرنسية-البريطانية المشتركة، فقد توقعت القيادة المصرية أن القوات الفرنسية-البريطانية المشتركة والموجودة بالبحر المتوسط قد تتورط في عمل ضد قناة السويس دون إعطاء مصر مهلة للاستعداد أو التأمين.

وفي ٥ نوفمبر ١٩٥٦ تم إسقاط لقوات المظلات البريطانية في مطار الجميل، والفرنسية في منطقة بورفؤاد على الضفة الشرقية لقناة السويس وعناصر منها للاستيلاء على وابور المياه الحلوة الرئيسي في منطقة الرسوة جنوب بورسعيد.

واستمرت عمليات الإنزال البحري أيضًا لتكوين رأس شاطئ قوي في مدينتَيْ بورسعيد وبورفؤاد تنطلق منها عناصر من لواء المظلات البريطاني تجاه الجنوب إلى القنطرة والإسماعيلية ثم السويس للسيطرة على قناة السويس بالكامل. وفعلًا وصلت عناصر من المظلات البريطانية إلى منطقة الكاب ـ الكيلومتر ٣٠ شمال القنطرة.

وكانت المقاومة المصرية للقوات المسلحة والشعب البورسعيدي ضد قوات

الغزو مثلًا رائعًا للبسالة والشجاعة والإقدام، برغم التفوق التكنولوجي الغربي في الأسلحة والمعدات والكفاءة القتالية للفرد.

إيقاف القتال

في منتصف الليل يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٦ صدرت الأوامر بالكف عن مواصلة العمليات الحربية. وتوقف القتال، بعد أن أتمت إسرائيل احتلال كل شبه جزيرة سيناء، التي لم تنسحب منها إلا في مارس ١٩٥٧، وحلت محلها قوات الطوارئ الدولية في شرم الشيخ وعلى طول الحدود الدولية حتى رفح وفي قطاع غزة أيضًا.

أما القوات المشتركة الفرنسية-البريطانية فقد انسحبت عائدة إلى أوطانها في ديسمبر ١٩٥٦ ولم تحقق الهدف، وبقيت قناة السويس ملكًا خاصًّا لمصر والحمد لله.

الدروس المستفادة من عملية العدوان الثلاثي

١ ـ قدر الرئيس عبد الناصر الموقف بعد تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو ١٩٥٦، وكان واضحًا له أن بريطانيا وفرنسا تفكران في مختلف الوسائل لإقصائه عن الحكم وإعادة القناة إلى السيطرة الأوروبية، فأمر بسحب عدد كبير من حامية سيناء إلى منطقة الدلتا حتى يكون في وضع أفضل لمواجهة أي تحركات معادية محتملة ضد القناة.

٢ ـ أثبت الجندي المصري قدرة دفاعية فائقة تتسم بروح الفداء، خاصة في منطقة أم قطف بمنطقة أبو عجيلة على الطريق الأوسط العوجة-الإسماعيلية دفاعًا لآخر طلقة وآخر رجل، مما ألحق بالقوات الإسرائيلية المهاجمة خسائر فادحة في الأفراد والمركبات النصف مجنزرة، ولقي القائد الإسرائيلي المهاجم مصرعه وأصيب معظم ضباطه بجراح، واضطُرت القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب تحت ستر نيران المدفعية المركزة وحملوا جرحاهم الثمانين. وأصدرت القيادة الإسرائيلية أوامرها بوقف أي هجوم آخر على أم قطف.

٣ ـ كانت المقاومة المصرية في بورسعيد عنيفة وفدائية ضد قوات الغزو المتقدمة تكنولوجيًّا والمتفوقة عسكريًّا، وتعاونت القوات المسلحة وعناصر الشعب

البورسعيدي تعاونًا صادقًا برغم عدم الخبرة الكبيرة في حرب العصابات والمقاومة السرية ضد المعتدي.

٤ ـ كان هدف الحلفاء من العدوان الثلاثي هو النيل من كفاءة وقدرة القوات المسلحة المصرية، وقد أصدر القائد المصري أمر الانسحاب من سيناء لمواجهة التهديد الفرنسي-الإنجليزي على منطقة بورسعيد وشمال الدلتا. وقد حققت إسرائيل أهدافها من هذا العدوان وتم لها فك حصار مضيق «تيران»، وتحسين موقف ميناء «إيلات» كميناء بحري مهم للاقتصاد الإسرائيلي، وأراحت بالها من الأعمال الفدائية طالما يوجد على حدودها قوة طوارئ دولية تحميها.

ولكن بريطانيا وفرنسا لم تحققا أهدافهما العسكرية وخسرتا الموقف أيضًا سياسيًّا. وبرغم أن مصر لم تحقق انتصارًا عسكريًّا ولم تفشل عسكريًّا أيضًا، فقد نجحت في إظهار قدرة الجندي المصري وصموده وصبره وشجاعته، خاصة في معارك ممر متلا وأبو عجيلة.

ملحق ٤

معركة أم قطف: أكتوبر-نوفمبر ١٩٥٦

في الفترة ما بين ٢٩ أكتوبر و١ نوفمبر ١٩٥٦، فوق رمال سيناء المترامية، وعلى المرتفعات المشرفة على طريق العوجة-أبو عجيلة، دارت معركة أم قطف بين القوات المصرية الباسلة المدافعة بشرف وعناد عن أرض الكنانة من جانب، وبين القوات المعتدية البريطانية-الفرنسية-الإسرائيلية المشتركة في ظل مؤامرة واسعة النطاق من جانب آخر.

معركة افتقدت التكافؤ كليةً منذ اللحظة الأولى، حين تعرضت قواتٌ صغيرة لا تتعدى كتيبتين من المشاة وبعض الأسلحة الأخرى المعاوِنة لهجومِ قواتٍ برية ضخمة تفوقها أضعافًا من المشاة والدبابات والمدفعية والهاونات الثقيلة، ويشد أزرها الأسطول الجوي لدولتين كبيرتين هما إنجلترا وفرنسا. فصمدت لها وكبدتها خلال ثلاثة أيام طوال من القتال المرير أفدحَ الخسائر في العتاد والأرواح، ولقنتها درسًا قاسيًا لن تنساه، تاركة الصحراء تشهد آثاره، ثم انسحبت بمحض اختيارها قبل أن تسمح لقدم واحدة أن تدنس أرض الوطن المقدسة.

واصطبغت رمال الصحراء الواسعة بدماء الأعداء القانية تروي تاريخ المعركة، بينما تجمعت على رقعتها الطاهرة دماء ذكية تسطر للتاريخ أمثلة من البطولة والتضحية.

تطورات المعركة

سارت المعركة خلال المراحل الآتية:

١ ـ المرحلة الأولى

تشمل تحضيرات العدو الابتدائية وفشل هجماته الأولى أمام عزيمة المدافعين.

ـ بدأت يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ بقيام العدو بتجميع حشود من المشاة والمدرعات في بير سبع ومنطقة العوجة الدولية مستترًا بدولية المنطقة برغم ما في ذلك من خرق صريح لاتفاقية الهدنة.

وفي نفس الليلة بدأ يعبر الحدود في اتجاه القسيمة حيث لم يكن بها سوى عناصر خفيفة من الفرسان والحرس الوطني للإنذار والتعطيل، وكبدته هذه العناصر خسائر جسيمة، وانسحبت بعد ذلك في اتجاه المواقع الرئيسية بأم قطف طبقًا للخطة الموضوعة.

ـ وفي يوم ٣٠ أكتوبر حاولت قوات العدو المتقدمة من القسيمة مهاجمة المواقع الرئيسية من الجنوب، ولكن المحاولة أُحبطت تمامًا وتكبد العدو خسائر فادحة من المشاة المدافعة التي كانت تتمتع بروح قتال عالية، بينما تكفلت قوات المدفعية القضاء على مدرعاته ومتابعة انسحابها بلا هوادة، كما أحبطت في نفس اليوم محاولته لتطويق الموقع الدفاعي ومحاولة أخرى لمهاجمة المواقع من الأمام نظرًا لعزيمة المدافعين وشدة بأسهم.

ـ حينما بوغت العدو بفشله برغم تفوقه العددي الساحق في كل مكان يشن فيه هجومًا، جُن جنونه وشرع يلجأ إلى استخدام القوات الجوية على أوسع نطاق، مستخدمًا كل أنواع الهجوم الجوي من قذف بالقنابل والصواريخ إلى استخدام الرشاشات وقنابل النابالم الحارقة، أملًا في تثبيط عزيمة المدافعين... ولكن كل ذلك لم يكن إلا صيدًا ثمينًا لمدافعنا المضادة للطائرات بما في ذلك الأسلحة الصغيرة بمختلف أنواعها، ولم يزد ذلك المدافعين إلا قوة وتصميمًا، مما اضطر العدو لتغيير قادته نظرًا لما حاق بهم من فشل.

ـ إزاء هذا الفشل أخذ العدو يحاول محاولات أخيرة يائسة يأمل من ورائها أن

يؤثر على روح المدافعين المعنوية ويجنب نفسه ويلات القتال القاسي... فلجأ إلى مكبرات الصوت من الطائرات يذيع منها نداءً للجنود بالتسليم ويمنيهم بالسلام والمعاملة الحسنة، ثم أتبعها بمنشورات في نفس المعنى. لكنه لم يخدع إلا نفسه. وكان الرد قاسيًا تولاه الجنود بالهزء من المنشورات وإحراقها، وتولته المدفعية والهاونات بالقصف المستمر على مواقعه وإقلاق راحته طوال الليل دون توقف.

ـ نتيجة لهذا الموقف الأخير الذي اعتبر صدمة كبرى للعدو، لجأ إلى الانتقام بصورة جنونية، فأخذ طوال اليوم التالي وهو ٣١ أكت ٥٦ يشن غارات جوية لا تنقطع فوق المواقع الدفاعية، لم يميز فيها بين ما يجب وما لا يجب ضربه، متجاهلًا كل قواعد الحروب وهو يأمل في أمل كبير يتمناه.. ولكن هذا الهجوم لم يكن ذا تأثير أمام الجنود الجَيِّدي التدريب وذوي العزيمة والتصميم، بل لم ينجح هذا الهجوم في أن يستر الفشل البري الذي مُنيت به قواته، ولم يستطع أن يضع العدو رجله في شبر واحد من المواقع الدفاعية.

٢ ـ المرحلة الثانية

تشمل هجوم العدو الرئيسي وفشله.

ابتدأ العدو في ليلة ٣١ أكت-١ نوف، بشن هجومه الرئيسي بقوات هائلة بعد تغيير قادتها على الموقع الرئيسي من الأمام تحت ستار شديد مركز من نيران المدفعية والهاونات.

ولكن مفاجأة كبرى كانت في انتظاره. لقد ترك جنودنا العدو يتقدم ويتقدم مطمئنًّا وهو يعتقد أنه في مأمن من المتاعب، حتى وصل إلى حقول الألغام ثم الأسلاك الشائكة، وابتدأ يفتح الثغرات فيها. ولم يكن ذلك إلا على بُعد أمتار قليلة من مواقع الفصائل الأمامية. وفجأة فتحت هذه الفصائل نيرانها على العدو وتلتها نيران الأسلحة من جميع العيارات تنصبُّ كالجحيم، فكانت آثارها مروعة ولم تترك فرصة لفرد أو مركبة للعدو للإفلات من المصير المحتوم، وقضي على محاولة العدو قضاء تامًّا، ولاحت فلوله الشاردة من نيران المدافعين

الكاسحة تُولي الأدبار في اتجاه العوجة، وتابعت مدفعيتنا ونيران أسلحتنا انسحابه دون رحمة.

٣ ـ المرحلة الثالثة

تشمل اندحار العدو التام وانسحاب القوات المدافعة طبقًا لخطة موضوعة.

- ما إن أشرق فجر يوم ١ نوف ٥٦ حتى كانت أرض المعركة خالية تمامًا من أية آثار حية للعدو، وابتدأت القوات المدافعة تعيد تنظيم نفسها بروح معنوية عالية وعزم وتصميم جديدَيْن على استئناف العمليات التالية بكل قوة واعتداد، إذا ما فكر العدو أن يلقن درسًا جديدًا.
- صدرت تعليمات رئاسة القوات بانسحاب القوة المدافعة طبقًا لاعتبارات إستراتيجية عامة بالنسبة للجبهة كلها. وقامت القوة وهي أشد ما تكون تماسكًا بإتمام هذا الانسحاب ليلًا بالأسلحة الخفيفة بعد تدمير أسلحتها ومعداتها الثقيلة دون أن يفطن العدو إلى ذلك، وتم الانسحاب بنجاح بعد أن عبرت القوات مئات الأميال في الصحراء حتى الضفة الغربية للقتال تحت ظروف قاسية من التعب والإرهاق والجوع والعطش، ولم تكن لتقوم قوات بمثل هذا الانسحاب لو لم تكن على درجة عالية من التدريب وقوة التحمل. وأعطت بذلك أحسن الأمثال للجندي الذي له هدف من القتال.

تعليق

أظهرت هذه المعركة بعض ما كانت تتحلى به قواتنا من صفات نجملها فيما يلي:

١ ـ الروح المعنوية العالية

ظهرت بشكل واضح، وخاصة حينما فشل العدو تمامًا في إحراز أي نصر برغم تفوقه العددي الساحق، فلجأ إلى حرب الدعاية، يشنها بواسطة مكبرات الصوت، بالطائرات وإلقاء المنشورات التي تدعو الجنود إلى التسليم، حيث قوبلت هذه المحاولة المضحكة بما تستحقه من سخرية، فقام الجنود بإحراقها فورًا. ثم تولت نيران مدفعيتنا وهاوناتنا الرد على العدو بما أعطى له أبلغ الردود وأقساها.

٢ ـ الضبط والربط الميداني

وهو لا يقل أهمية عن الضبط والربط في وقت السلم. وقد كان لمدى تمسك القوات المدافعة بهذه الصفة الأصلية اللازمة لكل محارب، أن تمكنت إحدى الفصائل الأمامية بقيادة أحد ضباط الصف برتبة الجاويش أن تحبس نيرانها ونيران أسلحتها المعاونة برغم قيام العدو بأعداد ومعدات ضخمة بفتح ثغرات في مواقع الأسلاك الشائكة، ثم في اللحظة الحاسمة تفتح هذه النيران فجأة كالجحيم فتدمر العدو تمامًا وتكون نتيجته انسحابه انسحابًا عامًّا على طول الجبهة الدفاعية.

٣ ـ التعاون بين الأسلحة

كان مثلًا واضحًا نتيجة للتدريب الجيد والتفاهم المشترك بين القادة على جميع المستويات، وقد تمكنت المدفعية بنيرانها الشديدة المركزة من منع العدو من احتلال إحدى التبات والثبات فوقها برغم استخدامه المدرعات والمشاة المحملة بأعداد كبيرة. وهذا عقب محاولته تلك مباشرة.

كما كان لضربها الميول الأمامية لبعض التبات بناء على طلب قائد المشاة قبل بدء الهجوم المضاد المحلي الذي قامت به إحدى السرايا الأمامية، أن نجح الهجوم تمامًا وأمكن طرد العدو من المواقع التي وضع قدمه فيها قبل أن يتمكن من تثبيتها.

كما أمكن للمشاة أن توفر الحماية الكافية للمدفعية عند دخولها في نطاق الموقع الدفاعي نظرًا لاحتمال تطويقها وعزلها. وتم كل ذلك دون أن يتمكن العدو من التدخل في هذه العملية.

وكل هذا وغيره كثير لم يكن ليتوفر إطلاقًا إلا بفهم جميع الرتب لروح القتال الصميمة وتطبيق مبدأ التعاون تطبيقًا شاملًا بين جميع الأسلحة وتحت جميع الاحتمالات والظروف.

٤ ـ التدريب الجيد

حدث بعد نجاح الهجوم المحلي الذي قامت به إحدى السرايا الأمامية أن شوهد بعض أفراد من العدو يحتلون إحدى نقط ملاحظة الهاونات على

إحدى قمم الجبال المرتفعة، فأمرت دورية قتال تشكلت في حينها بالقضاء على هذه النقطة، وتم ذلك على الفور وقضي على أفراد النقطة تمامًا بخسائر لا تذكر في الدورية.

٥ ـ العزيمة وقوة التحمل

قاتلت القوة المدافعة ـ وهي نسبيًّا صغيرة جدًّا إذا قيست بقوات العدو أكثر من ثلاثة أيام ـ قتالًا مريرًا قاسيًا متحملةً كثيرًا من إرهاق المعارك، ومع ذلك قاتلت معركتها الدفاعية بنجاح، ثم انسحبت مئات الأميال تحت أقسى الظروف ووصلت متماسكة إلى محلاتها الجديدة.

ولم يكن ذلك إلا مثالًا بارزًا لقوة العزيمة والتصميم في القتال والقدرة والاستعداد لتحمل المشاق مهما صعبت في سبيل إحراز الغرض النهائي.

٦ ـ روح القتال

تجلت بشكل ظاهر في القوات المدافعة، وخاصة عندما تعرضت لشتى أنواع الهجوم الجوي لقوات العدو الجوية بأعداد ضخمة، فقامت المدفعية م/ ط بعملها خير قيام، حيث أسقطت في إحدى المرات ثلاث طائرات في فترة ٥ دقائق، كما استخدم الجنود جميع أنواع الأسلحة الصغيرة ضد هذه الطائرات، وقد أسقط أحد الجنود طائرة بمدفع بلندسيد المضاد للدبابات، كما أسقطت الرشاشات المركبة في عربات نقل الجند المدرعة إحدى عشرة طائرة.

إن هذا يعطي مثلًا جيدًا لروح القتال السليمة، فقد استخدمت القوات كل ما لديها من أسلحة مهما كان نوعها للتعامل مع قوات العدو الجوية التي كانت في مداها عندما أحست بأن المدافع م/ ط لا تكفي لتغطية الدفاع ضد طائرات العدو.

٧ ـ سيطرة القائد وقوة شخصيته

حدث عند قيام العدو بهجماته الأولى أن تمكن القائد من تشكيل احتياطي سريع من القوات الخلفية ومن بعض القوات التي انسحبت تحت ضغط العدو ومن جنود الرئاسة، وتسنى له سرعة السيطرة على الموقف والتصميم على القيام بهجوم مضاد عاجل لمنع العدو من استغلال نجاحه. وكانت نتيجة هذا الهجوم

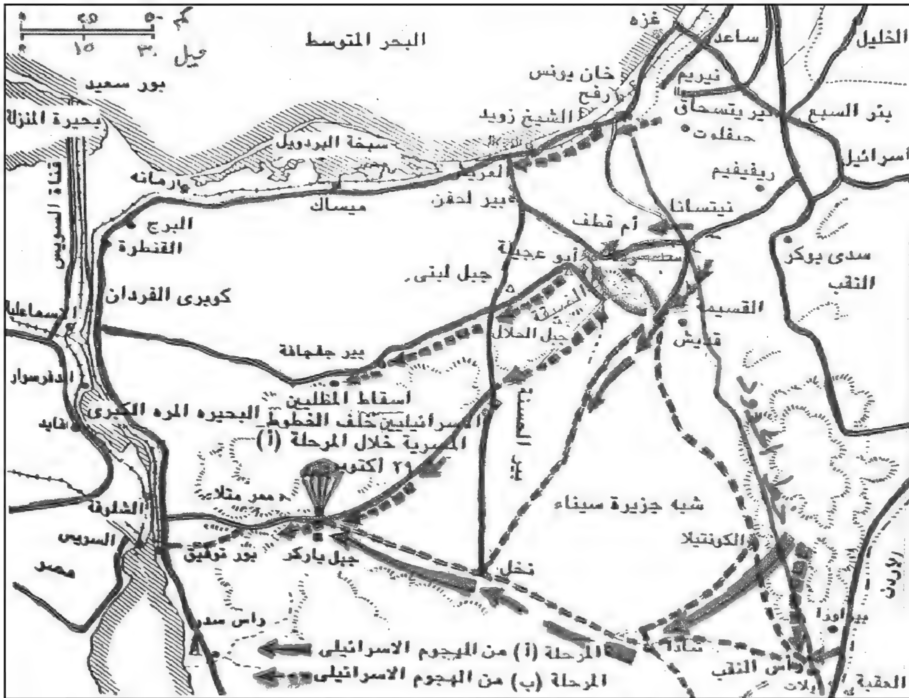
هي طرد العدو، ولم يكن ذلك ليحدث إلا في وجود قائد ذي شخصية تمكنه من السيطرة على قواته وعلى الموقف في حزم وسهولة.

٨ ـ الهجوم المضاد السريع

ظهرت فائدة القيام بهجوم مضاد سريع في هذه المعركة أحسن ظهور، فكل شبر من الموقع الدفاعي أمكن للعدو أن يضع رِجله فيه، لم يلبث إلا فترة قصيرة ليجد جنودنا تهاجمه الهجوم العنيف القاسي وتنقض عليه انقضاض الصاعقة لتقضي عليه القضاء المبرم، أو تجعله يفر لا يلوي على شيء، اللهم إلا البعد عن جنودنا. وكان للتدريب الجيد وعمل البروفات لهذا الهجوم الأثرُ الكبير الذي جعل الهجوم يشن بالسرعة اللازمة وفي الوقت المناسب، وبالعزيمة القوية التي أكسبته النصر الدائم.

ختام

ستظل هذه المعركة التي لم يكن فيها تكافؤ على الإطلاق مثلًا حيًّا للقتال الرائع في سبيل أهداف سامية تعيد إلى الأذهان ما تمتعت به قواتنا المسلحة دائمًا من الصفات الأصيلة للمحارب وما تبتغيه دائمًا من مجد وعزة هذا الوطن.



الهجوم الإسرائيلي في سيناء - ١٩٥٦

الهجمات البريطانية-الفرنسية على بورسعيد - ١٩٥٦





المشير عبد الحكيم عامر في الكلية الحربية عام ١٩٥٨



إمبراطور إثيوبيا «هيلا سيلاسي» في زيارة الكلية الحربية عام ١٩٥٩ برفقة المشير عبد الحكيم عامر، يصافح المقدم عبد المنعم خليل وبجانبه العميد أحمد إسماعيل



زيارة ملك المغرب محمد الخامس إلى الكلية الحربية، ١٩٥٩

الفصل الخامس

مصر وثورة اليمن

العملية ٩٠٠٠: ١٩٦٢-١٩٦٧

كانت القاهرة خلال شهر أغسطس ١٩٦٢ على علم بوجود تنظيم للضباط الأحرار في اليمن يقوده العقيد علي عبد الغني، وأن هذا التنظيم يرتب للقيام بانقلاب على حكم الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين الطاغية، كما كانوا يسمونه هناك. وكان السيد أنور السادات على علاقة ببعض اليمنيين هنا وهناك، وكان تقدير مصر الرسمي في حالة حدوث ثورة يمنية ضد حكم الإمام أحمد، هو أن السعودية في الشمال والإنجليز في عدن في الجنوب قد يقفون ضد الثوار ويدعمون موقف الإمام أحمد. ولما توفي خلفه ابنه الأمير محمد البدر ولي العهد، وفي صباح يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، أذاعت صنعاء أن العميد عبد الله السلال قاد الانقلاب ضد الأمير محمد البدر ـ إمام اليمن الجديد ـ واستولى الجيش اليمني على السلطة بعد معركة مسلحة قيل إن الإمام البدر قد قتل فيها.

وقد اعترفت مصر بالنظام الجمهوري في اليمن، وقرر جمال عبد الناصر التعرف على الموقف في اليمن على الطبيعة، فأرسل السادات ومعه كمال رفعت عضوَي مجلس الثورة لاستطلاع الموقف ومعهما وفد من ضباط العمليات. ولما عاد السادات من صنعاء بعد ٣٦ ساعة، كان تحمسه للتدخل المصري في اليمن واضحًا، فقد اقترح إرسال سرب من الطائرات المصرية إلى اليمن، فهو وحده كفيل بإجبار القبائل على التجمهر.

وكانت هذه الفكرة بداية التدخل الإجباري الجوي والبري والبحري بالرجال والعتاد والسلاح والمال والذهب وكل شيء!

وكان الأمير الحسن عم الإمام محمد البدر قد عاد إلى السعودية، حيث اتخذ نجران قاعدة لإمداد القبائل بالذهب والريالات والسلاح والذخيرة والمعدات، للوقوف مع الملكية ضد الثورة، وكان الذهب له بريقه الخاص في جذب النفوس إلى تحقيق ما تريده اليد التي تعطي.

ومع بداية الثورة لمع بريق الذهب مع قبائل الشمال وهاجمت صعدة عاصمة الشمال، مما أجبر رجال الثورة على تحريك قوة من الجيش اليمني تقدر بحوالي كتيبة مشاة للدفاع عن صعدة. ودارت معارك هناك كان نتيجتها بعض القتلى وعلى رأسهم العقيد علي عبد الغني الذي قيل عنه إنه المحرك والقائد الحقيقي للثورة اليمنية ضد الإمام.

وهذا القتال الذي حدث في الشمال ونتائجه دفعت المشير السلال ورجال الثورة إلى طلب معاونات أكثر من مصر. واستجابت مصر. وجاءت القوات تحملها الطائرات وسفن الأسطول المصري الحربي والتجاري إلى صنعاء والحديدة في سباق لدعم الثورة اليمنية.

وكان القتال في اليمن ضد القبائل التي لم تتجمهر يحرك قواتنا إلى حيث ترغم هذه القبيلة أو تلك على التجمهر، وإعلان الولاء بقوة السلاح أو بقوة الريال، وأحيانًا بقوة الذهب، أو تصمد ضد هذا التيار الجديد، لأن ذهب الأمير الحسن ربما يكون أكثر لمعانًا وأسلحته أشد فتكًا.

وحاربت قواتنا في اليمن أصنافًا كثيرة من البشر ومرتزقة من كل مكان. وكنا لا نعرف العدو من الصديق: هل هذا جمهوري أم ملكي؟ الله أعلم!

وكانت عادة الخطاط، وهي تتبعها القبائل في قتالها بين بعضها، وهي تمثل هجوم الجراد على خيرات الأرض حيث تتركها جرداء كقرى اليمن بعد الخطاط، حيث تلتَهِم القبيلة المغيرة خيرات القبيلة الضعيفة وتنهب كل ما تجده وتستحي النساء وكل شيء وتتركها كزلزال مدمر.

العملية ٩٠٠٠

قامت ثورة اليمن في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، وطلب مجلس قيادة الثورة اليمنية مساعدات عسكرية من الجمهورية العربية المتحدة، وبدأت مصر بعد ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ في الاستجابة لهذه الطلبات، وأرسل المشير عبد الحكيم عامر نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة اللواء أ.ح علي عبد الخبير، ومعه بعض الضباط من الصاعقة والمظلات وغيرهم، إلى اليمن لمقابلة أعضاء مجلس القيادة ومعرفة مطالبهم. وبدأت مصر في إرسال بعض سرايا من رجال الصاعقة والمظلات للمعاونة في حماية الثورة في أول أيامها، ثم تطور الموقف بسرعة غير متوقعة، وكلف اللواء أ.ح علي عبد الخبير، وهو في اليمن، بتولي مسؤولية مساندة الثورة، وبدأ يفكر في تكوين قيادة صغيرة لتعاونه للقيام بالمهمة المكلف بها، فقد يحتاج الأمر إلى مزيد من القوات المصرية ترسل إلى اليمن.

وقد اختار اللواء أ.ح سعدي نجيب رئيسًا للأركان، ثم اختارني مديرًا للعمليات، واختار العقيد أ.ح نوال سعيد مديرًا للإمداد والتموين، والعقيد محمد تمام مديرًا للتنظيم والإدارة وشؤون الأفراد، وسافرنا نحن الثلاثة في طائرة أنتينوف إلى مطار صنعاء. وصلناه فجر يوم ١٨ أكتوبر ١٩٦٢، وقابلنا اللواء أ.ح علي عبد الخبير في المكان الذي اختاره مؤقتًا للقيادة، وهو منزل ريفي صغير في صنعاء قرب مبنى مركز قيادة الثورة برئاسة المشير السلال، وبدأنا العمل منذ وصلنا كلٌّ في اختصاصه. وكان مكاني دائمًا مع اللواء علي عبد الخبير، نعمل في المندرة في مدخل المنزل والاستراحة في المقعد أعلى الدار. وسارت الأمور هكذا عدة أيام، وخلال هذه الفترات كان يحضر لزيارتنا يوميًّا أو عدة مرات في اليوم المشير السلال حاملًا رشاش تومي قصيرًا وهو بملابسه الرسمية، ومعه حرسه من الإخوة اليمنيين بالبنادق والخناجر والرشاشات، وكان يطلب أن تقوم الطائرات المصرية بضرب منطقة كذا أو منطقة كذا لأنها لم تتجمهر!

كما كان يطلب قوات لإرسالها إلى مناطق نفوذ قبائل اليمن المتعددة لإرغامها على التجمهر وإعلان الولاء للثورة.

وفعلًا تم إرسال كتيبة صاعقة إلى صرواح، وبقيت كتيبة صاعقة وكتيبة مظلات

في صنعاء للدفاع عن مقر السلال ومركز قيادة الثورة وقيادتنا، وأرسلنا الكتيبة ٧٧ مظلات إلى عمران.

وكان الموقف قد تطلب التقدم إلى مأرب عاصمة مملكة سبأ القديمة، وتم إسقاط سرية مظلات قبل غروب شمس يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٦٢ شرقي صرواح، وتقدمت كتيبة صاعقة من صنعاء برًّا للاتصال بها وتدعيمها. ولكن للأسف الشديد تشرد عدد كبير من رجال المظلات في عمليات الإسقاط، حيث لا توجد خرائط واضحة لليمن، وحتى الخرائط التي أمكن الحصول عليها لا توضح إلا المعالم الرئيسية، وكلها جبال ووديان ومرتفعات وخيران.

وللأسف أيضًا وقعت عناصر كتيبة الصاعقة في تقدمها إلى صرواح في كمين عند رأس العرقوب، واضطُررنا إلى إصدار أوامر لها بالعودة إلى جيحانة، ولكنها وصلت صنعاء ثم أصدرت لها الأوامر مرة أخرى بالعودة إلى جيحانة على طريق صنعاء-رأس العرقوب-صرواح-مأرب، وكانت كل الاتصالات بالبرق المدني وبالطبع باليمني، والله أعلم كيف كانت تصل التعليمات...

وفي ٢٨ أكتوبر ١٩٦٢ وصل المشير عبد الحكيم عامر إلى صنعاء، واخترنا له منزلًا مواجهًا للدار التي كنا نتولى إدارة العمليات منها وهو بجوار مبنى السفارة المصرية، وعقدنا مؤتمرنا وكان الفريق أنور القاضي قد سبقه إلى اليمن في مهمة ويعود بعدها للقاهرة، ولكن صدرت الأوامر له أن يتولى قيادة القوات العربية في اليمن والتي أصبح يتدفق عليها يوميًّا وحدات وأسلحة ومعدات من القاهرة... وفي المؤتمر الذي عقده المشير في استراحته كان كل ما يدور هو كيفية معاونة ثورة اليمن وتأمين قواتنا.

وحضر المؤتمر بعد ذلك المشير السلال، وبعد أيام قلائل انتقلنا إلى مبنى أكبر يستوعب عددًا أكبر من أسرة القيادة التي بدأت تنمو وتنمو إلى عشرات الضباط ومئات الجنود والصف ضباط والمدنيين المصريين، والعربات الحربية والمدنية والمدرعات والمركبات المصفحة.

وبدأت بشائر أفراد المظلات الذين أسقطوا في صرواح تصل إلى صنعاء، بعضهم سيرًا على الأقدام وبعضهم مع أفراد من القبائل يركبون الدواب، وأمرني

المشير بتوزيع ريالات لكل من يحضر جنود مظلات، وبالطبع ملايين الريالات لا تساوي شيئًا أمام عودة جندي مصري سالمًا إلينا. والحمد لله تم تجميع معظم أفراد المظلات عدا من استشهد أو شرد ولم يصل إلا بعد فترة طويلة.

وهكذا تورطت مصر في اليمن وبدأت في إنشاء جسر جوي وبحري ضخم عبر آلاف الكيلومترات لنقل الرجال والعتاد والأسلحة والمهمات والتعيينات والذهب إلى أرض اليمن التي ابتلعت خيرة وحدات القوات المسلحة، وأهلكت أفرادها ومعداتها وأسلحتها وطائراتها واستنفدت أنفاسها.

وبدأت عمليات قطع الطرق على قواتنا، خاصة القوات الإدارية التي كانت تتحرك لإمداد القوات بالذخائر والأسلحة والتعيينات والمياه إلى بعض المناطق، وبالطبع الزيوت والوقود والشحومات. وأذكر في نوفمبر ١٩٦٢ قامت قبيلة تسمى بني مطر بقطع طريق الحديدة-صنعاء عند الكيلو ١٣٥ من الحديدة، ولكن تم فتح الطريق بعد حوالي ٤٨ ساعة متحملين بعض الخسائر في الأرواح والسيارات.

وكانت الحكومة اليمنية تطلب من القيادة العربية مزيدًا من القوات للمعاونة في السيطرة على مناطق اليمن المتعددة ومترامية الأطراف، سواء إلى صعدة شمالًا أو مأرب شرقًا أو تعز جنوبًا أو الحديدة غربًا، أو ميدي في الشمال الغربي أو حجة في أعلى جبال اليمن، بمهمة إيقاف عمليات التسلل وتهريب الأسلحة والمعدات والأموال إلى داخل اليمن، وإظهارًا للقوى وإجبار القبائل على إعلان الولاء للثورة.

وثبت رسميًّا وصول الأسلحة الآتية إلى داخل اليمن للعمل ضد ثورتها حتى نهاية عام ١٩٦٣:

- ١٣٠ ألف بندقية، أي تسليح مائة وثلاثين ألف جندي.
- ٥ آلاف مدفع رشاش متنوع الأحجام.
- ١٣٠ مدفعًا مضادًّا للدبابات.
- ٩٠ مدفع هاون خفيفًا.
- ١٦ مدفعًا مضادًّا للطائرات.
- ٢٠ مليون طلقة.
- ٨٦٠٠ لغم مضاد للدبابات، إلخ.

واضطرتنا ظروف القتال الرهيب وتوزيع قواتنا في معظم مناطق اليمن الجبلية الوعرة إلى ضرورة دعم القوات العربية بمزيد من طائرات النقل اليوشين الروسية الصنع والهليكوبتر مي ٤، مي ٨، ثم مي ٦ وهي التي يمكنها نقل مدافع ومعدات وسيارات ثقيلة.

وكذا أسراب من الطائرات القاذفة-المقاتلة المعاونة في تأمين قواتنا، مما دعا إلى تكوين قيادة كبيرة للقوات الجوية المصرية في اليمن.

وجاءت الحاجة إلى طائرات أكبر، ووافق المشير عامر على تخصيص عناصر من الطائرات الروسية بعيدة المدى أنتينوف/ تي يو١٦، لتقوم من مطاراتها بمصر لتلبية طلباتنا في اليمن والعودة إلى الوطن.

وكان الاسم الكودي الذي اصطلحت القيادة العامة عليه لطلب هذه الطائرات هو «مبارك»، وكان يقود هذا السرب العقيد طيار أ.ح محمد حسني مبارك.

وكثيرًا ما أرسلت برقيات إلى المشير رأسًا من القيادة في صنعاء: أطلب «مبارك»، وكنا نسعد برؤيته في الجو ولا نراه على الأرض ولم نكن نعرف شخصيته.

وأذكر أول طلعة لمبارك إلينا كانت يوم ٧ ديسمبر ١٩٦٢، ثم تكررت بعد ذلك حسب الطلب، وشاء الله سبحانه وتعالى أن ألتقي بالرجل بعد ثماني سنوات في أثناء اجتماع الرئيس السادات بالقادة والضباط يوم ١٢ مايو ١٩٧١، وعلى الغداء بالكلية الجوية في بلبيس.

وتتابعت اللقاءات بعد ذلك سواء في اجتماعات المجلس الأعلى للقوات المسلحة، ولجان الضباط، حيث كان ترتيب جلوسي في المجلس بجواره دائمًا، وكذا اللقاءات في جولاتي على القيادات والقوات ووحدات القوات المسلحة المصرية بصفتي رئيسًا لهيئة تدريب القوات المسلحة.

وأذكر أنه في عام ١٩٧٢ كان هناك لقاء بيننا ومعنا الفريق أول محمد صادق أمام الله في مسجد مركز تدريب مهني القوات الجوية بحلوان، حيث وجدت صورة تذكارية بين أوراقي لهذا اللقاء. وفي عام ١٩٧٣ كان اللقاء مستمرًّا في اجتماعات مؤتمرات إعداد القوى لحرب رمضان (أكتوبر ١٩٧٣)، وبعد الحرب سعدت بالطيران معه في طائرة نقل اليوشين كان يقودها بنفسه من مطار ألماظة إلى مطار

مَرْسَى مطروح، ودعاني إلى الجلوس بجواره كمساعد طيار (شفهيًّا طبعًا)، وفي مَرْسَى مطروح قمنا باستطلاع جوي لمناطق إيواء ثم تناولنا الغداء في نادي القوات الجوية بها، وعدنا معًا بطائرة أنتينوف إلى مطار ألماظة الحربي، مارين بمطارات «جاناكليس» وغرب القاهرة في جولة مرور على بعض القواعد الجوية. والحقيقة أنها كانت رحلة عمر.

١ ـ تمرد قبيلة أرحب

في أوائل رمضان تمردت قبيلة أرحب وقامت قوة مصرية مكونة من ٣ دبابات ومعها فصائل مشاة ورشاشات بالتقدم تجاه بيت مران في أرحب بقيادة الرائد إبراهيم العرابي لفك حصار القوات اليمنية والتي كان يقودها النقيب حمود بيدر من أعضاء مجلس قيادة الثورة اليمني، وتم تخليص القوة اليمنية والسيطرة على المنطقة بعد قتال مرير.

وفي الأيام الأولى من رمضان أيضًا، وكنت أشغل منصب رئيس عمليات القوات العربية باليمن، وكان موقف القبائل مظلمًا ومحيرًا، وإذا بالمشير عامر يطلبني ويقول لي:

ـ قبائل جيحانة قلبت وقطعت طريق الإمداد الرئيسي للقوات واحنا بنستبشر بيك يا منعم، وعليك فتح الطريق واختار ما تشاء من قوات والعقيد طيار أيوب معك لمعاونتك في استطلاع المنطقة.

٢ ـ تمرد قبائل جيحانة

نزلت مع العقيد طيار أيوب وركبنا معًا طائرته الصغيرة ذات المقعدين وطاف بي فوق المنطقة، وتمكنت من استطلاع بعض الدروب والوديان التي تلتف حول المواقع المحتمل أن يكون العدو قد احتلها وقطع منها الطريق. وعدت إلى القيادة وإذا بالمشير يقول لي:

ـ الوزير الزبيري سيكون معك في هذه المهمة أيضًا، اتصِل به ونسِّق معه.

وتم تكوين قوة من ٣ دبابات ت ٥٤ من القيادة المصرية وعربة مدرعة تسمى «ب ت ر» روسية الصنع وفصيلة مشاة وبعض الرشاشات، وأخذت طبيب القيادة لمرافقة القوة وبعض عربات نقل الجنود.

وكان المقدم صلاح خيري مرافقًا معي لقيادة قوات المشاة والأسلحة المعاونة، وتحركنا في اليوم التالي مع الفجر على طريق صنعاء-جيحانة، وعند قرية ريمة حميِّد الصغيرة توقفنا حيث بدأ الكمين للقول الإداري المصري منها. وأمرت قائد الفصيلة المشاة النقيب قدري بدر بالتقدم، وتقدم القائد أمام الجنود واقتحم القرية.

وبعد تأمين القرية قررت اتخاذها قاعدة للانطلاق بباقي قواتي إلى مهمتها، واخترت التقدم من الجنوب الشرقي في المدقات التي تم استطلاعها جوًّا في اليوم السابق، وما كدنا نتقدم حوالي كيلومتر أو أكثر قليلًا حتى قابلتنا مظاهرة ضخمة من الرجال والنساء والأطفال يرفعون الأعلام البيضاء رمزًا للتسليم ومعهم ٣ عجول وعدد من الخراف، وهي عادة في اليمن لإثبات الولاء للأقوى. وكان معي دليل يمني قال إن هذه عادة يجب قبولها، ولكني أعطيتهم الأمان، وطلبت منهم العودة إلى قُراهم على أن يخطروني بأي متسلل غريب عنهم وموجود في منطقتهم. وعند هذه المنطقة اعتذر الوزير الزبيري عن مواصلة التقدم معنا وعاد إلى صنعاء.

وتطوع أحد أفراد هذه القبيلة ليعمل دليلًا معي ليرشدني على مسالك المنطقة إلى جيحانة على الطريق إلى مأرب، وخلال هذه الفترة مر الوقت بسرعة وكانت الساعة تقترب من الواحدة بعد الظهر، وكنا في شهر رمضان وكنت والحمد لله صائمًا كعادتي دائمًا، فالصيام يعطيني قوة وصمودًا، وجربت هذا في حرب فلسطين عام ١٩٤٨.

وتحركت ميلًا آخر وإذا بي أشاهد نفس المظهر السابق من قبيلة أخرى في مظاهرة تضم الرجال والنساء والأطفال، وحدث ما تم مع المجموعة الأولى من أمان واطمئنان، وقرأت في عيونهم الفرح وسمعنا زغاريد النساء تدوي في المكان.

وأمرت القوات بالتقدم. وتقدمت أمامي ثلاث دبابات ت ٥٤ الأمامية منها مجهزة لتفجير الألغام وتسمى دبابة دقاقة، وكنت أركب عربتي المدرعة خلف الثلاث دبابات، وفي لحظات شعرت بانفجار عنيف ودخان كثيف وأتربة وتوقفت العربة فجأة ونصفها الأمامي قد تدمر، ولم أجد السائق بجواري، ولما وجدت نفسي بخير وكذا السائق والصحفي المرافقَين لي، قررت مواصلة التقدم بدون العربات الأخرى التي أمرتها بالعودة إلى قاعدتها.

وركبت الدبابة الأولى الدقاقة مع قائدها، وركب على مقدمتها من الخارج الدليل اليمني الذي تطوع بأن يكون دليلًا لنا، وكان له الفضل في إرشادنا للوصول للمنطقة التي كان بها الكمين المعادي الذي قطع طريق الإمداد إلى جيحانة. وهناك وجدت عربات القول الإداري المعطل وقد أصيبت جميع إطارات السيارات برصاص المعتدين فتعطلت ونهبوا كل حمولتها.

ووجدت عربة اتصال لاسلكي معطلة أيضًا وبها ضابط من الإشارة علمت منه بالموقف، وتم تفتيش المنطقة والسيطرة عليها وتجميع السائقين وأفراد الحراسة، وأخطرت قيادة القوات العربية في صنعاء بتأمين الطريق، فأصدروا الأوامر لقول إداري آخر محمل بالاحتياجات بالتقدم إلى جيحانة، ولم أغادر مكاني إلا بعد مروره ووصوله إلى جيحانة بأمان.

٣ ـ فتح وتأمين طريق رايدة

وعدت إلى القاعدة في ريمة حميِّد حوالي الفجر، ولكني فوجئت بضرورة التوجه إلى صنعاء لمقابلة المشير عامر للأهمية، ولما وصلت القيادة رحب بي المشير مبتسمًا وقال:

ـ تصور يا منعم إن طريق رايدة قطع بكمين منذ ٢٤ ساعة، والقول الإداري المتجه إلى الشمال ومعه عربات محملة بأسلحة مضادة للطائرات هوجم من المتمردين، وتعطلت عرباته وحدث به كثير من الخسائر. وبرغم أننا أرسلنا نجدة من قوات مدرعة بقيادة المقدم الهجان واستطاعت العبور والوصول إلى رايدة، إلا أن الطريق ما زال يسيطر عليه المتمردون. وعليك أن تعزل قائد الكتيبة، وتتولى قيادة القوة ومعك ما تشاء من أسلحة وقوات وتفتح لنا الطريق بأسرع ما يمكن.

فأقنعته بأن هذا القائد كفء وأعرفه جيدًا وأنه سيكون تحت إشرافي وتحت قيادتي وهو أقدر مني على قيادة وحدته.

وبعد أن تلقيت المهمة الجديدة من المشير عامر قمت بالاستطلاع الجوي للمنطقة مع العقيد طيار أيوب، وشاهدت من الجو المنطقة المطلوب التحرك إليها وكذا المناطق المجاورة، وتمكنت من رؤية العربات المعطلة والمدمرة،

وكذا وجدت «قول» آخر كبيرًا معطلًا أيضًا في منطقة مجاورة علمت من القيادة أنه قول للكتيبة المشاة معطل أيضًا برغم أن القيادة قد أسقطت لهم إمدادات في اليوم السابق! وفي الناحية الأخرى من الجبل وعلى طريق فرعي يؤدي إلى عمران إلى الشمال الغربي، شاهدت من الجو «قول» مصريًّا مشتبكًا مع العدو بالنيران والمدفعية. علمت فيما بعد أنها قوة من مشاة ومدرعات بقيادة المقدم سعد صبري في طريقها إلى عمران.

في يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٣ وفي رمضان أيضًا توليت قيادة القوة التي جمَّعتها لتنفيذ المهمة، وتحركت إلى منطقة المعمر لاتخاذها كقاعدة. وجاءني شخص يمني يحمل بندقية آلية على كتفه وحياني تحية الإسلام، وعرفني بنفسه أنه الرائد حمود من الجيش اليمني. أهلًا وسهلًا. وقال إنه على علم تام بهذه المنطقة، وعرض عليَّ المساعدة في الاستطلاع والقتال، والحقيقة أنني شككت فيه: هل هو عدو أم صديق؟ الله وحده يعلم. وهو بالطبع ليس معه ما يدل على شخصيته، ولكني قابلته بمودة وثقة وقلت في نفسي ربما تكون العناية الإلهية قد أرسلته لي في الشهر المبارك، كما حدث منذ أيام قلائل عند فتح طريق جيحانة.

وبجوار عربتي المدرعة وقفت أصلي لله شكرًا على هذه الرحمة المهداة. فجاءني هذا الرائد اليمني مرة أخرى وقال لي:

ـ لقد قمت باستطلاع قرية، والعدو مختبئ في بعض منازلها.

وحددها لي وأنه مستعد للتقدم فورًا مع القوة المكلفة بالاقتحام. فأصدرت أوامر للقائد باقتحام القرية ومعه الرائد حمود اليمني، وقد نجحت القوة في اقتحام القرية وتأمينها وأَسْر عدد من الأفراد، وشكرت الله سبحانه وتعالى وشكرت هذا الرائد اليمني وأصبح من هذه اللحظة دليلي وصديقي. فتحية إلى كل رجال اليمن الشرفاء الذين تعاونوا معنا بصدق وإخلاص.

وبمجرد نجاح الكتيبة في اقتحام القرية وتأمينها أصدرت لقائدها الأوامر بعمل قاعدة بها لتأمين مؤخرتي، وتقدمت ومعي المدرعات فقط وأخذت خبرة من التحرك السابق، وركبت دبابة القيادة وانطلقنا إلى الشمال تجاه رايدة. وفي الطريق شاهدت جثثًا لشهداء مصريين فنزلنا، وأمرت برصِّ أحجار على هذه الجثث لستر

عوراتها، ووضعنا علامات إرشاد عليها، واستمر التقدم ولم يعترض طريقنا أحد حتى وصلنا إلى مجموعة كبيرة من القوات المصرية بعضهم في عربات وبعضهم تحت السيارات، وفي ثنيات الأرض ونيران متقطعة تطلق هنا وهناك. وقابلت قائدهم المقدم الأعصر وعلمت منه الموقف وأنه غير قادر على التحرك لإصابة معظم عرباته في إطاراتها ونقص ذخيرته وتعييناته وكذا الوقود والمياه برغم أن الطائرات المصرية كانت قد ألقت عليه إمدادات، ولكن كثيرًا منها سقط خلف الجبال التي يسيطر عليها المتمردون.

وإذا بالرائد حمود اليمني وهو الذي صاحبني في رحلتي هذه وركب معي دبابتي يقول لي:

ـ سأستطلع الموقف وسأتسلق هذا التل من الخلف وأعطيك إشارة للتقدم بدبابتين أو أكثر لتأمين الموقع والاستيلاء على هذه القرية خلف الجبل، فهي مفتاح الموقع.

وبعد دقائق كان قد تسلق الجبل ووقف فوقه رافعًا سلاحه إشارة لي بالتقدم، وتقدمت إليه بدبابتين أركب إحداهما مع قائدها الرائد محمد عبد الخالق حتى وصلنا القرية وقابلني الرائد حمود، ووجدنا أن العدو فر بمجرد رؤية دبابتَيَّ، وأعطيت أوامري بتأمين القرية وتناولنا طعام الإفطار الأخير في رمضان، وقضيت ليلتي داخل دبابة، وكنت مطمئنًّا والحمد لله، وفي الفجر سمعنا: «الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد». إنه العيد الصغير، وكنا جميعًا في فرح وسعادة.

٤ ـ التقدم إلى زيفان

بعد أن تم تأمين منطقة الكمين وإخلاء الجرحى ودفن الشهداء، أصدرت أوامري إلى قائد الكتيبة بإعادة تنظيم قواته والاستعداد للتقدم. وتحركت بدبابتي ومعي الرائد حمود اليمني تجاه موقع حيوي يسيطر سيطرة كاملة على الطريق الرئيسي إلى رايدة يسمى جبل زيفان باسم القرية المقامة عليه. ولما وصلنا إلى المنطقة قابلني أهالي القرية بالزغاريد ومعهم عدد كبير من البقر والخراف إعلانًا للولاء، فأعطيتهم.

واتخذت من هذه المنطقة مركزًا للقيادة، وأرسلت عناصر استطلاع وتأمين للمناطق المحيطة حتى رايدة للاطمئنان على سلامة الطريق، وأعطيت أوامري

إلى قائد الكتيبة التي كانت في الحصار بالتقدم، وأخطرت القيادة في صنعاء بنجاح قواتي في تأمين المنطقة.

وكان هذا في أول أيام العيد، وكان يوم جمعة، وأديت الصلاة في مسجد القرية، وألقيت خطبة الجمعة على أهالي القرية حتى انهمرت دموعهم، وبعد الصلاة حضر لمقابلتي وفود كثيرة من القبائل المجاورة لإعلان الولاء للثورة.

وجاءتني إشارة عاجلة من المشير يهنئني فيها بالعيد وبترقيتي استثنائيًّا إلى رتبة العميد اعتبارًا من أول فبراير ١٩٦٣.

وبعد حوالي أسبوع عدت إلى وظيفتي السابقة رئيسًا لعمليات القوات العربية في اليمن، ثم صدرت الأوامر بعودتي إلى الوطن مع أول فوج من القوات المصرية في ٢٩ أبريل ١٩٦٣.

٥ ـ زيارة الرئيس جمال عبد الناصر لليمن

عدت إلى اليمن مرة أخرى بعد ١٥ يومًا إجازة في القاهرة، وتتابعت الأحداث واستمر القتال في مختلف المناطق إما لإجبار القبائل على الولاء للثورة أو مقاومة هجمات متفرقة أو تأمين طرق الإمداد أو التواجد في أمكنة معينة لها أهمية لحماية الثورة، وهذا استدعى زيادة كبيرة في القوات المصرية وانتشارًا كبيرًا لوحداتنا في كل نواحي اليمن، وكانت قبيلة خولان في مناطق جيحانة–العرقوب–صرواح وما حولها أشد القبائل اليمنية عداء للثورة، وكان الحسن دائم التردد عليهم والإقامة معهم، وظهر تأثير الذهب والأسلحة الحديثة التي يمدهم بها في أعمال وتصرفات زعيمهم القوي المسمى الغادر، وحاولنا بكل الطرق هدايته إلى طريق السلم والسلام بالقوة مرات وبالمال والذهب المصري مرات، ولكنه كان حقًّا غادرًا! وأخيرًا قبِل مقابلة وفد مصري مكون من اللواءات المسيري وعثمان نصار وقاسم في إحدى قلاعه.

وبدأت مرحلة مفاوضات محيرة. مرة طلب أن يقابله المشير عامر شخصيًّا، ومرة يطلب أسلحة وذخائر محددة، وبالطبع كان الذهب هو العامل المشترك في كل هذه المطالب.

ولما وصل الرئيس جمال عبد الناصر لليمن في ٢٣ أبريل ١٩٦٤ وتحولت صنعاء ـ وخاصة مبنى القيادة العربية بالطرف الشمالي منها ـ إلى قبلة يتوجه إليها

كل قبائل اليمن لمشاهدة عبد الناصر، لم يحضر الغادر أيَّ لقاء مع الرئيس المصري أو حتى اليمني.

وعندما طار عبد الناصر إلى تعز في الجنوب، استُقبل استقبالًا رائعًا من قبائل الجنوب اليمني وقبائل اليمن الجنوبي. وسيحكي التاريخ نتائج هذه الزيارة وأثرها الكبير في استقرار الثورة اليمنية داخليًّا وخارجيًّا ودوليًّا. وقد أبلغت إنجلترا هيئة الأمم المتحدة أن خطب الرئيس جمال في اليمن تُسبب عدم إمكان الوصول إلى حل في موضوعات الجنوب اليمني!

٦ ـ فتح طريق الجوف الأعلى باليمن

في نهاية عام ١٩٦٥ كنت قائدًا لوحدات المظلات وقائدًا للاحتياطي العام في صنعاء، وقد استدعى الموقف إسقاط مجموعة مظليين في منطقة المطمة لدعم القوات بها للقيام بهجوم كبير لتأمين طريق الإمداد الرئيسي للجوف، وكانت قوة العميد الشاذلي في الجوف قد تحركت للعودة إلى صنعاء عن طريق المطمة-الحميدات.

وبعد مرورها قطعت مجموعة من المتمردين طريق الإمداد الرئيسي للجوف، وهو الطريق البري الوحيد الممكن إمداد الجوف منه، حيث إن طريق الشرق صنعاء-جيحانة-صرواح-مأرب مقطوع منذ فترة طويلة بكمائن قوية بين صرواح ومأرب، ويصعب وصول قوات إليها. أما الإمداد الجوي، فرغم استمراره فلم يكن بالطبع كافيًا... وقد قمت بزيارة لقوات المظلات في المطمة مستخدمًا طائرة هليكوبتر، وبمجرد وصولي إلى هناك كلفني قائد القوات العربية اللواء أ.ح أحمد فتحي عبد الغني بالبقاء في المطمة، وتولي قيادة قوات المظلات والصاعقة والقوات الأخرى المعاونة في هذه المنطقة، وفتح طريق الجوف الأعلى المطمة-الحميدات وتأمين جبل أسحر والجبل الأحمر المشرفَيْن على المضيق المؤدي إلى الجوف.

وبعد قتال استمر حوالي ثلاثة أيام وليالي متواصلة تمكنت قواتي من تأمين المنطقة وفتح طريق الإمداد الرئيسي إلى الجوف. ولم أستطع العودة إلى صنعاء إلا بعد فترة طويلة قضيتها قائدًا لهذا القطاع الكبير، إلى أن حضر المشير عامر وزار هذا القطاع، ثم استُدعينا إلى صنعاء لحضور مؤتمر كبير لقادة القطاعات في اليمن.

٧ـ حقيقة الروح المعنوية للقوات

وكان المؤتمر الكبير يضم مع المشير عامر السيد أنور السادات والفريق أول مرتجي واللواء فتحي عبد الغني، بالإضافة إلى قادة قطاعات القوات العربية باليمن.

وطلب المشير من القادة الإجابة عن ثلاثة أسئلة مهمة:

١ ـ ما هو موقف الروح المعنوية للقوات في منطقة كل قائد؟

٢ ـ الموقف الحربي والعسكري والكفاءة القتالية للقوات؟

٣ ـ موقف القبائل اليمنية ومشاكلها؟

قام القادة كلٌّ في دوره يجيب عن أسئلة المشير واستفساراته، والحقيقة كانت الإجابات تمثل صدمة نفسية لي، خاصة فيما يتعلق بالإجابة عن السؤال الخاص بموقف الروح المعنوية للقوات، فالجميع أعلنوا ارتفاع المعنويات والاستعداد للقتال. أما إجابتي عندما جاء دوري، فقد أفقدت المشير هدوءه عندما قلت إن الروح المعنوية لقواتي سيئة، فدق بيده بقوة على منضدة المؤتمرات قائلًا لي:

ـ إزاي تقول الكلام ده؟ إحنا بنقول إن قواتنا المسلحة أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط!

وكان ردي على سيادته في هدوء:

ـ إذا كنت سيادتك زعلان، بلاش أتكلم بصراحة!

وبسرعة رد عليَّ قائلًا في هدوء:

ـ لا لا، إتكلم يا منعم بصراحة قول.

ويومها تكلمت بصفتي قائدًا للمظلات وقائدًا لمنطقة الجبل الأحمر-أسحر، وقد سمح لي بأن أصدقه القول عن أسباب ردي على تساؤله عن الاستفسار الأول الخاص بالروح المعنوية والذي أجبت فيه أنها سيئة وسببت هذا الهياج، قلت بثقة وأنا جالس على مقعدي بناء على تعليماته:

ـ هناك عدة أسباب رئيسية أثرت وتؤثر على الروح المعنوية لقواتي جعلتني أصفها بالسيئة، أولها:

ـ طبيعة العدو الذي نقاتله وتميزه بالغدر والخيانة وكيف نعرف العدو من الصديق؟

- طبيعة الأرض وصعوبة التحرك عليها خاصة المنطقة الجبلية التي نعيش بها الآن، وكثرة الأحجار الصخرية بها وتأثيرها الخطير على أحذية الجنود التي تنزع نعالها من مشوار واحد إلى قمة الجبل، فتصاب أقدام الجنود من الصخور والأحجار وتَدْمَى أصابعهم، كما أنهم يعانون كثيرًا أثناء الصعود حاملين المياه والتعيينات والأسلحة والذخائر.
- عدم توافر المياه وطول المسافة وخطورتها إلى موارد المياه في الوادي ومتاعب الحصول عليها واحتمالات تلوثها بفعل العدو.
- صعوبة وصول اللحوم والخضراوات الطازجة من صنعاء إلى الموقع، وإذا وصلت فمعظمها يصل تالفًا، ولا يحصل عليها إلا المواقع القريبة من أرض الهبوط التي مهدتها للطائرات الأليوشين أو للطائرات الهليكوبتر لمصاعب ومتاعب النقل وطول المسافات إلى المواقع.
- صعوبة وصول الترفيه، سواء الصحف والمجلات أو البريد وهو الأهم، والوسيلة الوحيدة هنا للاتصال هي الراديو، علاوة على أن إذاعة القاهرة لا تصل هنا إلا نادرًا. وبالطبع مشكلة إجازات الجنود ونقلهم من وإلى مطار صنعاء لقضاء إجازاتهم بالوطن مشكلة معقدة ولا حل لها عندي.
- اختلاف حالات الطقس في المكان أو الموقع الواحد، شدة البرودة ليلًا ودوامات الأتربة الصاعدة إلى أعلى والحاملة لكل أتربة وأوساخ اليمن، وفي الوديان حرارة شديدة وفي الجبال برودة قاسية، وهذا يتطلب وفرة من البطاطين والملابس الصوفية للجنود وملابس أخرى خفيفة نهارًا. أما الأمطار والصواعق والسيول فلن أتكلم عنها، فمشاكلها يتعرض لها الجميع ويصعب التغلب عليها، وأرى صرف ضلع خيمة لكل جندي وضابط للإيواء، وهي غير متوفرة كغيرها من المهمات الضرورية. وحتى المتوفر منها فنوعه رديء أو قديم وتالف.

وهنا حدثت مناقشات كثيرة في جميع هذه النقاط التي أثيرت، وبالطبع كان هناك هجوم ولوم على القادة والضباط والجنود: «لماذا لم تطلبوا؟». أو يقال: «لقد تم صرف مهمات كثيرة ولكن إهمالكم يسبب تلفها!». ولكن المشير عامر

دافع عنا وأمر بحلول لهذه المشاكل. وخلال هذه المناقشات قلت للمشير إنني برغم هذا فقد تغلبت على بعض هذه المشاكل. فمثلًا مشكلة اللحوم الطازجة، فقد أصدرت أوامري بشراء عجول وخراف حية لجنودي من الريالات التي معي ومخصصة للقبائل والمشايخ لإعلان ولائهم الظاهري وقت قبض الريالات فقط فجنودي أولى وأفضل! وهنا سمعت همسًا وأصواتًا تقول:

ـ والله يا منعم جدع!

وآخرين يقولون:

ـ يبقى تتحاكم يا منعم!

وانتهى المؤتمر والتف حولي معظم قادة القطاعات والقادة من الزملاء يقولون:

ـ والله نفسنا كنا نقول الكلام اللي قلته، ولكن إحنا ما نقدرش نقول طبعًا يا عم... إنت مسنود والمشير بيحبك!

وقابلني الفريق أول مرتجي وقال لي:

ـ المشير عامر مبسوط منك يا منعم وبيقول إن عندك شجاعة أدبية وبيقول يا ريت باقي القادة يكونوا زيك!

والحمد لله على هذه النعمة.

ولم أحاكم إلى الآن في موضوع ريالات القبائل... ولكني كسبت الثقة والتقدير ودافعت عن رجالي حتى يمكنني أن أرد على تساؤلاتهم: «لماذا نحارب هنا؟».

٨ ـ بعض المصاعب والمتاعب والدروس المستفادة من عمليات اليمن

لقد قابلتْ قواتنا في اليمن صعوبات كثيرة منذ بداية الثورة اليمنية، ولقد كان لها تأثير خطير على كفاءة الأفراد والمعدات والأسلحة، وفي إعداد القوى والتدريب للحروب الأخرى التقليدية التي تختلف في الأسلحة والمعدات والتكتيكات عما كنا نقابله في مسرح عمليات اليمن، وكذا تختلف في العدو الذي سنحاربه والقيادة التي ستتولى توجيهه وإدارة معاركه ضدنا، واختلاف طبيعة الأرض ومناطق القتال وتغييرات الجو وعدم ملاءمة الفرد ولا الأسلحة ولا المعدات لهذا النوع من القتال إذا أردنا تسميته قتالًا.

وكان بالطبع عامل الإلمام بطبيعة السكان وعادات الأهالي والقبائل مختلفة

الطبائع والصفات وتأثير القات على صحة الرجال، خاصة من الجنود اليمنيين، وموضوع الخطاط وخطورته ونتائجه الوخيمة على الأخلاق والمجتمع، وتفشي الأمية وكراهية العلم والمعلمين والمتعلمين، وسوء الحالة الصحية للأهالي والفقر و... كل هذه الأسباب مصاعب قابلتنا ولم نعمل لها حسابًا في أول الأمر.

والحمد لله، فقد قامت القوات العربية باليمن تعاونها كل أجهزة الدولة المصرية في التغلب على كل هذه الصعاب ماديًّا ومعنويًّا، وحاربنا عنهم الفقر والجهل والمرض والتخلف ومقاومة التقاليد البالية القديمة العفنة. واليوم يشهد تقدم اليمن الشقيق على هذا المجهود الكبير الذي قامت به قواتنا في اليمن، ليس فقط في حماية ثورتها، ولكن في محاربة التخلف حتى وصلت جمهورية اليمن الشمالي إلى ما وصلت إليه الآن من تقدم وازدهار وحضارة.

٩ ـ فداء الأرواح بالذهب

قامت الثورة في اليمن في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ولم تعلن كل قبائل اليمن ولاءها للثورة في أول أيامها، وكانت الجبهة الشرقية من اليمن مملكة خاصة لقبائل خولان القوية والتي يتزعمها الشيخ الغادر. وطلب المشير السلال من القيادة العربية في اليمن ضرورة إخضاع هذه القبيلة القوية للثورة، والسيطرة على المنطقة الشرقية من اليمن، فهي مفتاح حضارة اليمن القديمة، خاصة منطقة مأرب التاريخية حيث توجد آثار مملكة سبأ القديمة وسد مأرب، كما كانت توجد في منطقة صرواح آثار الحضارة اليمنية القديمة.

وتحركت قوة برية ومعها بعض الدبابات والعربات المدرعة تدعيمًا لقوة من الصاعقة كلفت بالتقدم إلى جيحانة، ثم رأس العرقوب وصرواح ومأرب، وكان يقودها الرائد حسن عبد الغني من الصاعقة، وفي الوقت نفسه تم إسقاط قوة من المظلات في سماء صرواح بغرض تأمينها واحتلالها حتى تصل لها القوة البرية عن طريق رأس العرقوب، وللأسف هبطت عناصر المظلات في مناطق جبال صرواح وتاهت في ظلمة هذه المرتفعات، فلم تكن الخرائط الموجودة مع قائدها توضح شيئًا عن حقيقة الأرض حولهم، وتشتت الجمع على هذه الأرض العجيبة ولم نتلق أي إشارات لاسلكية أو أخبارًا عنهم طيلة فترة طويلة مؤلمة.

وحتى القول البري وقع في كمين خطير عند منطقة وعرة تسمى رأس العرقوب، وفقدنا كثيرًا من الأرواح وبالطبع عددًا كبيرًا من السيارات والمصفحات، واضطرت القوة للارتداد إلى منطقة جيحانة. وبرغم فشل هذه المحاولة في التقدم إلى صرواح، فقد تم تكوين قوة أخرى أكبر تتكون من عناصر مشاة وصاعقة ودبابات لفتح طريق رأس العرقوب والتقدم إلى صرواح ومأرب.

ولم تنجح هذه القوة أيضًا في التغلب على الكمائن القوية الخاضعة لسلطان الغادر ملك خولان، وهكذا ظلت جبهة الخولان قوية صامدة معادية للثورة اليمنية برغم ما أنفق من أموال وريالات اليمن الفضية لحل الموضوع سلميًّا وإعلان الجمهرة، أي الولاء للجمهورية اليمنية.

وقامت لجنة من اللواء عثمان نصار واللواء أحمد المسيري والعميد محمد محمود قاسم المسؤول عن القبائل اليمنية في القيادة العربية، واستطاعت اللجنة مقابلة الغادر في منطقة نفوذه في العرقوب، حيث دارت مفاوضات طويلة مملة وركب الغادر رأسه وأراد أن يُظهر قوته، وطلب أن يحضر لمفاوضته الرئيس جمال عبد الناصر شخصيًّا والمشير عامر! وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد وصل إلى اليمن واجتمع مع جميع زعماء القبائل إلا الغادر الذي أصر على إعلان التمرد ضد المشير السلال أساسًا. ولقد خيم الغضب على المشير السلال وكذا المشير عامر وقررا أن يستخدما القوة ضد هذا الغادر، فأصدر المشير عامر تعليماته بوضع الخطة الكفيلة بإخضاع قبائل الخولان وزعيمها الغادر بقوة السلاح.

وفعلًا تم تخطيط العملية بحضور رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة الفريق فريد سلامة والفريق عبد المحسن مرتجي قائد القوات العربية باليمن ومجموعة عمليات القيادة، وتم تخصيص القوات المكونة أساسًا من لواءَي مشاة تعززهما الدبابات والمدفعية وعناصر المهندسين وتعاونها قوة جوية من المقاتلات والقاذفات الخفيفة، وتم مناقشة الخطة وأصبحت جاهزة للعرض على المشير عمر الذي كان موجودًا في هذا الوقت باليمن.. والحقيقة والتاريخ لم يكن أحد من المخططين لهذه الخطة ـ وأنا منهم ـ على اقتناع بنجاح هذه الخطة التي ستكلفنا كثيرًا من الأرواح نظرًا لوعورة المنطقة وكثرة الكهوف بها وشدة بأس رجال القبائل الشرقية وعنادهم

ضد الثورة. كما أن هذه القوات النظامية ذات التسليح التقليدي لن تكون كفاءتها القتالية عالية في مثل هذا النوع من القتال.

كل هذا جعلنا جميعًا نأمل أن يرد الله المشير عامر عن غضبه ويهديه إلى قبول حل هذه المشكلة سلميًّا، ولكن أحدًا من الموجودين لا يستطيع أن يقول للمشير عامر هذا. فألهمني الله سبحانه وتعالى أن أعرض عليهم اقتراحًا بمحاولة مني مع المشير عامر للكف عن هذا الانتقام الذي سيكلفنا كثيرًا من أرواح رجال أبرياء فوافقوا. وصعدت إلى المشير عامر في مكتبه بالدور العلوي من القيادة، وقد لمست على وجهه لمحة من الإجهاد مع التفكير العميق، وأحسست أنه كان بحاجة إلى شخص يتحدث معه أو يقول له رأيه بصراحة. فأخبرته بحقيقة الموقف، وأن كل من اشترك في وضع هذه الخطة غير مقتنع بنجاحها، وأن فداء هذه الأرواح الغالية بكل ما نملك من ذهب لهو ثمن رخيص. فوافق في الحال على إلغاء الخطة، ونزلت إلى حيث كان القادة حيث بشَّرتهم بانفراج الأزمة والحمد لله.

من الرئيس جمال عبد الناصر

إلى جميع المناطق والقطاعات

يا رجال القوات المسلحة المصرية في اليمن (...)، اليوم تحقق لي بحمد الله أمنية غالية طالما تطلعت إليها وانتظرتها وسط زحام الحوادث والتطورات (...). اليوم تحقق لي أن أصل إلى أرض الجمهورية العربية اليمنية التي سبقتم إليها وسبق نضالكم في نصرتها مع دعوة الحق ومع أمل التقدم (...). اليوم يتاح لي أن أرى بعيني ما كنت أتابعه بقلبي وفكري (...). يتاح لي أن ألتقي بكتائبكم طلائع المستقبل العربي، ويتاح لي أن أرى مواقع معارككم مواقع الحرية، ويتاح لي أن أرى حيث تقدم الأبطال، وحيث سقط الشهداء من أشرف الرجال تحت أشرف الأعلام على طريق أشرف الغايات، ويتاح لي أن أرى الدور الحضاري الذي تقوم به طلائعكم بالتعاون مع الطلائع المجيدة للثورة اليمنية لكي يزاح الظلم والظلام عن آفاق هذا الوطن العربي الثائر الحر (...). يا رجال القوات المسلحة المصرية في اليمن، فقد أسعدني وأتيح لي ذلك كله في هذا اليوم الثاني من أيام عيد الأضحى الذي كرمه الله بالرمز إلى التضحية والفداء في سبيل الله وفي سبيل العقيدة (...). إن جبال

اليمن أيها الرجال البواسل تحمل قبسًا من نفس الشعلة المقدسة التي يحج إليها المسلمون في عرفات (...). على جبال اليمن أيها الرجال البواسل نفس الروح العظيمة التي أجبرت به العناية الإلهية قدوة البشر على التضحية من أجل العقيدة (...). هنا على جبال اليمن أيها الرجال البواسل نجح الإنسان في أن يتحمل أمانة ربه وأن يضحي وفاءً للرسالة الإنسانية والتقدم والسلام.

يا رجال الجيش المصري في اليمن، لسوف يثبت التاريخ أن دوركم في اليمن كان بداية للمرحلة الحاسمة في معركة الحرية ضد الاستعمار وفي معركة التقدم ضد الرجعية. بهذا الدور تأكيد فوق كل تأكيد أن الأمل العربي يملك الإرادة العربية التي تستطيع أن تناضل وأن تقاتل.

يا رجال القوات المسلحة المصرية باليمن، لقد كان عيدي الكبير أن أكون اليوم معكم وبينكم تحت أعلامكم.

جمال عبد الناصر

صنعاء في ٢٣ أبريل ١٩٦٤

الدروس المستفادة من العملية ٩٠٠٠

١ ـ إن طبيعة الحرب في اليمن لم تكن غزوًا، بل كانت لمعاونة شعب عربي شقيق، وكان على حكومة اليمن في عهد الثورة وعلى القوات العربية التي تقدمت لتحمل أمانة حماية هذه الثورة، أن تتقابل مع مجتمع قَبَلي تحكمه الخرافات والخلافات والانقسامات، ولذا سارت معارك السلاح جنبًا إلى جنب مع معارك التوعية ومحاولة إشعار الإنسان اليمني بمدى التخلف الذي يعيش فيه والسعي إلى نقله إلى ميدان الكفاح في سبيل حياة أفضل لتغيير هذا القطاع من المجتمع العربي. ولقد قامت القوات المصرية بتنفيذ المهام المكلفة بها لمساندة ثورة اليمن عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا.

٢ ـ قاتلت القوات المصرية على مسرح عمليات اليمن تحت ظروف لم يسبق لها مثيل بالنسبة لأسلوب تدريبها في مصر، وأهمها الحرب الجبلية وأسلوب قتال العصابات والكمائن الجبلية.

٣ـ عدم توافر خرائط ذات مقياس مناسب ودقيق توضح طبيعة الأرض، وطرق الاقتراب والدروب والمسالك الجبلية، وكثرة الاعتماد على الأدلاء من أهالي المنطقة، وبالطبع لا يمكن معرفة الموالي للثورة منهم من عدمه.

٤ ـ إن تسليح القوات المسلحة المصرية التي اشتركت في عمليات اليمن لم تكن بالمرونة الكافية لمجابهة القتال في المناطق، الأمر الذي استدعى تطويرها وعمل ابتكارات في التسليح والمركبات وأنواع الذخائر.

٥ ـ صعوبة السيطرة على المناطق المتسعة في اليمن أو تنظيم التعاون بين الوحدات بها.

٦ ـ صعوبة الإمداد بالمياه والطعام بصفة مستمرة في عدد من المناطق الوعرة أو التي في قمم الجبال، مما أدى إلى إدخال ابتكارات غير نمطية في أساليب الإمداد.

٧ ـ طبيعة الجو وكثرة الأمطار واختلاف درجات الحرارة والرطوبة وتيارات الأتربة المرتفعة إلى أعلى، وشدة الحرارة في مناطق وشدة البرودة في نفس المناطق المرتفعة منها، أثر كثيرًا على معنويات الرجال وصحتهم ووقايتهم، وكان لا بد من ابتكار ملابس معينة ومهمات تعاون الجندي ضد هذه الصعاب.

٨ ـ نجح أسلوب التوعية والتوجيه المعنوي وزيارات الشباب اليمني إلى مصر ومشاهدة التقدم الملموس بها، وفي عودتهم نقلوا كثيرًا من حياة التقدم الاجتماعي إلى اليمن.

٩ ـ قيام القوات المصرية بتعليم الصغار مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ الدين الحنيف، مما ساعد كثيرًا على النهوض بدعائم نهضة اليمن المستقبلة.

١٠ ـ نجحت قوافل المعاونة الصحية للأهالي وعلاجهم والرعاية بهم.

١١ ـ اضطرتنا الظروف إلى إجراء كثير من التحركات للجنود سيرًا على الأقدام مع تحميل الأسلحة والذخائر على الدواب من بغال وحمير، وهذا أعطى الجنود قدرة على الصبر والاحتمال والصمود.

١٢ ـ من الصعاب التي واجهتنا في مناطق اليمن، هي صعوبة سيطرة القائد

المحلي على قواته في قمم الجبال وفي الوديان، وبُعد المسافات بينها، مما اضطرنا إلى استخدام اللاسلكي والتأثير المنظور بالصوت أو بالبيارق أو بالإضاءة بالبطاريات والمصابيح ليلًا.

١٣ ـ ظهرت أهمية المهندسين في أعمال شق الطرق وتمهيد أراضي هبوط الطائرات العمودية أو طائرات النقل، وإنشاء وإدارة نقط توزيع المياه وحفر الآبار في عدد كبير من مناطق اليمن.

١٤ ـ ومن أبرز الدروس التي اكتسبتها قواتنا في اليمن، هو الاهتمام باللياقة البدنية للفرد المقاتل، حتى يمكنه تحمل متاعب الحياة في هذه الظروف الصعبة.



القائد في فترة راحة بين رجاله ورجال القبائل الموالين، وقد بدا بجواره الوزير الزبيري وزير التربية والتعليم اليمني في ريمة حميد. رمضان ١٣٨٢ –فبراير ١٩٦٣ (عملية فتح طريق جيحانة)



الفريق القاضي، لواء علي عبد الخبير، عميد محمد محمود القاسم، عقيد محمد تمام، عقيد عبد المنعم خليل، في مركز قيادة القوات العربية باليمن ـ أكتوبر ١٩٦٢



الاحتفال بتخريج دفعة من المظليين اليمنيين ـ عمران ـ ١٨ أغسطس١٩٦٣



مع الشيخ الغادر في أول لقاء بالعرقوب باليمن ـ ١٩٦٣



الشيخ الغادر مع اللواء عثمان نصار واللواء المسيري والعميد محمد قاسم
في اليمن (العرقوب) - ١٩٦٣



مجلس قيادة الثورة في استقبال أول فوج عائد من اليمن ـ ٢٩ أبريل ١٩٦٣



الفريق عبد المحسن مرتجي قائد القوات العربية ـ تحية لشهداء اليمن ـ مقبرة صنعاء للشهداء المصريين ـ أبريل ١٩٦٤



الرئيس جمال عبد الناصر في اليمن ـ أبريل ١٩٦٤



مقدم بكباشي محمود عبد الجبار التلت
استشهد في منطقة شمال رايده باليمن
في ٣٠ مارس ١٩٦٣



مع شيوخ قبائل مناخة عام ١٩٦٦



تحرك القائد في دبابة، بعد تدمير العربة المدرعة التي كان يستقلها، لفتح طريق جيجانة - فبراير ١٩٦٣



عميد عبد المنعم خليل يحتضن أولاده بعد عودته من اليمن - ٢٩ أبريل ١٩٦٣



المشير السلال، المشير عامر، الرئيس السادات في مطار صنعاء ـ ٢٨ نوفمبر ١٩٦٢



المشير عامر في اليمن في زيارة مجموعة اللواء مصطفى شاهين في صنعاء



اللواء أحمد إسماعيل في زيارة لليمن ـ يوليو ١٩٦٣



القائد العقيد عبد المنعم خليل مع دليل يمني في منطقة جيجانة – يوليو ١٩٦٣



أول صورة لعبد الحكيم عامر في اليمن ومعه الفريق أنور القاضي لتعيينه قائدًا للقوات، وسعد نجيب رئيس أركان اليمن، وعلي عبد الخبير أول قائد للقوات العربية في اليمن، ومعهم العقيد عبد المنعم خليل



فريق أول عبد المحسن مرتجي، قائد القوات العربية في اليمن، بين رجاله - ١٩٦٣

من العميد أ. ح عبد المنعم خليل، قائد قوات المظلات
إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر، رئيس الجمهورية
والقائد الأعلى للقوات المسلحة

يشرفني يا سيادة الرئيس وقد وصلنا إلى أرض الوطن الغالي أن أبعث لسيادتكم باسمي وباسم كل رجالي آيات الولاء والمحبة والاحترام لشخصكم الحبيب ولشعبنا العظيم.

وستظل الشعلة المقدسة التي أضاءتها قواتنا المسلحة العربية على جبال اليمن رمزًا لقدرة الجندي العربي على التضحية والفداء وفاءً للرسالة الإنسانية في التقدم والسلام.

وغدًا سترتفع أعلام الحرية والحق وتُضاء الشعلة المقدسة في فلسطين. ونعاهدك يا سيادة القائد الأعلى على أن نكون دائمًا جنود الطليعة جهادًا وفداءً وعملًا.

٨/ ٥/ ١٩٦٦

ملحق ٥

من شهداء الحب والحرب في مساندة ثورة اليمن ١٩٦٢-١٩٦٧
قصص عن أعمال وبطولات نادرة

١ ـ كان شهر أكتوبر ١٩٦٢ بداية لبعض العمليات التعرضية النشطة في اتجاه الشرق، تجاه مأرب العاصمة التاريخية الشتوية لمملكة سبأ، ويحكي هذا الشهر قصص بطولة نادرة كان أول أبطالها الشهيد النقيب نبيل الوقاد الذي قاد مجموعة قتال إلى مأرب واشتبك في كمين للعدو وظل يقاوم عدة ساعات ببسالة ساترًا باقي قوته الرئيسية أثناء احتلالها مكان، من ثَمَّ للدفاع، واستشهد البطل بعد أن حقق لوحدته الحماية وحال بين العدو وبين الوصول إلى القوة الرئيسية.

٢ ـ وفي صرواح العاصمة التاريخية الصيفية لمملكة سبأ دارت معركة بين رجال المظلات المصرية والقوات المعادية، أكدت قدرة الجندي المصري وشجاعته وتضحياته ضد عدو عنيد مخادع وضد الطبيعة القاسية على قمم الجبال الشاهقة وفي المضايق المتعددة الوعرة. وبعد نفس بطولة الشهيد مدحت سيف اليزل الذي استمر في التقدم سيرًا على الأقدام برغم خطورة جرحه من رصاص العدو إلى أن استشهد في الطريق وروى بدمائه أرضًا رفرفت عليها أعلام الحرية والحق بعد أيام قلائل من استشهاده.

٣ ـ في الأيام الأولى من شهر نوفمبر ١٩٦٢ تعرضت صعدة عاصمة الشمال في اليمن لهجمات المتمردين المتكررة، وكانت أسلحتهم تزداد قوة يومًا

بعد يوم، وكانت تتطور فنون قتالهم أيضًا وتدريبهم، وكانت صعدة صامدة قوية برجالها من الحرس الوطني اليمني ورجال القبائل اليمنية تساندهم القوة الصغيرة من رجال المظلات المصريين التي اضطرتها ظروف قطع طريق العودة عليها إلى البقاء في صعدة بعد انتهاء مهمتها في رصِّ الألغام على طريق الاقتراب إلى صعدة. وصدرت إليها الأوامر بالثبات في صعدة والدفاع عنها، وكادت المدينة تستسلم بعد أن ضيق العدو عليها الخناق لولا إمدادها جوًّا بما يلزمهم من مؤن وذخائر، وكانت القيادة تستجيب دائمًا لمطالب الأهالي من المؤن ومطالب الحياة الضرورية، حتى إن قيادة القوات العربية باليمن كانت تُسقِط لهم بواسطة طائرات الإمداد صفائح الغاز الأبيض وكثيرًا من الأدوات الطبية، بالإضافة إلى الدقيق والمعلبات وخلافه.
وبدأت القيادة العربية تدرس الموقف في الشمال وتطوره بعد أن اتضح لها زيادة قوة المتنسبين إليها، وكانت الخطة العامة تقضي بسرعة تعزيز حامية صعدة بقوات ذات كفاءة عالية في القتال تشد أزر رجالها وأهلها وتفك الحصار وتطهر المنطقة حول صعدة من هؤلاء الأعداء. وتقرر استخدام وحدة من المظلات في هذه العملية الجريئة. وقبل غروب شمس يوم ١١ نوفمبر ١٩٦٢ كان كل شيء قد تم لتنفيذ هذه العملية، وقضى قائد القوات العربية في اليمن وضباط قيادته الليل بطوله مع قوات المظلات في مطار الرحيل ومر بنفسه على كل ضابط وجندي يصافحه ويشد على يديه.
ومع أذان فجر يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٢ كانت الطائرات قد أدارت محركاتها وبدأت تأخذ أماكنها على ممر المطار الترابي وتنطلق حاملة شياطين الجو.
واتصل قائد قوات المظلات بقائد فصيلة المظلات في صعدة الذي رد عليه قائلًا:
ـ هالو وحش... كل شيء تمام.
وقبل أن يفيق أهل صعدة من أحلامهم هبط رجال الجو إلى أرض مطار صعدة، وبسرعة تمكنوا من احتلال المرتفعات المحيطة بالمطار وطردوا العدو منها، وتم تأمين المطار استعدادًا لهبوط الطائرات، وبدأ مهندسو

رجال المظلات في العمل بسرعة لتمهيد الممر حتى تتمكن الطائرات التي تحمل باقي القوة وكذا الأسلحة الثقيلة والإمدادات والعربات من الهبوط.

وفي الساعات الأولى من الصباح هبطت في مطار صعدة لأول مرة في تاريخها اثنتا عشرة طائرة من ناقلات الجنود، وكانت تهبط واحدة تلو الأخرى بسرعة وتتحرك إلى آخر الممر، ويسرع الرجال في تفريغ حمولتها وتعود مرتفعة إلى السماء مرة أخرى لإخلاء الممر لهبوط الطائرة الثانية، وهكذا... حتى تم كل شيء.

ولقد تعرضت بعض الطائرات لنيران العدو الأرضي أثناء هبوطها وصعودها، ولكن رجال المظلات استطاعوا تأمين الطائرات، وعادت جميع طائراتنا إلى قاعدتها في صنعاء سالمة والحمد لله.

وتم والحمد لله تعاون القوات الجوية المصرية وقوات المظلات الهابطين، وكذا قوة المظلات المحاصرة منذ ١٦ يومًا وتأمين صعدة تمامًا.

هذه قصص للبطولات لمن صدقوا الله والوطن ما عاهدوا عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر يؤدي الواجب ويحمي الشرف.

الفصل السادس

الجولة المصرية-الإسرائيلية الثالثة يونيو ١٩٦٧

إعداد القوى قبل ٥ يونيو ١٩٦٧

١ ـ الموقف السياسي

استغلت مصر نجاحها السياسي عام ١٩٥٧ في إقامة الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨، والتي نجحت القوى الاستعمارية والصهيونية في تقويضها، وتم الانفصال في ٢٨ سبتمبر عام ١٩٦١. وحاولت مصر كسر الحصار السياسي المفروض عليها، فعاونت الثورة اليمنية سياسيًّا وعسكريًّا منذ قيامها عام ١٩٦٢، ما كان له آثار عميقة على المخطط الاستعماري والصهيوني، ما سبَّب سخطهم على مصر. كما تتحين مصر الظروف السياسية والعسكرية في محاولة لسحب قوة الطوارئ الدولية الموجودة منذ عام ١٩٥٧ على الحدود المصرية-الإسرائيلية الشرقية، وفي منطقة شرم الشيخ التي تسيطر على الملاحة الإسرائيلية في خليج العقبة.

٢ ـ الإعداد العسكري

وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية بعد عدوان ١٩٥٦ الخطة الدفاعية قاهر للدفاع عن سيناء والحدود الشرقية لمصر، وبدأت القوات المسلحة التدريب على مهامها في هذه الخطة مع التجهيز والإعداد لتنفيذها، وبنيت الخطة قاهر على أساس منع العدو من الاختراق والوصول إلى قناة السويس، وتدمير قوة العدو التي تنجح في الاختراق، توطئة للقيام بالهجوم المضاد. وبدأ عام ١٩٦٧ بخطة جديدة للتفتيش على وحدات القوات المسلحة المقاتلة والإدارية. وقد قامت

هيئة تفتيش القوات المسلحة بتنفيذ الخطة، وكان يرأس كل مجموعة تفتيش أحد الفرقاء أول، وكان يقدم تقريره رأسًا إلى المشير عامر، وكانت توزع الملاحظات على الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة والهيئات والإدارات للإصلاح وللإمداد وحل المشاكل. والحقيقة كانت هناك بادرة إصلاح. وكنت في هذا الوقت قائدًا لقوات المظلات المصرية، وقد عادت معظم وحداتي من اليمن، وشعرت فعلًا باهتمام القيادة العامة باستكمال النقص وإعداد قوات المظلات للقتال ورفع كفاءتها القتالية.

٣ ـ الإعداد المعنوي

نشطت إدارة الشؤون المعنوية للقوات المسلحة في الإعداد المعنوي للقوات، ولكن كانت كثرة النشرات والمجلات والكتب التي تصدرها هذه الإدارة مثار تكهنات الضباط والجنود.

وللأسف ركزت هيئة تفتيش القوات المسلحة في مرور مندوبيها على الوحدات على أهمية هذه الكتب والنشرات واللوحات والشعارات، وعلى حجرات التوجيه المعنوي، وخصصت لها أكبر الدرجات في بند الإعداد المعنوي للقوات، ما دعا القادة على جميع المستويات إلى تركيز اهتمامهم على عمل ديكورات وزينات في صالات التوجيه المعنوي، وكانت كمعارض أو حفل عرس ولا تفتح إلا في أثناء التفتيش والزيارات الرسمية للقادة الكبار! وكانت الوحدات تتسابق فيما بينها كمباريات مسابقات كأس العالم في كرة القدم. وكانت مضرب الأمثال وتعليقات الضباط والجنود، وكان القادة يمولون هذه المعارض من أموال كناتين الوحدات كبند رئيسي للمصروفات حتى تظهر بالمظهر اللائق للوحدة، وينال القائد بها ثقة رؤسائه... والحقيقة أن المعنويات بصفة عامة كانت مرتفعة في الوحدات العائدة حديثًا من اليمن بفضل الإجازات وريالات اليمن، برغم أنها أصبحت أوراقًا مالية تطبع في آخر أيامها.

٤ ـ الهبوط في شرم الشيخ

في يوم ١٤ مايو ١٩٦٧ أعلنت حالة الطوارئ في القوات المسلحة، ورفعت درجة الاستعداد إلى الحالة القصوى وبدأت هيئة التنظيم والإدارة في استدعاء الاحتياط، وعقدت مؤتمرات لاستكمال النقص في الأفراد والمعدات والتسليح

والذخائر في كل وحدات القوات المسلحة. وصدرت الأوامر بتنفيذ تعليمات الدفاع الجوي السلبي والإيجابي بالانتشار والوقاية للوحدات والمعدات والعربات. وبدأت عملية إعداد القوات المسلحة لشيء ما... وفي مساء يوم ١٩ مايو ١٩٦٧ استدعيت بصفتي قائدًا لقوات المظلات إلى القيادة العامة للقوات المسلحة، وقابلت الفريق أنور القاضي رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، واللواء بهي الدين نوفل نائبه، حيث كلفت ـ بناء على تعليمات المشير عامر ـ بمهمة لم تكن في الحسبان! ولم تكن في الخطة العامة للقوات المسلحة، سواء الخطة الدفاعية أو الهجومية بالنسبة لقوات المظلات! وكانت المهمة تأمين منطقة شرم الشيخ، بغرض حرمان العدو من الاستيلاء عليها، وغير مسؤول عن الملاحة في المضائق. على أن تكون القوات في مواقعها قبل أول ضوء يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧.

وقابلت الفريق أول محمد فوزي رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة لتأكيد المهمة، وطلب مني المرور على الفريق أول صدقي محمود قائد القوات الجوية والدفاع الجوي لتنسيق خطة التحرك الجوي إلى منطقة شرم الشيخ هذه الليلة. والحقيقة أن هذا القائد قد ساعدني كثيرًا وأزال كل العقبات أمامي، وخصص أكبر قدر ممكن من المجهود الجوي للنقل إلى مطارَيْ شرم الشيخ والطور. وله مني ومن كل رجال المظلات هو ورجال القوات الجوية المصرية البواسل المخلصين كل التقدير والاحترام.

وفي الطريق إلى مركز قيادتي في أنشاص، وضعت فكرة خطة التحرك جوًّا، فلم يكن أمامي إلا أقل من ٧ ساعات حتى تطلع شمس اليوم التالي.

والحمد لله، فقد تم التحرك حسب الخطة الموضوعة، ووصلت إلى مطار شرم الشيخ أول ضوء يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧ مع أول طائرة مع وحداتي ومعي رئيس العمليات المقدم أ.ح محمود عبد الله، وللأسف لم نكن قد سبق لنا استطلاع أو زيارة هذه المنطقة من قبل. ولكن قابلنا قائد موقع الحدود في المطار، ومنه علمت أن قوات الطوارئ الدولية ما زالت في المنطقة، ولم تُخْلِ الموقع الذي يصلح لاتخاذه مركزًا للقيادة إلا بعد حوالي ٢٤ ساعة! وخلال هذه الفترة اتخذت من مقر ضابط الحدود مقرًّا مؤقتًا لنا.

وقمت بالاستطلاع وتخصيص المهام لوحداتي، وكانت الوحدات تصل تباعًا سواء قوات منقولة جوًّا إلى مطارَيْ شرم الشيخ أو الطور أو تصلنا من مطار الغردقة. وفي الأيام التالية بدأت قولات العربات والدبابات بأنواعها والمصفحات ثم الإمدادات تصل إلى المنطقة بدون خطة موضوعة! وبعض القوات كانت قد وصلت إلى الطور، ثم صدرت إليها أوامر بالعودة إلى السويس، ثم تغيرت الأوامر مرة أخرى بالعودة إلى الطور!

٥ ـ خطة تأمين منطقة شرم الشيخ

خططت القيادة العامة للقوات المسلحة الخطة قاهر التي كانت تنص على قيام اللواء الرابع المشاة المدعم باحتلال وتأمين منطقة شرم الشيخ، وأن تتم السيطرة على هذه القوات من القيادة العليا في القاهرة مباشرة. ولكن ما خطط لم ينفذ! وأصدرت القيادة توجيهات بتجهيز قوة من المظلات لاحتلال شرم الشيخ على وجه السرعة.

وتحركت وحدات وأسلحة ومعدات وعربات مقاتلة وإدارية وورش متخصصة، ولم يسبق لهذه الوحدات العمل معًا لا في هذه المنطقة أو غيرها، وبالطبع لم يتم تنظيم التعاون بينها.

وكانت الوحدات حائرة في الجو أو على الأرض، وعلى سبيل المثال لا الحصر هبوط طائرتَي نقل إلى أرض الهبوط في شرم الشيخ قبل غروب يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ يقودهما طياران سعوديان وتحملان كتيبة صاعقة بحرية مصرية بقيادة المقدم هلودة، الذي أفادني أنه كان في مهمة إلى مطار الغردقة، ولكن صدرت له الأوامر وهو في الجو بالهبوط في مطار شرم الشيخ! وكانت مشكلة إيواء هذه الوحدة وإعاشتها من المشاكل الكثيرة التي واجهتني كقائد منطقة منفصلة، وظهرت آثارها الخطيرة عندما صدرت لنا الأوامر بالانسحاب غرب القناة يوم ٦ يونيو ١٩٦٧.

وكانت منطقة شرم الشيخ ميدانًا لزيارة كبار رجال القوات المسلحة لفترات قصيرة للتعرف على مطالبي وتحقيقها بناء على أوامر المشير عامر.

ولقد تغيرت خططي يومًا بعد يوم، بل أكثر من مرة في اليوم، لأن وصول وحدات جديدة بطريقة مفاجئة يحتم تعديل الخطة وطلب تصديق جديد عليها من المشير

عامر! وبدأت رحلة المكوك بين المشير عامر وبيني يقوم بها ضباط مكتبه المقدم العرابي والمقدم صلاح عبد الحليم ومدير مكتب المشير للشؤون البحرية العميد بحري محمود فهمي عبد الرحمن. كما كان يرسل لي رسائل شفهية مع كبار القادة مرة مع الفريق أول هلال عبد الله ومرة مع الفريق عبد المنعم رياض. كما فوجئت مرة بوصول اللواء مصطفى الجمل وبقائه معي يتابع أعمالي وتصرفاتي حتى صباح ٥ يونيو ١٩٦٧، ولم أره حتى نهاية الحرب! وما زلت حائرًا للآن عما كان في فكر المشير عامر عن مهمة اللواء الجمل.

والحقيقة أن كل طلباتي كانت تجاب فورًا سواء كانت أسلحة أو معدات أو أفرادًا أو إمدادات، وكانت تصل بأسرع ما يمكن ومعظمها يصل بطريق الجو، وبعضها الآخر يصل إما بطريق البر أو البحر. ولقد طلبت باخرة مياه عذبة ووصلتني الباخرة «تالودي» للمعاونة في تكديس مياه لمنطقة شرم الشيخ، حيث لم يكن بها مياه عذبة إلا عن طريق المرشحات الموجودة منذ أيام البوليس الدولي، أو التي أرسلت للمنطقة كوحدات ترشيح متحركة لتمد المنطقة بالمياه العذبة كل في مواقعه.

٦ ـ إعداد قوات شرم الشيخ للقتال

بمجرد الانتهاء من الأعمال الرئيسية الخاصة بالإمداد والتموين والتجهيز الهندسي للمعدات والأسلحة وتخصيص المهام للوحدات والأسلحة المعاونة وللقوات البحرية والجوية وحرس الحدود، بدأت في تنظيم التعاون عمليًّا بين القوات. وفي تصور لأعمال العدو المحتملة وأعمالنا المضادة، أجريت اختبارات الخطط المختلفة عمليًّا وواقعيًّا بالذخيرة الحية.

كما صورت معركة إبرار جوي على شرم الشيخ واستخدمت الأسلحة المضادة للطائرات والمضادة للدبابات لوضع الخطط والاحتمالات موضع التنفيذ العملي، مستفيدًا من تجارب عمليات العدو ضد قواتنا في شرم الشيخ عام ١٩٥٦، حيث تمكنت قوة فصيلة مشاة من إيقاف تقدم لواء مدرع للعدو الإسرائيلي متقدمًا من «إيلات» في اتجاه نبق–شرم الشيخ عبر مضيق كيد.

وقد عينت نفس الضابط قائد الفصيلة المشاة عام ١٩٥٦ قائدًا لقوات مضيق كيد ضمن خطة تأمين شرم الشيخ، وهو الرائد أ.ح طلعت حرب حسن رسمي، فقد كان

ضمن رجال المظلات تحت قيادتي. كما تم اختبار شبكات الاتصال اللاسلكي، واستخدام بعض خطوط التلفونات القديمة مع ربط بعض الوحدات خطيًّا لسهولة الاتصال. واستمر مروري على الوحدات يوميًّا نهارًا وليلًا وفي أوقات متفرقة، وإجراء اختبارات عملية للوحدات بتصوير مواقف إبرار بحري أو جوي أو هجوم أرضي واختبار قدرة القيادة وقدرة النيران وكفاءة الاتصال.

٧ ـ دورية جزيرة «تيران»

صدرت لي أوامر شخصية من المشير عامر باستطلاع جزيرة «تيران» ووضع دورية بها للإنذار والمراقبة، وتم استطلاعي للجزيرة واختيار أمكنة للاستطلاع والمراقبة، وتم تعيين دورية ثابتة بقيادة ضابط وتم نقلها بطائرة هليكوبتر، واحتلت مواقعها ومعها تكديسات إدارية، ولكن المشكلة في استمرار إمدادها جوًّا لأن الطائرة الوحيدة المخصصة لي للتحرك والاستطلاع تصلنا من الغردقة عبر خليج السويس والبحر الأحمر وكانت غير منتظمة. أما الإمداد البحري فكان لا يقل صعوبة لأن اللنشات البحرية وحتى قوارب الصيد المستخدمة لأعمال المراقبة والإنذار لم تتمكن من الوصول إليهم، لشدة الأمواج والتيارات وكثرة الصخور حول الجزيرة. ولما صدر لي أمر بالانسحاب لم أستطع إنقاذهم لعدم وصول الطائرة الهليكوبتر من يوم ٤ يونيو ١٩٦٧، ولم تستطع أيٌّ من لنشات البحرية وحتى قوارب الصيد الاقتراب منهم والوصول إلى شاطئ الجزيرة، وأخطرت القيادة العامة بفشل مجهود إنقاذهم وإعادتهم، وللأسف وقعوا جميعًا في الأسر بعد انسحاب قواتي من المنطقة، برغم أني علمت أن القيادة العامة أخطرت السلطات السعودية لنقلهم قبل وصول الإسرائيليين إليهم.

٨ ـ تجارب الإبرار البحري

ومن ضمن خطة إعداد القوات للقتال كانت عملية إبرار بحري للمشاة والدبابات في نبق على ساحل خليج العقبة، وأرسلت لنا القوات البحرية ثلاث ناقلات دبابات تسع كل واحدة منها ٣ دبابات خلاف عناصر المشاة بأسلحتها للقيام بهذه المهمة.

ولكن للأسف لم تنجح إلا ناقلة واحدة في الوصول إلى أهدافها على الساحل جنوب نبق، لرداءة الأحوال الجوية في الخليج في هذه الفترة، ولكن كسبنا تدريب

القوات على التحميل والتحرك بحرًا، وكان لهذا أثر كبير ساعدنا عند تنفيذ خطة الانسحاب بحرًا بنجاح فيما بعد.

وفي ليلة ٣-٤ يونيو ١٩٦٧ حلقت فوقنا طائرة نفاثة، أعتقد أنها طائرة استطلاع وتصوير ليلي، وقبل أول ضوء يوم ٤ يونيو كنت قد أصدرت أوامري بالانتقال إلى المواقع التبادلية للأسلحة والمعدات الثقيلة، والحمد لله لم يحدث بعدها أي إغارات أو خسائر.

٩ ـ خطة خداع

لقد فكرت في خطة خداع على مستوى منطقتي، وأمرت بإقامة معسكر خيام كبير على شاطئ الخليج شمال رأس نصراني، أقامته قوات الصاعقة البحرية، وهدفي هو جذب نيران العدو الجوي إليه وتحويلها عن اتجاه قواتي الرئيسية التي أخفيتها في بطون الجبال المحيطة بأرض القتال في منطقة المضيق. كما وضعت بمعسكر الخيام عددًا من حمالات اللهب القديمة التي وجدتها شبه مدمرة في جبل عايدة، وكذا عربات مدرعة منذ عدوان ١٩٥٦.

وأصدرت أوامري بإجراء تحركات للدبابات داخل هذا المعسكر وحوله نهارًا، لتكون واضحة للاستطلاع الجوي أو السفن العابرة للمضيق كأنها معسكرات حقيقية حية.

١٠ ـ اقفل ـ لا تقفل!

في يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ وصلتني برقية من المشير عامر تفيد بأن أنتظر منه رسالة مهمة سيرسلها مع العميد بحري أ.ح محمود عبد الرحمن فهمي مدير مكتب المشير للشؤون البحرية، الذي وصل إلى مطار شرم الشيخ بطائرة خاصة، وسلمني تعليمات المشير عامر. وهي تفيد بمسؤوليتي الشخصية في قفل خليج العقبة ضد مرور السفن الإسرائيلية، حتى ولو كانت في حراسة سفن مقاتلة. وشرح في رسالته أسلوب الإنذار أولًا ثم أسلوب المنع الفعلي فيما بعد التحذير والإنذار.

وقد استدعى هذا الأمر إجراء تعديلات في بعض الخطط، لأن هذا معناه الحرب واحتمال الاشتباك الفعلي مع القوات المعادية برًّا وبحرًا وجوًّا. وقمت

بإجراء التعديلات الضرورية للخطة، وتم تنظيم التعاون بين قواتي والقوات البحرية ومجموعة التعاون الجوي.

وفي اليوم التالي مباشرة فوجئت بعودة العميد محمود مرة أخرى حاملًا تعديلًا آخر: لا اعتراض على مرور السفن الإسرائيلية إذا كانت في حراسة سفن مقاتلة إسرائيلية أو أجنبية، ولا اشتباك مع السفينة أو السفينة الحربية حتى ولو كانت السفن المحروسة ترفع العلم الإسرائيلي.

١١ ـ تعليمات قفل مدخل خليج العقبة

١ ـ يقفل مدخل خليج العقبة اعتبارًا من باكر ٢٣ الجاري أمام السفن التي تحمل العلم الإسرائيلي، وكذلك ناقلات البترول على اختلاف جنسياتها والمتجهة إلى إيلات.

٢ ـ يسمح للسفن الخارجة من الخليج على اختلاف جنسياتها بالخروج.

٣ ـ يقوم لنش طوربيد نهارًا والسفينة «رشيد» ليلًا بمعارضة السفن التي تحمل العلم الإسرائيلي، وكذلك ناقلات البترول من الجنسيات المختلفة المتجهة إلى «إيلات» في المنطقة جنوب خليج العقبة لتحذيرها من دخول الخليج.

٤ ـ إذا لم تستجب إحدى السفن المذكورة إلى تحذير لنش الطوربيد نهارًا أو السفينة رشيد ليلًا، يقوم لنش الطوربيد أو السفينة رشيد بإبلاغ قائد منطقة شرم الشيخ باسم السفينة وموعد وصولها إلى مضيق «تيران».

٥ ـ عند وصول إحدى هذه السفن إلى مضيق «تيران» تقوم المدفعية بضرب طلقة إنذار أمام السفينة مع تحذيرها بواسطة محطة الإشارة البحرية. ويصير تكرار الضرب للتحذير أمام السفينة مرة أخرى إذا لم تستجب للطلقة الأولى.

٦ ـ إذا لم تستجب السفينة إلى طلقتَي الإنذار يصير ضرب السفينة بغرض تعطيلها أولًا ثم إغراقها إذا لم تمتثل.

٧ ـ يصرح بالمرور للسفن التي تحرسها سفن حربية ولا يتم الاعتراض أو الاشتباك مع السفينة أو السفن الحربية.

١٢ ـ مهمة قصف ميناء إيلات

في يوم ٤ يونيو ١٩٦٧ أخطرني قائد المجموعة البحرية بأنه تم تكليف القوات

البحرية بمنطقة شرم الشيخ بمهمة قصف ميناء «إيلات» بحرًا بواسطة مدمرتين ليلة ٤–٥ يونيو. وقد تحركت المدمرتان وعبرتا مضيق رأس نصراني بعد منتصف الليل واقتربتا من ميناء «إيلات».

وفجأة صدرت لها الأوامر بإيقاف تنفيذ المهمة والعودة!

وأحمد الله أنها استطاعت العودة ليلًا عبر المضيق ونجحت في تجنب القصف الجوي أو البحري الإسرائيلي، وبالطبع لم تخصص لها القيادة غطاء جويًّا في هذه العملية. لماذا هذه الحيرة؟!

١٣ ـ المظاهرة البحرية–البرية

هبطت في مطار شرم الشيخ صباح يوم ٣١ مايو ١٩٦٧ طائرة نقل عسكرية تقل عددًا كبيرًا من رجال الإعلام ومعهم ضباط من إدارة التوجيه المعنوي والشؤون العامة للقوات المسلحة، بغرض تسجيل بالصوت والصورة عدة نشاطات في المنطقة تظهر استعداد القوات للقتال وتسجيل لقاءات مع الضباط والجنود في حياتهم الطبيعية والمعيشة اليومية مع التدريب القتالي.

وقد طلبت القيادة العامة تصوير عملية تحميل حاملات نقل الجنود البحرية بالمدرعات والمشاة والأسلحة من ميناء شرم الشيخ والتحرك عبر مضيق «تيران» وصنافر، والإبرار البحري لهذه القوات في منطقة نبق شمال الخليج، وأن يتم تصوير كل هذه المراحل وتسجيلها لتكون جاهزة للعرض في جميع وسائل الإعلام المصري والعالمي كمظاهرة عسكرية تمثل فيها إمكانيات القوات المسلحة المصرية وقدراتها. وتم إجراء هذه المظاهرة وتسجيلها، ولكني للأسف الشديد لم أقرأ أو أشاهد هذا الريبورتاج الضخم!

الاثنين ٥ يونيو ١٩٦٧

١ ـ القلق

مرت الساعات الأولى من صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ دون أن ندري ونحن في مواقعنا في شرم الشيخ عن أحداث هذا الصباح الخطير شيئًا، وجاءت إشاعات ربما تكون سمعت من الإذاعات بأن إسرائيل قامت بضربة جوية مركزة بقواتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية العربية المتحدة
القيادة العليا للقوات المسلحة

سري للغاية

صورة رقم ( )

الرقم ١٣٠ /

تعليمات قفل مدخل خليج العقبة

١ـ يقفل مدخل خليج العقبة اعتبارا من باكر ٢٣ الجارى أمام جميع السفن التى تحمل العلم الاسرائيلى وكذلك ناقلات البترول على اختلاف جنسياتها والمتجهة الى ايلات .

٢ـ يسمح للسفن الخارجة من الخليج على اختلاف جنسياتها بالخروج .

٣ـ يقوم لنش طوربيد نهارا والسفينة رشيد ليلا بمعارضة السفن التى تحمل العلم الاسرائيلى وكذلك ناقلات البترول من الجنسيات المختلفة المتجهة الى ايلات فى المنطقة جنوب خليج العقبة لتحذيرها من دخول الخليج .

٤ـ اذا لم تستجب احدى السفن المذكورة الى تحذير لنش الطوربيد نهارا أو السفينة رشيد ليلا ـ يقوم لنش الطوربيد أو السفينة رشيد بابلاغ قائد منطقة شرم الشيخ باسم السفينة وموعد وصولها الى مضيق تيران .

٥ـ عند وصول احدى هذه السفن الى مضيق تيران تقوم المدفعية بضرب طلقة انذار أمام السفينة مع تحذيرها بواسطة محطة الاشارة البحريه . ويصير تكرار الضرب للتحذير أمام السفينة مرة أخرى اذا لم تستجب للطلقة الأولى .

٦ـ اذا لم تستجب السفينة الى طلقتى الانذار يصير ضرب السفينة بغرض تعطيلها أولا ثم اغراقها اذا لم تمتثل .

٧ـ يصرح بالعبور للسفن التى تحرسها سفن حربيه ولا يتم الاعتراض أو الاشتباك مع السفينة أو السفينه الحربيه [illegible]

مشير / محمد عبد الحكيم على عامر
نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة

٢١/٥/١٩٦٧م

م.ع اشارة رقم ٤٠٦ [illegible]
٢٢/٥/٦٧

سري للغايه

تعليمات قفل مدخل خليج العقبة

الجوية على جميع مطاراتنا في الدلتا وما حولها، ودمرت كل طائراتنا ومطاراتنا بها. وكان موقفنا في منطقة مسؤوليتي في قطاع شرم الشيخ عاديًّا، ولم تظهر أي طائرات معادية أو صديقة في الجو. وعلمنا أن مطار الغردقة دمر أيضًا، ولهذا لم تصل الطائرة الهليكوبتر المخصصة لأعمال قائد المنطقة للاستطلاع والتحركات الداخلية. وكان موقف معنويات رجالي عاديًّا، وكانت الأمور تسير بطريقة هادئة، ولكن الإذاعات المختلفة بدأت تحمل إلينا أسوأ الأخبار. وحاولت أن أخفي ما بداخلي من حزن وألم حتى لا يشعر رجالي بشيء غير عادي وأقول لنفسي: هل تستطيع إسرائيل هدم هذا البناء الضخم من مطارات وطائرات وأسلحة ومعدات ثم معنويات بهذه القدرة والسرعة؟

وبعد ظهر يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وصلتني برقية من المشير عامر يقول فيها: «إن موقف الطيران سيئ»، وأشاع هذا النبأ الرسمي الأول كل اليأس في نفوسنا جميعًا، وبالطبع لا يمكن إخفاء هذه الأنباء عن الرجال.

وكان كل تفكيري بعد هذا ينحصر في أهمية الدفاع الجوي السلبي، أي الانتشار، والوقاية في مناطق تحقق ذلك لحماية رجالي وأسلحتي. وبدأت أمر على وحداتي طوال يوم ٥ يونيو أوصيهم جميعًا بالاستعداد للقتال في أي لحظة مع الإخفاء والوقاية.

وأصدرت أوامري بأن تكون العربات جميعها بها اكتفاء ذاتي لثلاثة أيام على الأقل من زيوت وشحوم ووقود ومياه وتعيينات. وللأسف لم أفكر في إيقاف قولات المياه إلى الطور التي تحركت مع الفجر حتى نستكمل خطة تكديس المياه. وكانت ليلة ٥-٦ يونيو ١٩٦٧ ليلة رهيبة في تاريخ حياتي قضيتها في مركز قيادتي المتقدم في جبل عايدة لأكون على رأس قواتي الضاربة والاحتياطية. وكان القلق والخوف هما المسيطران عليَّ.

٢ ـ تطور الموقف

الموقف يتطور بسرعة عجيبة ولا ندري حقيقة ما يحدث أو ما سيحدث لمصر الغالية عامة، وللقوات المسلحة خاصة. ومع الساعات الأولى من صباح ٦ يونيو جاءت أخبار من الإذاعات تفيد أن الدول العربية بدأت تعلن الحرب على إسرائيل.

وكان كل همي حماية قواتي وتأمين رجالي والاطمئنان على درجة استعدادهم وعلى الاكتفاء الإداري للفرد والمعدة والعربة والسلاح.

وقد قمت بجولة مررت فيها على جميع قواتي من أقصى الشمال حتى مضيق كيد، إلى رأس محمد وقطاع شرم الشيخ، وعدت إلى مركز قيادتي المتقدم حوالي الساعة الخامسة والنصف بعد ظهر يوم ٦ يونيو، وصعدت إلى سفح جبل عايدة للاستراحة والتأمل والتفكير في الموقف. ولكن مر بخاطري شعور عجيب: إن في الأمر شيئًا. فقلت للنقيب سلامة العجرودي وهو يجلس بجواري:

ـ إنني أشعر أنه سيصلني الآن رسالة بها أمر انسحاب إلى غرب القناة!

الانسحاب

١ ـ أوامر العودة إلى الغرب

قبل غروب يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ وصلتني برقية من القاهرة تحمل توقيع مسعد الجنيدي ضابط شفرة القيادة العامة، تفيدني بالاستعداد لتلقي برقية مهمة من المشير عامر. وبعد حوالي ٢٠ دقيقة طويلة مملة وصلت برقية المشير عامر تقول:

الرجوع الليلة بقواتك إلى غرب القناة على مرحلتين وليلتين.

المرحلة الأولى... إلى الطور.

المرحلة الثانية... إلى غرب قناة السويس.

ومطلوب برقية مني توضح قراري للعودة إلى غرب القناة. وكانت الساعة قد تعدت السادسة بقليل واقترب موعد الغروب، فأصدرت أوامري الشفهية للقادة بالاستعداد للتحرك إلى غرب القناة الليلة بأقل حمولة ممكنة مع التأكد من الاكتفاء الذاتي للقتال وللمعيشة ثلاثة أيام على الأقل، وتدمير كل المعدات التي لا نستطيع سحبها معنا أو دفنها في الجبال. وعدت إلى مركز القيادة الرئيسي في شرم الشيخ ومعي رئيس عملياتي المقدم محمود عبد الله.

٢ ـ إخلاء منطقة شرم الشيخ

أصدرت أوامري إلى قائد المجموعة البحرية بتحميل الوحدات والعناصر الإدارية وكتيبة الصاعقة البحرية وأفراد القوات الجوية والشؤون العامة والإعلام وكل الأفراد الذين ليس لديهم حملة للنقل على الناقلات البحرية. والحمد لله

فقد استوعبت هذه الناقلات كل هذا العدد الكبير من الأفراد، وتمكن قادتها من الإبحار بأمان من ميناء شرم الشيخ ليلًا، وكانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف مساء يوم ٦ يونيو، وإني أشكر الله سبحانه وتعالى لأن تمثيلية المظاهرة البحرية كانت سببًا في وصول هذه الناقلات الثلاث إلى شرم الشيخ.

وإني أنتهز هذه الفرصة وأنا أُدوِّن مذكراتي وأوجه الشكر والتقدير والاحترام إلى قادة هذه الوحدات البحرية الذين تمكنوا بوطنية صادقة وقدرة فنية من تخطي عقبات التحرك الليلي عبر الممر المائي في خليج شرم الشيخ ثم المضيق إلى البحر الأحمر.

ووضعت مع رجال مركز قيادتي خطة تحرك الوحدات لتنفيذ العودة إلى الغرب، على أن تتم كل التحركات ليلًا، وألا يكون هناك أي تحرك نهاري. كما تم وضع خطة لنسف المفرقعات والذخائر والألغام المشونة في الجبال شمال شرق شرم الشيخ، وكلفت رئيس مهندسي المنطقة بعدم النسف إلا بأوامر مني شخصيًّا.

وأرسلت برقية إلى المشير عامر بقراري للعودة إلى الطور الليلة كمرحلة أولى، ثم من الطور إلى غرب القناة في الليلة التالية ٧–٨ يونيو.

وبدأت الوحدات في تنفيذ خطة التحرك بهدوء وانتظام، وحسب جدول التوقيتات الذي وضعه المقدم محمود عبد الله رئيس العمليات الذي كلفته بمهمة الإشراف على التنفيذ، وكنت على اتصال به بصفة مستمرة حيث كان يخطرني أولًا بأول بتمام عبور الوحدات من أمام بوابة القيادة.

في حوالي الساعة العاشرة من مساء يوم ٦ يونيو حدثت انفجارات مروعة أشعلت الحرائق في منطقة شرم الشيخ، أحدثت ارتباكًا في خطة التحرك للوحدات، مما اضطرنا إلى تعديل في خطة التحرك لبعض الوحدات، ولكن بعض الوحدات نفذت تحركاتها في غير توقيتاتها ظنًّا منها أن العدو الإسرائيلي قد تدخل في خطة الانسحاب بقصف جوي ليلي أو بهجوم أرضي! وكان سبب هذا الارتباك هو عدم إطاعة الأوامر من رئيس المهندسين الذي أعطى أمر النسف دون إذن مني شخصيًّا. وبرغم هذا فقد نفذت الوحدات المرحلة الأولى من التحرك إلى الطور وإخلاء مناطق رأس محمد ورأس نصراني ومضيق كيد بانضباط ودقة. وكانت مجموعة

التفتيش خلف القوات أفادت بوجود مدفع هاون ثقيل في منطقة جبل عايدة تركه قائد كتيبة المدفعية سهوًا، فأرسلت النقيب مهندس أحمد السيد والنقيب مظلي أحمد ناجي بعربتي الجيب الحربي إلى الموقع للعودة بالهاون الثقيل، وتم فعلًا سحب الهاون وتسليمه إلى قائد الكتيبة في الطور. تحية خاصة مني إليهما وإلى كل رجالي الأوفياء.

وبعد انتهاء عبور كل وحداتي من نقطة العبور أمام بوابة قيادة قوات شرم الشيخ بما فيها سرية المدفعية الساحلية الثقيلة والدبابات، وأفادني رئيس العمليات بتمام القوات، تركنا شرم الشيخ معًا في عربتي الجيب. وكانت الساعة حوالي الواحدة والنصف قبل فجر ٧ يونيو ١٩٦٧ ونحن في الطريق إلى الطور...

٣ ـ الوصول إلى الطور

وصلنا الطور فجر يوم ٧ يونيو، وهناك على الطريق قابلنا الرائد الشهاوي من قوات المظلات والذي رسمت له خطة التحرك والإيواء في الطور يوم ٧ يونيو على نصف فرخ فولسكاب أو أقل، ليهدي الوحدات إلى أماكنها في الانتشار بالطور، ونجح في ذلك.

ولما وجدت أن وحدات كثيرة قد وصلت الطور والنهار لم يبدأ بعد، أصدرتُ أوامري لبعض الوحدات بالاستمرار في التحرك إلى غرب القناة رأسًا، واتباع الانتشار قبل الظهر حتى المساء في منطقة أبو زنيمة أو أي مناطق يجدها القائد مناسبة لتحقيق الوقاية نهارًا، وسعدت بصلاة الفجر في مسجد الطور مع زملائي، وكانت المياه متوفرة ولكن المنازل كلها مهجورة.

وفي أول ضوء ٧ يونيو ١٩٦٧ مررت ومعي رئيس العمليات على الوحدات المنتشرة في الطور لتأكيد تفهم المهام وتنظيم الدفاع عن منطقة التجمع الجديدة واتباع الوقاية والانتشار وإعادة الملء وسحب ما نحتاج إليه من مواد إعاشة من تكديسات الشؤون الإدارية بالطور. ويؤسفني أن أدون هنا في شريط ذكرياتي، أنني لم أجد أحدًا من المسؤولين في الطور، لا رئيس المدينة ولا أحدًا من الأهالي، وحاولت الاتصال بمصر من تلفون رئاسة المدينة ولم يكن يعمل. وحتى قائد القاعدة الإدارية لم أجده! ولم أجد بالطبع لا ضباطًا ولا جنودًا، ووجدت

التكديسات الهائلة في القاعدة الإدارية كما هي ولم يُتخذ أي إجراء للتخلص منها بالحرق أو النسف.

وفي الساعة الثامنة صباح يوم ٧ يونيو ١٩٦٧ حلقت في سماء الطور طائرتا استطلاع إسرائيليتان، وكان هذا إنذارًا لقواتي باحتمال تدخل العدو الجوي الذي بدأ فعلًا حوالي الساعة الثانية بعد الظهر، وهذا من رحمة الله بنا أن تأخرت هذه الإغارات الإسرائيلية هذه الساعات الست، ما أعطى قواتي المنسحبة غربًا فرصة للوصول إلى مشارف قناة السويس دون تدخل من العدو، وأعطى قواتي المنتشرة في الطور فرصة أكبر للانتشار ومحاولة الاستفادة من السواتر في المنطقة والجبال المحيطة بالطور في الوقاية وتوزيع الأسلحة والمعدات، خاصة الدبابات الباقية معنا للدفاع عن مطار الطور وحرمان العدو من استخدامه، وتوزيع أسلحة الدفاع الجوي للاشتراك في حماية قواتنا على قدر ما تسمح به طاقتها.

وبدأ القصف الجوي الإسرائيلي على قواتنا في الطور مستخدمًا النابلم والقنابل الحارقة والصواريخ اعتبارًا من الساعة الثانية بعد الظهر حتى آخر ضوء يوم ٧ يونيو ١٩٦٧، وكانت خسائرنا والحمد لله قليلة في الأفراد كثيرة في المعدات، وتركزت معظم الخسائر على طول طريق الطور-أبو زنيمة، وعلى الوحدات التي حاولت التحرك إلى الغرب نهارًا بدون أوامر ومخالفة لأوامري التي تقضي بعدم التحرك إلا ليلًا.

٤ ـ إخلاء منطقة الطور

بعد هدوء الحال أصدرت أوامري للوحدات بتنفيذ المرحلة الثانية بالتحرك إلى غرب القناة، وتم لرئيس العمليات المقدم أ.ح محمود عبد الله تنظيم تحرك الوحدات بأسلوب به وقاية وأكثر حذرًا، لاحتمال مقابلة العدو في هذا الجزء من الطريق، كما تم تعيين مؤخرة للقول من الدبابات المتوفرة لدينا ومعها عناصر مشاة للحماية. وركبت عربتي الجيب ومعي رئيس العمليات وضابط الاتصال والحرس، وكنا على رأس مجموعة المؤخرة، وتركنا الطور حوالي الساعة التاسعة والنصف مساء يوم ٧ يونيو ١٩٦٧، وكان احتمال مقابلة العدو في أي لحظة موجودًا حسب تصوري للموقف.

وقبل وصولنا إلى أبو زنيمة وحوالي الساعة العاشرة والنصف مساء، فوجئنا بعربة متقدمة نحونا إلى اتجاه الطور، وإذا هي عربة جيب روسي بأربعة أبواب وبها المقدم أ.ح صلاح الدين عبد الحليم، أرسله المشير عبد الحكيم عامر لمقابلتي، وأخطرني أن المشير قلق علينا ويريد أن أتصل به تلفونيًّا فور وصولي إلى الغرب، ومنه أخذت فكرة عن الموقف السيئ الذي وصلت إليه قواتنا المسلحة.

وواصلنا السير معًا حتى وصلنا معبر الشط حوالي الساعة الخامسة صباحًا يوم ٨ يونيو ١٩٦٧، وفوجئت بأن قواتي التي عبرت غربًا كلفت بمهام منوعة في مناطق متفرقة، جزء إلى الإسكندرية وآخر إلى القاهرة وعناصر إلى القنطرة، ولا أحد يدري شيئًا.

فكرة عامة عن الخطة الإسرائيلية لمهاجمة قطاع شرم الشيخ

أفادت تقارير المخابرات الحربية يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ أن العدو الإسرائيلي يحشد قوات في ميناء «إيلات»، ونشطت أعمال النقل الجوي إلى إيلات، وقيل إن العدو سيجري تجربة تحميل دبابات على ناقلات ويقوم بعملية إبرار على الساحل! وأشاعت إسرائيل جو الحرب بما يفصح عن محاولات لفتح الملاحة في خليج العقبة بالقوة واتخاذ ميناء إيلات قاعدة لعمليات عدائية ضد شرم الشيخ.

وكانت فكرة العملية الإسرائيلية هي مهاجمة قطاع شرم الشيخ بواسطة قوات بحرية وعملية هجوم أرضي مع إسقاط قوات مظلات في شرم الشيخ، وحدد لها يوم ٧ يونيو ١٩٦٧.

والحقيقة أنه تمت هذه العملية فعلًا، فقد تحركت القوة البحرية الإسرائيلية يوم ٧ يونيو، ووصلت إلى الساحل المصري تجاه جزيرة تيران، ولم تشاهد قوات أو حياة في الجانب المصري، ونزلت فعلًا القوة البرية الإسرائيلية إلى الشاطئ تجاه شرم الشيخ، ورفع البحارة العلم الإسرائيلي على سارية الأعلام في القاعدة البحرية في شرم الشيخ. ويقال إن وحدات المظلات الإسرائيلية وصلت جوًّا إلى شرم الشيخ، ولما لم تلاحظ أي نشاط لقواتنا فقد هبطت الطائرات في مطار شرم الشيخ، واتصلوا بزملائهم من البحرية. ثم تقدمت قواتهم بالطريق البري إلى الطور

مساء يوم ٧ يونيو أو ليلة ٧-٨ يونيو ١٩٦٧. ولم يحدث أي اشتباك أرضي بين قواتي وقوات العدو الإسرئيلي!

الأوامر المحيرة

تحركت ومعي المقدم صلاح عبد الحليم إلى السويس للاتصال التلفوني بالمشير عامر، حيث لم أجد في المعبر أي وسيلة اتصال أو أي شخص مسؤول يمكنني التعامل معه. وتركت القيادة للمقدم أ.ح محمود عبد الله لتجميع باقي قواتنا، خاصة رجال المظلات والدبابات في منطقة خور غرب معبر الشط، وأكدت عليهم انتظاري لحين عودتي من السويس. ووصلت السويس حوالي السادسة صباح يوم ٨ يونيو ١٩٦٧، واتصلت بالمشير من الترنك المدني وكانت أوامره لي عجيبة جدًّا ومحيرة!

طلب مني تولي قيادة اللواء المدرع المفروض وجوده في منطقة الشط شرق المعبر بدلًا من قائده، وأكد عليَّ أن أعزله من القيادة وأقود هذا اللواء في اتجاه ممر متلا فورًا للقضاء على قوات المظلات الإسرائيلية التي يقال إنها أسقطت أو هبطت هناك لقفل الممر وإيقاف انسحاب قواتنا! كيف يمكنني تنفيذ هذا الأمر الخطير العجيب؟! أعتقد أنه تذكر أيام اليمن عندما كنت رئيسًا لعمليات القوات العربية هناك وكان من السهل عليَّ قيادة أي قوات معقولة لفتح طريق أو تأمين منطقة أو أي مهمة خاصة، كما تم فعلًا ونجحت والحمد لله. ومهما كان يثق بي أو يستبشر بي فلي قدرات وإمكانيات، ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه!

وتنفيذًا للأوامر عدت إلى معبر الشط ومعي المقدم محمود عبد الله وباقي عناصر قيادتي، وأخذتهم معي وعبرنا مرة أخرى شرقًا لبحث موقف اللواء المدرع وتنفيذ تعليمات المشير، وقابلت القائد، وكان موقف الدبابات لا يسمح بالتحرك إلا بعد إعادة الملء والاستعداد للقتال، وسد الخسائر في الدبابات والمعدات والأطقم.

وبالطبع لا يمكنني تنفيذ أوامر المشير في هذا الموقف العجيب، وكان معي المقدم أ.ح صلاح عبد الحليم، وسمعني أقول للمشير عامر:

ـ لا داعي لعزل قائد اللواء، وإن شاء الله كل شيء سيكون بخير.

وأثناء محاولتي المعاونة في إعادة تنظيم الدبابات، وتلقين قائد اللواء المدرع المهمة لتنفيذها حسب أوامر المشير، وكانت الساعة قد اقتربت من التاسعة صباحًا، وإذا بضابط شرطة مدنية ينزل من عربة نجدة ويحضر لمقابلتي ويخطرني برسالة شفهية مهمة من المشير عامر يطلب مني الاتصال به فورًا بالقيادة في القاهرة.

وعدت إلى السويس، ومن مكتب محافظ السويس السيد الزميل حامد محمود اتصلت بالمشير تلفونيًّا، وقال:

ـ لماذا لم تنفذ الأوامر؟

ولما شرحت الموقف في هدوء وثقة لم يقتنع، وأمرني بسرعة تنفيذ نفس الأمر، وأضاف إليه أمرًا آخر هو قيادة اللواء المشاة الميكانيكي قيادة العميد أ.ح سعاد حسن أيضًا، وسرعة التحرك لفتح طريق ممر متلا وتدمير المظليين الإسرائيليين!

وعدت إلى الشط وأنا في حيرة وعجب.. وبرغم هذا فقد قابلت قائد اللواء الميكانيكي أيضًا وأعطيته المهمة بناء على أوامر المشير، وتم تحركه فعلًا بعد عملية إعادة التجميع، وتوليت قيادة القوة شكليًّا بواسطة جهاز اتصال لاسلكي في عربة جيب على اتصال بقائد اللواء مدرع واللواء الميكانيكي وهم في طريقهم إلى ممر متلا لتدمير العدو، كأني قائد فرقة مدرعة في مشروع يدفع قوات منهكة لقتال عدو غير معروف قوته أو مكانه. إنها إشاعات!

أحداث أخرى محيرة

وتوالت الأحداث أسرع من أوامر المشير عامر وأخطر مما يتصور أحد. ففي أثناء وجودي في منطقة معبر الشط كانت تصل أوامر كل دقيقة من مصادر متعددة مثل القائل: مافيش حد عارف حاجة! واختلط الحابل بالنابل، وكانت فوضى في كل شيء! وإذا بضابط طويل القامة يؤدي لي التحية ويقول لي:

ـ أنا فلان... من المخابرات الحربية، وعندي أوامر من اللواء أ.ح محمد صادق مدير المخابرات الحربية بأن أقدم نفسي إليك، ومعي جهاز اتصال لاسلكي يتصل بالمخابرات الحربية رأسًا!

وقال:

ـ ما هو عملي؟ وما هي مسؤوليتي؟

المهم أنني وجدت حجرة أمامي في معسكر مهجور وعلى القناة مباشرة أمام معبر الشط، اتخذتها ومعي هذا الضابط مقرًّا لنا، وبدأ في رفع أجهزته للاتصال، وما كدنا نبدأ حتى بدأت الغارات الإسرائيلية على المنطقة وترد عليها مدفعيتنا المضادة للطائرات المنتشرة حول المعبر، وكانت من وحدات المظلات ومن وحدات اللواء الرابع المشاة التي كانت تحت قيادتي في شرم الشيخ والطور وزَّعوها حيثما اتفق وتحت أي قيادة!

ولكني لا يمكن أن أترك هذه الفوضى تستمر، ومن تلفون متصل بقيادة القوات في الإسماعيلية، وجدت بها اللواء أ.ح أحمد إسماعيل وحاولت أن أوضح له موقف المعبر والفوضى به وكثرة الشاردين، ولكنه قال لي:

ـ ما أنت على اتصال بالمشير في مصر قول له هذا!

لست أدري ماذا أفعل.. ولكني حاولت الاتصال بالمشير من نفس التلفون، وتم لي ذلك بسرعة عجيبة وقلت له إن القوات تحركت إلى ممر متلا، ولكن الموقف في معبر الشط سيئ جدًّا والشاردين لا حصر لهم ولا توجد قيادة والموقف خطير، أرجو إرسال قائد كبير مسؤول يتولى القيادة هنا ويعيد التنظيم.. فرد عليَّ المشير قائلًا لي:

ـ تولَّ أنت القيادة!

وبعد حوالي ساعتين وصل الفريق أحمد عبد العزيز رئيس هيئة التنظيم والإدارة وجاءني مستفسرًا عن الموقف، فقلت له ما أرى من فوضى في كل شيء، وتركته وانصرفت إلى مكان قواتي، وبالطبع بحثت كثيرًا عنهم، وخلال بحثنا كنت ومعي المقدم أ.ح محمود عبد الله والنقيب سلامة العجرودي والرقيب محمد الشافعي حرسي الخاص، نبحث عن أي جندي مظلات لنضمه إلى قواتي.

ونجحنا في تجميع بعض من رجال المظلات، وكذا وجدنا على الضفة الغربية دباباتنا البرمائية التي كانت معنا في شرم الشيخ والطور، وكانت في المؤخرة ومعها ٥ دبابات ت ٥٥ من وحدات دعمنا ولكن لا تستطيع العبور غربًا لازدحام المعبر.

ووجدت أمامي اللواء أ.ح علي عبد الخبير الذي وصل من القاهرة لقيادة المعبر وهو المسؤول عن عملية نسف المعبر، وقلت له أن يسمح بعبور الدبابات، ولكن الازدحام والفوضى لم يمكناه من الالتفات لي ونفذ الأوامر بنسف المعبر ودباباتي وبعض أسلحتنا وعرباتنا ما زالت على الضفة الشرقية، وبمجرد الانفجار زادت الفوضى وقفز عدد كبير من الجنود في القناة للعبور غربًا سباحة.

وعلمت أن العدو لم يصل إلى معبر الشط حتى نهاية اليوم التالي ٩ يونيو ١٩٦٧ ولكنها أوامر تنفذ! وتمكنا من تجميع عناصر كثيرة من وحدات المظلات والأسلحة المضادة للطائرات وبعض الدبابات، ومنها الدبابات البرمائية التي كانت تحت قيادتي في شرم الشيخ، واتخذنا منطقة مبيت في الشط بعيدًا عن المعبر والقناة في جرف كبير يعطي وقاية إلى حد ما، وكانت ليلة! وأول ليلة أنام فيها منذ أكثر من ٧٢ ساعة.

الدفاع عن قطاع السويس-بورتوفيق

استأذن مني أحد الضباط ـ وهو النقيب عاطف منصف ـ لزيارة أهله في السويس، فأذنت له، وعاد لي في صباح اليوم التالي ٩ يونيو مع الفجر وقال لي إن السويس ليس بها قوات، واقترح علينا أن نتولى حمايتها والدفاع عنها.

فهي طبعًا بلده ويجب المحافظة عليها، وربما يعمل لنا عزومة كبيرة هناك والله أعلم. واستشرت إخواني في القيادة واتفقنا على التحرك إلى السويس، وخلال هذا الاستعداد كنا نسمع مع أول ضوء يوم ٩ يونيو أصوات الطائرات والانفجارات والأسلحة هنا وهناك، وعندما لاح الصباح تمامًا وجدت أننا بقرب معسكر الشط وشاهدت عربات قيادة وشرطة عسكرية فذهبت إلى هناك، وعلمت أن اللواء أ.ح عماد ثابت قد عُين قائدًا للقطاع، فأخبرته بموقفي وأني سأتولى ومن معي من قوات مظلات الدفاعَ عن السويس، فرحب بالفكرة.

وتحركت إلى السويس حيث قابلت محافظها الشاب حامد محمود، وكان زميلًا لي في مدرسة المشاة عام ١٩٥٢، ورحب جدًّا بفكرة تواجد قوات معه لحماية السويس، وأخلى لنا بدروم المحافظة وكان مجهزًا كموقع تبادلي في حالة الطوارئ والإغارات، وقد وجدنا من سيادته ومن كل أسرة المحافظة معاونة صادقة لنا كقيادة

ولقواتي في اختيار مناطق إيواء ومناطق تصلح للاحتياطيات، ووصلت قواتي قبل آخر ضوء يوم ٩ يونيو إلى أماكنها في منطقة السويس، وبدأت أمارس مسؤوليتي في قيادة القطاع الذي يضم مدينة السويس ومدينة بورتوفيق، وتم الاستطلاع وتخصيص المهام حسب ما لدينا من إمكانيات، وأخطرت القيادة العامة في مصر بذلك.

وكان الموقف على الضفة الشرقية لقناة السويس في منطقة مسؤوليتي الجديدة عجيبًا. العدو الإسرائيلي أمامنا على الضفة الشرقية يتحرك بحرية ويظهر عضلاته، وجنودنا وضباطنا العائدون يعبرون القناة سباحة بدون ملابس، وآخرون يتجولون في الشرق بحثًا عن منفذ للعبور غربًا، وبعض قوارب أهالي السويس تغامر في العبور شرقًا لإنقاذ ما يمكن إنقاذه... منظر رهيب! وفي الوقت نفسه يعلن الرئيس جمال عبد الناصر انسحابه من رئاسة الجمهورية ويستقيل المشير عامر وشمس بدران، ثم في يوم ١٠ يونيو يعلن أنور السادات أن جمال عبد الناصر قد عدل عن الاستقالة مؤقتًا، وما زال المشير عامر وشمس بدران في حكم المستقيلَيْن. وتتتابع الأحداث بسرعة ثم يعلن عن تعيين الفريق أول محمد فوزي قائدًا عامًّا للقوات المسلحة، ويستقيل كل الفرقاء أول، ويحال عدد كبير من كبار الضباط إلى المعاش.

وكان همي الأول هو معاونة وفود العائدين من الشرق من كبار الضباط والقادة والجنود وهم بحالة يرثى لها، وبعضهم كانت دوريات اليهود تلقي القبض عليهم قبل العبور مباشرة، وبعضهم كان اليهود يتركونهم يعبرون غربًا بأي وسيلة سباحة أو مع بعض مَن تطوع للإنقاذ بما لديه من قوارب الصيد. ولقد ساهمت هيئة قناة السويس بمجهود مشرف في إنقاذ الشاردين في قطاع السويس، وكان موقف الشاردين سيئًا لدرجة أني لم أحتمل الانتظار وسارعت بالاتصال بالفريق أول محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة وقائدي السابق في الكلية الحربية عندما كنت رئيسًا لقسم التكتيك، أو كبيرًا للمعلمين بالنيابة، أو أقدم المعلمين العسكريين، وأعرفه معرفة جيدة وأعرف رجولته وسعة صدره وقوة انضباطه.

وطلبت منه الاتصال بالصليب الأحمر الدولي لإنقاذ هؤلاء العائدين، وما زالوا في جحيم الشرق، واشتركت كل أجهزة محافظة السويس في الإنقاذ وقدموا

مساعدات مختلفة من بطاطين وملابس داخلية وأطعمة، إلخ. وأمرت بإنشاء معسكرات للعائدين من الضباط والجنود في بورتوفيق بنادي الرباط للضباط وفي نادي بورتوفيق للجنود والحمد لله، فقد تمكنت بمعاونة رجالي وأسرة المحافظة وهيئة قناة السويس من تنظيم العملية لحد ما ثم بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة في المعاونة من جميع الوجوه، وخصصت قطارات خاصة من محطة بورتوفيق لنقل العائدين إلى القاهرة.

وجاءت مع العائدين أخبار وحكايات عديدة عن فظائع أعمال اليهود ضد رجالنا وعما كان يحدث بين العائدين بعضهم بعضًا ضباطًا وجنودًا.

قصص وحكايات لا أستطيع أن أذكرها هنا، فقد حطمت كبرياء وأذلّت أعناق رجال كانوا يمشون على الأرض مرحًا في خيلاء وزهو. ولم ينصتوا إلى صوت الحق يقول: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾.

وفي قطاع السويس تم تنسيق التعاون مع قائد الدفاع الشعبي والمقاومة الشعبية الأخ إسماعيل فريد. وتوالى وصول قوات الدعم ومنها كتيبة جزائرية وصلت من منطقة فايد للعمل تحت قيادتي، وهي مكونة من ٣٢ ضابطًا و٦٠٦ صف وعسكري.. وقد قابلت قائد القوات البحرية في السويس للتنسيق معه، وسعدت بأنه العميد البحري فاروق الشيخ الذي كان معي منذ ٣٦ ساعة مضت قبل الانسحاب من شرم الشيخ.

وفي يوم ١٩ يونيو وصلتْ للقطاع ك ٧٩ مظلات وخصصتها للدفاع عن قطاع بورتوفيق، وفي نفس اليوم صدرت الأوامر بنقلي رئيسًا لأركان الفرقة الثانية المشاة في الإسماعيلية، وعلمت أن اللواء أ.ح سعد الشاذلي قد عُين قائدًا لقوات المظلات والصاعقة.

الدروس المستفادة من أحداث ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ وما بعده

١ ـ تغيير الخطة فجأة

اضطرت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية، تحت ضغط القرار السياسي، إلى تدبير القوات اللازمة للتمركز في شرم الشيخ، اعتبارًا من يوم ٢٠ مايو ١٩٦٧

بعد سحب وحدات فرعية من تشكيلات كبيرة وصلت إلى أكثر من خمس عشرة وحدة فرعية، أدمجت كلها معًا تحت قيادة خاصة على عجل، ووجدت صعوبة كبيرة في ارتباطها معًا كوحدة واحدة للقتال بالتعاون مع قوات المظلات، ولم تنفذ القيادة العامة الخطة قاهر التي تقضي بتمركز اللواء الرابع مشاة بمنطقة شرم الشيخ.

٢ ـ ضعف القيادة والسيطرة

برغم الدعم البحري والجوي لقواتي في شرم الشيخ، فقد كانت القوات البحرية والقوات الجوية تتلقى أوامرها الرسمية من قيادتها الرئيسية في الإسكندرية والقاهرة، وحتى الطائرة العمودية المخصصة للقائد كانت تربض في مطار الغردقة على بُعد مئات الأميال وليست تحت قيادتي!

٣ ـ معلومات خاطئة

توالت الإشارات اللاسلكية على قيادتي في شرم الشيخ من القيادة العليا للقوات المسلحة بالقاهرة عن احتمال هجوم بحري جوي ضد قواتي، حتى إنه أذيع رسميًّا في الإذاعة المصرية تعرُّض قواتي لهجوم جوي إسرائيلي، والحقيقة أنه لم يحدث أي هجوم من أي اتجاه!

٤ ـ تردد القائد

تضاربت التعليمات الخاصة بقفل خليج العقبة ضد الملاحة الإسرائيلية، الأمر الذي أدى إلى تعديلات كثيرة في الخطة وإعادة تمركز للقوات عدة مرات دون استقرار للأوضاع!

٥ ـ الاستخدام الخاطئ للقوات

هبطت معنويات القوات بدرجة كبيرة من تغيير المهام الكثيرة ومن الدفاع والتمسك بالأرض، وهي قوات هجومية كان أملها كبيرًا في الاشتراك في الهجوم على العدو الإسرائيلي، ولقد نجحت إسرائيل في تحقيق عامل المفاجأة، وقامت بعمليات هجومية غير متوقعة أحدثت صدمة للقيادة المصرية جعلتها تتخبط في اتخاذ القرارات الخاصة بالانسحاب من سيناء وحولته إلى فوضى.

٦ ـ الإعداد الإداري لمسرح العمليات

برغم كثرة المشاكل الإدارية والفنية مع اتساع المنطقة المخصصة للدفاع

والتأمين وعدم وجود مياه صالحة للشرب إلا في الطور حيث القاعدة الإدارية، فإن القيادة العامة للقوات المسلحة وجميع أجهزة القيادة العامة قدمت لنا كل المساعدات والمعونات بسرعة وكفاءة أوصلتنا إلى مستوى الاكتفاء الذاتي في وقت قياسي.

٧ ـ كشف جوانب مهمة في القيادة العامة

ـ الإهمال وعدم التفرغ للقتال.

ـ تخلف الفكر العسكري.

ـ فوضى القيادة وانهيارها وترددها.

ـ سوء نظام التعبئة.

قادة يونيو ١٩٦٧

نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة والقائد العام: المشير عبد الحكيم عامر

مساعد القائد العام: فريق أول حليم إمام

مساعد القائد العام: فريق أول هلال عبد الله هلال

رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة: الفريق أول محمد فوزي

قائد القوات البحرية: فريق أول سليمان عزت

قائد القوات الجوية: فريق أول محمد صدقي محمود

قائد القوات البرية وقائد الجبهة: فريق أول عبد المحسن مرتجي

رئيس هيئة العمليات: الفريق أنور القاضي

رئيس أركان حرب الجبهة: لواء أ.ح أحمد إسماعيل علي

قائد الجيش الميداني: الفريق صلاح محسن

قائد الفرقة الثانية المشاة: لواء أ.ح سعدي نجيب

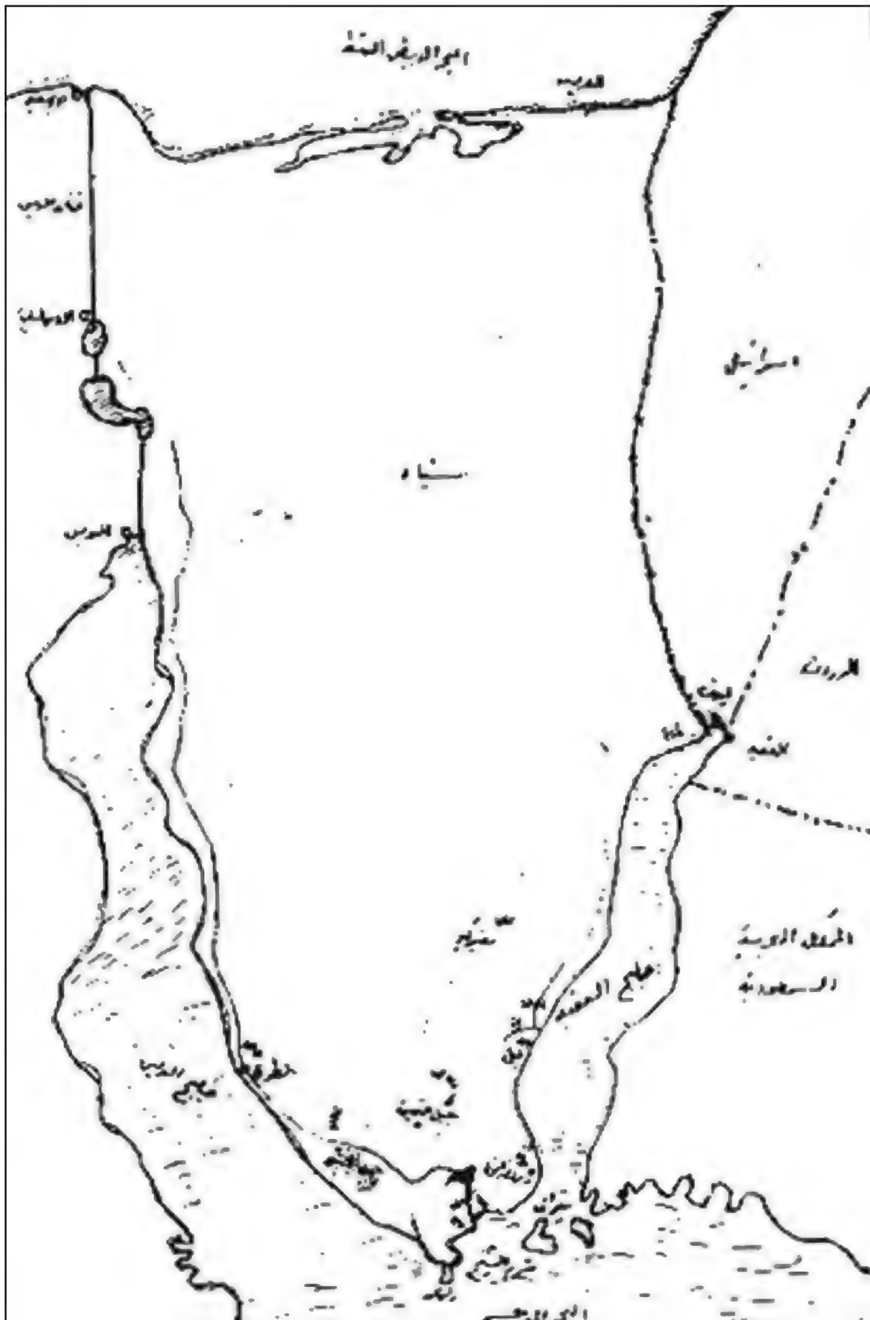
قائد الفرقة الثالثة المشاة: لواء أ.ح عثمان نصار

قائد الفرقة الرابعة المدرعة: لواء أ.ح صدقي الغول

قائد الفرقة السادسة المشاة الميكانيكية: لواء أ.ح عبد القادر حسن

قائد الفرقة السابعة المشاة: لواء أ.ح عبد العزيز سليمان

مجموعة العمليات الخفيفة: لواء أ.ح سعد الشاذلي
قائد قوات شرم الشيخ: عميد أ.ح عبد المنعم خليل
قائد اللواء ١٢٥ مشاة مستقل: عميد أ.ح أحمد عبد النبي
الحاكم الإداري لقطاع غزة: لواء أ.ح عبد المنعم حسني



كروكي خليج العقبة-الطور-السويس

الباب الثالث

حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧-١٩٧٠

الفصل السابع

توجيهات الرئيس عبد الناصر لإعادة البناء

دمر زلزال ٥ يونيو ١٩٦٧ جبالًا شامخة، وهوى بحصون منيعة، وابتلع قلاعًا ضخمة، ولكن رحمة الله سبحانه وتعالى بمصر كانت واسعة، فقد أبقت قواعد البيت قائمة راسخة تنتظر يد البنَّاء الماهر ليرفع أعمدة القوة والقدرة والصمود.

وفي يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ قَبِل الرئيس عبد الناصر تحمل مسؤولية الحكم مرة أخرى، وأصدر أول قراراته وهو تعيين الفريق أول محمد فوزي قائدًا عامًّا للقوات المسلحة المصرية، وبدأ القائد العام في وضع تصميمات إقامة البناء والتنفيذ بناءً على توجيهات القائد الأعلى للقوات المسلحة التي تشمل الآتي:

١ ـ سرعة بناء خطوط الصمود العسكري أمام العدو ومنعه من استغلال نجاحه عسكريًّا.

٢ ـ العمل على سرعة تماسك القوات المسلحة مع الشعب والحكومة.

٣ ـ عدم قبول الهزيمة العسكرية والعمل في الاتجاه السلمي والدبلوماسي الذي يسعى إلى انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي احتلتها في يونيو ١٩٦٧.

٤ ـ التعاون والارتباط الوثيق بالدول العربية جميعًا.

٥ ـ توطيد الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي ومحاولة إشراكه في إعادة بناء القوات المسلحة.

٦ ـ الواجب العسكري للقوات المسلحة هو استرداد الأرض بالقوة وتحرير الأرض، وهذا يتطلب إعادة مَقدرتها الدفاعية بالتدريج لتنفيذ هذا الواجب.

الدعم السوفيتي لمصر

في مساء ١٩ يونيو ١٩٦٧ حضرت بصفتي رئيسًا لأركان الفرقة الثانية المشاة لقاءً في معسكر الجلاء بالإسماعيلية برئاسة الفريق أول محمد فوزي القائد العام للقوات المسلحة، وحضره الفريق صلاح محسن قائد القيادة الشرقية واللواء أحمد إسماعيل قائد الجيش وقادة التشكيلات، وشرح القائد العام الموقف السياسي والعسكري، ثم قال:

- على مصر أن تختار إما أن تسير في ركب أمريكا أو تنحاز إلى روسيا، وليس هناك حل ثالث.

ثم قال:

- إن سياسة مصر هي التعاون الأوثق مع روسيا، وهذا هو رأي وقرار القيادة السياسية في مصر.

ولقد سارع الاتحاد السوفيتي بإمداد مصر بالأسلحة والمعدات منذ ٩ يونيو ١٩٦٧، وفي يوم ١٦ يونيو وصل وفد عسكري سوفيتي بقيادة الجنرال «لاشنكوف» للمساعدة في استقبال المعدات والأسلحة من الموانى البحرية والجوية وتوزيعها على وحداتنا التي بدأت عملية إعادة التجمع والتنظيم، وإنشاء خط الدفاع الأول غرب قناة السويس، وكان هذا الوفد بداية لوصول أعداد أكبر من الخبراء السوفييت تحول اسمهم بعد ذلك ليكونوا مستشارين عسكريين، وهم ضباط سوفييت من مختلف الرتب. وفي يوم ٢١ يونيو ١٩٦٧ وصل الرئيس «بودجورني» ومعه مارشال الاتحاد السوفيتي «زخاروف» رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة السوفيتية، وبدأت محادثات قمة مع الرئيس عبد الناصر بهدف إزالة آثار العدوان الإسرائيلي على مصر واشتراك مستشارين وخبراء سوفييت بالعدد الذي يتفق عليه كل من الفريق أول محمد فوزي والمارشال «زخاروف».

وزار وفد القيادة السوفيتية الجبهة يوم ٢٣ يونيو ١٩٦٧، وكانت قيادة الفرقة الثانية داخلة في مخطط الزيارة، وأذكر أن المارشال «زخاروف» قال لي هذا الاستفسار:

- هل تحب أن يكون معكم خبراء سوفييت لمعاونتكم وأسلحة سوفيتية أيضًا؟

فقلت:

ـ طبعًا.

فقال:

ـ «خاراشو» (أي حسن).

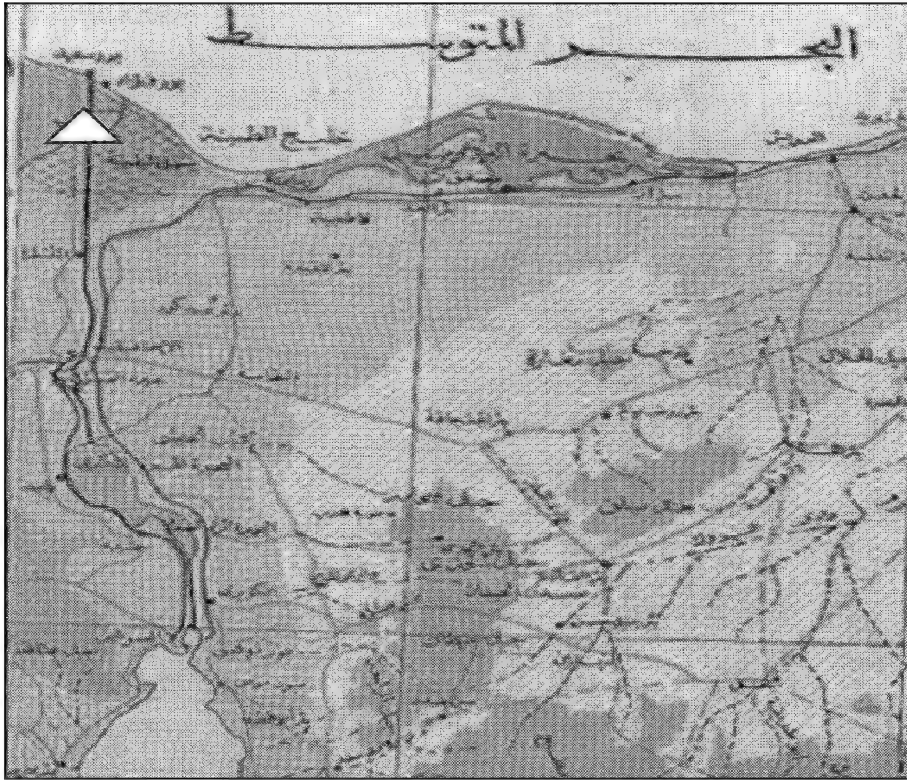
وتوالى وصول قوات لتنضم على الفرقة لاستكمال تنظيمها، سواء وحدات عائدة من اليمن أو من سيناء بعد إعادة تنظيمها.

معركة رأس العش

بعد حوالي ثلاثة أسابيع من قرار وقف إطلاق النيران الذي فرضته الأمم المتحدة بعد حرب الأيام الستة، اندلع القتال بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية للسيطرة على مدينة بورفؤاد والمنطقة المحيطة بها على الضفة الشرقية لقناة السويس. وتقع مدينة بورفؤاد في الطرف الشمالي لقناة السويس مباشرة في مواجهة مدينة بورسعيد. وكان طابور من القوات الإسرائيلية قد تقدم إلى الغرب من رمانة على الساحل الشمالي لسيناء بحذاء البحر الأبيض المتوسط، إلى أن وصل إلى منطقة حوالي ١٥كم شرق بورفؤاد حيث اصطدمت هذه القوة بحقل ألغام يسد هذا الشريط الضيق من الأرض المحصورة بين البحر الأبيض شمالًا والملاحات جنوبًا، واتخذ مواقعه هناك كموقع حصين استمر صامدًا برغم الهجمات المصرية المتعددة بحرًا وبرًّا وجوًّا خلال سنوات الاستنزاف حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولم تنسحب القوة الإسرائيلية إلا بعد توقيع معاهدة السلام مع مصر.

أما في الجنوب من بورفؤاد، فقد تقدم طابور مدرع إسرائيلي من اتجاه القنطرة شرقًا إلى الشمال على طريق ضيق ممتد حتى بورفؤاد يحده شرقًا ملاحات طينية وغربًا قناة السويس.

وفي أول يوليو ١٩٦٧ أرسل اللواء أ.ح أحمد إسماعيل قائد الجيش عناصرَ من الصاعقة والمهندسين إلى الضفة الشرقية عند منطقة رأس العش ـ حوالي ١٢كم جنوب بورسعيد ـ لزرع الألغام والحيلولة دون تقدم أي قوات إسرائيلية شمالًا. وقد وقعت القوة الإسرائيلية في حقل الألغام، وانفجرت معظم دباباتها فأحدثت



معركة رأس العش ١ يوليو ١٩٦٧

خسائر كبيرة في الأرواح الإسرائيلية نتيجة انفجارات الألغام وشدة نيران قوة الصاعقة وقصفات مدفعية قطاع بورسعيد، ومدفعية بعض القطع البحرية المصرية المتمركزة بالميناء، وتعتبر هذه أول معركة حربية بعد معركة يونيو ١٩٦٧ بين القوات المصرية والقوات الإسرائيلية.

وفي الساعة التاسعة من مساء أول يوليو ١٩٦٧ كلفت بمهمة عجيبة. قال لي اللواء أحمد عبد السلام توفيق، قائد الفرقة الثانية المشاة، وأنا أجلس بجانبه في مركز قيادة الفرقة بالإسماعيلية:

ـ اللواء أحمد إسماعيل قائد الجيش مستبشر بك ويريد منك التحرك فورًا إلى رأس العش لقيادة العملية الدائرة هناك بين عناصر من الصاعقة وقوات العدو التي

تحاول التقدم إلى بورفؤاد على المدق شرق قناة السويس. وسينتظرك ضابط في القنطرة غرب ومعه ٨ صاروخ آر بي جي مضاد للدبابات، وعليك قيادة المعركة وتوجيه نيران هذه الصواريخ على جنب العدو لمعاونة قوة الصاعقة.

وانطلقت بعربتي الجيب الحربي ومعي السائق إلى القنطرة غرب، ولما لم أجد أحدًا في انتظاري قابلت قائد قوة القنطرة المقدم المحرزي وكان معه العقيد لطفي واكد مسؤول المقاومة الشعبية، وقال المحرزي إنه أرسل الضابط بالأسلحة إلى رأس العش. وتحركت على الطريق الرئيسي في اتجاه بورسعيد شمالًا، وكانت بعض السيارات المدنية عائدة من اتجاه رأس العش، وحذرني السائقون من مواصلة التقدم حيث إن الطريق خطر والنيران مشتعلة في بعض مناطقه والقنابل تتساقط عليه بكثرة. ولكني واصلت التقدم تنفيذًا للأوامر، وفي رأس العش قابلت قائد قوة الصاعقة الرائد سعيد الشرقاوي وأخبرني بالموقف، وأشرفت معه على سير العملية.

ولما هدأ الموقف بعد قتال دام حوالي ثلاث ساعات انسحبت القوة الإسرائيلية ونحن نسمع صراخ جرحاهم. ووافقت الرائد الشرقاوي على اقتراحه بسحب قواته بعد نجاحها في رصِّ الألغام مع عناصر المهندسين وإيقاف تقدم العدو. وتم تأمين موقع رأس العش شرقًا.

ولم يعاود الإسرائيليون الهجوم في هذا القطاع خلال السنوات التالية حتى تمكنت القوات المصرية من اقتحام خط بارليف وتدمير نُقَطه القوية وما بها من أفراد ومعدات وأسلحة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣. وفي فجر يوم ٢ يوليو قابلت قائد قطاع بورسعيد اللواء أ.ح محمد المقدم، وكان معه السيد فريد طولان محافظ بورسعيد وأخطرته بالموقف، واتصلت بقائد الجيش أخطره بالموقف وأستأذنه في العودة إلى وحدتي، ففوجئت بأمر آخر عجيب وهو البقاء في بورسعيد ووضع خطة للدفاع عن قطاع بورفؤاد، وأن أوضح قراري على الخريطة وأعود إلى الإسماعيلية لعرض القرار عليه شخصيًّا. من أنا لأضع هذه الخطة ويوجد بالقطاع قائد وقيادة على دراية بالموقف والأرض أكثر مني؟!

وعمومًا فقد أخطرت قائد القطاع ونسقت معه وضع الخطة والقرار المطلوب.

وبعد الانتهاء منه وقَّع عليه وتوجهت إلى الإسماعيلية لعرضه على قائد الجيش، وكان معه مستشاره السوفيتي. وللأسف لم يصدق على القرار، وطلب مني العودة

مرة أخرى إلى بورسعيد لتعديل القرار، ورافقني مستشار سوفيتي للمعاونة، وتم عمل التعديلات المطلوبة ورسم القرار بطريقة جديدة بالألوان، وبمجرد تعليقه على لوحة الخرائط بالإسماعيلية وقبل أن أتكلم قال المستشار الروسي:

ـ «خاراشو».

فهز اللواء أحمد إسماعيل رأسه بالموافقة وصدَّق على القرار!

وعدت مرة ثالثة إلى بورسعيد للإشراف على تنفيذ الخطة حسب أوامر قائد الجيش. وبعد فترة سمح القائد لي بالعودة إلى فرقتي بالإسماعيلية.

نشاط العدو الاستفزازي

قامت وحدات العدو ببعض الأعمال الاستفزازية ضد قواتنا، منها نزول أفراد للسباحة في قناة السويس وصيد الأسماك، وبعضهم أذاع في مكبرات الصوت مع الأغاني المصرية بعض النكات والألفاظ والشتائم القذرة باللغة العربية عبر الـ٢٠٠ متر مسطح عرض قناة السويس.

وكانت الأوامر الصادرة للجنود هي احترام قرار وقف إطلاق النيران مع ضبط الأعصاب على قدر الإمكان، ولكن لكل شيء حدوده. ولما طفح الإناء اضطر بعض الجنود إلى الرد على هذه الرذائل بالنيران. وبدأ الصراع متدرجًا من طلقات فردية إلى طلقات البنادق والرشاشات ثم بالهاونات والمدفعية في بعض القطاعات، ثم امتد على طول مواجهة قناة السويس.

معركة بورتوفيق

نتيجة استفزازات العدو لقواتنا وما قام به من تحركات في خليج السويس وأعمال استطلاع بحري ونشاط ملحوظ لمدفعيته، مركزًا على بعض الأهداف المدنية في السويس، وحدوث خسائر في قواتنا وفي المدنيين، بادرت عناصر من الكتيبة ٧٩ مظلات التي تدافع عن قطاع بورتوفيق ومعها شقيقتها الجزائرية، في حماس يغلب عليه الرغبة في الثأر، إلى فتح نيران لاقتناص بعض أفراد العدو، ثم تدرج الاشتباك إلى استخدام كل أسلحة القتل والتدمير بالتركيز على موقع العدو في لسان بورتوفيق، الأمر الذي أدى إلى خسائر جسيمة للقوات الإسرائيلية مع الذعر والرعب من هذه القدرة غير المتوقعة.

وكان انتقام العدو هو قصف قواتنا بالجبهة جوًّا مُركّزًا على مدن القناة: السويس والإسماعيلية وبورسعيد وبورفؤاد.

التحدي الجوي

في يوم ١٤ يوليو ١٩٦٧ فوجئ العدو بتحدي القوات الجوية المصرية لقواته الجوية، فكان ظهور ١٠ طائرات مصرية ميج ١٧ دفعة واحدة في الجو لاعتراض طائراته الاستطلاعية وإصابتها. كان هذا الحادث عاملًا قويًّا في إعادة الثقة إلى رجال قواتنا الجوية.

وفي نفس اليوم حاول العدو إنزال لنشات بحرية في قناة السويس ترفع العلم الإسرائيلي ليثبت حقه في نصف المجرى المائي بالقناة. وصدرت الأوامر بتدميرها في الحال، ولما شعر العدو باستعدادنا الجدي للتدخل سحبها إلى البر الشرقي فورًا.

وصدرت الأوامر بإيقاف القتال اعتبارًا من الساعة الحادية عشرة قبل منتصف ليلة ١٥ يوليو ١٩٦٧. ووصلت إلى الإسماعيلية في صباح اليوم التالي ١٦ يوليو مقدمة قوات الطوارئ الدولية.

خطوات إعادة التنظيم

في أول أغسطس ١٩٦٧ بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة أولى خطوات إعادة تنظيم القوات المسلحة وإعادة تدريبها، ورفع كفاءتها القتالية، ولكن تدخل الموقف السياسي وموقف العدو في عملية استمرار التدريب والإعداد، إذ إنه كثيرًا ما تصلنا معلومات يقال إنها مؤكدة عن احتمال هجوم العدو واقتحام قناة السويس، وهذا بالطبع يضطرنا إلى رفع درجات الاستعداد وإعادة الوحدات من مناطق التدريب إلى مناطق تمركزها، وإيقاف التعليم والتدريب في مدارس المعركة التي تم فتحها في القطاعات على طول الجبهة.

وكاد الموقف الداخلي في مصر أن يحطم هذا الإعداد، ففي ٢٨ أغسطس ١٩٦٧ أذيع رسميًّا نبأ محاولة مضادة للوطن وتحديد إقامة المشير عبد الحكيم عامر وبعض كبار الضباط. وفي ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ أعلن انتحار المشير، كما صدرت الأوامر بالقبض على عدد من الضباط دفعة ١٩٤٨ وأودعوا المعتقلات.

عملية ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧

انتهز العدو فرصة اهتزاز الموقف الداخلي في مصر بعد أحداث ١٤ سبتمبر ١٩٦٧، فبدأ في التدخل بالنيران ضد قواتنا وضد المدنيين. وضرب العدو مدينة السويس بالمدفعية الثقيلة وكذا بورتوفيق، واشتبك مع قواتنا في الإسماعيلية لفترات طويلة، ولكن قواتنا في الإسماعيلية ردت على العدو بعنف يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧، وتمكنت من تدمير عدد من الدبابات والعربات، وأذاعت وكالات الأنباء خسائر العدو الإسرائيلي في مواجهة الفرقة الثانية في الإسماعيلية كالآتي: ٩ دبابات، ٢ عربة لاسلكي، عربة صواريخ، ٢٥ قتيلًا، ٣٠٠ جريح منهم ٢ ضباط برتب كبيرة.

وارتفعت معنويات قواتنا ونشرتها صحف القاهرة في اليوم التالي، وبدأنا في هدم جدار الخوف والحمد لله. وبدأت موجة حمأة النكت التي انتشرت بعد النكسة تخف بعد ٢٠ سبتمبر ١٩٦٧.

إغراق المدمرة «إيلات»

تم يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ تدمير وإغراق المدمرة الإسرائيلية «إيلات» أمام ميناء بورسعيد بثلاثة صواريخ مصرية، قتل فيها ٤٧ رجلًا من بحارتها الـ٢٠٠ وجرح ٩١. وفي ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ قامت إسرائيل بالانتقام بضرب آبار البترول بالزيتية قرب السويس.



في أكتوبر ١٩٦٧ تم إغراق المدمرة «إيلات» الإسرائيلية أمام سواحل بور سعيد

عملية نجع حمادي

تمكنت طائرتان هليكوبتر من اختراق العمق المصري إلى الصعيد قبل فجر أول نوفمبر ١٩٦٧، وتمكن طاقم فني إسرائيلي من تدمير عامود الجهد الرئيسي للكهرباء بجوار نجع حمادي، مع محاولة نسف قناطر نجع حمادي المقامة على نهر النيل وكوبري قنا، وحدثت تلفيات. وتم إعادة الجهد الكهربائي بعد فترة، وكانت هذه العملية إنذارًا للمسؤولين بوضع خطة كاملة للإنذار الجوي في الصعيد وللدفاع عن المنشآت الحيوية بطريقة أفضل.

شروق شمس الأمل

بدأت القوات المسلحة في أوائل عام ١٩٦٨ خطوات التدريب العملي على عبور الموانع المائية بوحدات فرعية ثم وحدات ثم تشكيلات أكبر، ويعتبر بداية التدريب على العبور خطوة مهمة في رفع معنويات الضباط والجنود، وقد شعروا بجدية العمل، وأنه قد أشرقت شمس الأمل في استعادة أرضنا بإذن الله. وكنا نعلم أن الدفاع سيطول وأنه لا يمكن أن نعبر الشاطئ الشرقي إلا بعد الاستعداد الكامل، وكانت خطوات هذا الاستعداد كثيرة منها المادي والمعنوي والسياسي والإستراتيجي والتعبوي والتكتيكي واستعداد الشعب ومرافق الدولة.

وزار الرئيس جمال عبد الناصر الوحدات والقيادات خلال شهر مارس ١٩٦٨، واجتمع بعدد من القادة والضباط لمعرفة مشاكلهم الخاصة، وبحث المشاكل العامة. والحقيقة أن كثيرًا من المشاكل كانت تجد الحل على المستوى الأعلى. كما اجتمع الرئيس بقيادات وبعض جنود اللواء الجزائري الذي اشترك معنا منذ يونيو ١٩٦٧.

وكانت الاشتباكات المستمرة مع العدو بالمدفعية والهاونات والدبابات وأعمال القناصة عاملًا مساعدًا على رفع معنويات الرجال، وبدأت أعمال التجهيز الهندسي وإعداد المواقع والتحصينات للوقاية وتقليل الخسائر.

وبدأ جدار الخوف يتحطم تدريجيًّا نتيجة عمليات الدفاع النشط والدوريات واستخدام وسيلة السد الناري ضد طيران العدو المنخفض مع استمرار التدريب

والمشروعات المختلفة والرماية بكل أنواع الذخيرة والتطعيم للمعركة. ولقد شاركَنا في هذه الأعمال المستشارون السوفييت الذين وزعوا على الوحدات للمعاونة في التدريب ورفع الكفاءة القتالية.

ولما عاود العدو ضرب مدينتَي السويس والإسماعيلية بالمدفعية الثقيلة، كان رد الفعل المصري هو إجلاء أهالي مدن القناة الرئيسية إلى مناطق تهجير داخل الوطن، ثم قام رجال الكوماندوز الإسرائيليون بأعمال تخريبية ضد بعض الأهداف الإستراتيجية في عمق مصر بهدف الإزعاج وإجبار القيادة المصرية على إعادة توزيع القوات وتخفيف قوات الجبهة.

وقبيل نهاية ١٩٦٨ بدأت القوات المصرية تنتقل إلى مرحلة الدفاع الإيجابي النشط واستنزاف قوة العدو ومعداته لإعادة الثقة بالنفس ورفع الكفاءة القتالية لقواتنا. ونظرًا لاشتداد حرب الاستنزاف اضطُرت إسرائيل لتطوير عقيدة إسرائيلية جديدة مناسبة للتعامل مع هذا الموقف، قادها «حاييم بارليف»، رئيس الأركان الإسرائيلي، بزيادة حجم قواته في سيناء وزيادة التحصينات الدفاعية.

وفي أغسطس ١٩٦٨ زارنا السيد أنور السادات، وفي أثناء الاجتماع الذي عقده مع ضباطي في قيادة الفرقة الثالثة المشاة في أبي سلطان، سأله أحد الضباط قائلًا:

ـ سيادة النائب، نحن هنا في الجبهة في حالة تأهب مستمرة وقتال لا ينتهي، ومعرضين للموت في كل لحظة، ونسمع إذاعات القاهرة في أغانٍ ركيكة وخليعة بعيدة كل البعد عن جو المعركة. تصور عدم الاهتمام بنا! وحتى في أثناء نزولنا للإجازات نجد الناس في عالم آخر غير عالمنا. فلماذا لا نبدأ في تعبئة هذا الشعب للقتال ليشعروا بنا ويحسوا بما نحن فيه من متاعب؟

فرد السيد أنور السادات ردًّا حكيمًا أعجبني، وقال موجهًا حديثه إلينا جميعًا:

ـ شوفوا يا أولادي، إذا حشدنا وعبأنا الناس للقتال اليوم ولم نحارب غدًا ماذا نفعل؟ حانعمل زي حكاية الديب والغنم. نحشد ولا نحارب، مرة بعد أخرى سيفقد الناس الثقة فينا.

والحقيقة أنها حكمة، وقلت لنفسي لعله سيكون يومًا رئيسًا للجمهورية ويتذكر هذا الحديث وما دار فيه.

هدم جدار الخوف

كلفت القيادة العامة للقوات المسلحة الفرقة الثالثة المشاة بقيادتي بتطوير عمليات الدفاع النشط إلى إغارات ليلية على موقع العدو في الدفرسوار، لاختبار قدرة الدفاعات الإسرائيلية وكشف خطط نيرانها ومعرفة أسلوب العدو في الدفاع والهجمات المضادة. وتم التخطيط لهذه العملية واختيار القوة التي ستنفذ العملية، وبدأنا في تدريبهم على واجباتهم تدريبًا واقعيًّا في منطقة جهزنا فيها نموذجًا لموقع العدو في الدفرسوار. وكان وقت الاستعداد هو يوم أول أكتوبر ١٩٦٨ . وتم تنفيذ العملية ليلة ٣ أكتوبر، وعبرت القوة المخصصة للاقتحام قناةَ السويس في قاربين من المطاط تحت ستر قوة خصصت للتأمين والوقاية بالإضافة إلى مواقعنا الدفاعية على الضفة الغربية. وبدأت القوة الاقتحام في صمت تام، ونجحت في عبور القناة والوصول إلى الشاطئ الشرقي، ثم التفت خلف الموقع كما هو مخطط واقتحمت الموقع مستخدمة القنابل اليدوية ونيران البنادق سريعة الطلقات، وأخذت العدو على غِرة، واستمر الاشتباك لفترة ٥ دقائق تقريبًا، ثم انسحبت القوة إلى الضفة الغربية. وفقدنا في هذه العملية ٨ شهداء، ولم نستطع تقدير خسائر العدو على حقيقتها، ولم تتمكن القوة من الاستيلاء على وثائق من العدو. ولكنها تجربة رائدة تم تحليل نتائجها واستخلاص الدروس المستفادة، وقد جعلتنا نغير كثيرًا في أسلوب اقتحام مثل هذه المواقع الحصينة. وعمومًا فقد كانت بادرة خير لقواتي التي كانت في اشتياق للعبور شرقًا وقتل العدو الغاصب.

الفصل الثامن

الدفاع الإيجابي عام ١٩٦٩

وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة الخطة العامة للدفاع عن الجمهورية، ونوقشت الخطة ثم استقرت أوضاعها، وبدأنا في التنفيذ حسب المهام المحددة لها، ولضمان السرية إلى حد ما تم تغيير أرقام التشكيلات بالجبهة وتعديل الاسم الكودي للخطة.

وبدأ عام ١٩٦٩ بتطوير التجهيزات الهندسية باستخدام المعدات الميكانيكية، وتمكنًا من إنشاء مواقع تبادلية وهيكلية للأسلحة والمعدات ولبعض المواقع المهمة والقيادات، وأعطى وزير الحربية لقادة الجيوش سلطات تكسير الروتين في سبيل أمن القوات والمعدات والأسلحة، وقال:

ـ لن أعترض على أي إجراء يتم من قائد الجيش شخصيًّا يعود على الوزير بتكاليف، ولكن هدفه الوقاية.

عملية «دان أفيدان»

لقد نجحت قوات الجيش الثاني في أواخر عام ١٩٦٩ في الحصول على أول أسير ضابط إسرائيلي في قطاع جنوب الإسماعيلية، واسمه «دان أفيدان»، حيث تمكن خمسة أفراد من اللواء ١١٧ التابع للفرقة الثانية مشاة من أسره وحمله سباحة إلى الضفة الشرقية للقناة برغم ثقل وزنه وطول شعر ذقنه، ويومها قال:

ـ أنا ضابط كنتين ولست مقاتلًا وماليش دعوة!

وتم حمله بمعرفة أفراد الدورية على نقالة مبتكرة من البطاطين وعبروا به القناة

سباحة إلى الضفة الغربية، وتم عمل الإسعافات اللازمة له في السرية الطبية للواء ١١٧، حيث كان قد أصيب في فخذه من انفجار اللغم بسيارته الجيب. وكان لهذا الحادث أثر كبير في قوات الجيش الثاني خاصة والقوات المسلحة عامة، وقد زرت أفراد الدورية وأمرت بترقيتهم ترقية استثنائية إلى الرتب الأعلى، وعلقت على صدر كل بطل منهم ميدالية بطل الجيش الثاني.

وتشاء الظروف أن أقابل هذا الضابط الإسرائيلي («دان أفيدان») في معتقله قبل حرب أكتوبر بشهور قليلة، وتبادلنا التحية العسكرية، وكان في هذه المرة حليق الذقن!

رفع علم مصر على موقع للعدو شرق قناة السويس

بدأت تشكيلات الجيش الثاني تتسابق للعبور شرقًا للحصول على أسرى! وينال كل بطل ميدالية بطل الجيش الثاني يفخر بها وهي معلقة على صدره في كل تحركاته، وفي أثناء إجازاته في قريته أو مقر إقامته تُشعره بالزهو والفخار. واستمرارًا لمحاولة الحصول على أسرى دفعت الفرقة الثانية المشاة مجموعة فدائية إلى موقع العدو جنوب جزيرة البلاح وشمال كوبري الفردان ليلًا يوم ٦ أكتوبر ١٩٦٩، وتمكنت من احتلاله بعد أن فرت قوة الحراسة الإسرائيلية، حيث إن الموقع لا يحتل إلا على فترات، وقد استولت المجموعة على ما وجدته فيه من أسلحة وذخيرة ومعدات ومهمات ونقلتها للضفة الغربية واتخذت هذا الموقع كقاعدة لدفع دوريات وكمائن لتحقيق مهمتها، ورفعت المجموعة علم مصر على سارية وسط الموقع اليهودي وثبتته بقاعدة خرسانية بالأرض من الأسمنت الذي استولت عليه، وحاول العدو مهاجمة الموقع وطرد المجموعة منه، ولكنه فشل وانسحب، ولم يحاول مهاجمته مرة أخرى. وحتى يمكن للمجموعة تأدية مهمتها كان عليها أن تبقى بالموقع فترة طويلة قد تمتد إلى بضعة أيام، وخاصة أنه يمكن بسهولة حمايتها ومعاونتها واستمرار إمدادها من الناحية الغربية للقناة، وطلبت من الفريق أول فوزي التصديق بذلك ولكنه ولأسباب سياسية أمرني بإعادة القوة فورًا، وانسحبت المجموعة وهم في مرارة، ولكن الراية المصرية استمرت مرفوعة وسط الموقع الإسرائيلي ولم تتمكن أي قوة إسرائيلية من الاقتراب منها حتى ٨ أغسطس ١٩٧٠ موعد إيقاف النيران.

معارك الاقتناص

تم تخصيص أفراد قناصة على درجة عالية من المهارة في الرماية وإصابة الهدف من أول طلقة، وخصصت لهم أمكنة معينة وأخرى تبادلية، ووضعت تسعيرة لاقتناص فرد العدو كل حسب رتبته وقيمته، استنفدت أموالًا كثيرة من حسابات الجيش الثاني الخاصة، ولكنها كانت عاملًا حاسمًا في رفع المعنويات وظهر أثرها في إحباط معنويات العدو، واضطُرت القيادة الإسرائيلية إلى تحذير جنودها من الاقتناص بوضع لوحات تحذير بالبنط العريض في خنادق العدو المكشوفة في كل مواقعه الدفاعية.. تقول: «احذر القناص المصري».

كما وضعت تسعيرة متواضعة لاقتناص الدبابات والمركبات الإسرائيلية بواسطة المدفعية أو أسلحة الضرب المباشر، ولكنها كانت تسعيرة سخية جدًّا بالنسبة للاقتناص بواسطة الكمائن الفدائية.

وأتذكر الجندي المقاتل القناص الفنان أحمد نوار. لقد أرسلت له خطاب شكر وتقدير على اقتناص أفراد العدو وعلقت على صدره نيشان بطل الجيش الثاني. تحية لجميع هؤلاء الرجال.

معركة لسان بورتوفيق ١٠ يوليو ١٩٦٩

قامت الكتيبة ٤٣ صاعقة في قطاع الجيش الثالث الميداني بعملية ليلية ناجحة على موقع العدو في لسان بورتوفيق شرقًا، أحدثت بهم صدمة عنيفة لم تكن أبدًا متوقعة. وتم تدمير الموقع وقتل أفراده والاستيلاء على وثائق وبعض أسلحة ومعدات، وعادت القوة سالمة إلى قاعدتها غرب القناة.

وتعتبر هذه العملية من العمليات الناجحة في التخطيط والتنفيذ والانضباط مع الشجاعة والإقدام. بارك الله في كل من شارك في هذه العملية بأي جهد أدى إلى هذا النجاح الساحق.

معارك المدفعية

كانت خطط النيران تعتمد أساسًا على مدفعية الميدان بأنواعها، وكذا الهاونات بأعيرتها المختلفة، وكان مقياس قدرة الموقع الدفاعي يقدر على أساس هذه الخطة.



"بسم الله الرحمن الرحيم"

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الحربية

قيادة الجيش الثاني

مكتب القائد

رقم القيد / ١٤٣ / ١٥ / ٦١ / ١٩٦٩

التاريخ / ٢٤ / ١١ / ١٩٦٩

الرقيب مؤهلات / أحمد محمد اسماعيل نوار

قيادة اللواء ١١٧ مشاة .

أقدم لك شكري وتقديري على قيامك باقتناص أفراد للعدو في نقطة الدفرزوار في الأيام ٢١/٨ ، ٢٥/٩ ، ٣/١١ ، ١٦/١١ ، ١٩/١١/١٩٦٦ .

متمنيا لك دوام التقدم والله يسدد خطاك .

مع الشكر .

لواء عبد المنعم محمد خليل

قائد الجيش الثاني

صورة الى :

قائد اللواء ١١٧ مشاة .

شهادة تقدير للرقيب أحمد نوار «عين الصقر»

وتطورت مدفعية الجبهة المصرية بازدياد الدعم السوفيتي، واستخدمت بتركيز وبدقة فائقة استنزفت قوة العدو وقدراته وشلت حركته في مواقف كثيرة. وكان العدو يرد بالقصف المضاد بمدفعيته الثقيلة، وفي يوم ٩ مارس ١٩٦٩ أصابت إحدى هذه القذائف الفريق أول عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية أثناء مروره على الموقع رقم ٦ في الإسماعيلية، وأصيب معه اللواء أ.ح عدلي سعيد قائد الجيش الثاني في ذلك الوقت، ولكن أراد الله للفريق رياض الشهادة.

دوريات الاستطلاع خلف الخطوط

هي دورية صغيرة من ٢ إلى ٣ أفراد تعيش في عمق مواقع العدو لمدة ١٠-١٥ يومًا للحصول على كل ما يمكن من معلومات عن العدو، وتعود وتتوالى الدوريات بصفة مستمرة تقريبًا. وهذا النوع من الدوريات له فائدة كبيرة جدًّا.

عملية رأس غارب

جاء انتقام العدو الإسرائيلي من العمليات النشطة لقواتنا شرقًا بعملية خطف جهاز رادار ب ١٢ روسي من موقعه في رأس غارب بمنطقة خليج السويس ليلة ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩، وتمكن من القضاء على الطاقم وحمل الجهاز في طائرتين هليكوبتر إلى إسرائيل.

وأثرت هذه العملية على الروح المعنوية للقوات، وكان لها تأثير كبير في نفس الرئيس عبد الناصر، وكذا في العلاقة المصرية السوفيتية. ولكنه كان درسًا له نتائج يجب مراعاتها في حماية الأهداف الحيوية وأسلوب نجدتها.

الدعم الأمريكي لإسرائيل

بوصول طائرات الفانتوم الأمريكية إلى القوة الجوية الإسرائيلية أمكنها من تحقيق أهم مهامها، وهي تعطيل إنشاء قواعد الصواريخ المصرية المضادة للطائرات، بل مكنته أيضًا من تدمير بعض المواقع القائمة فعلًا. ومنذ وصولها في أبريل ١٩٦٩ حتى ديسمبر ١٩٦٩ قام العدو بحوالي ٣٥٠٠ طلعة لضرب وسائل الدفاع الجوي وقوات الجبهة.

ومن بيانات الجيش الثاني الميداني يمكن استنتاج هذا كالآتي:

١ ـ قام العدو الإسرائيلي بحوالي ١١٦٧ طلعة جوية، وخسرنا حوالي ١٥٠ قتيلًا، ٣٠٠ جريح، ولم يدمر لنا سوى ٦ مدافع مضادة للطائرات ٣٧مم، ٨ مدافع ميدان ٢٥ رطلًا، ١٠ مدافع مضادة للدبابات. وإذا قارنا طلعات العدو الجوية على مواقعنا بما تحملنا من خسائر، نجد أنها قليلة بالنسبة لضراوة القصف الجوي.

٢ ـ وفي الوقت نفسه تمكنا من إسقاط: ١١ طائرة للعدو، منها ٦ طائرات مقاتلة، ٣ ميراج، ٣ سكاي هوك، ١ ميستير، ٥ طائرات مروحية.

٣ ـ وكانت خسائر إسرائيل من أبريل ١٩٦٩ إلى نهاية نوفمبر ١٩٦٩: ١١٣ قتيلًا، ٣٢٠ جريحًا حسب التقارير الإسرائيلية الرسمية، وتم أسر الملازم «دان أفيدان» في قطاع الدفرسوار.

٤ ـ وقامت قواتنا الجوية بعدد ٢٩٠٠ طلعة جوية، منها ١٧٠ للعمل ضد الأهداف الأرضية، ٧٠ طلعة للاستطلاع، وتمت ٢٢ معركة جوية اشترك فيها ١١٠ مقاتلة مصرية ضد ١٣٠ طائرة إسرائيلية، وخسرنا ٢٣ طائرة وخسر العدو ١٤ طائرة.



الأبطال الخمسة الذين أسروا «دان أفيدان» الضابط الإسرائيلي ـ ١٩٦٩

الفصل التاسع

فترة حرب الإرهاق

مرت الفترة من ٥ يونيو ١٩٦٧ إلى توقيت وقف إطلاق النيران في ٨ أغسطس ١٩٧٠ بمراحل نشاط قتالي وأخرى هدوء نسبي، وتعددت الآراء في أسلوب تقسيم هذه المرحلة، ولكن من وجهة نظري كقائد ميداني عايش كل هذه المراحل أقرر:

أنه منذ فترة ما بعد ٥ يونيو قررت القيادة السياسية المصرية إزالة آثار العدوان، وتُرجمت عسكريًّا بتحرير الأرض بالقوة، وهذا القرار يتطلب إعادة تنظيم القوات وتسليحها وتدريبها مع تثبيت عقيدة القتال في قلب وعقل كل ضابط وجندي، حتى يمكن رفع الكفاءة القتالية لجميع التشكيلات المصرية على أسس سليمة.

وكان جدار الخوف الذي أقامته الدعاية الإسرائيلية وساعدتها الظروف المختلفة منذ حملة فلسطين عام ١٩٤٨، ثم أثناء الجولة الثانية من الاعتداءات في عام ١٩٥٦ ثم في هذه الأيام النحسات من يونيو ١٩٦٧، ما زال هذا الجدار قائمًا، ولا بد من إزالته وتدمير آثاره ونقله إلى البر الشرقي!

وعاشت القوات المسلحة المصرية فترة التقاط الأنفاس بالصبر والرباط، فقد كان العدو يشعرنا بالاستخفاف، ولم تمضِ أيام قلائل حتى كانت معركة رأس العش وما بعدها من معارك برغم بساطتها، إلا أنها أذاقت العدو المتعجرف طعم الهزيمة ومرارة الخسائر في الأرواح، ولم تمضِ إلا أيام قلائل على انتصاراته.

وجاء عام ١٩٦٨ بشروق شمس الأمل وتشقق جدار الخوف وتداعيه ثم سقوطه بغير رجعة. ومع بداية عام ١٩٦٩ بدأت قواتنا في إقامة جدار الرعب شرقًا وفي

قلب شعب العدو، وتم تصعيد العمليات الحربية والحصول على أسرى من العدو لأول مرة.

وكانت حرب الإرهاق الحقيقي مع بداية عام ١٩٧٠ والتي استمرت حتى ٨ أغسطس ١٩٧٠، والتي جعلت الرئيس عبد الناصر يدعو القادة والرؤساء والمستشارين السوفييت إلى اجتماعات قمة ويتساءل: «هل نستطيع الاستمرار في حرب الإرهاق؟ وإلى متى؟ إنه سلاح ذو حدين!».

عمليات الردع

أخذ التخطيط الإستراتيجي للخطة ٢٠٠ يتطور، وفي كل مرة يزداد حجم التشكيلات المقاتلة ويزداد الدعم السوفيتي بتزايد الجهد العسكري في التدريب العملي الواقعي على عمليات العبور، واقتحام المواقع الحصينة. وتطلب الموقف مواجهة الخطط الجديدة للعدو بعدما أذيع عن تعيين الجنرال الدموي «شارون» قائدًا للجبهة شرق قناة السويس، وبعد تصريحات وزير الدفاع الإسرائيلي باستخدام القوات الجوية الإسرائيلية ضد حائط الصواريخ المصري، وضد مدن القناة، واحتمال التوسع في عمليات الإغارة في العمق المصري. فأصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية تعليماتها بالتخطيط للقيام بعمليات عبور القناة على مواجهة واسعة وبقوات كبيرة، مع التوسع في الإغارات والكمائن بالضفة الشرقية للقناة وفي العمق، وتم وضع الخطط والتي سميت بعمليات الردع.

١ ـ عملية الإغارة شمال البلاح

قامت مجموعة من اللواء ١٣٤ التابع للفرقة ١٨ المشاة ليلة ١٥ فبراير ١٩٧٠ بإغارة ليلية على موقع العدو الحصين بمنطقة جنوب القنطرة، يطلق عليه موقع شمال البلاح لوقوعه عند تفريعة جزيرة البلاح التي تتفرع عندها القناة إلى فرعين يلتقيان ثانية عند موقع جنوب البلاح، الذي ما زال العلم المصري مرفوعًا في منتصفه شرق القناة منذ ٦ أكتوبر ١٩٦٩.

سميت العملية «شعير» نسبة إلى قائد اللواء الذي خطط لها وتولى قيادتها. وقد تمكنت القوة من عبور قناة السويس بالقوارب وتسلقت الميل الحاد للضفة الشرقية

للقناة، وأتم المهندسون فتح الثغرة المطلوبة، ولكن انفجر لغم في أحد الرجال، فانقلب الاقتحام الصامت إلى اقتحام صاخب، أي تحت ستر النيران.

واندفعت القوة إلى داخل الموقع مستخدمة القنابل اليدوية والرشاشات، وقامت بتفتيش الموقع، واستولت على عدد من الأسلحة والرشاشات وشرائط ذخيرة، وقامت بنسف مخازن الذخيرة والألغام. وتوالت الانفجارات في الموقع وانسحبت القوة تحت ستر وحماية قواتنا من الضفة الغربية للقناة، وسحبت القتلى والجرحى، وحوَّل العدو أرض المنطقة إلى نهار بواسطة مشاعل ألقتها الطائرات حتى تستطيع التدخل.

وأهم نتائج هذه المعركة أن انفجار اللغم مصادفة أعطى العدو فرصة للهرب من السراديب إلى خارج الموقع، ولم تتمكن القوة من الحصول على أسرى.

ظهرت في هذه العملية بطولات نادرة، أهمها أن فرد المهندسين الذي انفجر اللغم فيه وهو يفتح الممر للقوة ارتمى على الأسلاك والألغام الأخرى ليعبر باقي الرجال على جسده.

وبطل آخر تطوع باستكمال نسف مخزن الذخيرة الذي لم تشتعل فتيلة الانفجار الخاصة به، وتم تفجيره باليد، ولكنه استشهد وفقد البطل الأول قدميه، وبطل آخر ظل يفتش على أفراد العدو ليصطاد أسيرًا إسرائيليًّا وينال وسام بطل الجيش الثاني.

كان اقتحام هذا الموقع بالمواجهة كأسلوب آخر من أساليب الاقتحام، لأن ما تم من قبل في عام ١٩٦٨ في الإغارة على موقع العدو في الدفرسوار تم الاقتحام من الخلف.

٢ ـ عملية أول مايو ١٩٧٠

قام الجيش الثاني الميداني تحت قيادتي بدفع كتيبة صاعقة إلى الضفة الشرقية للقناة في منطقة كم ١٨ جنوب بورسعيد، وهاجمت موقعًا حصينًا للعدو واتخذته قاعدة للكمائن والإغارات لمدة ٢٤ ساعة، ونجحت في أسر ٢ من أفراد العدو الجرحى مات أحدهما قبل العبور، والآخر مات بعد العبور غربًا، وتم تسليم جثته إلى الصليب الأحمر الدولي حسب التقاليد العسكرية. وكم كنا نتمنى أن يبقيا حيَّين لتكون هدية عيد العمال ذات معنى!

٣ ـ سبت الحزن ٣٠ مايو ١٩٧٠

برغم المحاولات السابقة لم تستطع قواتي الحصول على أسرى أحياء بعد «دان أفيدان» عام ١٩٦٩، ولكني كنت مصممًا على ضرورة الحصول على ما نريد بأي وسيلة.. وتم التخطيط للحصول على أسرى في كل قطاعات الجيش الثاني، وكان كل القادة يشاركونني هذه الرغبة. وحانت فرصة العمر يوم السبت الموافق ٣٠ مايو ١٩٧٠ في قطاع الفرقة ١٨ بالقنطرة، وكذا في قطاع بورسعيد في المنطقة التي اتُّفِق على تسميتها «رقبة الوزة». وطبيعة الأرض في هذه المنطقة تشبه رقبة الإوزة فعلًا، فالرأس تمثلها مدينة بورسعيد، والمنقار في بورفؤاد، والرقبة الطويلة تشمل مناطق رأس العش والتينة والكاب، وتعتبر القنطرة الجسم.

أفادت المعلومات التي تم تجميعها منذ أكثر من شهر على نظام روتيني يومي للقوات الإسرائيلية في هذه المنطقة، وتم رصد التحركات والنظام التفصيلي المتبع، وعدد الدبابات المتحركة والعربات، وأسلوب التحرك ومواعيده في الذهاب والعودة. وقبل العملية بفترة حوالي أسبوع لوحظ وجود غطاء جوي من طائرتين لحماية القول أثناء الذهاب والعودة، وكان الاستنتاج أنه ربما يكون أحد القادة الكبار في مرور على المواقع في هذه المدة حيث يصعب استخدام الهليكوبتر، لأنها ستكون معرضة للإسقاط. وتم تلقين القادة المكلفين بالمهمة وترك لهم فترة لاستمرار الاستطلاع والمراقبة ليلًا ونهارًا، وتخصيص القوات اللازمة للتنفيذ وتدريبهم على مهامهم.

وتحدد توقيت العملية لتكون يوم السبت الموافق ٣٠ مايو ١٩٧٠.

وخصص قائد قطاع القنطرة، العميد أ.ح فؤاد عزيز، الكتيبة ٨٣ صاعقة للقيام بالعملية في القطاع من شمال القنطرة حتى الكاب حوالي كم ٣٣، واحتلت الكتيبة مواقعها حسب الخطة، وخصص قائدها ٨ أفراد فقط للعبور في قطاعه وتنفيذ العملية في منطقة كم ٣٠ شمال القنطرة.

وخصص قائد قطاع بورسعيد مجموعة من اللواء ١٣٥ مشاة بقيادة عميد أ.ح فهيم شديد ومعه مقدم محمود الجوهري من الإشارة (مدرب الفريق القومي لكرة القدم عند كتابة هذه السطور) للقيام بالعملية في قطاعه، وتم اختيار ٢١ فردًا منهم

للعبور وتنفيذ العملية في منطقة كم ١٨ جنوب بورسعيد. وتم عبور القوة قبل فجر يوم ٣٠، واتخذت مواقعها حسب الواجب والمكان المدرب عليه الفرد في إخفاء تام، وقبل شروق الشمس كان كل فرد في مكانه تمامًا وكانت القوة بقيادة نقيب شعبان حلاوة.

وأفادت نقط المراقبة بالقنطرة عن تحرك القول الإسرائيلي إلى الشمال حوالي الساعة السابعة صباحًا. وكان التحرك بنفس النظام العادي اليومي. مجموعة أفراد مترجلين للمراقبة وتفتيش الأرض قبل القول بحوالي ٥٠٠ متر ثم ٣ دبابات، وخلفها ٤ عربات منوعة مملوءة بالجنود العائدين إلى أماكنهم بعد الإجازة السعيدة، وطائرتان في الجو للحماية. واصل القول الإسرائيلي تحركه البطيء وعبر منطقة كم ٣٠، وعميت قلوبهم عن الكمين المختفي تحت الأحجار! وفي حوالي الساعة العاشرة والنصف وصل القول إلى منطقة كم ١٨ في هدوء واطمئنان، والذي تحول في لمح البصر إلى جحيم من النيران والذعر والخوف والاضطراب، إذ اقتحم الأفراد الـ٢١ القول كل في اتجاهه، وفي لحظات حاول كل فرد منهم أن ينال شرف خطف جندي إسرائيلي، ولكن للأسف كانوا قتلى! ولمح أحد الأبطال من يهرب ناحية الملاحات فقفز وراءه ولكنه استسلم، وقال:

ـ أنا شاويش مظلات لا تقتلني.

وحاولت القوة العودة إلى البر الغربي من الحادية عشرة صباحًا، ولكنها لم تستطع العبور سباحة نظرًا لشدة النيران التي كانت الطائرات الإسرائيلية تلهب بها سطح مياه القناة إلى الساعة السادسة مساء. وعبرت القوة ٢٢ فردًا إلى الضفة الغربية في سعادة برغم الإجهاد والمتاعب دون أي خسائر والحمد لله، وتم نقل الأسير جوًّا إلى القاهرة.

جمع الإسرائيليون شتاتهم بمعاونة نجدة من الموقع الإسرائيلي القريب، وتحت ستر الطائرات الإسرائيلية، وعاد القول مسرعًا إلى القنطرة شرق حتى يمكن إسعاف الجرحى وإخلاء الموتى، وكانت الطامة الكبرى في انتظارهم عند كم ٣٠ حيث اقتحم رجال الصاعقة الثمانية القول الحزين من حيث لم يحتسبوا وقذف الله في قلوبهم الرعب والخوف واليأس.

وحاول كل فرد من الصاعقة حمل جندي إسرائيلي جريح وأسْره، ولكن الجميع كانوا في عداد القتلى إلا رقيبًا إسرائيليًّا كان من حظ هارون الجندي السوهاجي الذي عبر به القناة سباحة حامله على ظهره، وعاد به إلى الضفة الغربية في أمان، فنال وسام بطل الجيش الثاني وترقية استثنائية إلى رتبة الرقيب أول، ونقل الرقيب الإسرائيلي بطائرة من مطار الصالحية للقاهرة، وهكذا فقدت إسرائيل خيرة رجالها واثنين من رجال المظلات وتدمير الدبابات الثلاث، والعربات المدرعة والمعنويات. وعمَّ الحزن والأسى كل إسرائيل حكومةً وجيشًا وشعبًا يوم السبت الحزين.

وكسبنا الثقة والقوة والفخار، وكانت خسائرنا سونكي بندقية فقط تم العثور عليه في قاع القناة بواسطة الضفادع البشرية عند البحث عن جثث إسرائيلية.

٤ ـ الانتقام الإسرائيلي

في اليوم التالي مباشرة ومع ظهور ضوء نهار يوم ١ يونيو ١٩٧٠، حولت القوات الجوية الإسرائيلية المنطقة من بورسعيد شمالًا حتى القنطرة جنوبًا إلى جحيم بالقنابل الـ١٠٠٠ رطل والنابالم وقنابل المسامير وكل أسلحة الدمار. ثم امتد الانتقام حتى شمل باقي مواجهة الجيش الثاني، وكان تقديرهم هو تدمير كل مَن هو على ظهر الأرض. ولكن يد الله فوق أيديهم.

وبرغم استمرار الانتقام الإسرائيلي لعدة أيام فلم تحدث لنا خسائر، إلا جندي واحد استشهد على طريق الصالحية وهو في طريقه إلى محطة القطار للسفر إلى بلدته.

وقصف العدو أيضًا بعض مناطق في الدلتا ومصنع أبو زعبل للصفيح، ومدرسة بحر البقر الابتدائية بجوار الصالحية، حيث استشهد ٣٠ طفلًا في سن الورد ما بين السادسة والاثني عشر ربيعًا.

الخبرات المكتسبة من سنوات إعادة البناء

١ ـ الصراعات الخفية

كانت نتيجة الصراع الخفي بين الرئيس عبد الناصر والمشير عامر عاملًا مؤثرًا على معنويات القوات المسلحة وعلى كفاءتها القتالية، ظهر هذا بوضوح خلال



الرئيس عبد الناصر مع المؤلف (قائد الجيش الثاني) في الدفرسوار - ١٩٦٩

الأيام النحِسات قبل وبعد ٥ يونيو ١٩٦٧، حتى انتهى الصراع بوفاة المشير عامر يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٧.

٢ ـ هدم جدار الخوف

اكتسبت القوات المسلحة المصرية خبرة قتال حقيقية عندما اشتبكت قواتنا وجهًا لوجه مع العدو سواء في البر أو البحر أو الجو، وبدأت فعلًا في هدم جدار الخوف.

٣ ـ تساقط الطائرات وأسر أفراد العدو الإسرائيلي

إن الحصول على أسرى من العدو يضيف للنشاط الإيجابي قوة وثقة، وكان الحصول على أول أسير ضابط إسرائيلي، ثم الحصول على اثنين أسرى من جنود المظلات، مع أسر عدد من الطيارين الإسرائيليين وتدمير طائرات فانتوم وسكاي هوك وغيرها، إضافة مهمة لعوامل رفع المعنويات سواء للشعب أو للقوات المسلحة.

٤ ـ التصميم على إقامة قواعد الصواريخ المضادة للطائرات

كان التصميم على إقامة قواعد الصواريخ المصرية برغم تدخل العدو الجوي بشدة عاملَ أمنٍ واطمئنان لقوات الجبهة ووصول السلاح الصغير المضاد للطائرات الروسي المسمى «استرلا» وسميناه «الحية» يحمله الجندي على كتفه، والصاروخ منه = طائرة! وقد ذاقت الطائرات الإسرائيلية قسوته وشدة إصابته! ظهرت أهمية الانتشار واستخدام الأرض والسواتر والحفر البرميلية الفردية في الوقاية من القنابل بأنواعها سواء من المدفعية أو الطائرات.

٥ ـ الشجاعة أساسها الشعور بالعدل

أثبتت معارك الثلاث سنوات منذ ١٩٦٧ إلى ١٩٧٠ قدرة الجندي المصري وشجاعته وإقدامه وتضحيته، وخاصة عندما يجد الأيدي الرحيمة التي تعامله المعاملة الحسنة الكريمة وتأخذ بيده إلى طريق المحبة والرحمة وتشعره بالحزم مع العدل.

الفصل العاشر

أضواء مع فكر عبد الناصر عام ١٩٧٠

الاجتماع الأول

عقد الرئيس عبد الناصر أول اجتماع في العام الجديد مساء يوم ٦ يناير ١٩٧٠ بمبنى القيادة العامة بمدينة نصر، حضره نائبه السيد محمد أنور السادات، والفريق أول محمد فوزي وزير الحربية والقائد العام، والفريق محمد صادق رئيس الأركان، وقادة القوات البحرية والجوية والدفاع الجوي، وقادة الجيوش الميدانية والرؤساء. وسبقه مؤتمر تحضيري برئاسة الوزير فوزي أوضح لنا فيه جدول الأعمال المكون من موضوعين:

الأول: الإغارة الإسرائيلية يوم ٢٤/ ١٢/ ١٩٦٩ وخطف رادار رأس غارب.

الثاني: خطة الاستنزاف ضد إسرائيل وخطتها المضادة.

وطلب الوزير منا الصراحة التامة في كل شيء. ثم أشار إلى عقد لقاء آخر في اليوم التالي ينضم معنا فيه المستشارون السوفييت، وأكد القائد العام على أن لا يحاول أحد إخفاء رأسه عن الأخطاء التي حصلت.

بدأ الرئيس هذا المؤتمر الأول بطريقة الأسئلة مع الاستفهام والاستفسار. وكانت تظهر عليه علامات الحزن وتشع من عينيه نظرات الغضب، لأن موضوع عملية الإغارة الإسرائيلية على رأس غارب والاستيلاء على محطة رادار ب ١٢ روسية الصنع، ونقلها جوًّا إلى إسرائيل يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩، أي قبل اللقاء بأيام قلائل، كان هو محور المؤتمر.

قال عبد الناصر:

ـ لماذا يتفوق العدو علينا في التخطيط والتنفيذ؟ لقد قررنا حرب الاستنزاف. هل نستطيع تحملها حيث إنها سلاح ذو حدين؟ وفي حالة ما إذا كان بحد واحد فقط فسنكون نحن عرضة له!

والموضوع الثاني هو موضوع رادار رأس غارب. وهي تعتبر عملية فريدة في التاريخ ولكنها ليست الوحيدة، فعملية دبيب في الحرب العالمية الثانية لم تستطع قوة الإغارة الأمريكية من سحب كل الرادار ولكنْ أجزاء منه فقط!

ثم استطرد قائلًا:

ـ قادة الجيوش يجب أن يكونوا مسؤولين مسؤولية كاملة في كل ما يقع في دائرتهم. ولا يجب وضع ضابط مهندس ليقود وحدة مقاتلة! يجب دراسة كل هذا وبحثه بعناية.

وهذه العملية أثرت على الروح المعنوية جدًّا. والعدو يعرف عنا أكثر منا! والقيادة الإسرائيلية تعمل على أساس العمليات المشتركة ولديهم مدرسة لهذا، لأن العمليات المشتركة لها أهمية كبيرة، كما يجب علينا تكوين أركان حرب متخصصين في العمليات المشتركة. وأنا أقول إن نجاح العدو راجع إلى الاستطلاع بالكامل مع التخطيط الجيد والتدريب وقصورنا وضعف قواتنا.. الموضوع أخطر مما تتصوروا! وأحب أن أسمع من الجميع آراءهم بصراحة.

وتكلم كل من حضر هذا الاجتماع من الرؤساء والقادة كلٌّ فيما يخصه، ولما تكلم رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة علق الرئيس على تقريره قائلًا:

ـ أهمية الإجراءات التأمينية ضد أعمال العدو النشطة وأهمها:

ـ تدعيم المناطق الحيوية في الدولة.

ـ إعادة توزيع القوات في المناطق على أساس كتائب مشاة مدعمة لتأمين ونجدة الأهداف الحيوية.

ـ يجب أن يحمل كل جندي بندقية مهما كان وضعه في القوات المسلحة لحماية نفسه ووحدته، وهذا حتمي. كل واحد يدافع عن نفسه.

وعن أسلوب حماية الأهداف والوحدات المنعزلة كما حدث في عملية رادار رأس غارب، علق الرئيس قائلًا:

ـ قطعًا في غلط في طريقة حماية الوحدات المنعزلة. وهذه الطريقة خاطئة وغير واضحة. ويجب أن يوضح خط القيادة والسيطرة تمامًا وإلا يبقى هذا الموضوع غير سليم.

وبعد أن عرض رئيس الاستطلاع تقريره أثير موضوع إرسال قوات من القاهرة للقيام بعمليات وأعمال نشطة في الشرق، وكان قادة الجيوش قد اعترضوا على هذا ووافقهم الرئيس قائلًا:

ـ لن نسمح لقوات من القاهرة بالقيام بعمليات في الجيوش.

وكان يستمع إلى تقارير الرؤساء عما وصلت إليه القوات من مستوى في التدريب، وأصدر أوامره بضرورة تدريب القيادات عمليًّا على العمليات المشتركة.

ولوقاية تجمعات الوحدات غير المقاتلة قال:

ـ يجب التفكير في نقل معسكرات التجنيد من التل الكبير وإخلاء منطقة مطار أبو صوير المكدس بالأفراد.

وعن تنقلات الضباط أشار إلى عدم نقل الضباط من الوحدات لفترة عام أو أكثر حتى تتفرغ التشكيلات والوحدات لرفع درجة الاستعداد، وأشار إلى نقل القائد غير الصالح فورًا! وقال:

ـ يجب عدم الجلوس في المكاتب. وأهمية المرور دائمًا.

القوات الجوية

بعد مناقشة موقف القوات الجوية في هذا الاجتماع الخطير وتطرق الحديث إلى مسؤوليات القادة في موضوع رادار رأس غارب، كانت توصيات القائد الأعلى حسب أسلوب حديثه عنها:

ـ لقد حقق العدو هدفه في تعطيل كتائب الصواريخ، ونسبة القصف الجوي كانت كبيرة، لأننا لم نشرك قواتنا الجوية خلال شهر ديسمبر ١٩٦٩، ويجب اشتراكها في معاونة القوات البرية وحمايتها.

ويجب اختيار ضباط طيارين أَكْفَاء للاعتراض ويُعطَوْا علاوات زيادة، ويُخصَّص

لهم توقيت معين للاقتناص. ويجب تدعيم دفاع جوي الجيوش بمواسير مضادة للطائرات، أقصد مدفعية، وإشراك القوات الجوية في الدفاع الجوي.

ثم موجهًا حديثه إلى قائد القوات الجوية:

- يجب على القوات الجوية السيطرة الكاملة على قواتها، ويجب أن يتواجد قائد القوات الجوية وكل القيادات في مواقعها عند الاعتراض الجوي، ويجهز كل شيء تمامًا في كل النواحي.

وتطرق الحديث في موضوعات مختلفة بطريقة أسئلة واستفسارات، ثم يصدر تعليمات إلى كل الموجودين عن أهمية تحسين طعام الجنود والمرور على مطابخ الجنود ومحاولة التغلب على وجود العهدة لأنها تعني وجود مؤخرات للوحدات، إلخ. وأهمية حل مشاكل الجنود، وقال:

- نحن مستعدون لحلها وابحثوا خلف الشكاوى.

وأعجبني تفكيره وبُعد نظره عندما سأل سؤالًا عن موقفنا عند هجوم العدو الجوي، وأجاب هو عليه بسرعة وبثقة. قال:

- عندما تصل الفانتوم سيستخدم العدو قواته الجوية بتركيز في شهر سبتمبر ١٩٧٠، ويجب أن تكون التجهيزات الهندسية كاملة وتحسن يوميًّا، ويجب أن تعلموا أن الدفاع سيطول ولن نعدي إلا إذا كنا مستعدين.

وتكلم قائد الدفاع الجوي وأشار أن وحدات الدفاع الجوي الحالية لا تستطيع توفير الحماية الكافية للتجميع الرئيسي للقوات البرية حتى مايو ١٩٧٠. رد عليه الرئيس قائلًا:

- يحدد وقت استعداد الدفاع الجوي ليكون في شهر مايو ١٩٧٠، ويجب معاونة قوات الدفاع الجوي بعناصر مهندسين أكثر وإمكانيات أكبر حتى تعطى الفرصة لأفراد الدفاع الجوي أن يعيشوا.

وبعد استراحة قصيرة بدأ الاجتماع مرة أخرى، وتكلم الرئيس عن التطورات في المنطقة وموقف مصر منها، موجهًا حديثه إلى القادة قائلًا:

- منذ قامت الثورة ونحن في معارك مستمرة ضد القوات الإنجليزية في منطقة القنال حتى اتفاق الجلاء عام ١٩٥٤. وفي عام ١٩٥٥ كانت المعركة عنيفة ضد

حلف بغداد، وفي هذه السنة امتنع الإنجليز عن تزويدنا بالأسلحة، واشترطوا ضرورة إيقاف هجومنا على الحلف، ورفضنا. واتجهت إلى الاتحاد السوفيتي عام ١٩٥٥، ومن هنا بدأت علاقتنا. وتطورت الأمور وأوقف قرض تمويل السد العالي. وأممت مصر قناة السويس. ثم وقع العدوان الثلاثي قبل الوحدة بين مصر وسوريا. وقبل الوحدة تعرضت سوريا لعمليات من تركيا (جاء في مذكرات «أيزنهاور» أنها خطة لاحتلال سوريا). ومن هنا أعلنت مصر موقفها وأرسلت قوات إلى سوريا عام ١٩٥٧ . وتمت الوحدة مع سوريا عام ١٩٥٨ وتعرضت مصر لحرب بكل الوسائل. وتكوَّن اتحاد العراق-الأردن كملكية. وفي يوليو ١٩٥٨ قامت ثورة العراق وقضت على العائلة المالكة. وأنزل الأمريكان قوات في لبنان. وأنزلت إنجلترا قوات في الأردن. وأعلنت مصر موقفها أنها تقف مع العراق. وسافرت سرًّا إلى موسكو من يوغوسلافيا، وقابلت القادة السوفييت، ولما عدت إلى مصر شعرت بتحول السياسة الأمريكية-الإنجليزية إلى احتواء ثورة العراق وليس مهاجمتها، وانتهى حلف بغداد نهائيًّا. وبدأت نغمة الخطر الأحمر، وكان رد مصر على أمريكا أن الخطر الأكبر هو إسرائيل وليس روسيا! وفي عام ١٩٦١ حصل الانفصال بين مصر وسوريا، واشتركت فيه كل القوى الإمبريالية والرجعية، ولكن مصر استطاعت الصمود. وفي سبتمبر ١٩٦٢ قامت ثورة اليمن وأعلنت مصر مساندتها لها وأرسلت لها قوات، ونتج عن هذا مساعدتنا لليمن الجنوبي (عدن) حتى استطاعت الاستقلال.

وفي عام ١٩٦٧ حصل العدوان الإسرائيلي وأعادت مصر تنظيم قواتها بعد هذه العملية. في جميع هذه الجولات والمعارك اعتقد الأمريكان والإنجليز أن مصر انتهت، ولكن بالعكس نحن في عام ١٩٧٠ ولم ننتهِ! ولكن انتهت كل خطط الاستعمار في السودان وفي ليبيا، وتعهدت مصر أنها ستقف مع ثورة ليبيا عسكريًّا ضد أي تدخل أجنبي لأن مصر اعتبرت ثورة ليبيا أهم بكثير من ثورة العراق عام ١٩٥٨، حيث إن ليبيا لها أهمية اقتصادية كبيرة، فهي تنتج ١٥٠ ألف طن بترول يوميًّا برؤوس أموال أمريكية وغربية، ولها أهمية إستراتيجية

كمنطقة تدريب على الطيران واستخدام الأسلحة. وبعد المؤامرة الأخيرة في ليبيا، والتي اشترك فيها وزير الدفاع الليبي، طلبت ليبيا من مصر إرسال قوات، وأرسلت مصر فعلًا كتيبة صاعقة بملابس مدنية، كما طلبوا قوات مدرعة تكون قرب الحدود، وأرسلت مصر قوات مدرعة إلى مَرْسَى مطروح جارٍ البحث في دعمها بأكثر من كتيبة مدرعة، ويطلب رجال ليبيا خطوات وحدوية، واتفقت مصر وليبيا على بدء توحيد القوات المسلحة. هذه هي التطورات العنيفة في المنطقة وموقف مصر منها. ومعناها أن مصر لم تنتهِ بعد، بل العكس. وعلى هذا ليس لأمريكا غير إسرائيل تستخدمها ضد مصر!

وأشار عبد الناصر إلى كيفية استخدام أمريكا لإسرائيل ضد مصر، فقال:

- في عام ١٩٥٦ استنكر العالم العدوان الثلاثي على مصر، لأن دولتين كبيرتين تهاجمان دولة صغيرة. ولم يوافق «بن جوريون» على دخول الحرب إلا بعد توقيع اتفاق على غطاء جوي فرنسي-إنجليزي ومعاونة كاملة. واستمر «بن جوريون» في باريس حتى وقَّعت فرنسا وبريطانيا على هذا. وبدأ تنفيذ المخطط في البحر الأحمر. ومن الواضح أن مدمراتنا اشتبكت مع مدمرات فرنسية وليست إسرائيلية، وطبعًا كان هناك غطاء جوي فرنسي-إنجليزي-أمريكي!

ومن الطبيعي عند التفكير في عملية أخرى يفكرون في استخدام إسرائيل وحدها أنسب، على أساس أنها تخدم الأهداف الأمريكية في المنطقة. وتعتقد مصر أن أمريكا ستدفع إسرائيل أكثر وأكثر. وقال «بارليف»: «إننا حطمنا القوات المسلحة المصرية عام ١٩٦٧، ولكن المرة القادمة سنحطم المقاومة العربية كلها».

وكان تقدير القيادة المصرية السياسية أن الهجوم على مصر سيشتد في الشهور التالية. فإسرائيل تعتقد أننا سنعبر القناة صيفًا، ولذا ستقوم بكل طاقتها بأعمال تمنعنا من بناء قواتنا وإعداد القوى واستنزاف دفاعنا الجوي وسلاحنا الجوي. ونحن لا نحارب إسرائيل وحدها، ولكن وراءها الصهيونية العالمية والاستعمار العالمي، وميزانية إسرائيل في العام الجديد (١٩٧٠) ١٨٠٠ مليون دولار، ويستطيعون الحصول على طيارين من كل بلاد العالم التي بها يهود مثل

فرنسا، أمريكا، جنوب أفريقيا، إلخ. ومعنى ذلك أن هناك في الجانب الآخر إعدادًا للقوى للقتال والعدوان. ومن الآن حتى يوليو ١٩٧٠ ستركز إسرائيل كل مجهوداتها حتى تمنعنا من القدرة على عبور القناة.

واختتم الرئيس جمال عبد الناصر قائلًا:

ـ يجب أن نسير على مراحل جزء جزء، ويكون فيه نظام سليم للعمل، ولا داعي لأن يعمل كل القادة مرة واحدة، ويجب وضع خطة للراحة، ولن يتعطل العمل إذا غاب القائد أو غيره. ويجب التفكير في أن تعمل القوات المسلحة على أساس العمليات المشتركة، مع الابتكار وإدخال أشياء وأفكار جديدة. هذا هو تصوري للموقف، وغدًا سيكون هنا اجتماع مشترك مع المستشارين السوفييت للمناقشة وبحث إستراتيجية الاستنزاف.

الاجتماع الثاني

وعقد أول اجتماع مشترك يضم مع كل من حضر في مؤتمر يوم ٦ يناير ١٩٧٠ كبير الخبراء السوفييت في مصر الجنرال «كاتشكن» وكل المستشارين السوفييت في القوات المسلحة المصرية، حتى مستوى مستشاري قادة الجيوش والمناطق العسكرية. وعقد هذا اللقاء في مبنى القيادة العامة في مدينة نصر يوم ٧ يناير ١٩٧٠، واستكمل يوم ١٠ من الشهر نفسه، وحضره مع الرئيس جمال عبد الناصر نائبه السيد أنور السادات.

وجَّه الرئيس جمال حديثه إلى كبير الخبراء السوفييت قائلًا له:

ـ نحن نقدر جهودكم في كل شيء، وفكرة الخبراء هي فكرتي، وأنا صممت على هذا لأننا نريد أن نتعلم، وأمامنا معارك كبيرة جدًّا، إما نستسلم أو نقاتل.

ثم التفت إلى الجميع قائلًا:

ـ كان الواضح من زيارة الرئيس «بودجورني» أن مشكلتنا الأساسية هي الدفاع الجوي والطيران، وإستراتيجية إسرائيل مبنية على أساس الاحتفاظ بالتفوق الجوي لعدم إمكانها الدخول في سباق لباقي الأسلحة الأخرى.

والحقيقة أن المعركة قادمة، وفيها سُمعتكم كسوفييت لأن سمعتنا ضاعت

عام ١٩٦٧، و«ديان» يقول إنه المخطط السوفيتي! ويجب أن تكونوا (موجِّهًا حديثه إلى المستشارين السوفييت) مسؤولين مسؤولية مباشرة لأجل سمعة العسكرية السوفيتية. وهذا ليس كلامي فقط، ولكن الأمريكان قالوا هذا أيضًا في المجلة العسكرية الأمريكية «ميليتري رفيو» عدد ديسمبر ١٩٦٩، وتوجد بيننا مصالح مشتركة: نريد السلام، ولكن أمريكا لا تريد منا إلا الاستسلام. وعلى أساس هذه المسؤولية المشتركة بيننا، وجدت ضرورة هذا الاجتماع، وسأوالي هذا في المستقبل إن شاء الله. أنا أعتبر أنكم مسؤولين مسؤولية مباشرة.

ورد الجنرال «كاتشكن»:

ـ إن هذا كله حقيقي، ونجاح المدرس مرتبط بنجاح التلميذ.

فرد عليه الرئيس جمال:

ـ وأنا مسؤول أن التلاميذ يشتغلوا كويس.

وضحك الجميع.

ثم قال الرئيس جمال عبد الناصر في حزم:

ـ مسؤوليتكم ليست كخبراء أو مستشارين، بل أكبر من هذا. وأي مشاكل لكم أنا مستعد لحلها فورًا، الموضوع بالنسبة لنا حياة أو موت.

ثم استمع إلى تقارير المستشارين السوفييت عن القوات الجوية، ثم الدفاع الجوي، وبعده مستشار القوات البحرية، ثم تقرير مستشار الاستطلاع، ثم مستشار هيئة عمليات القوات المسلحة، ثم مستشار الجيش الثاني الجنرال «بوكاتو» ومستشار الجيش الثالث. ثم علق كبير المستشارين السوفييت، وأنهى الرئيس جمال المؤتمر في الدقائق الأولى من يوم ١١ يناير ١٩٧٠.

تقرير مستشار القوات الجوية الجنرال «دينيسوف»

ـ قام العدو الجوي اعتبارًا من ٢٠ يوليو ١٩٦٩ بـ٣٥٠٠ طلعة طائرة إسرائيلية لضرب وسائل الدفاع المصري وقوات الدفاع الجوي والقوات البرية، واستخدم العدو أحسن طائراته في معارك الطائرات ضد الطائرات المصرية. أما قواتنا الجوية فقد قامت بحوالي ٢٩٠٠ طلعة حماية جوية، واشتركت في

٢٢ معركة جوية، اشتركت فيها ١١٠ طائرات مقاتلة ضد ١٣٠ طائرة إسرائيلية. وكانت خسائرنا ٢٦ طائرة وخسائر العدو ١٤ طائرة.

ثم قال:

- عندكم مشكلة الطيارين من ٩٢ طيارًا مقاتلًا لا يوجد إلا ٤٩ طيارًا فقط. وليس كل الطيارين قادرين على تنفيذ المهام، حيث يوجد عدد كبير منهم في وظائف إدارية بالقواعد الجوية ولا يشتركون في أعمال الطيران. والمفروض أن يكون لدينا لكل طائرة قتال من ٢ إلى ٣ طيارين على الأقل.

وقال المستشار السوفيتي:

- إن مستوى الطيارين الحالي يحتاج إلى إجبارهم على الطعام، بدل صرف بدل تعيين لهم وهم لديهم قدرة على قيادة الطائرات المعقدة.

وأرى أنه يجب التدقيق في اختيار طلبة الكلية الجوية، لأن المعدات معقدة وتحتاج إلى قدرة طبيعية، لأن ثقافة ١٠ سنوات غير كافية لمثل هذا، وعندكم عدد كبير من الشباب المصري الأقوياء يذهبون إلى المعاهد والكليات المدنية وليس للقوات الجوية، ويجب استدعاؤهم وإعادة النظر في نظام اختيار الطلبة.

وقال:

- عند اختيار ٤٥٠٠ فرد يتم اختيار ٥٠٠ فرد فقط! وفي المرحلة النظرية في الكلية الجوية يذهب ٢٥٪ منهم لضعف الثقافة النظرية. وأشار الرئيس جمال عبد الناصر إلى إمكانيات العدو الجوية، علمًا بأنه ليس لدينا صواريخ مؤثرة مما يشجع إسرائيل على الدخول في العمق أكثر، مثل ضرب دهشور مثلًا. كما قال الرئيس يجب ألا نُظهر عجز القوات الجوية أبدًا، ففي يوليو ١٩٧٠ سيكون لدينا ١٤٦ طيارًا مقاتلًا، وسيكون عندنا ٢٦ طائرة ميج ٢١، ٦٠ طائرة ميج ٢١ معدلة، ٢٤ طائرة لكل الأجواء.

ويجب زيادة الضبط والربط في القوات الجوية وتحديد مسؤولية كل قائد ومعرفة النقص في التدريب ودراسة النواحي الفنية ونواحي الصيانة والتوجيه والتنسيق للعمليات المشتركة، خاصة أن الحرب القادمة حرب أسلحة مشتركة.

قال الرئيس جمال إن موضوع رادار رأس غارب سيكون درسًا للجميع، ويجب

من الآن تواجد كتاب قواعد خدمة الميدان، فهو يوضح جميع واجبات ومسؤوليات القوات المسلحة، ويجب الرجوع إلى الأوامر المستديمة واتباعها. ثم وجه سؤالًا مباشرًا إلى وزير الحربية:

- هل توجد أوامر مستديمة في الجيش؟ وأين هي؟ يجب تجميعها وإصدارها معتمدة من رئيس الجمهورية قبل ٧ فبراير ١٩٧٠ لتكون قانونًا.

ثم قال:

- يجب وضع أسلوب للعمل على مستوى القيادة العامة للقوات المسلحة والقيادات. وما هو هذا الأسلوب؟ المهم لا داعي أن يسهر وزير الحربية ورئيس الأركان ليالي وراء بعضها. فكيف تسير الحرب؟ الجميع يعمل ليل نهار، هذا غير سليم. ولن نستطيع أن نحارب.

وعلى وزير الحربية أن يصدر توجيهًا كاملًا عن هذا، وإن من يصدر الأمر مسؤول عنه، كذا من يصدر إليه الأمر سيكون مسؤولًا، وهكذا.

ثم تساءل:

- هل صدر هذا التوجيه؟ وإن كان قد صدر فهل عمل به أحد؟

هذه مشكلتنا، مسؤولية القائد

لذا يجب تشكيل مجلس حرب في الجيوش لمناقشة الموضوعات، وعلى حسب قرارات المجلس يصدر القائد قراره، فلا يمكن مباشرة الأعمال اليومية ثم التفكير في القتال. ويجب وجود هيئة هي العقل المفكر للقائد، وليس للعمل اليومي ولكن القتال، ويجب الأخذ بالآراء بحُرية وصراحة حتى يمكننا أن ننجح.

وعن الشعور بالمسؤولية على جميع المستويات قال:

- يجب زيادة الشعور بالمسؤولية على جميع المستويات واتخاذ إجراءات حازمة وشديدة لهذا.

يقول كبير المستشارين السوفييت:

- إن عندكم قائدَ كتيبة مثلًا غير صالح ينقل إلى القاهرة في مكان آخر يقول متشكر... ولكن يجب أن ينقل إلى الجيش في مكان إداري أو يعزل إلى قائد سرية!

وانتقل جمال عبد الناصر إلى الروح المعنوية قائلًا:

- أهمية عناصر التوجيه المعنوي لتربية الروح المعنوية على أسس سليمة.

وتساءل:

- كيف يتم هذا؟

وأشار إلى ضعف إمكانيات وقدرات التوجيه المعنوي قائلًا:

- مش ممكن يوكل التوجيه المعنوي في الفرقة إلى نقيب واحد! يجب استكمال عناصر التوجيه المعنوي.

وعن حس اختيار أفراد التوجيه المعنوي قال:

- يجب اختيار أحسن الأفراد في الدولة، مَن عندهم وطنية وغيرة على الوطن يُجندوا في الجيش للقيام بهذا العمل.

وبعدها أصدر جمال عبد الناصر أمرًا بأن هذا ممكن وسينفذ.

وعن دور القادة في غرس روح القتال قال:

- يجب أن يبدأ القادة في غرس روح القتال العالية للقوات، وعلى القادة الاهتمام شخصيًّا بهذا، ويصدر وزير الحربية تعديلات بهذا.

وعن الانضباط قال:

- ويجب مراعاة الضبط والربط وليس التحبب للضباط، والقائد مسؤول عن غرس روح القتال، ثم تقوم القيادة بعمل اختبارات.

هناك خسائر في الوحدات أكثر من خسائر الحرب، مثل حوادث المركبات، إطلاق النيران، الإهمال. وفي العام الماضي خسرتم ٢٦٠٠ عربة. وكثرت حالات الفرار، ومن يغب أكثر من ٢١ يومًا يعتبر هروبًا ويحاكم. كذلك محاولات قتل النفس وحالات التردد في تنفيذ الأوامر، كلها موضوعات حيوية تضع القادة على جميع المستويات على مستوى المسؤولية. ويجب اتخاذ إجراءات لتقليل الحوادث ومعرفة أسبابها.

الدفاع الجوي

بعد أن استمع الرئيس إلى مستشار قائد الدفاع الجوي، وجه الرئيس عبد الناصر سؤالًا، ثم رد على نفسه، قائلًا:

ـ كيف نواجه الشوشرة الرادارية؟ فالعدو يوم ٥ يناير ١٩٧٠ جعل جميع شاشات الرادار بيضاء. ويمكن إسقاط الطائرات التي تقوم بأعمال الشوشرة مثل طائرات الهليكوبتر المجهزة، وهي تطير شرق القناة وعلى ارتفاع حوالي كيلومتر واحد، لذا يجب استخدام القوات الجوية في الاصطياد الحر ضد هذه الطائرات.

ولكن مستشار الدفاع الجوي رد على الرئيس قائلًا:

ـ إن هذا صعب على الطيران نظرًا لاختلاف السرعات، ويمكن استخدام محطات ب ١٢ وتغيير التردد.

وسؤال آخر منه:

ـ لماذا لا ندمر رادارات العدو كما يدمر هو عندنا؟

ورد مستشار قائد الدفاع الجوي قائلًا:

ـ بالجهود المشتركة يمكن عمل هذا، ولكن في المنطقة الأمامية لا يوجد للعدو رادارات.

وهنا التقط الفريق محمد صادق الكرة، وقال في ثقة رجل المخابرات المحنك:

ـ سأُعينها لك بالشعرة.

يقصد تعيين أماكن رادارات العدو بدقة. وضحك الجميع. وسؤال ثالث:

ـ كم طائرة أسقطها الدفاع الجوي من ٢٠ يوليو ١٩٦٩ إلى الآن ٧ يناير؟

قيل: في حدود ٣٥ طائرة طوال العام أسقطها الدفاع الجوي، منها ٧ طائرات أسقطتها قواتنا الجوية. وقد خسرنا ٣٣ طائرة.

تقرير مستشار قائد القوات البحرية

جاء تقرير مستشار القوات البحرية ببداية تثبت أن الكفاءة القتالية والفنية للبحرية المصرية أكثر تفوقًا من البحرية الإسرائيلية، ويمكن استغلال هذا التفوق في تدمير قطع العدو البحرية والمعاونة في عمليات الإبرار التكتيكية البحرية ومعاونة القوات البرية.

ثم قال:

ـ يمكن للقوات البحرية السيطرة على البحر الأحمر وخليج السويس، كما تستطيع عزل خليج السويس، ويجب أن تقوم الغواصات المصرية في المستقبل بأعمال سبع البحر في البحر الأبيض المتوسط.

وأشار المستشار السوفيتي إلى القوات البحرية المصرية، وقال:

- يجب تواجد ٧٥٪ من الضباط على ظهر السفن، أما في الأسطول المصري فالموضوع ليس له اهتمام خاص، حيث إنهم يعيشون على البر أكثر مما يعيشون في البحر.

ثم قال إن ميناء الإسكندرية مزدحم جدًّا، ومن السهل تخريبه، ويجب تجهيز نقط التمركز واحتياجات القوات البحرية الإدارية مع توفير الانتشار.

تقرير مستشار رئيس الاستطلاع

جاء في تقرير مستشار رئيس الاستطلاع أن موقف الاستطلاع في القوات المسلحة يحقق لها القيام بأعمال الاستنزاف، ومعظم وحدات الاستطلاع أخذت خبرة قتال في الجبهة، وتم عمل ٢٠٠ طلعة عام ١٩٦٩، والتقط الاستطلاع اللاسلكي آلاف البرقيات. ثم قال:

- وفي عام ١٩٧٠ الحالي سيتطور الاستطلاع ويستطيع تنفيذ المهام المكلف بها طالما وضعت خطة سليمة.

ورد الرئيس عبد الناصر قائلًا:

- في تقرير من إسرائيل يقولون عنا إن مصر تصدق دعايتها، أما إسرائيل فتصدق فقط تقارير مخابراتها! والحقيقة أنه من مميزات إسرائيل مخابراتهم، وأي مصري مزنوق في أي مكان في الخارج يجروا وراه ويعاونوه، وهم أيضًا يتعاونوا مع المخابرات الأمريكية. وتحصل إسرائيل على معلومات عن مصر من الصحفيين الأمريكان والسواح وغيرهم، كما يقوم الاستطلاع الجوي الإسرائيلي بأعمال الاستطلاع يوميًّا وبكثرة، وقبل أي عملية يسبقها الاستطلاع الجوي، كما يستفيدوا من حل الشفرة، ويعتبر حل الشفرة معلومات درجة أولى ويجب تدعيم هذه الناحية تمامًا. كما يجب تأكيد المعلومات من عدة مصادر، ويجب أن تحصل الجيوش على أسرى ووثائق من العدو حتى يمكن معرفة العدو حقًّا.

وعلق الجنرال «كاتشكن» على الاستطلاع قائلًا:

- إننا لا نعرف العدو الذي أمامنا مَن هو وما هي عاداته وما هي أعماله اليومية.

فالقيادات في تقديرها للعدو مبنية على تقديرها هي وأفكارها فقط، وليست معلومات مؤكدة، ويجب تأكيد المعلومات من عدة مصادر.

ثم قال:

ـ يجب معرفة نقط القوة والضعف في دفاع القوات البرية، وما هي شبكة الإدارة والسيطرة، وما هي شبكة السيطرة الإدارية. ولذا نستطيع سبق العدو في عملياته المحدودة التي قد يستخدمها، ويجب على قادة الفرق الحصول على أسرى من العدو حتى لا تكون عمليات الاستطلاع سلبية.

ثم قال بطريقة عنيفة كأنه يوجه أوامر صارمة:

ـ وإلا فإلى «سيبيريا»!

ثم حسَّن اللهجة قائلًا:

ـ نرجو قبل نهاية هذا العام تطوير الاستطلاع تمامًا والحصول على أسرى، حتى نستطيع معرفة معنويات العدو، وما هي روح القتال عندهم.

ثم استطرد قائلًا:

ـ يجب معرفة نتائج استجواب الأسرى، وأن يكون لديكم خطط للاستجواب لها قيمتها وليس أي أسئلة.

تقرير مستشار هيئة العمليات

قال الجنرال «كاتشكن»:

ـ إن هيئة العمليات هي «المخ الرئيسي» (ترجمة المترجم من الروسية إلى العربية، وأعتقد أنه يقصد «العقل المفكر») لوزير الحربية ورئيس الأركان، ويجب أن يعمل بها أحسن ضباط القوات المسلحة وأكثرهم خبرة وكفاءة، شعارهم: رأس تستطيع أن تفكر. ويجب أن تكون هيئة العمليات أقوى شيء، ويجب عدم إجراء تنقلات كثيرة في القيادات والرئاسات، فهذا يؤثر على درجات الاستعداد. أما مراكز قيادات الجيوش والفرق، فهي كما هي منذ أول الحرب، ويصعب تحريكها من مكانها، وتعتبر هدفًا واضحًا للإغارات الجوية، ويجب اتخاذ قرار في هذا الموضوع. ويجب تدريب مراكز القيادة على الانتقال مع السيطرة على القوات، لأن المعارك الحديثة ذات مناورة

سريعة، والموقف يتغير بسرعة. ويوجد في بعض القيادات ضباط أعمارهم ٥٠ سنة فأكثر، وهم كما هم ولا يفهمون شيئًا! (قد يكون المترجم لم يجد الكلمات المناسبة في الترجمة، لأنه بعد ذلك، اتضح أنهم يطلبون شبابًا في هذه المراكز مثلما هو موجود لديهم في القوات المسلحة السوفيتية).

ثم قال الجنرال:

ـ يجب أن يكون في فرع عمليات الجيوش شباب. ويجب وضع مبدأ ترشيح الضباط لهذه المناصب، مع كسر موضوع الأقدمية، مثال: نقيب مؤمن بوطنه وينفذ عمله تمامًا يُرقى إلى عقيد بعد شهرين! وعقيد آخر ليس مستواه مثل الأول يبقى «عقيد» كما في القوات المسلحة السوفيتية!

وعلق الرئيس عبد الناصر على «كاتشكن» وقال:

ـ قامت إسرائيل بعمل مشروع مراكز قيادات في سيناء لمواجهة عملية عبور قناة السويس، وأثناء تنفيذنا للمشروع الإستراتيجي كان العدو يقوم بنفس المشروع في الجهة المضادة! كيف خرجت المعلومات إليه؟

ثم يقول:

ـ الضباط يمرون على المكاتب، وفي النوادي يقولوا أي كلام، ويجب وضع تخطيط كامل لمحاربة هذا.

وعلى فكرة، محلات القيادات تعرفها إسرائيل، فيجب تغيير الأماكن باستمرار.

وفي يونيو ١٩٦٧ كان الجنرال «جايفتش» قائد الجبهة الجنوبية يتقدم مجموعات القتال ويعمل أثناء الحركة، والحقيقة أن لدى إسرائيل مميزات القيادة أثناء الحركة.

وكان قرار الرئيس بخصوص هيئة العمليات والملاحظات التي أثارها المستشارون:

١ ـ تقوية هيئة العمليات لتكون هيئة عمليات مشتركة.

٢ ـ يجب عمل خطة لتنظيم أمن الوثائق لكل الأفرع في يد فرع مسؤول.

٣ ـ لا تؤجل المشروعات مطلقًا مهما كان السبب.

٤ ـ لدينا إمكانيات تعديل الخرائط بواسطة الصور الجوية وغيرها.
٥ ـ سندرس صناعة أجهزة التشفير (الشفرة) مع وزير الصناعة.
٦ ـ قادة الجيوش لهم حق اختيار الضباط الأَكْفَاء، مثل رئيس الأركان ورئيس العمليات وغيرهما.
٧ ـ سنعمل تنقلات في شهر يناير بين الضباط، ثم لن تكون هناك تنقلات إلا الضروري.

تقارير عن الجيوش الميدانية

في تقرير شفوي من الجنرال «كاتشكن» أفاد بأن الجيشين الثاني والثالث نفذا خطة الأعمال النشطة، ولكن يجب عمل عمليات جديدة لرفع المعنويات، ويمنح الأفراد المستحقون في هذه الأعمال الجريئة لقب «بطل الجيش» كرمز أنه بطل.

وعن الجيش الثاني والثالث أشار أنهم قادرون على تحطيم محاولة العدو لعبور القناة، كما أن مدفعيتهم أجبرت العدو على تغيير تكتيكاته والعودة إلى العمق خارج مدى مدفعية الجيش، كما تم تطعيم المعركة للقوات في الجيشين.

ولدينا أمثلة في الشجاعة والصمود، خاصة في قوات الدفاع الجوي، منها أنهم:
ـ لا يخافون النابلم أو القنابل.

وانتهى الاجتماع الثاني بعد منتصف ليلة ٨ يناير ١٩٧٠ إلى موعد اللقاء الثالث يوم ١٠ يناير ١٩٧٠.

الاجتماع الثالث

انعقد الاجتماع الثالث في السادسة والنصف مساء يوم ١٠ يناير ١٩٧٠، واشترك فيه المستشارون السوفييت، وبدأه الرئيس عبد الناصر بتحليل للموقف قائلًا:

ـ في رأيي أن هناك احتمالًا واحدًا، أن إسرائيل تعتقد أننا سنعبر في الصيف القادم، ولهم هدف وخطة محددة هي منع القوات المسلحة المصرية من عبور القناة، وهذا يتطلب حصولهم على السيطرة الجوية، وعلى هذا فقد بنوا مخططهم على مراحل.

من اليوم حتى يونيو ١٩٧٠: ضرب كل وسائل الدفاع الجوي بالجبهة، ثم

العمق، وكذا المطارات الأمامية، مع استمرار قصف قوات الجبهة، حتى يطمئنوا على عدم قدرتنا على العبور، مع استمرار حصولهم على المساعدات الأمريكية السياسية والعسكرية والاقتصادية.

من أول يوليو ١٩٧٠: القيام بالعمليات الخاصة لكسر المعنويات، وللعدو هدف وخطة لتنفيذ هذا المخطط من يوليو!

وعن موقف قواتنا قال الرئيس:

ـ أما نحن فخططنا غير واضحة! وهدفنا إما الدفاع النشط أو حرب الاستنزاف، فقد بدأنا بتراشق بالمدفعية من أكتوبر ١٩٦٨، وكان اعتمادنا الأساسي عليه، ولما حدثت عملية نجع حمادي أوقفنا التراشق بالمدفعية، وركزنا على الدفاع عن الأهداف الحيوية. ثم بدأنا نشاطنا مرة أخرى في مارس ١٩٦٩. وأحدث هذا النشاط الإيجابي باستخدام حرب الاستنزاف متاعب للعدو، وما نشر في هذه الفترة يدل على متاعبهم في جبهة قناة السويس.

واليوم لا نسمع هذا! والسبب أنهم حلوا مشاكلهم وأعادوا خطوطهم للخلف، فقلَّت خسائرهم وأصبح الاستنزاف بالمدفعية بسيطًا وغير ذي موضوع!

ثم بدأنا الدفاع النشط بالقوات، وهي عمليات ليست بخطة معينة وتُكرر نفسها، واستطاع العدو تجهيز خطة مضادة لها، منها إضاءة أرض المعركة ليلًا بمشاعل الطائرات والعمل باحتياطياته المدرعة بقوة. وبتحليل الموقف وجدت أن خسائرنا في الاستنزاف كبيرة وإسرائيل تعلم هذا، كما أن القوات الجوية الإسرائيلية أصبح لها قدرة العمل بحُرية، وهذا يشجعها على زيادة وقت الإغارات الجوية.

ثم قال عبد الناصر:

ـ يجب أن نخرج من هذه الاجتماعات المشتركة بالآتي:

خطة استكمال النقص فنيًّا: وضع خطة مرنة بهدف محدد ومراحل محددة حتى نستطيع أن نزيد خسائر عدونا في هذه الفترة، وبالطبع لا إسرائيل ولا أمريكا تقبل أن نتفوق جوًّا على إسرائيل! وحتى روسيا تتحكم في كمية ونوعية السلاح إلى مصر! ولا يعطونا صواريخ أرض-جو!

ونظر عبد الناصر إلى «كاتشكن» نظرة ذات معنى تقول له: «أنت بالطبع تعلم هذا!».

وقرأ الرئيس عبد الناصر تقريرًا يوضح احتمال قيام إسرائيل بعمليات واسعة ضد مصر، وأهمها ضرب القوة الجوية المصرية. وحدد التوقيت في ربيع ١٩٧٠. وعلق على هذا أنه إذا بقيت القوات المسلحة المصرية سليمة فستزداد حرب الاستنزاف، ويزداد خطرها بعد هذا الشتاء، وتستطيع مصر الاستعداد للعبور إلى سيناء بقوة أكبر، وربما تصل إلى إسرائيل لتحطيم المعنويات الإسرائيلية. ومن تحليل عبد الناصر للموقف قال:

- القوات الإسرائيلية تستطيع القيام بإغارات متتالية لمدى ٢٤ ساعة أو أكثر بهدف القضاء على القوات المصرية، وإذا نجحت فستحاول تنفيذ مخطط «ديان»، وهو احتلال المنطقة الشمالية من الأردن حتى المفرق، واحتلال درعا السورية، كذا الجنوب الشرقي من لبنان، لإبعاد الخطر عن المستعمرات الإسرائيلية من جهة، وتشديد الضغط على الحكومات العربية لقبول التسوية مع إسرائيل.

وعلق عبد الناصر على هذا التحليل أنه يجب من الآن حتى الربيع أو يونيو ١٩٧٠ تجهيز الخطة التي نواجه بها الموقف.

ثم أبدى ملاحظات مهمة، وهي أن قوات القاهرة غير محتاطة للإغارات الجوية، برغم أن العدو سيهاجم الأهداف العسكرية في العمق في القاهرة والإسكندرية والدلتا، وسيدمر قواعد الصواريخ بما فيها غرب الإسكندرية، وقبل أي مرحلة سيضرب ميناء الإسكندرية.

كان هذا هو تقدير الرئيس جمال يوم ١٠ يناير ١٩٧٠، وقد تحقق منه كثير، فهل كنا مستعدين لهذا؟

وحول عبد الناصر الدفة إلى أسئلة يريد أن يشرك الروس في إيجاد حلول لها عندهم:

١ ـ ما هو الموقف الإداري الآن، وأثناء الحرب، وأسلوب الإمداد؟ مع دراسة ما تم في الجيش الإسرائيلي.

٢ ـ ما هي مشاكل حرب الصحراء وما هي الحلول المقترحة، والتي يجب مواجهتها من الآن؟ وأطلب منكم عمل تقرير موقف إداري كامل.
٣ ـ ما هي أساليب القيادة والسيطرة الحديثة؟ وكيف يتم تحسينها وتطويرها في القوات المسلحة المصرية؟
٤ ـ ما هي مقترحاتكم لتدريب الضباط الأصاغر ورفع كفاءتهم القتالية؟
٥ ـ أريد أن تلقوا نظرة على الكلية الحربية وأساليب التعليم فيها، وما هي اقتراحاتكم؟
٦ ـ يجب التفكير في خطط الخداع والتضليل، وبرغم أن الأمثلة كثيرة من الحرب العالمية الثانية إلا أننا نحتاج إلى أفكاركم عنها.

ـ وأطلب منكم المشاركة في تقدير للموقف موضحين نقط الضعف وكيفية التغلب عليها، وإمكانيات الاستمرار في حرب الاستنزاف ضد العدو، وإجراءات تقليل خسائر الاستنزاف المضاد، والخروج بخطة واضحة للاستنزاف، وأخرى لمواجهة الاستنزاف المضاد.

وأراد عبد الناصر أن يُبسِّط الأمور أكثر بأن جميع المشاكل المالية والمادية الخارجة عن إمكانيات وزير الحربية هو مسؤول عن تذليلها. ثم قال في حزم:

ـ أنا مسؤول وسأحاسب كل فرد على تأدية واجبه في الوقت المحدد.

بعد أن انتهى الرئيس من كلامه تحدث الجنرال «كاتشكن» مستشار وزير الحربية قائلًا:

ـ شكرًا على هذه الفرصة الكبيرة لإمكانية تبادل الآراء ووجهات النظر، وهذا سيعطي لنا فرصة لحل المشاكل في ظروف الواقع.

ولقد كسبت القوات المسلحة المصرية بعض الخبرة في العمليات الحربية الهجومية، ولكن أضعف شيء في القوات المسلحة هو القوات الجوية، كذا كثرة التغييرات التنظيمية. والأفضل هو استكمال التنظيم، وتقليل الأفراد الذين لا يعملون في النواحي القتالية داخل التشكيل نفسه، وهذا يحقق خفة الحركة. ويجب ألا نخفف من القوة القتالية للفرقة.

وعن قوات المظلات قال إنها دُربت على تنفيذ مهامها.

- أما الصاعقة فلم يستطيعوا تنفيذ المهام المكلفين بها. فكتائب الصاعقة في الدفاع حاليًّا، وهذا ليس واجبها، ولا تنظيمها يناسب الدفاع، ويجب سحبها وإعادة تدريبها على مهامها الحقيقية. وكتيبة الصاعقة بها ٧ عربات فقط! كيف يمكنها المناورة؟ حتى نسبة استكمال الضباط من ٥٠٪ إلى ٦٠٪ فقط. ومطلوب تشكيل ٣٠ كتيبة صاعقة. هذه مشكلة! أين الضباط المتخصصون؟ أين الضباط العاديون؟ وأين الأسلحة؟ ومن الصعب استخدام هذه الكتائب في مسرح العمليات بهذا الشكل.

وعن العلاقة بين القادة والمستشارين قال إنها علاقة صداقة على أساس **اندماج دموي**، أي علاقة ودية وعملية. ثم طالب بإيواء المستشارين في الوحدات ليكونوا في الصورة تمامًا لما يحدث نهارًا وليلًا (كان المستشارون يتجمعون في مناطق إيواء خاصة بهم بعيدًا عن الوحدات).

وفي ختام هذا الاجتماع الكبير، قرر الرئيس عبد الناصر الموافقة على عدم استخدام الصاعقة في الدفاع، ويجب «إجراء تدريب شاق ومستمر أحسن من القوات الأمريكية!».

أما عن الوحدات الجديدة فقد اقترح الرئيس إنشاءها وزيادتها، بسبب أنه في حالة قيامنا بالهجوم لازم نفكر في جيش الداخل.

ثم قال عبد الناصر:

- العدو تعاقد على عدد كبير من الطائرات الهيل، وفي آخر ١٩٧٠ سيكون لدى إسرائيل ٣٠٠ هليكوبتر، كما أن العدو وحَّد المشاة مع القوات الخاصة في قيادة واحدة، وعمومًا يمكن استخدام الصاعقة في أعمال تعطيلية في سيناء وعلى طول المواجهة، أو تكون جاهزة للتحرك لأي منطقة في البلد واستخدامها كفرسان الجو.

خطة العمل

وجه الرئيس جمال عبد الناصر حديثه النهائي إلى المستشارين قائلًا:

- إنكم تؤدون واجبًا لخدمة مصالحنا واستقلالنا الوطني، ونحن نقدر هذا تمامًا من الاتحاد السوفيتي، واحنا اللي طلبناكم، ونشكر جهودكم، والتعاون الكامل

ضرورة لكسب المعركة، ولذا يجب أن يزيد التعاون بيننا. ومن المفيد أن يعمل القادة اجتماعات بهذا الشكل مع الخبراء، ونبحث الأمور في بحث مفتوح بصراحة ووضوح، لأنها تساعد على التفاهم الكامل وهضم أمور كثيرة.

ثم قال:

ـ ويجب أن يكون لنا خطة عمل وأن نجد حلًّا لكل النقاط التي أثيرت، ويمكن مناقشة الأمور بين القيادات والمستشارين، ثم مناقشتها بين وزير الحربية ورئيس الأركان والجنرال «كاتشكن»، وإن شاء الله ستكون الجلسة القادمة في أوائل فبراير ١٩٧٠ لمناقشة تقدير الموقف والخطط بالتوقيتات وتوزيع المسؤوليات وكل واحد يكون مسؤول.

قال جمال عبد الناصر في النهاية:

ـ أنا أعتبركم هيئة أركان حرب مصرية، ويجب ألا تعملوا كمستشارين، بل مسؤولون مسؤولية كاملة. ويجب أن يكون هناك تخطيط مشترك لكل موضوع ومراقبة في التنفيذ، وأكون سعيدًا لو عرفت الأخطاء ومستعد لإصلاحها، فإسرائيل متفوقة ويجب أن نقلب هذا الوضع، ورجالنا عاوزين يتعلموا، وعبد المنعم خليل قال إنني أعرف تمامًا العمليات المشتركة على ورق، ولكن يريد أن يتعلم عمليًّا منكم وهو قائد جيش. وشكرًا.

وانتهى الاجتماع بعد منتصف ليل ١١ يناير ١٩٧٠.

اجتماعات الربيع ١٩٧٠

١ ـ الاجتماع الأول يوم ١٦ مارس ١٩٧٠

حضر الرئيس جمال عبد الناصر اجتماعين متتاليين بحضور نائبه السيد أنور السادات ووزير الحربية الفريق أول محمد فوزي ورئيس الأركان الفريق محمد صادق، وتم الاجتماع في غرفة الاجتماعات بمجمع القيادة في مدينة نصر في يومَي ١٦ و١٧ مارس ١٩٧٠، وكان هدف هذا الاجتماع هو دراسة الموقف العسكري ومعرفة قدرة وكفاءة القوات المسلحة المصرية وقدرات العدو الإسرائيلي.

وكان تعليق الرئيس على الموقف بصفة عامة كالآتي:

ـ أنا ضد تفتيت القوات، وهذا حدث منذ عام ١٩٤٨، والعدو الإسرائيلي يعمل بقوة وحشد، وإنه يستطيع تدمير القوات المنعزلة في حدود السرية المشاة، وهذا ما حدث فعلًا، وإذا اضطُررنا إلى هذا الأسلوب فيجب أن نعتمد على الدرع وتوفير الحماية للقوات كما يفعل اليهود.

وعندما أشار مدير المخابرات الحربية إلى موقف العدو الإسرائيلي إلى هذا الوقت، وأنه لم يقم بعمل تحصينات في خط المضايق ـ متلا والجدي ـ رد عليه الرئيس جمال قائلًا:

ـ لا. إن العدو الإسرائيلي يعمل منذ ٦ أشهر في تجهيز المضايق! وليس كما تقول.

ثم استمر الرئيس في تحليله للموقف. قال:

ـ قد يحاول اليهود احتلال مناطق لعدة ساعات. قد يحتلوا قنا مثلًا أو يكسِّروا كوبري نجع حمادي، لأن العدو يَعتبر أحسن وسيلة للدفاع هي الهجوم. وقد قرأت أن أحد الصحفيين كتب أنه إذا استدعى الأمر فسيحاول العدو الوصول إلى القاهرة! وسيضربوا المطارات الأمامية بصفة مستمرة لمنع الطائرات الروسية من الوصول إلى أهدافها لقصر مداها.

وإسرائيل في حالة قلق وتوتر مستمر. أما نحن في مصر، فالجو جو سلم! والوضع السياسي والاقتصادي في إسرائيل وضع صعب حاليًّا، وقد قرأت مقالة توضح أنهم ما زالوا يقاسون من حرب الاستنزاف ويفضلون الحرب المفتوحة. هل هذا حقيقي؟ على إدارة المخابرات بحث هذا الموضوع. كما يوجد لدى إسرائيل خريطة اقتصادية كاملة لجميع الدول العربية، كما أن مخطط العدو حاليًّا هو زيادة النشاط لإنهاء حرب الاستنزاف وتقبل مصر إيقاف القتال.

ووجه الرئيس سؤالًا إلى رئيس هيئة العمليات:

ـ ما رأيك لو قام العدو الإسرائيلي بعمل إبرار جوي على هدف حيوي تحرسه فصيلة دفاع مستقل؟

وكان رد اللواء التهامي:

ـ يوجد في كل محافظة ومركز احتياطيات من سرايا الدفاع المستقل للقيام بالنجدة.

حماية الأهداف الحيوية

قال الرئيس:

ـ يجب إعادة النظر في حماية الأهداف الحيوية نهارًا وليلًا، ووجود فصيلة في الدفاع زي قِلته، والاحتياطي المخصص للنجدة احتياطي على ورق لا حيوصل ولا حاجة! ولكن في المستقبل بعد عبورنا للقناة سنترك البلد في حماية كتائب الدفاع المستقلة، ولذا يجب أن تكون هذه الكتائب في مواقعها قادرة على مقابلة القوات الخاصة الإسرائيلية، ويجب ألا نتوهم أن عندنا دفاع عن الأهداف الحيوية، لا ضد الإبرار ولا حتى ضد التخريب!

فيجب أن نعتمد أساسًا على الكتائب المستقلة، وأن تتصدى هذه الوحدات لقوات الإبرار الجوي المُعادي، ويجب دعمها بهاونات وخلافه، وتقوم هيئة العمليات وهيئة التفتيش بالمرور على هذه الأهداف وتأكيدها.

توقعات الرئيس عبد الناصر لأعمال العدو المحتملة

الدعاية الإسرائيلية

توقع الرئيس أن حوالي ٥٠٪ من عمليات العدو الإسرائيلي عمليات سياسية، ويرتب لها العدو ترتيبًا كبيرًا، ويخترع قصصًا خيالية، وخاصة عملية الكيلومتر ٣٢-٣٩ في منطقة رقبة الوزة من شمال القنطرة في جنوب بورفؤاد. وهذه الدعاية تؤثر علينا في الخارج كثيرًا، والعدو سيكرر الموقف في الدلتا ويهاجم سرايا الرادار وأهدافًا حيوية أخرى. وقال إنه يتوقع أن بعد عملية البحر الأحمر التي سبق أن أخطر بها اللواء أحمد إسماعيل عندما كان رئيسًا للأركان أنها ستحدث ولم يفعل شيئًا، أنها ستحدث في الدلتا أساسًا.

ويجب ألا نستجيب للعدو ونرسل قوات إلى البحر الأحمر ونفتت قواتنا (وهذا رد على تحرك بعض وحدات مقاتلة إلى البحر الأحمر بعد عمليات العدو السابقة).

وقال أيضًا إن العدو الإسرائيلي يريد فرض إرادته بالقوة.

التأثير على الجبهة الداخلية

قال عبد الناصر في إصرار:

ـ لا يمكن أن يفرض علينا العدو إرادته بالقوة، ولن يتم هذا إلا إذا وجد العدو أفراد يحكموا البلد يستطيع أن يفرض عليهم قوته! وهدف العدو أيضًا هو التأثير على الجبهة الداخلية وفيها حاليًّا ضيق بعد ٣ سنوات.

واليهود عندهم كل المزايا واحنا ساكتين! ويقول الشعب: «فين كذا؟». وقد يعمد العدو إلى استخدام الغازات أو أي سلاح جديد. وخسائرنا كثيرة من يناير إلى الآن، وهذا له تأثير كبير. والقائد الشاطر عاوز يحقق هدفه بدون عبور القناة.

ثم قال:

ـ وأنا ذهبت إلى موسكو لتقوية الدفاع الجوي، ولكنا نسير في طريق صعب جدًّا، ولا نستطيع احتمال أن يقوم العدو باحتلال موقع ما في شمال الدلتا دون أن نفعل شيئًا!

ونجاح العدو المستمر يدل على أن الهجوم هو خير وسيلة لفرض الرأي وهدفه ٥٠٪ أن يقلب البلد علينا وعلى القوات المسلحة، وبرغم أني أعمل على حل سلمي، ولكن الأمريكان لن يعطوني حلًّا سلميًّا، وأمريكا لا تقبل إلا الاستسلام.

وقال:

ـ هم يعلموا أننا لن نهجم في الصيف، لأن لديهم تفوقًا جويًّا، والحل الوحيد هو إشراك الروس في العملية. فالحرب حرب بهلوانية!

ثم قال:

ـ نريد أن نضرب هليكوبتر يهودية أو نصطاد واحدة من اللي تدخل، لماذا لا؟ يجب أن لا نسمح للعدو بأخذ أي شيء في الشمال أو في أي مكان. يجب أن تفكروا في هذا. ادرسوا معركة بريطانيا وكيف وقفت أمام ألمانيا.

ثم وجه حديثه إلى الفريق أول محمد فوزي، القائد العام للقوات المسلحة، قائلًا له:

ـ أنا أقول للفريق فوزي يجب إعادة النظر في الموقف، ويجب ألا نعيش في وهم، ويجب على القطاع الشمالي أن يكون قويًّا، ولا نقبل أن يقوم العدو بعمل أي شيء في شمال الدلتا، حيث عدد كبير من الأهالي، والحل السلمي أو الحرب يحتاج إلى جبهة داخلية قوية.

ثم قال موجهًا حديثه إلينا جميعًا:

ـ عندي سؤال: إذا كان العدو لديه تفوق جوي فكيف تدفع احتياطي القيادة العامة إلى الجيش الثاني مثلًا والطرق محدودة؟ كيف نحركه؟ والعدو سيقفل الطرق جوًّا وبدقة!

تقديرات عبد الناصر

ـ قبل ٥ يونيو كان هناك توقع، ولم يكن هناك استنتاج، وفوزي وصادق كانوا موجودين، وقلت يوم ٥ يونيو سيحصل شيء، وتقديري ليس معلومات ولكن استنتاج من تغيير الحكومة وغيره، ولم يقدر أحد أن يوم ٥ يونيو سيحدث به هجوم، ولم يكن في القاهرة أي قادة! وتقدمت قوات العدو في الفجر دون أن يشعر بها أحد، وكان اليهود يبنون خططهم يوم يوم، ولم تستطع مخابراتنا الوصول إلى شيء، فكيف نعتمد على تقدير المخابرات في إعطاء موقف الحشد؟

ويجب أن تعرفوا أن العدو سيعمل في مثل هذه العملية خطة خداع، واحنا بنعرف المناورات من استخدام اللاسلكي، والعدو دائمًا يعمل مشروع بعد مشروعكم ويفتح لاسلكي، وقد يعمل العدو مشروع بشبكات لاسلكية ويدخل في غرض آخر. ويجب أن نفكر في عدة وسائل لمعرفة نوايا العدو للهجوم. ارجعوا إلى خطة خداع العلمين («ديسبشن بلان») التي عملها «مونتجمري»، وارجعوا إلى كتاب «جينز»، وتوجد عربات كثيرة مركب عليها «مالودكا» وخلافه، ويمكننا طلب مثل هذه الأنواع والأسلحة من روسيا ونعمل جيش الداخل وإيجاد عنصر مدرع مع كتائب الدفاع المستقلة. وأعيدوا النظر أيضًا في تنظيم كتائب الصاعقة، وتوفير أسلحة مضادة للطائرات، وتكون في قيادة مجموعة الصاعقة حتى يمكن للكتائب التحرك بسهولة.

خطورة المركزية

وجه الرئيس جمال عبد الناصر سؤالًا مباشرًا إلى القادة عن القيادة وشريان العمل، قال:

- هل بالنسبة للقيادة وشريان العمل موضح فيه اختصاصاتكم وواجباتكم مع الأفرع الأخرى في الجيوش الميدانية؟ وهل هناك مشاكل في التعاون؟ إني أتصور ضعف جهاز العمليات عندنا. هل نطلب أفراد روس للعمل معنا؟ ويجب أن نصل إلى شيء ونعرفه غصبًا عن العادات والتقاليد، ويجب أن نأخذ ونعطي مع الناس ونعمل أسلم الأشياء. ويجب تحديد الاختصاصات تمامًا وبوضوح لكل فرد، وكلٌّ يقول رأيه بصراحة. وهذا يعتبر موضوع بحث لجميع أجهزة القيادة.

رأس كوبري مصري في الضفة الشرقية

وختم الرئيس جمال عبد الناصر حديثه في اليوم الأول من هذا اللقاء بطلب يريد أن يبحثه القادة كل فيما يخصه بصفة عامة، وتدرسه هيئة عمليات القوات المسلحة بصفة خاصة، وهو كيفية عمل رأس كوبري في الضفة الشرقية في شهر مايو القادم. ويجب الحصول على معلومات أكثر من داخل إسرائيل، ويمكن الحصول عليها من أي مصدر، ويجب أن تحصل العمليات على أحدث الصور والمعلومات عن إسرائيل، ويجب أن يكون لدى كل فرد فينا خيال للتفكير.

وهكذا انتهى الاجتماع الأول قبل منتصف ليلة ١٦-١٧ مارس ١٩٧٠ على أن يستأنف مساء يوم ١٨ مارس ١٩٧٠ في نفس المكان.

٢ - مؤتمر ١٨ مارس ١٩٧٠

بدأ الاجتماع في حوالي الساعة السادسة والنصف مساء بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بمدينة نصر، وبدأه الرئيس جمال بعدة قرارات وجوبية قائلًا: «يجب...».

أ) الشفرة والكود

يجب دراسة كتاب كسر الشفرة، وهو كتاب قيم، وتجهيز محاضرات منه تدرس للقادة والرؤساء.

ويجب تغيير الأسماء الكودية والترددات دائمًا مثلًا كل ٦ ساعات، مع عدم إرسال أي معلومات باللاسلكي في الجبهة، فالعدو يعرف كثيرًا عنا، واحنا ليس لدينا جواسيس، ولكن لدينا قلة سيطرة على اللاسلكي.

يجب استخدام الخداع في اللاسلكي وجعل الطيران المُعادي دائمًا في الجو واحتمال قيامنا بأعمال جوية.

ب) القوات الجوية

يجب تدريب الطيارين على القتال الليلي والاستعداد لعمليات التصاعد ووضع خطة للطيارين: يجب أن تقوم القوات الجوية بالاستطلاع والتركيز على ضرب الرادارات والهوك بقوة، ولا داعي لضرب النقط القوية للعدو (لم يكن الضرب الجوي له تأثير كبير على تحصينات العدو). يجب أن تجهز العمليات أهدافًا لها قيمتها لضربها بصواريخ توبولوف ١٦ المعدل، وتوضع خطة مؤثرة للطيران وتنظيم التعاون بين القوات الجوية والدفاع الجوي من اليوم. وهذا الموضوع حيوي جدًّا، ويجب أن نضع أسلوبًا ونصمم على اتباعه.

جـ) الدفاع الجوي

طرح عبد الناصر هذا السؤال:

- ما هو السبب في كسر دفاعنا الجوي؟ وكيف نضمن ألا ننهار مرة أخرى؟

ثم استمر قائلًا:

- الدفاع الجوي هو العملية رقم واحد حاليًّا، ويجب زيادة الدفاع الجوي عن المنشآت مع الاعتماد على الدفاع السلبي أيضًا من حفر وإخفاء وتجهيزات هندسية. ولماذا لم يتم إنشاء مواقع كتائب الصواريخ حتى الآن؟ ويجب على المهندسين إعطاء الفتوى لنا: ماذا نعمل؟ هل يمكن عمل إنشاءات سابقة التجهيز مثلًا؟

د) التدريب

يجب التصميم على التدريب مهما كان السبب. ونحن لم نوقف القتال حتى الآن، ولكننا لا نستطيع أن نقوم بالرد حاليًّا على العدو، ولكن قد تضطرنا الظروف إلى العبور في عام ١٩٧٠ الحالي، ونطلب من الطيران حمايتنا، وعلى هذا فالاستنزاف

الجوي لقواتنا الجوية حاليًّا غير مؤثر، ويجب وضع خطة متكاملة لكسب العدو في الاستنزاف.

هـ) العلاقة مع المستشارين السوفييت

وعن العلاقة مع المستشارين السوفييت قال:

- العلاقة مع المستشارين مهمة جدًّا جدًّا ويجب تعبئتهم معنا بأي ثمن، وكلامهم له تأثير على العسكرية السوفيتية، ونحن في حاجة إليهم جدًّا. لقد أرسلوا أولادهم إلينا هنا ليموتوا، يجب تقديرهم تمامًا. نريد أن تكون العسكرية السوفيتية معنا دائمًا. أي مشاكل معهم يجب حلها أول بأول، نحن في يدنا كل شيء. لن يسيطروا علينا أبدًا.

وانتهى الاجتماع قبل منتصف الليل، وعدت إلى قيادتي في الجيش الثاني الميداني أفكر فيما قاله الرئيس جمال. إن كل ما قاله حقيقة ملموسة وصريحة أدعو الله أن أستطيع ويستطيع كل القادة والمسؤولين تحقيق البناء السليم لقدرتنا القتالية حتى نستعيد مكانتنا.

زيارة مفاجئة للإسماعيلية وآخر لقاء

ودارت عجلة الاستعداد والتدريب ورفع المعنويات والتعاون مع المستشارين السوفييت تنفيذًا لقرار القائد الأعلى، وأن نعمل على أن يكون الخير هو المسيطر على الجميع، مع الجدية في التدريب والإعداد. وقام الرئيس جمال عبد الناصر بزيارة مفاجئة للجبهة خلال صيف ١٩٧٠، خاصة بعد نجاح قوات الجيش الثاني في الحصول على أسرى أحياء من رجال المظلات يوم السبت ٣٠ مايو ١٩٧٠ وهو يوم الحزن في إسرائيل، ولذا سمي بالسبت الحزين.

ومع أول ضوء يوم أول يونيو حولت القوات الجوية الإسرائيلية المنطقة من بورسعيد إلى القنطرة إلى جحيم من النيران في إغارات مستمرة نهارًا وليلًا لم نشهد مثلها من قبل، وامتد القصف إلى كل منطقة الجيش الثاني بل والجبهة بأكملها، والتي لم يكن لها أي تأثير أو خسائر لقواتي.

وخلال هذا القصف الجوي، وكنت بالصدفة في طريقي في زيارة بعض قواتي في

الإسماعيلية وتوقفت عند كوبري نفيشة جنوب غرب الإسماعيلية مباشرة، وكانت طائرات العدو تقصف موقعًا لكتائب الصواريخ في منطقة غرب واحة المنايف.

وإذا بي أشاهد عربة جيب حربي تقف أمامي وبها الرئيس جمال والوزير محمد فوزي واللواء البوريني قائد الجيش الثالث، وكانت مفاجأة. وقال لي الرئيس:

ـ من قال لك إننا سنحضر هنا؟

قلت له وبسرعة:

ـ قلبي دليلي!

فضحك ونزل من السيارة ومعه الفريق أول فوزي، وركبنا معًا سيارتي إلى الإسماعيلية، وكانت خلفنا سيارة جيب حربي بها السيد محمد أحمد ياور الرئيس وبعض الحراس. وبعد أن اطمأن الرئيس على موقف الجيش الثاني طلب زيارة مدينة الإسماعيلية، ومررنا أمام المحافظة وكانت الساعة حوالي الثالثة والنصف بعد الظهر وكانت مقفلة، ثم مررنا في طريق آخر وإذا بنا نجد فكهانيًّا قد علق صورة جمال عبد الناصر على محله، ووقفت أسأله عن مكان غرفة مدير الأمن، وقبل الإجابة عليَّ فوجئ بالرئيس جمال بجواري وكانت فرحته لا تقدر بثمن، وظهرت صورته اليوم التالي في صدر جرائد الصباح.

وعرضت على الرئيس جمال زيارة غرفة عمليات مديرية أمن الإسماعيلية، وهناك قابلنا اللواء محمد السعيد، وسعد جدًّا بهذه الزيارة التي كانت سببًا في مد مدة خدمته عامًا آخر، حيث طلبت من الرئيس جمال هذا لأنه يستحق أكثر من مد الخدمة، فقد كان مثلًا للإخلاص والوفاء والتعاون. ثم في مركز قيادة الفرقة الثانية المشاة بالإسماعيلية نزلنا من السيارة سيرًا على الأقدام تحت الأرض، حيث قابلنا العميد أ.ح أحمد مراد قائد الفرقة، وكانت سعادته وسعادة كل أسرة الفرقة لا تُقدر، وتناولنا طعام الغداء، وبعد استراحة قصيرة عاد الرئيس إلى نفيشة ومنها إلى القاهرة، وكان هذا آخر لقاء لنا في الجبهة.

وبعد إيقاف القتال نجحنا في تحريك الصواريخ المضادة للطائرات إلى أقرب ما يمكن من قناة السويس، وفي الوقت نفسه دعمت أمريكا إسرائيل بكل ما تريد، ودعمت إسرائيل خط بارليف ودفاعاته، وقرأت في أحد الكتب الأمريكية حصرًا

للخسائر ما بين يوليو ١٩٦٧ إلى أغسطس ١٩٧٠ تفيد بأن إسرائيل خسرت أمام الجبهة المصرية ١٢٧ قتيلًا، ٧٠٠ جريح، وأشارت إلى أن مصر خسرت ٤٠٠ قتيل، ١١٠٠ جريح.

يوم الرحيل

في يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ وصل إلى الجبهة في قطاع الجيش الثاني ١٥ وزيرًا ومعهم ٥ محافظين يمثلون المحافظات الخمس الواقعة في نطاق الجيش الثاني.. وكان الرئيس عبد الناصر قد أصدر تعليماته إلى وزير الحربية بمعاملتهم كالجنود في الميدان لمدة يوم كامل يعيشون فيه معيشة الجنود ويلبسون ملابسهم ويتناولون نفس طعامهم!

وقد استقبلتهم في معسكر الراحة بالإسماعيلية وتناولنا جميعًا طعام الغداء في المعسكر مع مجموعة من ضباط وجنود الجيش الثاني من مختلف وحداته، ودام هذا اللقاء أكثر من ساعتين، وقد ساعدوا جنودي على حل كثير من المشاكل كل حسب موقعه، وتحركنا إلى القنطرة غرب، حيث تم اجتماع آخر مع عدد من الضباط والجنود، ومن مواقع الملاحظة على الضفة الغربية شاهدوا بعض مواقع خط بارليف في الناحية الأخرى من القناة، ومن ثَمَّ وصلنا بورسعيد مع الغروب، وشاهدنا موقع العدو المحصن جنوب بورفؤاد مباشرة، واجتمعنا مع رجال القطاع هناك. وكان بعض من الوزراء يفكر في المبيت في المواقع مع الجنود، وبعضهم يرغب في العودة إلى القاهرة. ورجحت كفة العودة الليلة إلى القاهرة، واقترحت العودة عن طريق دمياط ثم إلى القاهرة، ورافقتهم في العودة إلى دمياط، وفي الطريق إلى دمياط كنا نستمع إلى أخبار القاهرة من الإذاعة، وكانت الإذاعة المصرية تذيع على جميع موجاتها آيات القرآن الكريم، ولم نكن ندري أنها تترحم على روح الرئيس عبد الناصر!

وفي دمياط تم الاتصال التلفوني برئاسة مجلس الوزراء بالقاهرة، حيث تم استدعاء الوزراء على وجه السرعة، وعلمنا أن قضاء الله قد تم. رحمك الله يا جمال!

هذه ذكريات أطول يوم في تاريخ مصر العزيزة.



تخريج دفعة الكلية الحربية ـ ٦ ديسمبر ١٩٦٧



١٠ وزراء في عهد الرئيس عبد الناصر يزورون الجبهة لحل مشاكل الرجال ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠



قيادة الفرقة الثالثة المشاة ـ الدفرسوار ١٩٦٨



الفريق فوزي في زيارة لأكاديمية ناصر، وكنت في ذلك الوقت قائدًا للفرقة الثالثة مشاة في الدفرسوار عام ١٩٦٨



العلم الجزائري هدية لقائد الجيش الثاني



مع ضباط اللواء الجزائري في فايد ـ أغسطس ١٩٦٨



آخر لقاء مع جمال عبد الناصر في الإسماعيلية ـ ٥ يونيو ١٩٧٠



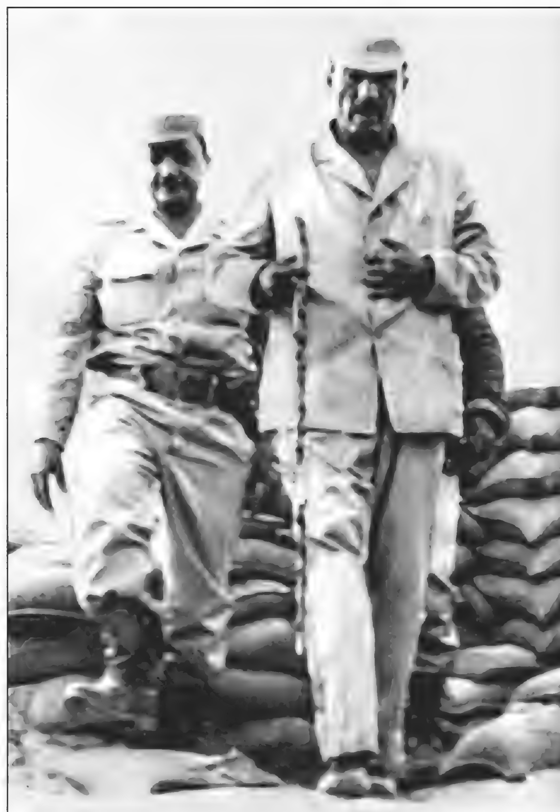
الرئيس جمال عبد الناصر ومعه الفريق أول محمد فوزي في زيارة لجبهة الجيش الثاني – ٥ يونيو ١٩٧٠



الوزراء بالجبهة يوم الرحيل ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠



مع الدكتور محمود فوزي رئيس الوزراء والفريق فوزي ١٩٧٠





الرئيس السادات في زيارة لجبهة الجيش الثاني بعد ثورة التصحيح الأولى (مايو ١٩٧١) ـ يوليو ١٩٧١



عبد المنعم خليل متحدثًا في خلال زيارة الرئيس السادات لجبهة الجيش الثاني - يوليو ١٩٧١

الباب الرابع

سنوات التسخين

خريف ١٩٧٠، ١٩٧١-١٩٧٢

الفصل الحادي عشر

خريف ١٩٧٠

موقف مصر

قبل صدور قرار وقف إطلاق النيران بليلة واحدة، أصدر وزير الحربية أوامر عاجلة بنقل النسق الأول من كتائب الصواريخ إلى قرب الشاطئ الغربي للقناة، وتم التنفيذ قبل أول ضوء يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠، وهو موعد وقف إطلاق النار المؤقت. وفي ٢٨ سبتمبر فقدت مصر عبد الناصر، وتولى المسؤولية بعده نائبه السادات في أكتوبر ١٩٧٠.

وكان محور السياسة المصرية بعد وقف إطلاق النيران المؤقت، هو استمرار التعاون مع الاتحاد السوفيتي وتهديد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، مع الصمود والاستمرار في الاستعداد للمعركة. وكان رأي بعض القادة هو ألا نبدأ في الاستنزاف أو أي نشاط معادٍ، مع التركيز على التدريب ورفع الكفاءة القتالية للوحدات، وكذا كفاءة التجهيز الهندسي والبدء في إنشاء ساتر ترابي على الضفة الغربية للقناة لإخفاء التحركات عن نظر العدو الإسرائيلي، وفي الوقت نفسه توفير الأسلحة والمعدات والمركبات واستكمال التشكيلات.

ويجب التركيز على رفع المعنويات بعد رحيل عبد الناصر، ومحاولة إقناع الجندي صراحة بالموقف لقبول ما بعد ٥ نوفمبر ١٩٧٠.

والحقيقة أن نقط الضعف عندنا هي موقف الجبهة الشرقية، وزوال العمل الفدائي، وبرغم هذا يمكننا عمل شيء عام ١٩٧١ بالروح الهجومية، وتعريف

الجندي لماذا نقاتل، وبمحاولة الحصول على التفوق الجوي المحلي. وحتى يمكن الوصول إلى هذا يجب استكمال النقص في قطع الغيار ورفع كفاءة القوات البحرية والجوية والدفاع الجوي قبل منتصف ١٩٧١.

موقف إسرائيل

انتهز العدو الإسرائيلي فرصة إيقاف القتال في ٨ أغسطس ١٩٧٠، وبدأ فورًا في زيادة تأمين قواته في المواقع الأمامية برفع ساتر ترابي على طول الضفة الشرقية للقناة لستر تحركاته والحد من نشاط قواتنا سواء الدوريات أو الإغارات، كما بدأ في إنشاء مرابض للدبابات على مسافة من ٨ إلى ١٠ كيلومترات شرقًا ومد شبكة من الطرق والمدقات العرضية والطولية، وتوصيل أنابيب مياه حلوة إلى مواقعه شرق القناة. أما من ناحية قواته الجوية فقد أتم صفقة مع أمريكا لاستعواض الخسائر التي فقدها، كما تم تعاقده على قنابل «شرايك» وأخرى تسمى المنزلقة («وول آي»). كما دعم قواته البرية بحوالي ٥٠ مدفعًا ١٧٥مم مداه حتى ٢٢كم، وهذا يعطيه القدرة على ضرب مواقع المدفعية وكتائب الصواريخ ومناطق الرادار لتدميرها أو شل قدرتها.

وقبيل نهاية ١٩٧٠ كان للعدو نشاط جوي استطلاعي ملحوظ، فقد قام بحوالي ٣٨ طلعة استطلاع منها ١٨ استطلاعًا إلكترونيًّا و٨ طلعات اختراق غرب القناة. كما يستخدم العدو التدخل الإيجابي على شبكات الرادار، وقد لاحظ هذا طيارونا أثناء الاستطلاع. ويقوم العدو في هذا الوقت بتدريبات بمجموعات قتال في عمق سيناء، وذلك بعد انتهاء مناورة الخريف التي قام بها.

فكر السادات عام ١٩٧٠

جاء أول لقاء للرئيس السادات مع قادة القوات المسلحة في يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٧٠ بعد توليه مسؤولية الحكم في أكتوبر ١٩٧٠، وكانت مصر قد وافقت على مد فترة إيقاف القتال الذي كان ينتهي يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٠ إلى ٥ فبراير ١٩٧١.

وبعد أن استمع الرئيس السادات إلى تقارير القادة وخطط الدفاع والاستنزاف والردع وخطط تطوير القوات المسلحة قال:

- علينا الاستعداد في أي وقت حتى ٥ فبراير ١٩٧١، والشعب أيضًا يجب أن يكون جاهزًا للمعركة.. ولن نمد وقف إطلاق النيران مرة ثالثة، إلا إذا وجد جدول زمني. وعلينا مسؤولية الاستعداد في أي وقت حتى ٥ فبراير ١٩٧١، ويجوز أن تقوم إسرائيل بعمل وقائي للمفاجأة. وتعتبر الشهور الستة القادمة حاسمة في المعركة. إما نتحدث جديًّا في السلام، أو نعلن أننا غير ملتزمين بوقف إطلاق النيران.

وعن موقف الاتحاد السوفيتي أشار السادات أنه يجب ألا نصنع أي شقاق مع المستشارين السوفييت، وقد كسبنا معركة إغارات العمق بفضل المعاونة السوفيتية:

- واعلموا أن الروس معقدين منذ يونيو ١٩٦٧، ولكن عند قيامنا بأي معركة جيدة سيتغيروا إلى جانبنا. وحتى بدون معركة، ويجب الاستعداد ونكون جاهزين قبل ٥ فبراير ١٩٧١ لكل احتمال برغم النقائص، ولكن يجب عمل شيء بما هو موجود لدينا ونتغلب على المستحيل.

الجبهة الداخلية

- يجب أن يكون الشعب جاهزًا للمعركة. وقبل ٥ فبراير ١٩٧١ سيكون الشعب «مشعلل» للمعركة من خلفكم وسيقبل أي شيء. ولا تنظروا للخلف مهما حدث.

ثم أكد السادات مسؤوليته عن الجبهة الداخلية، وأنه سيسير بنفسه مع كل القيادات، وأننا سنعرف بلدنا أكثر في المعركة القادمة.

درس للعلم

- كانت القيادة عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ مذعورة، خاصة أركانات حرب القيادة، ولم أرَ غير محمد فوزي هادئًا، والباقي في انهيار أو منظرهم يثير الانهيار! ويجب أن تكون أعصابكم هادئة جدًّا.

الخطة ٢٠٠

- تخطيط الخطة ٢٠٠ ممتاز، ويجب مواجهة العدو بأعصاب هادئة ولا ننسى التخطيط أبدًا. وتخطيطكم ممتاز، ولكن يجب الالتزام بالخطة ولن نعمل

بدون خطة. وإذا أخذ العدو أي نجاح فبالهدوء والفهم والوعي سنعيده ونستغل النجاح.

ثم أكد الرئيس السادات أننا سنحارب وسننتصر بإذن الله، وخاصة ونحن بعد ثلاث سنوات أقوياء، برغم أن أصدقاءنا السوفييت قالوا لا بد من عشر سنوات لنستعيد قدراتنا!

المعركة السياسية

ـ لقد كسبنا معركة سياسية ضد أمريكا لأول مرة، وليس لنا حجة. ولازم نعمل معركة كويسة بالفكر الهادئ والتخطيط السليم والأعصاب الهادئة، ونقابل كل موقف بما يستحقه.

ثم أكد قائلًا:

ـ لا تخلوا بي في ٥ فبراير أو تخلوا بالشعب اللي حيكون جاهز لتلقي أي صدمات وأنا أجهزه لأسوأ الفروض!

وانتهى الاجتماع قبل نهاية عام ١٩٧٠ بساعات قليلة، وأسدل الستار عن فترة السنوات الثلاث الحاسمة في تاريخ مصر، إذ استعادت ثقتها في نفسها بعد عدوان ١٩٦٧، وتمكنت القوات المسلحة المصرية من تصدير جدار الخوف إلى الضفة الشرقية وإلى قلب العدو الإسرائيلي، وحققت عدة انتصارات في البحر والجو والبر، فقد تمكنت من تكبيد العدو خسائر جسيمة في معارك رأس العش والاستنزاف، واقتنصت عددًا من الأسرى الإسرائيليين، وعرف العدو قدرة القناص المصري.

وفي ٣٠ يونيو ١٩٧٠ حققت قوات الدفاع الجوي المصري انتصارًا كبيرًا، إذ نجحت صواريخ سام في تدمير ٨ طائرات إسرائيلية فانتوم وسكاي هوك وأسرنا ٥ طيارين في يوم واحد.

ورحل عبد الناصر، ولكن القوات المسلحة المصرية سارت قوية، قادرة على الدفاع عن الوطن وتحقيق الهدف الإستراتيجي الحيوي، وهو إزالة آثار العدوان وتحرير الأرض المغتصبة.

الفصل الثاني عشر

عام الحسم ١٩٧١

الامتناع عن إطلاق النيران

في يوم ٣ فبراير ١٩٧١ قال الفريق أول محمد فوزي وزير الحربية:

- إن مصر تعلن الامتناع عن إطلاق النيران لمدة شهر من ٥ فبراير الحالي حتى ٥ مارس ١٩٧١ (طبقًا للبيان الرسمي الذي صدر اليوم).

وكان الموقف العسكري مع بداية العام كالآتي:

- زال تأثير وفاعلية الجبهة الشرقية بخروج الجيش الأردني والعراقي، وكذا العمل الفدائي من المعركة العربية، وأصبح التنسيق مع سوريا وحدها لا يعوض فاعلية الجبهة الشرقية.
- لم تستكمل القدرة الدفاعية للدفاع الجوي عن البلد بالكامل، خاصة منطقة البحر الأحمر والصعيد.
- الدعم السوفيتي محدد لوصوله شهر فبراير ١٩٧١، لدعم القدرة الدفاعية عن الدولة بالكامل.
- هناك توقيتات التزمت بها القوات المسلحة لاستكمال وإتقان عملياتها المخطط لها.

ثم قال الوزير:

- الامتناع عن إطلاق النيران قرار سياسي وليس عسكري، ونحن مستعدون للقتال من ٥ فبراير، ولا امتداد لهذه المهلة، ويستأنف القتال يوم ٦ مارس

١٩٧١. ومهمتنا رفع الكفاءة القتالية والاستعداد للقتال. ومطلوب من كل قائد أن يعطي شهادة أن القادة على مستوى القتال يوم ٥ مارس.

وتم إرسال هذه الشهادة إلى القيادة العامة مُوَقعًا عليها مني.

وأكد وزير الحربية أننا سندخل المعركة في ٥ مارس، وأن نوضح هذا للمستشارين السوفييت، ونحاول إخبارهم عما نريد من أسلحة ومعدات. وسيسافر وفد على مستوى عالٍ إلى موسكو يوم ٥ فبراير ١٩٧١.

أما عن العدو، فقد وردت معلومات تفيد بأن إسرائيل استطاعت الحصول على طائرات أوتوماتيكية قاذفة للقنابل لا يقودها طيارون بهدف القيام بالهجوم على قواعد الصواريخ المصرية غرب القناة.

الحرب النفسية

وعن تأثير الحرب النفسية على العدو قال أحد المراسلين الأجانب إن جنود الجبهة أخطروا «بن جوريون» عند زيارته لهم في شهر يناير ١٩٧٠، أن المصريين يشيرون بأصابعهم الخمس إشارة إلى يوم ٥ وبإصبعين إشارة للشهر، وبإصبع واحدة إشارة للموت! وهذا معناه: «انتظروا الموت يوم ٥ فبراير»، وهذا اليوم الذي كان محددًا لاستئناف القتال فيه بعد فترة إيقاف القتال في نوفمبر ١٩٧١.

ولم تشاهد القوات الإسرائيلية أي استعداد أو ظواهر تلفت الأنظار على الضفة الغربية للقناة، وما زالت القوات المصرية تصطاد السمك من مياه القناة ويتجول المصريون برؤوسهم عارية!

الاستعداد للقتال

كانت تعليمات القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية لقادة الجيوش والمناطق العسكرية الاستمرار في التدريب على العمليات المحددة بالخطة ليلًا ونهارًا، مع زيادة كفاءة التجهيز الهندسي، ويبنى التدريب على أساس اقتحام قناة السويس والاستيلاء على رأس شاطئ بالضفة الشرقية والتجهيز الهندسي الجيد للتمسك برأس الشاطئ.

وفي مؤتمر يوم ١٧ فبراير ١٩٧١ قال الفريق صادق للقادة وجهة نظره في العمليات المطلوب تنفيذها، إنه يفضل العمليات المحدودة الصغيرة لتسخين القوات المسلحة:

ـ وأبديت وجهة نظري في مجلس الدفاع الأعلى، وطلبت طلبات من الأصدقاء، ونحن نتبع القيادة السياسية، ولكنا جاهزين للحرب بما لدينا، والقائد الأعلى يعرف ما ينقصنا وما هي نقط الضعف والقرار له. وعلينا تحقيق أهداف القيادة السياسية بنجاح وبأقل خسائر.

دعوة خاصة

جاء أول لقاء في هذا العام يوم ٣ مارس ١٩٧١ مع الرئيس أنور السادات قبل انتهاء فترة إيقاف النيران بحوالي ٧٢ ساعة، ودعانا للقاء بعد زيارة خاصة إلى روسيا بناء على دعوة من زعمائها، حيث قال:

ـ كانت هذه الدعوة الخاصة بهدف التأكيد على تطبيق ورسم السياسة المستقبلة سياسيًّا وعسكريًّا وداخليًّا، مع طمأنة روسيا بأن هدفنا السياسي والعسكري هو إزالة آثار العدوان فقط، وليس كما يتصور البعض تدمير إسرائيل. كما كان الهدف تحديد موقف مصر يوم ٧ مارس بعد انتهاء فترة إيقاف النيران المؤقت. وكنت أود أن أعرف موقفهم وأسلوب وطريقة الردع إذا قامت إسرائيل بضرب العمق في مصر.

والحقيقة أن الرئيس السادات قص علينا قصة هذه الزيارة السرية وما دار فيها:

١ ـ تريد روسيا الاطمئنان السياسي والعسكري عن اتجاهات رئيس الجمهورية، مع تأكيد استمرار العلاقات الثنائية بيننا.

٢ ـ ما هو قرارنا يوم ٧ مارس ١٩٧١؟ وقالوا: «إن لكم الحق في فتح النيران يوم ٧ مارس عسكريًّا، مع عدم الانقطاع عن السير في الحل السياسي»، أعني يوم ٧ مارس قتال وسياسة.

٣ ـ تأكيدهم للأعمال المجيدة التي قاموا بها نحو مصر، وبفضلها تغير الموقف بعد ١٩٦٧ إلى اليوم.

«إن إسرائيل تقدر السلاح الروسي أكثر منكم»، ويجب أن نعلم أن الأسلحة الروسية أفضل من غيرها! ويجب أن تستخدم بكفاءة، وإننا ٣٠ مليون وقضيتنا عادلة ويجب أن لا يكون لدينا روح الهزيمة! وقالوا إنهم دعمونا بأسلحة لم

تدخل بعد أي دولة اشتراكية مثل «البتشورا»، وهو صاروخ مضاد للطائرات، وإن أي كلام يثار عن الأسلحة السوفيتية هو مثبط للعزيمة والاستعمار يحاول الوقيعة بيننا!

٤ ـ طلبوا مساعدات للأسطول الروسي بحرًا وبرًّا وجوًّا في البحر الأبيض المتوسط وفي مَرْسَى مطروح.

٥ ـ طلب السادات تسليحًا متساويًا مع إسرائيل وضرورة وجود طائرات للردع. ولكنهم ردوا أننا يجب أن نثق في السلاح ونعلن ذلك على العالم حتى لا تهتز الثقة بالعسكرية السوفيتية!

٦ ـ اعترفوا بكفاءة الطائرة الفانتوم الأمريكية، ولكنهم قالوا إن الطائرة الميج الروسية الموجودة في مصر (MF) تمتاز عنها في القتال المتلاحم، وقالوا إن في مصر ٥٠٠ طائرة والعدو عنده ٣٧٣ طائرة، منها ٥٧ فانتوم، والمدفعية المصرية ضعف مدفعية إسرائيل!

ثم قالوا إن أي زيادة من الأسلحة الروسية للدعم يعقد الموقف السياسي أكثر وتصبح المواجهة أكبر!

قال السادات:

ـ وعمومًا فقد تم الاتفاق على وصول أسلحة ومعدات للدعم في توقيتات معينة، ووعدوا بإرسال طائرة فولاذية تستطيع الطيران فوق إسرائيل والعودة، ولها قدرة كبيرة على الاستطلاع الجوي ويقودها ٤ طيارين ويخدمهم ٢٠٠ فني، وتتمركز في أسوان، ومعها ميج ٢٣. وسترسل روسيا طائرات أحدث على التوالي.

وفي نهاية هذا اللقاء قال:

ـ بالطبع لن يصل هذا الدعم إلا إذا تأكد الروس على تصميمنا للقتال. ويجب أن يمر كل أفراد القوات المسلحة في ممر معنوي لإزالة روح الهزيمة، ودعم الروح الهجومية.

وأسجل هنا أنه قال:

ـ سيتم إعلان سياسي قوي يوم ٦ مارس ـ لا يعلن حاليًّا ـ يعلن فيه:

١ ـ إنهاء وقف إطلاق النيران (أعتقد أنه يقصد الامتناع عن إطلاق النيران).
٢ ـ استمرار مصر في العمل السياسي.

وعلق الرئيس على هذا قائلًا:

ـ إذا فتحنا النيران يوم ٧ مارس سنظهر للعالم أننا ضد الحل السلمي، ونحن رسل حرب ولسنا رسل سلام.

الجوهرة الخضراء في كتاب الله

في يوم ٦ مارس ١٩٧١ وفي اجتماع ضم قادة القوات المسلحة، صرح الفريق صادق رئيس الأركان أن رئيس الجمهورية سيعلن في الساعة السادسة والنصف مساء قراره بشأن الموقف، وعلى جميع القادة والجنود الاستماع إلى هذا الخطاب المهم، وهناك احتمالان إما انتهاء إيقاف النيران أو امتداده، ولضيق الوقت يرى عدم تنفيذ العمليات المخطط لها بالجيوش حاليًّا ولا تفتح النيران إلا بأوامر خاصة.

ثم أعلنت مصر استمرارها في الامتناع عن إطلاق النيران اعتبارًا من ٦ مارس ١٩٧١، واستمرت عجلة التدريب والاستعداد للقتال، وفي يوم ١٧ مارس جاءتني دعوة إلى اجتماع خاص في مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة، ومعي عدد محدود من قادة تشكيلات الجيش الثاني وأيضًا من قادة الجيش الثالث، ورأس الرئيس السادات هذا الاجتماع ومعه الفريق أول فوزي والفريق صادق، وحضره أيضًا اللواء محرز مدير المخابرات الحربية، ولما جاء دوري في الحديث قلت للرئيس السادات:

ـ لو سمحت لي سأتكلم ليس بصفتي قائدًا للجيش الثاني، ولكن كمصري أولًا. تعلم سيادتك أن مصر مذكورة في القرآن الكريم في خمس آيات وهذا تكريم كبير لها.

وأرجو من سيادتك أن تعيد اسم مصر مرة أخرى.

ثم بشرته بالنصر إن شاء الله.

وأشرت إلى آية في كتاب الله تشير إلى اتباع المفاجأة في القتال ضد العدو الإسرائيلي لقذف الرعب في قلوبهم، فهز رأسه بالعلم والمعرفة.

وكان ملخص ما دار بعد ذلك في هذا الاجتماع، أنه يجب أن نعطي الحل السياسي بعض الوقت وأن روسيا ستدعمنا وتقف خلفنا، وقد تغير الموقف السياسي في صالحنا:

- إني أريد العبور بدون معركة. وعمومًا أريد أن أعطي الحل السياسي بعض الوقت، فلا تقلقوا. ويجب أن نحرر الأرض مهما كان، وهي رسالتنا.

وتذكروا أننا بعد ١١ يونيو ١٩٦٧ بدأنا من الصفر خاصة في القوات الجوية، واليوم حدث تطور كبير بها وفي الدفاع الجوي، والمشكلة أن أمريكا تعطي إسرائيل الفانتوم وعندهم الميراج. وليست الفانتوم شبحًا رهيبًا ولكنها حمولة ومدى وسرعة تطول كل مكان في بلدي، ولكن لو الميج ٢١ طالت الفانتوم فستقتلها وتدمرها، فقد طور الروس الميج ٢١ وظهرت الميج ٢٣ وهي أروع من الفانتوم. ويجب أن يعلم الجميع أن روسيا خلفنا وسوف تدعمنا.

جمهورية مصر العربية

قال السادات إن يوم ٢٢ فبراير الماضي كان موعدًا لإعلان قيام الدولة الاتحادية ونسمى نحن جمهورية مصر العربية، وسيعلن عن شكل الدولة الاتحادية على أسس واضحة قريبًا جدًّا، ومعنا سوريا وليبيا وربما السودان:

- الحقيقة أن سوريا ألزم لنا في المعركة المقبلة برغم كل العقبات، ولكني لم أوافق على يوم ٢٢ فبراير ١٩٧١ لهذا الإعلان لإبطال المناورات السياسية.

وهكذا عاد اسم مصر مرة أخرى والحمد لله.

تحقيق المفاجأة

جاء تصميم الرئيس السادات على العبور في ختام حديثه لنا يوم ١٧ مارس ١٩٧١ قائلًا:

- لن يستطيع العدو أن يذهلنا أبدًا. سنضرب في اتجاه آخر، وكل شيء معمول حسابه تمامًا. لا وساوس، ولا أوهام. وقبل كل ذلك هو قدرنا ويجب أن نقبل كل تكاليفه. والمفاجأة ستكون أساس عملنا فيما بعد. وسأختار المكان والزمان الذي سنبدأ فيه عملنا. ويجب إحداث رعب داخل إسرائيل، ولكن لا يمكن الثقة إلا بما هو معي وفي يدي فقط.

التصديق على القرارات

في الأيام الأخيرة من شهر أبريل ١٩٧١ تمت مناقشة خطط العمليات وقرارات القادة مع وزير الحربية ورئيس الأركان في حضور المستشارين السوفييت، وقد علق الوزير على هذه الخطط قائلًا:

- العمل العسكري الذي سنقوم به يهم العالم كله ويتوقف عليه تاريخ شعب مصر. ولا بد أن تكون درجة استعداد القوات كاملة لملاقاة أي مفاجآت، ويجب مراعاة السرية الكاملة.

ثم قال:

- أعطي التصرف المطلق ـ في حدود التخطيط العام المصدق عليه ـ إلى قادة الجيش وليس للقيادة العامة للقوات المسلحة، خاصة في عمليات تأمين أعمال قتال القوات سواء في الدفاع أو الأعمال التعرضية.

والحقيقة أن هذا المؤتمر الخاص بالتصديق على القرارات وإعطاء قادة الجيوش سلطة التصرف المطلق مع المرونة والمبادأة، زادني اطمئنانًا على قواتي التي ستكوِّن رؤوس كباري في الضفة الشرقية بعد العبور، خاصة من ناحية الحماية الجوية، حيث وضح قائد قوات الدفاع الجوي أنه يمكن للصواريخ المضادة للطائرات حماية قواتي في رأس الشاطئ المرتقب إن شاء الله.

وكان قد تم تنظيم التعاون والتنسيق بيني وبين اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث وجاري الأيمن على طريقة تأمين المنطقة الفاصلة بين الجيشين في قطاع البحيرات المُرة جنوب الدفرسوار بالمشاة المدعمة بالدبابات والأسلحة م/ د، وعناصر وأسلحة مضادة للطيران الواطي لإجبار العدو الجوي على الارتفاع أثناء هجومه، فيتعرض للصواريخ الأكثر قدرة والأكبر مسافة.

كما تم بيننا تنسيق الضربات المضادة بالقوات المدرعة من الجيشين في هذه الثغرة إذا نجح العدو في الاختراق غربًا. وقد تخصص لواء مدرع من الجيش الثالث مع لواء مدرع من الفرقة ٢١ المدرعة أو الفرقة المدرعة بالكامل للهجوم المضاد في اتجاه الدفرسوار في حالة اختراق العدو لمواقعنا به.

١٥ مايو ١٩٧١

في الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم ١٢ مايو ١٩٧١، كان موعد مؤتمر موسع في الكلية الجوية في بلبيس، حضره قادة الجيوش الميدانية وقادة التشكيلات حتى مستوى اللواءات، وقادة القواعد الجوية والبحرية، وقادة وبعض ضباط دفاع جوي الجيوش، وعدد كبير من ضباط القوات المسلحة.

ولم يصل الرئيس السادات إلا بعد الثانية عشرة ظهرًا، ورافقه الفريق أول فوزي والفريق محمد صادق، وكنت أول من استقبله بحكم الأقدمية ولم يكن كعهدي به مبتسمًا!

وبدأ المؤتمر متأخرًا عن موعده بأكثر من ٣ ساعات. وجلس الرئيس السادات في المواجهة وعن يساره وزير الحربية واختار الفريق صادق الجلوس معنا في الصف الأول، برغم أن مكانه على يمين الرئيس كان خاليًا!

بدأ الرئيس المؤتمر بشرح الموقف السياسي، ثم أخذ يقص علينا قصته مع جنود المدفعية في المعسكر المجاور لمعسكر الإشارة الذي كان به اليوزباشي أنور أفندي السادات، وأن جنود المدفعية كانوا يسرقون بعض المعدات ومنها جهاز لاسلكي كان في عهدته! وقال:

ـ كانوا حرامية!

ونظر إلى الفريق فوزي الجالس بجواره نظرة لها معنى! وابتسم ابتسامة صفراء، وضحك الجميع بصوت مرتفع. واستمر المؤتمر أكثر من ٣ ساعات ثم تناولنا طعام الغداء الفخم منظرًا ورائحة، ولكن حقيقة كان بدون نفس! وغادر الجميع المؤتمر وكأن على رؤوسهم الطير. ولم يكن أحد منا يدري ما سيكون بعد هذا اللقاء...

وعلى باب الكلية الجوية ببلبيس كنت في وداع الرئيس السادات، وما زال وجهه صارمًا مكفهرًّا، وركب سيارته وبجواره الفريق أول محمد فوزي، وانطلقا وخلفهما الفريق صادق.

وتوالت الأحداث وتم تعيين الفريق صادق وزيرًا للحربية، ودعانا إلى جلسة خاصة يوم ١٤ مايو ١٩٧١ قال فيها ما حدث خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية،

ما حدث في اجتماع الفريق أول محمد فوزي بالقادة، وما دار بخصوص الاتحاد الثلاثي الذي دعا إليه الرئيس السادات.

وعلق الوزير الجديد أنه لا يوافق أن يعمل الضباط بالسياسة، وأن واجبنا الأول هو الاستعداد للقتال، وأنه يعتبر العمل السياسي ونحن في حالة حرب «نوعًا من الخيانة».

ثم قال دون أن يذكر أسماء:

- وللأسف لم أنجح في إثنائه عن غرضه وهو دفع القوات المسلحة إلى ميدان السياسة.

ثم اختتم حديثه قائلًا:

- القادة مسؤولون عن وحدة الفكر في وحداتهم وأي تشكيل فيه بلبلة، فالقائد غير صالح للقيادة ووحدته ليس بها وحدة فكر!

وانتهى أول اجتماع مع وزير الحربية الجديد.

الخطوط الثلاثة المتوازية

ومرت الأيام، وكان أول لقاء لنا مع الرئيس السادات بعد أحداث ١٥ مايو، يوم ٣ يونيو ١٩٧١، حيث قص علينا قصة التآمر والمتآمرين! ثم عاد إلى قصة المعركة الحربية المنتظرة مع إسرائيل قائلًا:

- المعركة واجبنا الأول ونسير في ثلاثة خطوط متوازية:

الأول: البناء العسكري للمعركة.

الثاني: الجهد السياسي في كل الميادين لخدمة المعركة.

الثالث: بناء الدولة الحديثة على العلم والإيمان.

ثم قال:

- إني مؤمن بأنه لا بد من المعركة يومًا ما، ولكني لو تمكنت من عبور قواتي دون دم ثم أقاتل في سيناء، وهذا ما أعمل به الآن. وأستكمل مع روسيا كل شيء ينقصنا.

ثم قال عن المعاهدة المصرية السوفيتية:

ـ طلبت المعاهدة لشيئين:

الأول: عاجل ـ وهو حاجتي إلى معدات للمعركة، وهذا يربط الشرف الروسي بالمعركة.

الثاني: آجل ـ وهو بناء الدولة الحديثة لأننا في حاجة إلى العلم الحديث، وهو متكامل في روسيا وأمريكا ليس فقط للحرب ولكن للسلم والصناعة أيضًا.

وبهذا سأنتج هنا الذخيرة، وفي الخمس سنوات القادمة سأستكمل صناعتي تمامًا. أنا محتاج لهم ليس فقط ١٥ سنة ولكن ٣٠ سنة. نحن في حرب صليبية جديدة قد تطول لأكثر من ٥٠ سنة. ولكن علينا إعادة إسرائيل إلى حدودها وبناء الدولة على العلم الحديث وتبقى مصر دائمًا قوية. ولا يمكن لإسرائيل مفاجأتنا. ويجب أن يكون لدينا ألف طيار محترف مع طائرات بعيدة المدى بصفة دائمة. ولا تخشوا من النفوذ الروسي، ولا يمكن للمصريين أن يكونوا شيوعيين ولا يستطيع أحد أن يملي علينا أي شيء مهما كان. ويجب أن نستفيد من الروس أكبر فائدة ولكن ليس لأن يحاربوا معركتنا أبدًا. أبدًا.

الاجتماع التاريخي ١١ نوفمبر ١٩٧١

عند بداية عام ١٩٧١ أعلن الرئيس السادات أن هذا العام هو عام الحسم، والحقيقة أنه عام مملوء بالأحداث، فقد تعددت فترات إيقاف القتال والتدخلات السياسية المختلفة وسفريات القمم إلى موسكو ومبادرات السلام والغيرة التي ظهرت على السفوح الأمريكية من التقارب السوفيتي-المصري، ودور ساعي البريد النشط بجوار الاستعداد للقتال واحتمال بدء المعركة في شهر أغسطس ١٩٧١ . ولكن في اجتماع اليوم أعلن الرئيس أنور السادات:

ـ اجتماعنا اليوم حدث سيسجل تاريخيًّا للبلد.

ثم قال:

ـ سأشرح الوضع السياسي والعسكري، وسأستمع إلى أي أسئلة. الموقف

حاسم ولا بد أن نتحمل مسؤوليتنا أمام شعبنا والعرب وأصدقائنا وأعدائنا. لقد طرقت كل السبل، ولكن العدو وأمريكا لهم نظرة وأهداف أخرى غير ممكن أن يكون لها سوى رد واحد. قبلنا مبادرة «روجرز» في أغسطس ١٩٧٠ ومددنا إيقاف القتال في نوفمبر ١٩٧٠ حسب قرار الأمم المتحدة، ثم في ٥ فبراير ١٩٧١. وللتاريخ أقول إن قبل ٥ فبراير ١٩٧١ جمعت مجلس الدفاع الأعلى واللجنة المركزية، وقالوا يجب إطلاق النيران في ٥ فبراير ١٩٧١، ولكن أمريكا كانت قد ملأت العالم بقضية من يبدأ إطلاق النيران أولًا. ولكن قلت لهم إن هذه ليست القضية والعالم يقول من أطلق النيران أولًا هو البادي.

والقضية تحتاج إلى تحريك جديد.. وكنت أطالب ببطاريات دفاع جوي لحماية صعيد مصر، وراوغني الروس وقالوا سنرسلها في ١٨-٢٢ فبراير ١٩٧١ ولم تصل، وكان لهم هدف هو عقد مؤتمر مارس ١٩٧١ ولا يتم قبله شيء. (مؤتمر خاص بين روسيا وأمريكا).

ثم قال:

ـ سأتقدم بمبادرة. وخاصة كان عبد الناصر له شخصية عالمية متحررة، وهذا مصدر قوة، وكانت قوتنا العسكرية واضحة. ثم قناة السويس وأهميتها للاقتصاد العالمي، وكان هذا له تأثير أيضًا على العالم العربي وخاصة لما لمصر من مكانة كبرى، وقد فقدنا هذا كله بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ نتيجة الهزيمة.

وجاء في مبادرة السادات الآتي:

ـ القوات الإسرائيلية تنسحب أمام الممرات، وهذا يعطي ٦ أشهر لـ«يارنج» أو يكون لقواتي التي عبرت أن تستكمل عملياتها في سيناء.

وهدف هذه المبادرة:

ـ أنه ليس لديَّ صواريخ مضادة للطائرات في العمق، وكذا لم تصل طائرات الردع الموعود بها.

ـ كانت أوروبا الغربية تصرخ اقتصاديًّا، وهذه المبادرة تكسبنا أوروبا الغربية معنا.

ـ لو أمكن أن أعبر القناة دون اقتحام وأعمل خط دفاعي في سيناء وهذا أسهل لنا. وقلت إني مستعد إلى اتفاق سلام وليس معاهدة سلام، وكان المفروض تسميته اتفاق هدنة ولكنهم تلقفوا المبادرة، وأعطوا آمالًا كبيرة.

ثم قال الرئيس في ٧ مارس ١٩٧١:

ـ قلت نحن غير مقيدين لا بالامتناع أو بإيقاف النيران. وقد يسألني أحدكم: ولماذا نسكت حتى الآن؟

أقول السبب وهو:

حتى ٧ مارس لم تصل كتائب الدفاع الجوي لدعم الصعيد ولم تصل أيضًا في أبريل ١٩٧١، كذلك ليس لديَّ طائرة ردع لضرب عمق إسرائيل وراوغني الروس فيها أيضًا.

قصة السادات والسوفييت

قصها لنا الرئيس أنور السادات بكل تفاصيلها وأحداثها قائلًا:

ـ زرت روسيا يوم ١-٢ مارس ومحضر الجلسة موجود ويمكن الاطلاع عليه، وكانت مناقشة في غاية العنف، وفيها قلت: «أنا آسف أننا مختلفون تمامًا ورجعتوني خطوتين خلف إسرائيل وتريدون أن تذلني أمريكا وتخلص من نظامنا هنا، لماذا تريدون وضعي في هذا الموقف؟ أطلب طائرة ردع وأحارب عشرات السنين ولا أقبل أن يضرب عمقي ولا أستطيع أن أضرب عمق العدو أيضًا».

وبعد مراوغة قالوا لي: «نرسل لك طائرات ردع ولا تستخدم إلا بموافقتنا!». فرفضت أن أستأذن، وهذا شيء غريب، وقلت: «أنا مستعد أن يكون قرار استخدامها قرار سياسي مني شخصيًّا وليس من القيادة العسكرية». وقلت لهم: «دَرِّبوا رجالي عليها واطلعوا أنتم منها!». قالوا: «مطلوب أربع سنوات ونصف تدريب». وأنهيت الاجتماع بأننا مختلفين رسميًّا.

ثم قال مؤكدًا:

ـ هذا كلام تاريخ ويجب أن نحكي لشعبنا كل الحقائق.

واستطرد قائلًا:

ـ كانوا يظنون أني أحكم مرحليًّا وأن هناك من سيكون في الحكم بعدي. وبرغم أنه وصل بحوالي ٢٠٠٠ مليون جنيه استرليني سلاح، إلا أنني أقول من الوفاء أن نقف معهم، فهم معنا سياسيًّا واقتصاديًّا ونفوت هذه المرحلة. وكان معي فوزي وشعراوي وحكيت للجنة المركزية هذا. والحقيقة كيف أدخل المعركة ونحن بهذا الوضع كتل ومحاور، والاتحاد السوفيتي يقول استأذن مني قبل عمل شيء، والوضع داخليًّا واضح أنه غير ممكن؟

قصة الأمريكان والسادات

قال السادات في هذا المؤتمر التاريخي:

ـ إن «روجرز» عرض الحضور لمصر وقبلت، وقلت له: «ماذا تريد مني؟». قال: «لا شيء، فقد عملت مصر كل ما عليها». فقلت: «نحن لا نفرط في الأرض أو في قضية فلسطين، وإني قبلت اتفاق سلام، وعندي على أرض مصر جنود وضباط من الجيش الروسي وليسوا على القناة لأننا عرب ولنا كرامتنا ولا نريد أن يحاربوا لنا معركتنا. وهم متواجدون في عمق مصر فقط في مواقع سام ٣، وحتى يتم تدريب رجالنا يعودوا ومعهم بطاريات سام ٣ إلى القناة ويبقى الروس في العمق».

ثم قال أنور السادات:

ـ سأخرجهم عندما لا أريد أن يكونوا هنا.

وأراد «روجرز» أن يطمئن أكثر، فقال للرئيس أنور السادات: «هل إذا تمت المرحلة الأولى وعبرت قواتكم، هل ستستغني عن «آكتينج فورس» أي قوة العمل الروسية الصديقة؟».

ـ قلت طبعًا وإني أرسلت إلى «نيكسون» رسالة أني سأعطي روسيا تسهيلات في البحر الأبيض وفاءً وشرفًا لما أعطوه لنا من أسلحة، وسأحتفظ بمستشارين («أدفايزرز») في الجيش وليس قوات عاملة، وهم سيعطوني أسلحة، أما أنتم أيها الأمريكان فلا.

وقال السادات:

ـ ورد «نيكسون» عليَّ قائلًا: «أنا عارف هذا وأنت حر في بلدك تأخذ ما تراه من قرارات». وانتشرت إشاعات في مصر تقول إن السادات يبيع البلد للأمريكان.

ويعلق السادات على هذا فيقول:

ـ كيف هذا وورق الحفظ عند سامي شرف ومحمود رياض حضر كل المقابلات وكان يقول لهم كل ليلة ما يسمعه مني، وكان الصراع على السلطة جاري وأنتم عرفتم كل شيء؟

وقد قابل السادات بعد ذلك «سيسكو» وشرح له فكره وقال لنا:

ـ لقد طالبت بأرضي فقط وأمامي الخريطة والقناة، وشرحت له ما أراه للحل السلمي، ووعدته بمد وقف إطلاق النيران بعد الستة أشهر، وإذا كان هناك تقدم يمد ٣ أشهر أخرى.

وفي ٦ يوليو ١٩٧١ رد «نيكسون» على السادات، أي بعد ٧٠ يومًا قائلًا: قررت أمريكا أخذ دور جدي في المشكلة، وليس كساعي البريد، ولكن يوجد ثلاثة أسئلة تستفسر عنها وهي:

الأسئلة الثلاثة المطلوب الرد عليها

١ ـ هل غيرت المعاهدة السوفيتية–المصرية العلاقات بعد ما حدث من عهود مع «روجرز»؟

رد السادات:

ـ قلت هكذا: «إن هذه المعاهدة إطار لعلاقات قائمة ولم يزد أو ينقص عليها شيء، ودليلي هاتوا اتفاق على الأسس التي قلتها لـ«روجرز» ومستعد لتوقيعها».

٢ ـ هل أنت عند كلمتك أن تعيد العلاقات الدبلوماسية معنا إذا تمت المرحلة الأولى؟

ـ قلت: «نعم إذا تم الاتفاق».

٣ ـ هل أنت عند كلمتك لـ«روجرز»، أن عساكر وضباط الجيش الروسي يمشوا؟

ـ قلت: «أنا غير منتظر أن يقول لي أحد هذا سأطلعهم من البلد بدون شيء. وهذا وضع داخلي وأنا وقت ما أريد يمشوا. والحقيقة أن رجالنا سيصلوا من روسيا خلال نوفمبر ويعود الروس إلى بلدهم». ومرت الأيام وبرغم موقفي من أحداث السودان، واطمأنت أمريكا أننا وقفنا مع السودان ضد الحزب الشيوعي، فقد تغير الموقف الأمريكي وتراجع تراجعًا كاملًا.

ثم قال في مرارة وحزن:

ـ لقد مر عليَّ شهر أغسطس وسبتمبر الماضي كأسوأ أشهر في حياتي، فكان موقف الكتلتين منا واحد: عدوتنا أمريكا، وصديقتنا روسيا.

ثم قال بشدة وقوة:

ـ خطبة مني ستطرد الروس من البحر المتوسط. ولكن لماذا أفرِّح الأمريكان وهم أعداء فعلًا؟

وجلست أحسب موقف الروس والموقف المتساوي للكتلتين ضدي. ماذا أعمل؟ أمريكا قلت فيها ما قال مالك في الخمر، ولكن يجب استخدام الأسلوب العنيف مع روسيا، وقلت لهم إني في غير حاجة إلى المعاهدة معكم! وسأعلن هذا على الشعب كله والقوات المسلحة وسأقلبها معركة قومية.

الترحيب الروسي «خاراشو»

حدد الروس للرئيس السادات زيارة روسيا في ١٣ أكتوبر ١٩٧١، وكانت الحفاوة والاستقبال فوق العقل بعد أن كانت الزيارة الأولى تسفيهًا في كل شيء. وقال الرئيس السادات:

ـ في المحادثات معهم شعروا بأني مستبيع، وكنت قادرًا أن أعلن من موسكو إنهاء المعاهدة، ويبقى الاحتلال الإسرائيلي إلى أن نستطيع بسلاحنا تحرير الأرض.

ثم أوضح لنا موقف «بريجنيف» وهو يسأل محمود رياض: «كيف تهجموا في أغسطس وليس لديكم ذخيرة توصلكم ٢٠ كيلومترًا؟». كما سأل المارشال «جريتشكو» السادات في موسكو يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧١: «اسأله عن كمية التسليح

في مصر[1] والروح المعنوية وموقف المعدات» بما يعني أن لدينا كثيرًا، «فما هي حجتكم ومتى ستحاربون؟». ورد السادات على هذا: «يجب أن يصلنا ما تم الاتفاق عليه بالتوقيتات، وإلا سأعلن الحقيقة على الشعب».

وبرغم هذا أوصانا السادات بأن نعامل العسكريين السوفييت معاملة حسنة، وأن نتعلم منهم ونتعاون معهم. وفي النهاية أعلن أن جنودنا قد أتموا تدريبهم وعادوا من روسيا، وأن جنود الجيش الروسي سيعودون باكر ١٢ نوفمبر ١٩٧١ إلى وطنهم.

الامتحان

قال الرئيس السادات لنا بعد هذا الكم الكبير من المعلومات المهمة إننا أمام امتحان وإسرائيل مرعوبة من بدء القتال كما قال الرؤساء الأفريقيون، والموقف الآن فيه تهديد حقيقي لإسرائيل من سوريا ومصر، ولدى سوريا ٢٥٠ ألف جندي للقتال:

---

(١) قال «جريتشكو» للرئيس السادات: «عندكم ٦٧٠ ألف مقاتل وسوريا ١٥٠ ألفًا، أي ٨٠٠ ألف مقاتل. وأمامكم اليهود ٣٦٠ ألف مقاتل، وعند التعبئة الشاملة يصلون ٤٠٠ ألف، أي قوتكم تفوق الضعف. ولديكم ٢٠٠٠ دبابة وسوريا ١٥٠٠ دبابة، أي ٣٥٠٠، ولدى اليهود ١٥٠٠ دبابة فقط. ولديكم ٣٦٠٠ قطعة مدفعية هاون، ولدى إسرائيل ٢٢٠٠، منها ٣٠٠ مدفعية. ولديكم ٧٥٠ صاروخًا مضادًّا للطائرات ولدى إسرائيل ١٠٠ هوك فقط. ولديكم ٣٦٠ مدفعًا مضادًّا للطائرات واليهود ٧٥٠ مدفعًا، أما الطائرات فلديكم ٢٥٠ طائرة ميج ٢١ وسوخوي + ٥٠ طائرة سوفيتية، ومع سوريا تكونون ٧٤٠ طائرة، أما إسرائيل فلديها ٣٨٠ طائرة: ٧٤ فانتوم، ٥٠ ميراج، والباقي قديم. والأسطول البحري أنتم متفوقون ولن أناقش هنا، ولديكم ٩ جسور طول ٢٥٠ مترًا، ٣٠ طاقم فتح الثغرات، ٣٠٠ قطعة تفجير الألغام بعرض مترين، والأقمار الصناعية الروسية تعطيكم صورًا عن المناطق. وما هي حجتكم؟ متى ستحاربون؟ أثبتوا ذلك».
ثم ناقشهم صادق، ولو أنهم يكرهون صادق، وخاصة السياسيين و«بريجنيف» أساسًا، وقال لي إن صادق قال للضباط المصريين لا تتحدثوا مع الروس. والحقيقة أن هذا لم يحدث من الفريق صادق لنا. وقال «جريتشكو»: «وبرغم هذا سنعطيكم:
- ١٠ طائرات ردع قابلة للزيادة بها صاروخ مداه ٢٠٠-٣٠٠ كم، وصل منها فعلًا ٣ طائرات يوم ٨/ ١١/ ١٩٧١.
- ١٠٠ طائرة مقاتلة حتى النصف الثاني من ١٩٧٢، يصل منها ٥٠ ميج ٢١ جديدة عام ١٩٧١، سرب ميج ٢٣ في النصف الثاني من عام ١٩٧٢.
- كتيبة مدفعية ١٨٠مم مداها ٤٢كم تصل عام ١٩٧١.
- كتيبة هاون ٢٤٠مم مداها ٤٢كم، تصل عام ١٩٧١.
- ٣ وسائل عبور منها ما يركب في ٤٠ دقيقة عام ١٩٧١.
- كما سنرسل لكم ٥ كتائب صواريخ كوادرات بالأطقم الروسية ثم يدربون قواتكم».

ـ الاختبار اختبار وجود، وهل نستحق أن نعيش أو لا نكون. كل السبل السياسية أغلقت والتراجع الأمريكي الأخير واضح، برغم أنهم أخطروني أمس فقط أنهم يطلبوا مندوب منا وآخر من إسرائيل للسفر إلى أمريكا للتفاهم! وسيقوموا بدور ساعي البريد النشط وكل طرف يحتفظ بموقفه! معنى هذا أن كل ما كان قد اتلحس وقفل الباب السياسي برغم تحركي بكل ما أستطيع في كل مكان، وبذلت ما يمكن بذله. الحل السياسي ببساطة انتهى أمره. وليس هناك مناص من المعركة!

ولن أتخذ قرارًا إلا بعد وزنه سياسيًّا وأخذ رأيكم، ولن أدعي أني ضابط وعسكري وقائد، فالعملية عمليتكم وكل فرد يقول رأيه بصراحة وبوضوح، فهذا مصير أمة وشعب.

سأنسق الدفاع الشعبي في المحافظات ثم أتحدث إلى الصحفيين وأوضح الصورة كاملة، وسنبدأ التدريب العسكري. والدفاع المدني سينفذ في كل الأجهزة. وبعد رمضان سأبدأ في تجارب ميدانية كاملة. سأعطل المدارس، وأطلب التطوع، وأضع البلد في العيد في الوضع السليم.

هنا يعود بي شريط الذكريات إلى عام ١٩٦٨ عندما جاء السادات وهو نائب رئيس الجمهورية لزيارتنا في مواقعنا في قطاع أبو سلطان-الدفرسوار، ورد على تساؤلات الضباط عن تعبئة البلد: «لا داعي لإعادة قصة الذئب والغنم»، وأخشى في هذه الحالة أن لا يلتزم القائد بهذا الذي قاله قبل نهاية عام الحسم بشهر واحد!

إرادة القتال

قال الرئيس السادات:

ـ إننا سنكسب هذه المعركة إذا كان عندنا إرادة القتال، وليس عندي أدنى شك في الوزير أو رئيس الأركان أو هيئة العمليات أو أي فرد فيكم، وهذا مصير مصر. وإذا كان هناك شيء، سنواجهكم. يجب أن تؤكدوا للرجال أن المعركة في الطريق وأهمية وجود إرادة القتال في كل فرد. وموقف إسرائيل حاليًّا داخليًّا سيئ. ونجاح واحد وكسب موقع واحد يجعل بلدنا ترفع رأسها، وإني أتحمل المسؤولية تمامًا أيًّا كانت النتيجة. وعليكم وضع

الخطة وأنتم المسؤولون عنها. والوزير يعلم أفكاري وتصوراتي، ويضع فيها كل الاحتمالات، وأنا أستكملها سياسيًّا. والمعركة القادمة معركة كل جندي، فلنحارب مرة في التاريخ ولنكن رجالًا، والله يوفقكم.

وانتهى الاجتماع التاريخي حوالي منتصف الليل.

ليلة القدر

وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة خطة هجومية في الأشهر الأولى من عام ١٩٧١ سميت «الخطة جرانيت»، وقد وضعت تحت ظروف ومعلومات عن العدو، أعتقد أنه بعد إقامتنا لحائط الصواريخ قد أعاد التفكير في نظامه الدفاعي، وبدأ في فترة النصف الثاني من عام ١٩٧١ زيادة نشاطه في مواقعه الدفاعية وتقويتها، إما لأنه شعر أننا مصممون على القتال، أو نتيجة تقديره لموقف حائط الصواريخ وأنه في حدود ١٠ كيلومترات شرقًا سيكون هناك صعوبة في عمل قواته. وحسب إمكانيات قواتنا وقدراتها، فإن المعركة الرئيسية لقواتنا ستكون بين القناة والمضايق، ويجب الاعتماد على المفاجأة كعامل رئيسي في نجاح أي تخطيط قادم.

وتمت دراسة الموقف دراسة دقيقة، وعمل تقدير للموقف الذي وضعه قادة القوات الجوية والبحرية والدفاع الجوي وقادة الجيوش الميدانية والرؤساء، كلٌّ فيما يخصه، وتمت مناقشة طرق الحل المقترحة والخروج بفكرة قرار العملية.

وكانت عملية ليلة القدر تحت مناقشة مستمرة أيضًا مع المستشارين السوفييت، وأذكر أنه تم هذا يوم ٧ ديسمبر ١٩٧١ برئاسة الفريق سعد الشاذلي، رئيس أركان القوات المسلحة، وقادة البحرية والدفاع الجوي والقوات الجوية وقائدي الجيشين الثاني والثالث، ورؤساء القوات المسلحة، والمستشارين، وتم تنسيق الخطط وتدقيقها مع قادة وحدات الصاعقة والمظلات وغيرهم.

واستمرت المناقشة حتى يوم ١٦ ديسمبر ١٩٧١، وبعد أن عاد وزير الحربية الفريق أول محمد صادق من سوريا، ضمَّنا اجتماع خاص شرح لنا فيه الموقف وتطوره، فقد دار قتال في الهند، وتحركت روسيا بسرعة لتبريد الموقف في أوروبا الغربية وتهدئته في الشرق الأوسط وتسخينه في القارة الهندية، وما أثر ذلك على

السخونة القادمة الحتمية لأزمة الشرق الأوسط، خاصة وقد نجحت روسيا في هذا المجال! وكانت هذه دعوة للتفكير في أخطر قضايا المصير.

والحقيقة برغم ما بيننا وبين الاتحاد السوفيتي من اتحاد صداقة، وهو ملتزم بالوقوف بجانبنا في المعركة السياسية وإمدادنا بالسلاح والمعدات التي تسمح لنا باسترداد أرضنا، وها نحن في شهر ديسمبر ١٩٧١ وفي نهاية عام الحسم ما زالت الطلبات القديمة جاريًا توريدها عدا الجزء الأكبر منها.

وفي صباح ٣١ ديسمبر ١٩٧١ أخطرني الفريق أول محمد صادق، وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة، بنقلي من قيادة الجيش الثاني وتعييني رئيسًا لهيئة تدريب القوات المسلحة، وتعيين اللواء أ.ح سعد الدين مأمون قائدًا للجيش الثاني بدلًا مني.

وهكذا أسدل ستار عام الحسم ١٩٧١.



التلقين للمعركة. من اليمين: لواء أركان حرب عادل سوكه قائد الفرقة ٢١ مدرعة، لواء أركان حرب يوسف عفيفي قائد الفرقة ١٩ مشاة في حرب أكتوبر ١٩٧٣، لواء رئيس أفراد الجيش الثاني ١٩٧٠، عميد أركان حرب عبد الحليم أبو غزالة قائد مدفعية الجيش الثاني. في الخلف: عميد أركان حرب علي سعيد رئيس الشؤون الإدارية للجيش الثاني

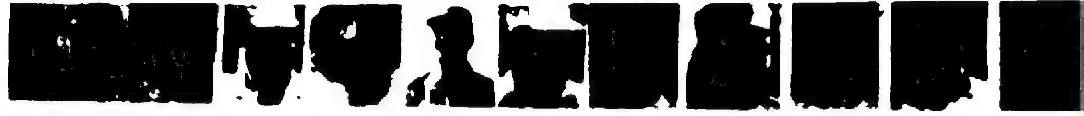


أبطال الجيش الثاني الميداني خلال سنوات الاستنزاف والحسم ١٩٦٩-١٩٧١



نشيد بلادي في يوم الوداع ـ ٥ يناير ١٩٧٢













أبطال الجيش الثاني الميداني خلال سنوات الاستنزاف والحسم ١٩٦٩-١٩٧١

ملحق ٦

رسالة وداع

إهداء إلى أشرف الرجال للذكرى والتاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول والقائد الأمين وبعد.

يا رجال الجيش الثاني.. يا أشرف الرجال.. يا خير أجناد الأرض..

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، ويقول جل وعز: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

أيها الرجال.. يا رجال مصر والكويت.. يا رجال الاتحاد السوفيتي الأصدقاء...

أيها الأوفياء.. لقد عِشت معكم أسعد أيام حياتي وكنت لكم أبًا وأخًا وصديقًا وقائدًا، وبنيت قيادتي لكم على أساس هذه الآية الكريمة: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.

وزرعنا معًا في هذه الأرض المباركة بذور المحبة والوفاء منذ أكثر من ثلاثة أعوام، وها هي أشجار المحبة والوفاء قد نمت وترعرعت وأصبح أصلها ثابتًا وفروعها في السماء، تستمد من الإيمان بالله وبمصر عقيدة تستقر في أعماق القلوب وتسيطر على النفس وتتحول إلى سلوك كريم وعمل جليل.

سلوك ينير الطريق إلى الفوز والنصر.

وعمل دائب مستمر تتحقق به الغاية وتعلو به كلمة الله...

أيها الأبطال

لقد تعلمت منكم وعلمتني الحياة معكم خمسة مبادئ مستمدة من كتاب الله

وسنة رسوله الكريم، قلتها لكم مرات وأكررها لكم لآخر مرة اليوم، وأدعوكم جميعًا ضباطًا وجنودًا أن تحافظوا عليها لأنها مفاتيح النصر بإذن الله.

حاجة الناس إلى القيادة كحاجتهم إلى الماء والهواء، فهم لا يصلحون بدون قائد ولن يستقيم أمرهم بدون راعٍ: «إذا كنتم ثلاثة فأمِّروا أحدكم».

وأول مبادئ القيادة هي:

١ ـ الوصول إلى قلب وعقل الجندي.

والسبيل إلى ذلك هو:

أ) المعاملة الحسنة مع الانضباط العسكري السليم «كن طيب القلب حازمًا» وتذكر قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

ب) إزالة الرهبة والحواجز بين القائد والجندي (قصة عمر بن الخطاب).

جـ) عاونوا الجنود على حل مشاكلهم عملًا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله عبادًا اختصهم لقضاء حوائج الناس، حببهم في الخير وحبب الخير إليهم، إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة».

٢ ـ أعطوا حبكم كله لمصر، واذكروا ما ذكر الله عنها في القرآن الكريم وفي التوراة والإنجيل، وما ذكره الرسول صلى الله عليه وسلم فيها وعن رجالها وفي أحاديثه الشريفة، وما كتبه الشعراء والكُتاب فيها وما تغنَّى به الناس لها. واذكروا قصص البطولة والشجاعة والوفاء لأبناء مصر في قتالهم للعدو الغاصب.

واجعلوا شعاركم هو «دائمًا.. مصر أولًا».

غنوا لها:

اسلمي يا مصر إنني الفدا ذي يدي إن مدت الدنيا يدًا

٣ ـ بثوا الكراهية والحقد للعدو الإسرائيلي المعتدي، وتذكروا ما جاء عنهم في كتب السماء: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ ...﴾ ... ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾.

وقوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُ﴾.

وحَرِّضوا رجالكم على قتال هؤلاء الجبناء الخونة حتى يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدوركم.

٤ ـ علموا جنودكم وتعلَّموا الرماية والسباحة والمهارة في القتال، واستخدام الأرض والمعدات والأسلحة.

فإن دماء شهدائنا الأبرار الذين ارتوت بدمائهم أرضنا المحتلة ينادوننا بالثأر وتطهير الأرض، وعلينا أن نكون على أعلى درجات من الاستعداد والكفاءة القتالية لكي تكونوا قادرين على تحقيق النصر بدون ـ أو بأقل ـ خسائر ممكنة بإذن الله.

٥ ـ ركزوا جهودكم لتحويل المستهتر والمشمئز والمتشائم والمهمل إلى إنسان متفائل يملأ الإيمان قلبه وروحه، ويزداد حبًّا وإيمانًا بالله وبمصر وبقادتنا، ويزداد ثقة بكم وبنفسه وبسلاحه ومعدَّته، وكونوا قدوة في الإيمان بالله والاستقامة والإحسان.

وختامًا، ليكن تصميمكم على النصر رمزًا لخصال شعبنا العريق، ونموذجًا للكبرياء القومي، وإحياءً للتقاليد العريقة للعسكرية المصرية العربية، وإدراكًا واعيًا لرسالة المقاتل، وتعميقًا لعقيدة القتال للوصول إلى النصر.. والنصر فقط.

وبودي أن أشد على يد كل رجل منكم، هنا معي وفي مواقع عملكم. أُقبِّلكم قُبلة المحبة والوفاء والعرفان بالجميل، والله معكم ومعي يسدد خُطانا جميعًا لتحقيق النصر لمصر العزيزة.

تمنياتي من الله

الأمنيات: القتال معكم عندما يحين موعد العبور ـ الموت شهيدًا في سبيل الله

عاشت مصر

عاشت مصر

عاشت مصر

والسلام عليكم ورحمة الله

لواء أ.ح عبد المنعم خليل

قائد الجيش الثاني الميداني

معسكر الجلاء، الإسماعيلية ٥/ ١/ ١٩٧٢

الفصل الثالث عشر

عام الصمود وإعداد القوى ١٩٧٢

ماذا يدور في فكر السادات بعد نهاية عام الحسم؟

اللقاء الأول بعد عام الحسم

تركت قيادة الجيش الثاني في ٥ يناير ١٩٧٢ لتسلم منصبي الجديد بالقاهرة رئيسًا لهيئة تدريب القوات المسلحة، خلفًا للواء أ.ح محمد عبد الغني الجمسي الذي عُين رئيسًا لهيئة عمليات القوات المسلحة. والحقيقة كانت بداية عام ١٩٧٢ بداية تنذر بصراع مرير سياسيًّا وعسكريًّا، وكانت بوادر هذا الصراع واضحة في أول لقاء مع فكر السادات في بداية عام ١٩٧٢ بمنزله بالجيزة، إذ عقد أول اجتماع للقادة بغرفة اجتماعات بمنزله بالدور الأول، بدأ حوالي الساعة الثانية عشرة وأربعين دقيقة بعد الظهر يوم ٢ يناير ١٩٧٢، حضره الفريق أول محمد صادق وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة، والفريق سعد الدين الشاذلي رئيس الأركان، وقادة القوات المسلحة، وكان الهدف من الاجتماع كما قال السادات في أول جلسة هو: «لتلخيص الموقف وفتح باب المناقشة».
ثم بدأ المؤتمر بالآتي:

- نحن في مرحلة أدق من مراحل الحرب! كلها قلق. والمعركة معركة الشعب، ويجب أن يكون معنا في كل مرحلة وعلى بينة بكل ما يحدث في وضوح رؤية في معركة الحرب الشاملة.

ثم قال:

ـ لقد حكيت لكم عن آخر لقاء في ١٢-١٣ أكتوبر الماضي في موسكو وما سبقه من مراحل، وسأقص عليكم ما بعد ذلك.

من مارس إلى أكتوبر الماضي ١٩٧١ كانت العلاقات مع روسيا فيها متاعب، وكان الخطأ ليس كله من جانبنا أيضًا، وهو ما قيل إن أنور السادات باع البلد للأمريكان. قالوها ناس من قمة السلطة، ولذا يجب أن نكون منصفين لنكون أقوياء.

لقد حددت عام ١٩٧١ بعام الحسم، لماذا؟ لقد أوقفنا النيران منذ عهد جمال عبد الناصر، ثم امتنعنا عن إطلاق النيران من جانبنا. وتقدمت بمبادرة تحركنا بها سياسيًّا، ثم صدر قرار الأمم المتحدة وكانت غرب أوروبا معنا. وانتهى كل هذا في ٧ مارس ١٩٧١، وكنا غير مقيدين بوقف أو امتناع عن إطلاق النيران. وطلبت أمريكا فرصة، ولم أمتنع لحرصي على بذل كل جهد للعبور بدون معركة، وتكون المعركة في سيناء بعد سنة أو اثنين أو ثلاث. ولكن الـ٨ أشهر الماضية كان هناك سوء تفاهم مع الروس ومع الأمريكان أيضًا، وكان الموقف من مارس إلى أكتوبر للقوتين واحدًا!

أمريكا تطلب منا أن نجلس مع إسرائيل، وهذا لا يمكن حدوثه! وأهدافهم هيَّ هيَّ، وهم يعلمون أني أريد تفادي معركة العبور. ثم أفصحت أمريكا عن موقفها[1]، وتراجعت عما اتفقنا عليه، وهو وجود قواتنا في سيناء ومنطقة بها قوات دولية، ووقف إطلاق النيران لمدة ٦ أشهر. وسرت معهم كما أرادوا، وكان همي هو أن أصل إلى خط المضايق، ووافق «روجرز»![2] أما موضوع الحدود الدولية بين مصر وإسرائيل، فلا يمكن أبدًا أن أناقش فيها!

ولكن في شهر سبتمبر تحلل الأمريكان من كل شيء، وقالوا: «موقفنا بيننا وبينكم وإسرائيل هو «كاتاليست»»، أي موضوع عامل مساعد في التفاعل الكيميائي!

---

(١) الحقيقة أن أمريكا لم تتراجع وكانت تعمل ساعي بريد في هذه الفترة، أما إسرائيل فهي التي تراوغ وتمتنع بدعوى محاولة الحصول على تنازلات سياسية كبيرة.

(٢) أعتقد أن «روجرز» لم يوافق أو يرفض لأنه ليس له رأي!

وهذا جعلني أبعث برسالة إلى «روجرز» بأني فقدت الثقة فيهم ١٠٠٪، وفهمت أن هدف أمريكا هو استخدام احتلال الأرض كوسيلة للمفاوضة في حل المشكلة. وهذا يعطي إسرائيل فيتو لصالحهم. إنها لعبة استغماية أمريكية!

ثم قال السادات:

ـ إني أرى في عيون القادة السوفييت: «إننا لا نريد الحرب»!

لذا يجب أن نخطط ونعمل بما في أيدينا وما سيصلنا ـ وهي ٣ كباري وطائرات ردع وغيرها ـ ولم أتخذ بعد قرار المعركة، وكنت أجهز الشعب أننا لن نهجم قبل ٣١ ديسمبر ١٩٧١. وجاءت أحداث الهند وباكستان، وهذا دعاني إلى التفكير وإعادة الحسابات، لأن روسيا خلف الهند. ولذا لم أطمئن ذاتيًّا للموقف حتى يمكنني أخذ القرار.

موقف روسيا

ـ هناك عدة نقاط تخص روسيا، وهي:

ـ إن ما اتفقنا عليه من إمداد لم يصل. ولم يتم التعاقد إلا في ٢٤ ديسمبر ١٩٧١ برغم أنهم في عام ١٩٦٧ عملوا لنا جسرًا جويًّا للإمداد بالأسلحة والمعدات.

ـ إن التعاقد لم يتم عن كل ما هو مطلوب، فبعض الأصناف كان المفروض وصولها في عام ١٩٧١، فتأجلت إلى النصف الثاني من عام ١٩٧٣، وهي الميج ٢٣.

ـ لم تصل الطائرات الميج ٢١ ـ عددها ٥٠ طائرة ـ كسد خسائر، وربما يصل ١٠ منها كل شهر حتى مايو ١٩٧٢.

ـ عملية الموقف بين الهند والباكستان عملية طويلة ولم تكن بنت يوم وليلة.

ـ ما هو المستقبل؟ الروس يعرفون أن عام ١٩٧١ هو عام الحسم، فما هو الموقف الآن؟ وما هو موقف خط الإمداد من روسيا؟

كل هذه الأمور يتحتم التفاهم فيها مع الروس وبهدوء، وأسأل: لماذا لم يتم؟ وسأسافر للتفاهم. هذا هو الموقف، فما هو رأيكم؟

عرض بعض الآراء

كان الفريق عبد القادر حسن قد سافر إلى موسكو بغرض التفاهم في موضوع

الإمداد بالأسلحة لسد الخسائر، وقال إن الروس لم يذكروا رأيهم بصراحة، ويعتبر أن تأييدهم لنا شفهي فقط، وأن هدفهم التسويف، وهم مصممون على ألا نحارب. وأرادوا توقيع الاتفاقية معنا على أساس ٥ سنوات، وهذا معناه أن لا حرب قبل ذلك.

وطالب اللواء طيار علي بغدادي قائد القوات الجوية بضرورة توفير طائرات تستطيع الوصول إلى عمق إسرائيل. واقترح اللواء بحري محمود فهمي قائد القوات البحرية وسيلة للضغط على الروس، وهي حرمانهم من التواجد في البحر الأبيض المتوسط، مثل أن نحد من وصول وحدات من الأسطول الروسي إلى موانينا، كما نحدد الموانى التي يسمح لهم بدخولها أو منعهم. وقال للرئيس السادات:

ـ بكلمة من الرئيس يمكن عمل شيء.

تعليق الرئيس السادات

علق الرئيس السادات على ما تم من مناقشات قائلًا:

ـ أخشى أن نسترسل في تفكيرنا بأن روسيا هي التي تمنعنا. لا تفكروا في هذا، وعمومًا سنبدأ بمصنع للطائرات وللإلكترونيات مع معمر القذافي، وطلبت من روسيا مساعدتنا فوافقوا على تصنيع الميج MF 21 . من هذا لا يمكنني أن أقول لهم أنتم بطالين ووحشين، لأنهم سياسيًّا سيقفون معنا. ولكن إلى أي مدى؟ والحقيقة أني مشغول على خط الإمداد بالأسلحة والمعدات الروسية، ولا أستطيع أن أفرض على الروس أي شيء. ويجب أن نعمل بأخلاق ومبادئ، ويجب أن تعيشوا الوضع اللي احنا فيه اليوم، ولن نتساوى مع إسرائيل إلا بعد المعركة.

وإذا حللنا موقف الاتحاد السوفيتي نجد أنهم لا يريدون لنا التحرك، لأن معركة ٥ يونيو ما زالت مؤثرة، ويخشون الدخول في أي مغامرة عسكرية غير واثقين منها.

قنبلة الفريق أول محمد صادق الزمنية

الحقيقة أن رد الفريق صادق كان حاسمًا، إذ ألقى بقنبلة زمنية شعرتُ ـ وشعر بها معي كل القادة ـ أنها سيكون لها دويٌّ رهيب. قال وزير الحربية:

ـ كل الموجودين وربما أكثر مني لهم رغبة في القتال وإنهاء المشكلة عسكريًّا،

ونحن مؤمنون بالله أننا سننتصر نصرًا عسكريًّا، إنه نقطة تحول في تاريخ هذا البلد. لا بد من الحرب، ونحن ننتحر كدولة إذا لم نحرر الأرض. مصر لا تحتمل مرة أخرى أبسط «عدم نصر» ولا يحتمله أي شخص. ولا بد أن نضمن معركتنا من ٦٠ إلى ٧٠٪، مع الأخذ في الاعتبار بأهمية وجود طائرات بعيدة المدى لتصل إلى أرض العدو أو يقوم الطيار برحلة واحدة إلى عمق إسرائيل فيموت أو يهبط بالمظلة. أما العبور فهناك خسائر حوالي ٣٥ ألف مقاتل حتى رابع يوم معركة حسب حسابات الروس في المشروعات، وبرغم هذا نقبل! ولا داعي لإلقاء الناس في المعركة دون مكسب، والروس يعلموا ذلك. وطلبت منهم ثلاثة كباري، وهي أقل شيء يكفيني، ويمكن أوفر عربات مدرعة برمائية توباز لعبور لواءات النسق الثاني لأوفر بعض الكباري. وإذا لم يتجاوب الروس معنا سنقاتل، ولكن يجب الحصول على الضروري من أي مكان، ونستعد ونتخذ كل إجراء للنجاح.

وأريد أن أصل إلى المضايق لأستند عليها (يقصد ممرات متلا والجدي أساسًا). أما الاستنزاف فهو ليس في صالحنا، ومواقع العدو القوية لن تؤثر عليها المدفعية بأثقل عيار عندي. أريد أن أحقق هدفي من ١٠ إلى ١٥ يومًا قتال، وأساوم بعد ذلك.

ثم ختم حديثه قائلًا:

- ولو حدث ولا قدر الله فشل للقوات المسلحة - ولا يمكن أن نسمح به - ستكون مصر فريسة لكل الناس وبدون قوات مسلحة!

وكان رد الرئيس السادات الوحيد بعد هذا أنه قال:

- من اليوم عامل الوقت ليس في صالحنا. وهذه حقيقة لأن التوازن في التسليح خاصة في الطائرات أصبح في صالح إسرائيل، وأعتقد أن أنسب توقيت للمعركة كان ربيع ١٩٧١.

الشائعات والمؤامرات

شعرت بعد هذا اللقاء وشعر معي بعض الزملاء أن صفاء الجو بين القمم تعكره سحابة سوداء قادمة من «سيبيريا» باردة كالثلج مملوءة بحمم ملتهبة! وبعد أيام

قلائل من هذا الاجتماع، بل ولم يمضِ على هذا اللقاء سوى اثنين وعشرين يومًا، وإذا بالسحابة تقترب، ووضَّحها لنا الفريق صادق في اجتماع خاص يوم ٢٤ يناير ١٩٧٢، ثم لقاء آخر في مارس ١٩٧٢ في صورة إشاعات وبلبلة ومؤامرات. وكانت بداية لأحداث سببت تغييرات كبيرة للقادة وللقيادات قبل نهاية عام ١٩٧٢ ـ عام إعداد القوى والصمود!

السحابة السوداء تقترب

كثرت في مصر في نهاية عام ١٩٧١ وفي أوائل عام ١٩٧٢ إشاعات أحدثت بلبلة وتخلخلًا داخليًّا في هذا البلد الآمن، وكان السؤال: لماذا لم نحارب ونبدأ القتال عام ١٩٧١، وهو عام الحسم؟ كما أطلقت إشاعات عن صراع بين صادق وعزيز صدقي، وخلاف بين وزير الحربية والاتحاد السوفيتي و...

ونعود إلى الوراء قليلًا أيام عبد الناصر، حيث كان تقديره أننا نستطيع استرداد الأرض في ربيع عام ١٩٧٠، ثم وافق على إيقاف القتال لفترة محدودة لرفع كفاءة حائط الدفاع الجوي. وجاء عهد السادات الذي سافر إلى موسكو وحضرت وفود من روسيا إلينا وتمت مناقشات بيننا، وكان هناك تسويف في إجابة مطالبنا. وفي أكتوبر ١٩٧١ طلبنا من روسيا أقل القليل، وعلى حد قول الفريق صادق مرة: «عيش حاف لسد الرمق!»، لنعبر ونحقق هدفًا بسيطًا وليس تحرير سيناء بالكامل، برغم أن لدينا أكثر من خطة لتحرير الوطن.

وسمعنا منهم كثيرًا، الحلو والمر! وأخيرًا وافقوا على بعض الطلبات الضرورية تصل عام ١٩٧١، وبعضها يصل في النصف الأول من عام ١٩٧٢. وطلبت مصر منهم حق صناعة بعض أنواع الأسلحة والذخيرة وخلافه في مصانعنا، ولم يصل الرد للآن.

ولما سافر السادات إلى موسكو ولم يصطحب معه وزير الحربية الفريق صادق، تحقق جزء من الشائعة عن خلاف الوزير مع الروس، برغم أن الرئيس أوضح أنه كان يرغب في مناقشة خاصة مع الروس في النواحي الإستراتيجية والسياسية، ولا داعي لاصطحاب وزير الحربية. وبوصول المارشال «جريتشكو» وزير الدفاع

السوفيتي إلى مصر وزيارته للجبهة، وافق على إعطاء مصر أسلحة كذا، وكذا. ثم عاد إلى موسكو ولكنه وضع شروطًا مجحفة للإمداد بالأسلحة أهمها: زيادة ثمن الدبابة ت ٦٢ إلى الضعف، وطالبوا بمبلغ ٦,٥ مليون روبل للطائرة تي يو، وتدفع مصر ثمن الذخيرة والمعدات بالعملة الصعبة وفورًا في حدود ١٠ شهور. وكان الاتفاق على توريد عدد ٢٠٠ دبابة ت ٦٢، ٦٠ طائرة تي يو، ١٠٠ طائرة ميج ٢١، إلخ. وأعتقد أن سبب هذا هو شعورهم بموقف الرئيس السادات منهم، وأنه على اتصال بالإدارة الأمريكية، ويتفق معهم على شيء خارج إطار السياسة الخارجية المتفق عليها.

ولما عرضت اللجنة الأمر على الرئيس السادات، اقترح وزير الحربية أنه لا داعي للأسلحة الجديدة، ويكفي شراء القديم وما نحتاجه فقط! وطالب الوزير إخطار الجانب الروسي بأهمية توفير أطقم روسية للدفاع الجوي لتشغيل الصواريخ المتحركة أو الشلكا ونتسلم منهم ١٨ كتيبة، ورجالنا هنا في مصر جاهزون للعمل عليها.. وهذه أول بادرة للاستغناء عن المستشارين والوحدات الصديقة.

بداية النهاية

في ٨ مارس ١٩٧٢ قص علينا الفريق أول صادق هذه القصة وقلبُه ينبض بالحزن والأسى، قال:

- الناس هنا بيلعبوا لعبة خطيرة يجب أن نتنبه لها وهم يحاولوا الوقيعة بيننا، وكذلك بيننا وبين الشعب. احذروا هذا، فالجو خطير، ونحن مسؤولون أمام الله عن مصر، وكل ما أقوله صادر من قلب كل نقطة دم فيه متجهة إلى الله ومركزة في سبيل مصر، ومصر تنجو. تريد إسرائيل استمرار احتلال العريش وأبو رديس، ونحن محرومون من قاذفة-مقاتلة قادرة على الوصول إلى عمق إسرائيل، والروس يضحكوا علينا كالبلهاء! حتى الحرب الإلكترونية يحصل عليها تشويش. ونحن نريد الحرب ولكنها ستكون جريمة، ولو أنا محل إسرائيل لا بد أن أدمر القوات المسلحة، ولا أقبل أي حل سلمي! حتى دول الاستعمار تريد أن تدمر قواتنا المسلحة. ولذا أقول لكم احذروا أن تدمر قواتنا المسلحة

بعملية استدراج. ونحن أقوياء وقادرون على الدفاع عن مصر، لذا يجب أن نحافظ على القوات المسلحة، فهي أثمن ما في مصر، ومن يريد أي مطامع ينتظر الزمن فسيعطيه الزمن ما يشاء! كرامتكم وكرامة جنودكم من كرامتي. لماذا نحن أذلاء؟ لست أدري!

ثم تابع الفريق صادق حديثه قائلًا:

- طلب الروس في حالة إرسال ٢ طائرة تدريب TU أن يرافقها ٣٢٠ ضابطًا روسيًّا ومعهم ٤٠ مترجمًا! كما طالبونا باتخاذ مَرْسَى مطروح كقاعدة روسية لقفل الطريق إلى الغرب والشرق! وإذا فرطنا في أي جزء من مطروح معناه أننا نفرط في البلد.

واختتم حديثه بتوجيهات أهمها:

١ ـ يجب أن ينبع في كل ضابط وجندي روح الوطنية، وأهمية الاحتفاظ بالدين وكرامة البلد وحب مصر.

٢ ـ ممكن أن يكون الروس أصدقاءنا، ولكن لا نكون عبيدًا لهم، ويكلف المستشار الروسي بما تراه أنت ولا يقدم توصيات ملزمة لك. ويجب تقليل أعداد المستشارين والخبراء ولا يطلب امتدادًا لأي خبير. وتم تخفيض ٢٢٥ مستشارًا حتى ١/ ٤/ ١٩٧٢.

٣ ـ قرار الحرب قرار سياسي، ونحن نضع أمام السياسيين الحقائق، ومن يعطي القرار هو الرجل السياسي.

٤ ـ يجب أن نكون مستعدين للقتال بما لدينا من أسلحة ومعدات في أكتوبر إن شاء الله.

وانتهى هذا الاجتماع واجتماعات أخرى متشابهة متتالية، إلى أن وصلت السحابة السوداء يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ إلى منزل الرئيس السادات بالجيزة وخيَّم الظلام!

زوبعة بعد كوب شاي رمضاني

قارب شهر أكتوبر على الانتهاء، وما زلنا كما نحن برغم أن عجلة الاستعداد القتالي لم تتوقف، إلى أن حسم الرئيس السادات الموقف في اجتماع خاص بمنزله

بالجيزة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢، الموافق ١٧ رمضان ١٣٩٢، وحضر الاجتماع بملابسه الرسمية، ودخل قاعة الاجتماع الصغيرة في منزله وهو يلبس «غطاء الرأس» (الكاب العسكري) وخلفه المصورون، وقال إن هذا اجتماع تاريخي، وأخذ المصورون في التقاط الصور لسيادته أولًا، ثم للمجلس بالكامل، وكان يجلس على يمينه الفريق أول صادق وزير الحربية، وعلى يساره الفريق أ.ح سعد الدين الشاذلي رئيس أركان القوات المسلحة، وكان حول المائدة شبه المستديرة الفريق عبد القادر حسن نائب وزير الحربية وباقي القادة والرؤساء.

في بداية الاجتماع، وبعد انتهاء المصورين من أخذ الصور التاريخية، دار السفرجي بأكواب الشاي الأحمر الخفيف، وشرب السادات كوب شاي أخضر وأشعل الغليون عدة مرات.

انسحب المصورون والسفرجية، وتم غلق باب حجرة الاجتماعات، وقال الرئيس السادات:

ـ لم نتحرك تحركًا أساسيًّا مع روسيا منذ اجتماع مارس ١٩٧١، ونحن مختلفون، وهم يضعونا خلف إسرائيل بخطوتين، ولا أطلب التفوق عليهم ولكني أطلب التساوي معهم. ولا أريد خسائر في العبور، وألقيت مبادرة إلى أوروبا الغربية بفتح قناة السويس، وكنت أحب أن أكسب وقتًا، وكدت في آخر ديسمبر ١٩٧١ أن آخذ موقفًا مع الروس، وسافرت إلى موسكو في أواخر أبريل وتحدثت مع «بريجنيف»، وقبلت أن لا نفعل شيئًا قبل ٧ نوفمبر ١٩٧٢، وهو موعد الانتخابات الأمريكية، ونأخذ ٥ أشهر حتى ٣١ أكتوبر ١٩٧٢ لتسوية ما نريد للمعركة، وبذا نقف على أرض صلبة. ولما حضر «جريتشكو» في مايو أعطيته رسالة محددة إلى «بريجنيف» من ٧ نقط يجب أن نتهي منها قبل ٣١ أكتوبر ١٩٧٢:

١ ـ الميج ٢٣.

٢ ـ عمرة الموتورات.

٣ ـ ما طلبناه للحرب الإلكترونية.

٤ ـ طلبات البحرية.

٥ ـ القيادة والسيطرة. وأوضحت فيها أني لا أسمح مستقبلًا في المعركة أن تكون هنا وحدات سوفيتية ليست تحت القيادة.
٦ ـ سرعة التشوين.
٧ ـ لن نحرك القضية سياسيًّا إلا إذا كنا جاهزين عسكريًّا.

ولم يصل الرد على هذه النقط، ولكن وصلتني رسالة من «بريجنيف»، وبها تحليلات عن الرجعية والاستعمار، وأن موقف أمريكا كما هو. وعمومًا كان كلامًا شكليًّا.

والحقيقة أنني كنت مشدودًا وعصبيًّا جدًّا ومنفعلًا من الإهمال وعدم الاهتمام وهل يصل إلى هذا الحد؟ وفي يوم ٧ يوليو ١٩٧٢ قلت لمحمد صادق قراراتي ولا يعلم بها إلا حسني مبارك ومحمد علي فهمي، وسأخطر بها السفير السوفيتي غدًا ٨ يوليو، ولا يحس بها أحد حتى ١٧ يوليو ١٩٧٢.

وقابلت السفير يوم ٨ يوليو وقلت له قراراتي، وهي:
١ ـ إنهاء مهمة المستشارين السوفييت حتى ١٧ يوليو ١٩٧٢.
٢ ـ الوحدات السوفيتية توضع تحت القيادة أو تعود.
٣ ـ أملاكهم هنا تباع لنا أو تعود.
٤ ـ جولة مفاوضات قادمة بعد تنفيذ هذه القرارات بناء على المعاهدة للمستقبل.

وأخذ يشعل الغليون مرة أخرى ببعض الهدوء المصطنع ويستطرد قائلًا:

ـ كانوا فاكرين إن العملية هنا تهويش، واستمروا في ذهول، وبعد هذه القرارات عملت استكمال للحسابات، وبدأت أتنفس بهدوء. وبرغم ما حدث بعد ذلك من المناقشات العنيفة بينهم وبين عزيز صدقي، خاصة عن السؤال المُلح: «لماذا تمت عملية الخبراء بهذا الشكل؟»، برغم هذا فروسيا تحاول الحفاظ على صداقة مصر، وبضياع مصر ينهار موقفهم.

وأعلنت مبدأين تقوم علاقتنا معهم عليهما:
أولًا: لا عسكري سوفيتي يحارب معركتي.
ثانيًا: لا نسعى لمواجهة بين روسيا وأمريكا.

وجاءت نتائج زيارة عزيز صدقي لموسكو بالتعاون كأصدقاء على قدم المساواة

وبالشروط التي نطلبها. واستمر الإمداد للقوات المسلحة بعد هذه الزيارة وكنت في ٣١ أكتوبر سأعلن إنهاء المعاهدة وإنهاء التسهيلات.

وفي ٣١ أغسطس ١٩٧٢ أرسلت جوابًا شخصيًّا إلى «بريجنيف» من ١٠ نقاط عن الموقف، وتعتبر كوثيقة للمستقبل، وكانت عنيفة ولم يرد عليها الروس للآن. وأرسلت صورتها إلى الرئيس الأسد في سوريا، وقلت له: «إن الروس سيلعبوا معك لعبة البديل». وفعلًا ذهب الأسد إلى موسكو فأعطوا له معونات بحوالي ٧٠٠ مليون دولار وعليه الاستمرار في العلاقة معهم.

ويقول السادات إن الأسد قال له: «كلامك تمام ولن أعمل معهم معاهدة».

هذه قصة ما قبل ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢ كما أخطرنا بها الرئيس السادات في منزله بالجيزة في ليلة من ليالي رمضان ١٣٩٢. ويا لها من ليلة!

الموقف اليوم، ٢٤ أكتوبر ١٩٧٢، كما قال السادات

ـ يجب أن نحرك الموقف، ونشعل حريق، وسيكون كلامنا مع أمريكا والعرب له قيمة، كذا مع روسيا ومع شعبنا. يجب أن نحرك روسيا لتعطي وأمريكا لتحل، وإلا في أوائل ١٩٧٣ تنتهي القضية بالكامل والثقة في شعبنا.

ثم قال:

ـ أصبح الحل فعلًا في يد أمريكا، أما روسيا فلا قيمة لها في هذه العملية. ولكن روسيا ستبارك أي حل تنفذه أمريكا. ولذا يجب بعد الانتخابات الأمريكية تحريك القضية عسكريًّا بما نستطيع وبما نملك، وقلت هذا الكلام لصادق على أساس أني سأقطع مع روسيا في ٣١ أكتوبر وهي تريد حلًّا سلميًّا ولو بتنازلات من جانبنا.

وقد اختار السادات هذا الحل فعلًا عام ١٩٧٣!

ـ نحن أمام امتحان كقوات مسلحة. لقد عملت كل ما أستطيع، صبرت على روسيا وغطيت موقفهم ودافعت عنهم من ١٤ مايو آملًا في إستراتيجية ٥ أشهر للتشوين. ثم وقفت بشراسة عندما لم يستجيبوا. ولكني كنت أقرأ في عيونهم: «متى تحاربوا؟ متى تكونوا رجالة!». وأمريكا وروسيا وغرب أوروبا تقول: «لا فائدة من العرب، لن يحاربوا حتى إذا أعطيناهم سلاح!».

أما أنا (هكذا قال السادات) فلن أقبل حلول استسلام ولن أجلس على طاولة مع إسرائيل وهي محتلة أرضي! لقد صدقتم أننا انتصرنا في ١٩٦٥ والحقيقة لا، فقد انتصرنا سياسيًّا فقط وعدوُّنا لم يسكت وهو يتطور، أما نحن فلم نتطور وعشنا على التهريج! ويجب أن نكون أمناء.

ولنا إستراتيجية مبنية على أربعة أسس، هي:

١ ـ الجو: حقيقة أنه ليس الحاسم في كل شيء ويجب تصنيع القاذفة-المقاتلة والهليكوبتر.

٢ ـ البحر: زوارق لها قوة نيران مدمرة، ولا داعي للقطع الكبيرة ونصنِّعه محليًّا ونسلحه من الخارج.

٣ ـ الأرض: الجنزير ونصف الجنزير يصنع في مصر.

٤ ـ الحرب الإلكترونية: معظم الدول جاهزة لمعاونتنا فيها.

وهذا يجعلنا نقف على أرض صلبة ونتطور.

هكذا قال السادات، ثم كرر ما قاله قبل ذلك:

ـ ولو أن لي ١٠ سم في سيناء أشرف لي ألف مرة من موقف السكون الحالي!

ثم قال:

ـ ليس لديَّ ما أقوله لكم بعد هذا، ومستعد لأذهب لآخر الدنيا حتى لا يموت جندي، ويعلم الله أني لا أريد أن أدخل موسكو إلى أن أموت، ولكن في سبيل هذا أعمل أي شيء. ويجب أن يعلم الجميع أننا لن يخذلنا الله ما دمنا مؤمنين وعلى حق.

وتكلم بعض القادة بصراحة، ولكن الرئيس لم يعجبه ما قيل، ورد وهو في حالة غضب وتوتُّر:

ـ إنا مصيرنا التآكل إلى ما لا نهاية من العام القادم، ونحن في وضع سيئ. وأنا قلت لصادق: «إذا كان الموضوع ميئوس منه معروض عليَّ حل جزئي ولن أقبله، حد غيري يقبله!».

ثم قال:

ـ أنا مؤمن أننا نستطيع عمل شيء. نموت ورأسنا في آخر سماء، وخاصة بعدما

بذلنا كل ما نستطيع وبإخلاص. ولم أنم في ليالي طويلة. شعبنا مؤمن وطيب وأصيل وأعطانا ثقة ثمنها كبير، وممكن أدخل في الناس أي مزايدات أو تهريج، ولا قيمة للكرسي إذا لم يكن لي كرامة.

ودار حوار عجيب بين الرئيس السادات وبين كل من حاول أن يقول ما في نفسه بصراحة وصدق، ولكن السادات هدد وتوعد ثم اصطنع الهدوء وقال:

ـ أنا أعطي لكل فرد صلاحياته ولا يتجاوزها أحد أو يخرج عن حده ولا يُعرفني واجبي!

ثم استمر المؤتمر إلى نهايته، والكل في صمت رهيب.

وانتهى هذا الاجتماع، ولكني كمصري حضر هذا الاجتماع وشاهِد على الأحداث وفي موقف قيادي رئيسي منذ أعوام طويلة مضت، فقد أحسست بما كان في نبرات السادات ونظراته وحركاته، برغم أنه مثَّل الهدوء على قدر طاقته، ولكن أفلت منه الزمام وغضب... غضبة العمر!

وبعد أن انفض الاجتماع، كنت أول المغادرين إلى الدور الأول بالقصر، وانتظرت حتى نزل الرئيس السادات بالمصعد ومعه الفريق صادق والشاذلي، ودخلوا إلى غرفة المكتب، وسمعنا صوته عاليًا ودقة قوية على المكتب، فقد نزل المطر وانهمر وخرجت مسرعًا إلى الخارج. ووضحت الحقائق بعد ذلك وحدث التغيير الكبير في المناصب العليا بالقوات المسلحة، وعُين الفريق أول أحمد إسماعيل علي وزيرًا للحربية وقائدًا عامًّا للقوات المسلحة، وتم إقالة الفريق أول محمد صادق، والفريق عبد القادر، واللواء محمود فهمي، وآخرين.

قرار السادات بتعيين أحمد إسماعيل علي وزيرًا للحربية وقائدًا عامًّا

قبل صدور قرار بتعيين الوزير أحمد إسماعيل علي وزيرًا للحربية بحوالي شهرين أو أكثر، فوجئنا أثناء اجتماع برئاسة الفريق أول محمد صادق في مبنى وزارة الحربية بكوبري القبة بوصول الوزير أحمد إسماعيل مدير المخابرات العامة، ومعه السيد حافظ إسماعيل الذي كان يشغل منصب مستشار الرئيس السادات للأمن القومي، وحضرا معنا هذا الاجتماع، وعجبت كما عجب غيري من أسلوب المناقشة مع

القادة والرؤساء في موقف الاستعداد للقتال والكفاءة القتالية للوحدات، وأسئلة كثيرة كانت تدور ونُجيب عليها ولم يعلق الفريق أول صادق على شيء منها! وأعتقد أن هذا كان تمهيدًا من الرئيس السادات لوضع الوزير أحمد إسماعيل في الصورة بالنسبة للقوات المسلحة، ليتولى فيما بعد منصب وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة في ٢٥ أكتوبر ١٩٧٢ بعد مؤتمر الرئيس لنا في منزله بالجيزة مساء ٢٤ أكتوبر.

وأكتب هنا عن تاريخ الفريق أول أحمد إسماعيل الذي عُين وزيرًا للحربية وقائدًا عامًّا للقوات المسلحة بدلًا من الفريق أول محمد صادق، بعد الزوبعة التي ملأت بيت الرئيس السادات بالتكهنات برغم كوب الشاي الرمضاني ـ الحقيقة كانت كوب شاي صغيرًا.

فقد خدمت مع الفريق أول أحمد إسماعيل وهو برتبة اليوزباشي في الكتيبة الثانية مدافع ماكينة، وكنت برتبة الملازم أول، ثم خدمت معه بعد ذلك في مدرسة المشاة وكلية القادة والأركان والكلية الحربية، وفي الفرقة الثانية المشاة وفي الجيش الثاني كقائد فرقة، وكان عملي معه مباشرة إما كمساعد أو تحت القيادة المباشرة.

وتم أول لقاء للوزير الجديد مع قادة القوات المسلحة قبيل ظهر يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٧٢، وحضرت الاجتماع بصفتي قائدًا للمنطقة العسكرية المركزية، وأوضح لنا الفريق أول أحمد إسماعيل علي أن مصر ستبدأ علاقات جديدة مع الاتحاد السوفيتي وعلى أسس جديدة، وأننا كعسكريين لا نفكر إلا في القتال، وهدفنا هو تحرير الأرض. وعن سياستنا: هي السير في جميع الاتجاهات، وغير مقيدين أو مرتبطين بأي اتجاه ما في التسليح. وعن إسرائيل قال:

ـ يوم أن تشعر إسرائيل أننا من القوة والجدية وقادرين على خوض المعركة، ستفكر في الحل بطريقة سلمية.

وعن الموقف الداخلي قال الوزير الجديد عن التغيرات التي حدثت:

ـ يجب أخذ الموضوع ببساطة ووضوح، ولا نربط هذه التغيرات بالروس، فهم لا يجرؤوا أن يقولوا: «نشيل فلان، ونحط فلان»، وليس لهم دخل فيما

حدث للفريق صادق، فهو أخونا وزميلنا وعمل الكثير في خدمة مصر والقوات المسلحة، وأُكِن له كل تقدير واحترام هو وإخوانه الذين مشوا. والحياة مستمرة، كلٌّ يكمل بعد غيره، وهكذا، ولا نقف إلا بعد تحرير الأرض.

الاستعداد للمعركة

- تم تخصيص ٢٠ مليون جنيه أخيرًا للدفاعات، والشعب وضع أمله في القوات المسلحة، وهو مشتاق لأي نصر ولن يبخل بأي شيء، والكل مقتنع: لا حل سلمي، ولا مفر من الحرب، ولا بد من معركة لإخراج العدو. أما شكل المعركة ونوعها فيتوقف على توافق هذه المعركة مع الموقف السياسي، وتدمير العدو الموجود أمامنا حسب قدراتنا بحساب وتقدير، ولن نتهور ولن نتخاذل، ولكن إذا تكبد العدو خسائر قد يساعد على حل المشكلة. وإذا شعر العدو بقوتنا، قد يستسلم، ويحل الموقف سياسيًّا. ولكن ليس من مصلحتنا الحل السلمي، ويجب أن نأخذ بالثأر.

في الفترة الأخيرة من عام ١٩٧٢ حدث اشتباك بين القوات السورية والقوات الإسرائيلية، وحدثت خسائر كبيرة في قوات العدو الإسرائيلي، وأصبحت القوات المسلحة السورية تحت قيادة موحدة لتكون معركة واحدة يقودها القائد العام للقوات المسلحة المصرية الفريق أول أحمد إسماعيل علي. وبمقارنة القوات المصرية والسورية مع القوات الإسرائيلية نجد أننا نتفوق على العدو في الدبابات والطائرات، وقد يكون لدى العدو تفوق نوعي برغم أن الميج ٢١ أوقعت الفانتوم، ولدينا أسلحة وسيصلنا ويصل السوريين أسلحة حديثة أيضًا. ونحن قادرون على القيام بعمليات مشرفة للقوات المسلحة، وستدور معارك فدائية داخل إسرائيل أيضًا. وحتى إذا قاتلنا وحدنا فسنعتمد على أنفسنا، ونحن قادرون وسنقاتل بإذن الله.

توجيهات لمراحل الاستعداد للمعركة

أعلن الفريق أول أحمد إسماعيل توجيهات لمراحل المعركة موضحًا أن كل فرد في القوات المسلحة له مكان وله دور في المعركة، ويجب أن يتدرب عليه من المراسلة إلى القائد الأكبر.

وتنقسم مراحل الاستعداد للمعركة كالآتي:

حتى آخر نوفمبر ١٩٧٢

ـ يتم التجهيز الهندسي للمعركة الدفاعية ومواقع الهجوم.

ـ مراجعة خطط احتياطيات القيادة العامة.

ـ اختبار القيادات.

ـ تجهيز خطط الردع.

ـ استمرار الاستطلاع والتدريب **حتى ١٥ ديسمبر ١٩٧٢.**

ـ وضع القرارات حتى مستوى قادة الفرق.

ـ استكمال المنطقة الابتدائية للهجوم.

تمام استعداد القوات المسلحة للقتال يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٧٢

احتياطيات القوات المسلحة المصرية

توليت قيادة قوات المنطقة العسكرية المركزية حيث تتمركز احتياطيات القوات المسلحة التعبوية والإستراتيجية، وتسير عجلة التدريب الواقعي والاستعداد للقتال حسب الخطة الموضوعة وحسب توجيهات وزير الحربية الجديد، وكانت الاحتياطيات ووحدات الدعم تتمركز في نطاق المنطقة العسكرية المركزية.

وقد قمت خلال عام ١٩٧٢ منذ فترة توليّ القيادة في ٢٦/ ١٠/ ١٩٧٢ إلى نهاية العام بالمرور على كل وحدات المنطقة ووحدات الاحتياطيات حتى مستوى اللواءات، واجتمعت بجميع قادتها وضباطها وجنودها، مُركزًا على أنه لا مفر من الحرب.

ودارت عجلة التدريب الواقعي، وتم تدريب جميع التشكيلات في المنطقة المركزية على واجبات العمليات حسب الخطة الموضوعة، وتحركت عناصر الاستطلاع إلى محلاتها في جبهة الجيشين الثاني والثالث للاستطلاع وتأكيد المهام، وأجريت بيانات عملية واختبارات، وكانت القوات جاهزة للقتال حتى ٣٠ ديسمبر ١٩٧٢ حسب توجيهات وزير الحربية.





بين يدي الله ـ مايو ١٩٧٢



الفريق أول أحمد إسماعيل، الفريق محمد علي فهمي، الفريق محمد حسني مبارك ـ ديسمبر ١٩٧٢

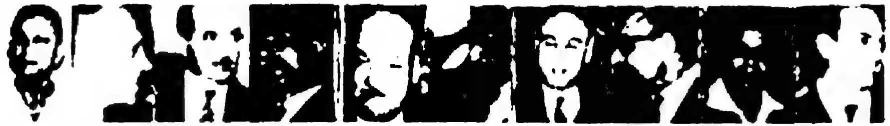
بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا

صدق الله العظيم



قائد الجيش الثالث — هيئة التدريب — القوات البحرية — الدفاع الجوي — القوات الخاصة



رئيس هيئة القناة — محافظ الاسماعيلية ورجالها — بورسعيد — دمياط — الشرقية — الدقهلية



مدير الأمن — الإدارة — المهندسون — التعبئة — الإمدادات والتموين — شئون الضباط — المنطقة المركزية — هيئة العمليات — الشئون المعنوية

مع تحيات وشكر وتقدير واحترام رجال الجيش الثاني الميداني

لواء أ.ح عبد المنعم خليل

٥ يناير ١٩٧٢

الباب الخامس

عام العبور ١٩٧٣

الفصل الرابع عشر

العبور وتثبيت الأقدام

الموقف العالمي

بدأ عام ١٩٧٣ ببعض أحداث في سوريا نتيجة الانتقام الإسرائيلي من العمليات الفدائية الفلسطينية عبر الأراضي السورية، وخسرت سوريا في شهر واحد ١٨ طائرة، ودمر العدو ٥ محطات رادار من ١٢ محطة، وخسرت سوريا ٤٤ شهيدًا وحوالي ٢٤٨ جريحًا، وكان هدف العدو هو فرض حالة من اليأس والقنوط، وقد استنجدت سوريا بمصر وبدأت القيادة العامة تقدر الموقف، ومعروف أن قائد عام القوات المسلحة المصرية هو نفسه قائد عام القوات المسلحة السورية حسب الاتفاق الثنائي لدول الاتحاد مصر وسوريا وليبيا.

وبالطبع لا بد أن نقدر موقفنا بدقة وعناية حتى لا نفقد اتجاهنا نحو المعركة الأصلية.

وقررت القيادة العليا أن نبدأ معركتنا بإمكانياتنا وحسب تخطيطنا، واستمر التدريب القتالي بجدية، وكل فرد بدأ يتفهم مهمته ويتدرب على عمله وما سيقوم به في القتال.

وأصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة أوامر بالتعبئة واستدعاء رديف أول أبريل ورديف أول يوليو لمدة ١٥ يومًا اعتبارًا من ٢/ ٤/ ١٩٧٣ كتجربة لعمليات الاستدعاء الأخرى القادمة، كما بدأ الاهتمام يزداد بالتركيز على التدريب والاستعداد القتالي للقوات دون كشف للخطة بأي طريقة.

وفي ٣ يوليو ١٩٧٣ شرح الفريق أول أحمد إسماعيل علي في مجموعة وزير الحربية التي تضم القادة والرؤساء الموقف السياسي والعسكري، وأهم ما جاء به أن هناك تقاربًا بين القوتين العظمَيَين، ولا أمل لحل الموقف سلميًّا. وتحدث أيضًا عن موقف العرب والبترول العربي الذي يمثل في ذلك الوقت ١ , ٣١ من الاحتياطي العالمي، وكذا عن إيداعات العرب في البنوك الخارجية التي اقتربت من ٢٥ مليار دولار!

وعن أمريكا وضح ما يقولون عنا أن سيادة مصر ضد أمن إسرائيل. وتعتبر أمريكا إسرائيل هي الحارس الأمين لها في الشرق الأوسط، وأنهما يحاولان إيقاف تسليحنا بكل الطرق.

أما عن روسيا فقال إنها ما زالت كما هي من ناحية الأسلحة، برغم أن مصر تحمل شعار الاشتراكية في الشرق الأوسط. ويجب أن يستمر الاتحاد السوفيتي في معاونتنا عسكريًّا وسياسيًّا واقتصاديًّا لمواجهة دعم أمريكا لإسرائيل.

ثم قال إن هدف مصر السياسي الشامل بعد يونيو ١٩٦٧ هو تحرير الأرض، ومستمرون في إعداد الدولة للحرب واستكمال بناء القوات المسلحة وإعدادها للقتال.

وعن الدول العربية أشار إلى أهمية التضامن السياسي والعسكري معهما بصفة عامة، ومع سوريا وليبيا بصفة خاصة.

الاستعداد للحرب

في أول أكتوبر ١٩٧٣ حضر القائد الأعلى للقوات المسلحة الرئيس أنور السادات أول اجتماع شامل للاستماع إلى تقارير القادة والرؤساء بشكل عام ومدى استعداد القوات المسلحة لتنفيذ المهمة، مع ذكر الصعوبات التي نواجهها.

وجاء تقرير المخابرات الحربية عن الموقف فقال:

- نجحت قواتنا في الحشد حتى ٢٦/ ٩/ ١٩٧٣، وأعلن «ديان» أن مصر وسوريا حشدت قواتها. وعين قائد جديد للقوات المدرعة الإسرائيلية في سيناء، وأعلنت إسرائيل الطوارئ في المنطقة الشمالية بواسطة الإذاعة،

وأخلت بعض المناطق في شمال إسرائيل، ولم يحرك العدو أي قوات برية تذكر أمام قواتنا، ولكنه عزز موقفه في مواجهة القوات السورية بلواء فقط. وكان الاستنتاج أنه ربما يقوم العدو بعملية إحباط جوي وبمدفعية بعيدة المدى، خاصة في مرحلة عبور قواتنا دون إدخال قوات رئيسية في مدى مدفعيتنا المتفوقة والمؤثرة. ولقد أوقف العدو أعماله الهندسية أمامنا بالجبهة بعد ١٦/ ٩/ ١٩٧٣.

ثم تحدث اللواء أ.ح محمد عبد الغني الجمسي، رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة، معلنًا أنه قد تمت مرحلتان من مراحل إعادة تجميع القوات، والمرحلة الثالثة ستتم على فترات لرفع درجة استعداد القوات المسلحة على خطوات. وتسير خطة الخداع الإستراتيجي والتعبوي بالتنسيق مع وزارتَي الخارجية والإعلام، أما خطة الخداع العسكري فقد تمت بنجاح.

كما أشار بأنه حاليًّا من أول أكتوبر ١٩٧٣ مشروع تعبوي إستراتيجي لاستدعاء الاحتياطي وإلغاء الفرق التعليمية. ولم يعلن توقيت الهجوم للآن، والخطط ستنزل تدريجيًّا إلى الأفراد.

وأفاد الفريق محمد حسني مبارك، قائد القوات الجوية، أنه لا تعديل في الخطة، وتم تنسيق الضربة الجوية المركزة مع سوريا: الضربة الأولى، ثم الضربة الثانية بعد ساعتين.

وأوضح الفريق محمد علي فهمي، قائد قوات الدفاع الجوي، أن انتقالات كتائب الصواريخ تسير حسب المخطط لتوفير حماية التجمع الرئيسي للقوات البرية في العمليات الهجومية. وقال الفريق فؤاد أبو ذكري، قائد القوات البحرية، إنه لا تغيير في الخطة، والقوات أخذت مواقعها، وبدأت فعلًا الغواصات في التحرك لتنفيذ مهامها.

وقال اللواء أ.ح محمد سعيد الماحي، مدير المدفعية:

ـ أنا جاهز لتنفيذ المخطط وتمهيد النيران للهجوم ٤ قصفات منها قصفة واحدة كاذبة.

وتكلم اللواء أ.ح مهندس جمال علي عن خطة التأمين الهندسي قائلًا:

ـ المعركة معركة مهندسين، وتبدأ بنا، وهذا يحتم علينا الإسراع في فتح الساتر الترابي وتدبير مهمات الكباري، وحياتنا تتوقف على حماية المعابر، ويجب تركيز الدفاع الجوي لحمايتها.

ورد الفريق محمد علي فهمي وقال:

ـ تم توفير كل ما يمكن توفيره لحماية المعابر (يقصد الكباري والمعديات ومناطق العبور).

وأكد الفريق الشاذلي، رئيس أركان حرب القوات المسلحة، بأن معدات العبور كافية تمامًا وتأمين أعمال المهندسين متوفر من الأرض والجو.

وجاء دور هيئة الإمداد والتموين وتكلم رئيسها، اللواء أ.ح نوال سعيد، قائلًا إن الإمداد وانتظام وصوله يحتاج إلى تركيز في التصنيع والإمداد بمعدات العبور.

ثم تحدث اللواء أ.ح عبد المنعم واصل، قائد الجيش الثالث، قائلًا:

ـ لا تغيير في المهمة، والجميع متفهم تمامًا، وتم مراجعة الجيش، وتم التجهيز الهندسي للمصاطب والمنطقة الابتدائية للهجوم، ونحن على استعداد.

أما اللواء أ.ح سعد مأمون، قائد الجيش الثاني، فقد أشار إلى أنه قد تم إعادة التجميع، وتم تدريب جميع القيادات واللواءات بكامل معداتها تمامًا مثل الحرب، وهذا حقق نجاحًا، وأنه لا تعديل في التخطيط الموضوع، ثم قال:

ـ وبإذن الله سنحقق المهمة، وقد عملت نداء كشحن معنويات للقوات بالجيش الثاني.

وهنا قال الرئيس السادات لقائد القوات البحرية:

ـ البحرية مسؤولة عن حماية جنب الجيش الثاني من بورسعيد إلى الشرق، وبعد الاستيلاء على القنطرة ونقط العدو الحصينة شرق بورفؤاد، ويجب أن تقوم البحرية بحرمان العدو من أي تدخل بحري.

وعندما جاء دور منطقة البحر الأحمر قال اللواء إبراهيم كامل إنه لا تغيير في المهمة، والقوات جاهزة ومعنوياتها جيدة. ولكن الرئيس السادات قال:

ـ يجب أن نتوقع أن العدو سيعمل ألاعيب. ومعروف ما قام به العدو من نشاط جوي واختراقات في المنطقة إلى عمق مصر من هذا الاتجاه.

وعندما طلب مني تقديم تقريري عن المنطقة العسكرية المركزية، بدأت قائلًا بثقة في نصر الله لنا:

ـ الحقيقة أني متفائل بالنصر.

وبصفتي كنت رئيسًا للجنة الخاصة بالمرور على تشكيلات ووحدات الجيوش الميدانية وقياس درجات الاستعداد أقول:

ـ إن الروح المعنوية لقوات الجيش الثاني والثالث ووحداتي التي أرسلتها إلى الجيوش للدعم عالية ومرتفعة.

وكذا عن الاستعداد القتالي لقوات المنطقة المركزية أقول:

ـ إن الانتشار سيتم في آخر ضوء يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣، والقوات تستعد في أماكنها لأعمال التأمين والدفاع، وتم التنسيق مع قوات الحرس الجمهوري.

وهنا أشار الرئيس السادات أن للعدو عملاء في كل المنطقة، ويمكنه عمل أي شيء في الداخل، والقاهرة بها ٦ ملايين، وله عملاء في السفارات الأجنبية، ويجب تنسيق ذلك مع ممدوح سالم وزير الداخلية وعبد السلام توفيق رئيس المخابرات العامة ونصار رئيس المخابرات الحربية لإحكام ذلك. وقال عن الشرطة العسكرية:

ـ حاوِلوا تغيير البيريه الأحمر وكذا الخوذة.

وبدأ العميد أ.ح نبيل شكري، قائد وحدات الصاعقة، بآية قرآنية: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾. ثم شرح خطة الصاعقة وأن استعداد قوات الصاعقة تمام، والقوات جاهزة للتنفيذ. وطلب سرعة الإمداد التالي لوحداته في داخل سيناء. ورد عليه الفريق الشاذلي قائلًا:

ـ نحن ملزمون بالإمداد بعد ٤٨ ساعة.

واختتم اللواء أ.ح نوال سعيد، رئيس هيئة إمدادات وتموين القوات المسلحة، موضحًا أن أوضاع القوات والقواعد الإدارية تسمح بخدمة العملية بالكامل وتحمل ضربة العدو للإحباط، وأن الاحتياجات موزعة على أنساق تضمن استمرار القتال، وأن الحملة قادرة على الإمداد، حتى مع تعرض السكة الحديد للتعطيل، كما تم عمل خطة إمداد وتأمين فيما يختص بتعرض موارد الوقود.

تعليق صانع القرار

هذا ما استطاع شريط ذكرياتي تسجيله في هذه اللحظات الحاسمة في تاريخ مصر، يسعدني أنني سجلت بعناية تعليق صانع القرار، ولم تفُتني كلمة من حديث الرئيس محمد أنور السادات للتاريخ:

- بعد العرض الكامل وبعد الشوط الطويل ٦ سنوات ألم ومرارة وجراح، أتمنى أن تسمع مصر حديث اليوم، وهو وحده كافٍ لإعادة الثقة ولمِّ الجرح الأليم المهين. الحمد لله جت اللحظة التي نستطيع فيها أن ننسى مرارة ما مضى ونفكر ونخطط لرد شرفنا، ونقول للعالم إننا لم نمت وغير مستعدين للموت.

ثم قال:

- إسرائيل تريد أن تؤكد أنها قوة لا قِبَل لأحد بها في المنطقة، بحرب نفسية، بعمليات عسكرية، بتفوق عسكري، بمعاونة أمريكا، وتؤكد نظريتها في الوجود. بالقوة تفرض ما تريد مثلما حدث عام ١٩٦٧، وهي تعتبر أن المسألة مسألة وقت، وبعد فترة قصيرة مصر ستركع، لأنه ليس هناك سبيل آخر!

لقد ذقت المرارة من أقرب الناس ومرارة من داخلنا، وكلنا يعرف أسباب هذه العوامل، ولكن اليوم واحنا قاعدين نكتب تاريخ مصر الحقيقي بكم أنتم والحمد لله انتهت فترة الآلام والمرارة، وأنا باعِدّ الساحة لكم دوليًّا وعربيًّا وداخليًّا. الساحة الدولية جاهزة بعد ما حدث في مؤتمر القمة الأفريقي، وبعد مؤتمر عدم الانحياز أكثر من ٨٠ دولة، وكان المؤتمر قويًّا والتيار جارفًا رائعًا بالنسبة للقضية. أما الساحة العربية فقد وصل الموقف العربي إلى أقصى ما يمكن أن نصل إليه قبل بدء المعركة، لا شيء تأخذه بعد هذا من العرب بعد الطاقة ورأس المال. والكل ينتظر ماذا سنفعل. ومع سوريا، فالقائد العام قائد للجبهتين وأخطرهم اليوم بكل شيء، والتنسيق كامل بيننا.

وعن الساحة الداخلية قال:

- الانفعال سببه حالة اللاسلم واللاحرب، ولا بد من بدء المعركة هذه السنة، وأشرف لنا ألف مرة أن نأخذ قضيتنا في يدنا مهما كانت التضحيات، حتى لا نموت موتًا أكيدًا بالسكون ونقول للعالم نحن أحياء ولن نموت ولنا قضية والعالم كله يعرف.

الاختيار والقرار

واستمر الرئيس في الحديث بهدوء وثقة وقال:

- في تاريخ مصر ٧٠٠٠ سنة، لم يواجه حاكم أو البلد ما نحن فيه من اختيار وقرار، وهي مسؤوليتنا جميعًا أنا وأنتم والقوات المسلحة، وأحمد الله بعد هذا الألم، نصل إلى اللمسات الأخيرة عما سنقوم به، ويسترد شعبنا ثقته في نفسه بكم. وهدفنا هو كسر التحدي الإسرائيلي بضرب الفلسفة الإستراتيجية ومخططات حكمها. والمعركة طويلة وفي مصلحتنا طولها، فهو صراع أجيال، وعلينا تسليم المسؤولية إلى ما بعدنا بأمانة وشرف.

أطلب منكم أن لا نفقد أعصابنا أو توازننا ونتصرف بعصبية أو جنون لا سياسيًّا ولا عسكريًّا، وندخل المعركة ببرود وهدوء وإصرار على الهدف. وعلى كل واحد فيكم تأدية واجبه ولا يخاف، وأنا أتحمل المسؤولية وراءكم.

المسؤولية كاملة تاريخيًّا وماديًّا ومعنويًّا، وأثق ثقة كاملة فيكم، وعلى هذا الأساس تصرفوا واعملوا بكل اطمئنان وحرية، وننجز مهمتنا إن شاء الله ونستعيد ثقتنا أمام العدو والصديق. ولن يذهب دور كل واحد فيكم، ويجب أن نكتب أدوارنا بأمانة وشرف وتجرد، ولن يتردد الشعب لحظة وراءكم، فحافظوا على الغرض واحتفظوا بهدوئكم مهما حدث. أدعو لكم بالتوفيق، وأنا معكم في المعركة.

وقبل الانصراف قال:

- وإن شاء الله اجتماعنا المقبل بعد المعركة، وندخل المراحل التالية، ونغير الموقف ونزيح الكابوس الرهيب ونستعيد كل ما فقدناه. ربنا يوفقكم.

وانتهى هذا العرض التاريخي، وقد تم الاختيار وتم اتخاذ القرار سعت ١٤٠٠ يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

السبت السعيد ٦ أكتوبر ١٩٧٣

١ - يوم العاشر من رمضان - يوم عيد الغفران

لقد حضرت بصفتي قائد المنطقة العسكرية المركزية عرضَ الخطة العامة وتقارير الاستعداد على القائد الأعلى للقوات المسلحة يوم أول أكتوبر ١٩٧٣.

وفي هذا اليوم كانت قواتنا قد نجحت في الحشد، وتمت مراحل إعادة التجمع مع خطة رفع درجات الاستعداد للمشروع التعبوي المعلن عنه. كما نسقت خطط الخداع الإستراتيجي والتعبوي مع وزارة الخارجية ووزارة الإعلام، كما تمت خطة الخداع العسكري بنجاح، ولم يعلن توقيت الهجوم إلا لعدد محدود من القادة، وبرغم أني كقائد كبير مسؤول ولي مهام في هذه الحرب المنتظرة، فلم أكن أعلم بتوقيت الهجوم، وكنت أعلم تفاصيل الخطة وخطوات الاستعداد. أما توقيت الهجوم فلم أعلم به إلا عند إذاعة أول بيان عسكري مصري حوالي الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، وكنت في طريقي إلى قيادة المنطقة بعد جولة على وحدات المنطقة المنتشرة بالقاهرة وضواحيها إلى حلوان والقناطر الخيرية ودهشور وغيرها. وهذا مثل رائع للسرية.

ولن أستطيع أن أكتب عن شيء لم أشاهده عين اليقين حتى أكون صادقًا مع نفسي ومع التاريخ، وسأترك هذا لمن هم أجدر مني بكتابة تفصيلاته، فهم القادة الذين اشتركت وحداتهم في التخطيط والإعداد والتنفيذ، ولكني سأسمح لنفسي بالتعليق كرجل حضر مراحل الإعداد الطويلة واشترك في التخطيط، ثم شاء القدر له أن يحضر مرحلة التنفيذ الفعلي قبل غروب شمس يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ (٢٠ رمضان ١٣٩٣) كقائد للجيش الثاني الميداني.

٢ ـ الضربة الجوية

ركزت القوات الجوية المصرية في تدمير مراكز قيادة القوات الإسرائيلية في أم خشيب ٢٠٠ طائرة في قتال انتحاري عنيف، ونجحت قواتنا الجوية في شل القيادة الإسرائيلية بها مدة حوالي أربع ساعات كانت كافية لعبور المشاة.

وكان هذا مصداقًا لقوله تعالى في سورة الأحزاب:

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾.

وهكذا تمكنت قواتنا الجوية من قذف الرعب في قلوب قادة إسرائيل وشل قدراتهم على التصرف أو معرفة ماذا يجري في قناة السويس.

وكيف استطاع جندي المشاة تسلق ميول خط بارليف الحادة والارتفاع واقتحام

الحصون الإسرائيلية، وأورثهم الله حصون بارليف وأماكن مبيتهم وراحتهم وما بها من ذخائر وعتاد وغيره، ورفعوا علم مصر خفاقًا على الحصون، تعلن للعالم نصر مصر العظيم وتعلن لكل البشر: الله أكبر، الله أكبر.

ويقول أحد الجنود الإسرائيليين وهو في برج المراقبة فوق موقع حصين من خط بارليف شرق كوبري الفردان في قطاع الجيش الثاني، وقد وقع في أسر قواتنا:

ـ كنت أجلس في استرخاء داخل برج المراقبة وسمعت هديرًا هائلًا أخذ يزداد قوة، إنه سرب من الطائرات النفاثة يمر فوقي، ثم فجأة وجدت عشرات الجنود المصريين يقفزون على الرمال وينطلقون جريًا فوقها والرمال تتوهج بالنيران، وفقدت حاسة السمع كأن الفيلم الذي أشاهده فيلم صامت.

٣ ـ الجحيم

وفي السادسة مساء يوم السبت السعيد، أي بعد أربع ساعات قتال، طلبت القيادة الإسرائيلية صورة الموقف من قادة وحداتهم في حصون خط بارليف. ويقول الإسرائيليون إنه قد أتاحت أجهزة اللاسلكي الأمريكية المتطورة في مواقع القيادة الفرصة لكل من كان حاضرًا أن يسمع كل ما يجري داخل الخط المرتبط بهذه الشبكة الدقيقة من الاتصال، أي كلهم في وضع تصنت لما يجري في الحصون المنيعة. أحد ضباط العمليات يصرخ:

ـ ما الذي يجري؟ إنه الجحيم!

ثم أصوات رصاص الأسلحة الصغيرة التي يطلقها المصريون أثناء اقتحامهم للحصون، كما زلزلت كيانهم صيحات «الله أكبر» في كل أجهزة الاستماع والتصنت الإسرائيلية.

ومن جهة أخرى كانت الدبابات الإسرائيلية تتحرك نحو القناة في اتجاه حصون خط بارليف للهجوم المضاد كما نسميه نحن المحلي أو السريع من قوات قليلة العدد لنجدة الحصون، وكانت مئات الصواريخ المضادة للدبابات تطلق عليهم من الضفة الغربية والضفة الشرقية لقناة السويس من الجنود المشاة المصريين، وكل دبابة كان مخصصًا لها اتجاه معين للهجوم المضاد حول الموقع الحصين المخصص لها لحمايته في حالة عبور المصريين من مناطق العبور المحتملة.

ولكن ليس على طول المواجهة الممتدة حوالي ١٦٠ كيلومترًا، ولم تتمكن أي من هذه الدبابات من الوصول إلى الحصون، فقد دمرت أو احترقت وأصبحت مشغولة بإنقاذ نفسها.

وقد قرأت في أحد الكتب التي ظهرت بعد حرب ١٩٧٣ عن قائد إسرائيلي يحكي عن هجوم المصريين يوم ٦ أكتوبر قائلًا:

> حاولت بعض حصون خط بارليف خوض معارك مع المصريين الذين عبروا القناة ومروا بجوارها، وأطلقت هذه الحصون نيرانها على القوارب العابرة للقناة، وكان بعضها ينشطر في المياه فيكمل الجنود العبور سباحة. وانطلقوا إلى أعلى الساتر الترابي الشديد الميل ومعهم معداتهم الثقيلة ومعدات أخرى متعددة مثل: أدوات حفر الاستحكامات، الكمامات، الخناجر، الأطعمة، قنابل يدوية ومتفجرات وذخيرة وحقائب أشبه بحقائب «جيمس بوند»، وبداخلها الصاروخ الرهيب ساجر، وانتشر المصريون في كل مكان على الضفة الشرقية للقناة.

وتعليق آخر:

> لقد أثبتت تلك العملية أن المصريين قادرون على الإبقاء على السر، وأنه في وسعهم بعدما حققوا من مفاجأة ونجاح أن يتصرفوا في انضباط.

الهجوم المضاد الإسرائيلي ـ ٨ أكتوبر ١٩٧٣

قررت القيادة الإسرائيلية القيام بالهجوم المضاد الرئيسي يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣ بعد أن تصل فرق الاحتياط وتجميع وحدات الدبابات. وتصوروا أن هذا التجمع الضخم للدبابات والإمكانيات سيحقق لهم استعادة توازنهم، واعتبروا ـ حسب خططهم ـ أنه اليوم السابع الجديد في حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧.

وبدأ الهجوم المضاد، واصطدمت الدبابات المهاجمة التي تحميها الطائرات الفانتوم والسكاي هوك والميراج بفرق المشاة المصرية المسلحة بالصواريخ، ومعهم دباباتهم وناقلات الجند المدرعة التي عبرت إلى الضفة الغربية في اليوم الأول قتال وما بعده.

وكانت خطة الهجوم المضاد مقسمة إلى اتجاهات يقود كل منها أحد كبار

الضباط الإسرائيليين، وهنا يقف التاريخ ليسطر شجاعة وبسالة الجندي المصري، فقد كانوا يركضون نحو الدبابات يتسلقونها ويقتلون مَن فيها بغير نهاية لما يفعلون. وكانت المدرعات الإسرائيلية تتحرك نحو مياه القناة بسرعة عالية وفي مجموعات كبيرة، ولكنها كانت تتلقى عشرات الصواريخ وتشتعل وتحاول الانسحاب وهي تحترق. وانتهى الهجوم المضاد وانسحبت الدبابات بشكل غير منتظم ونفدت ذخيرتها واحترقت دروعها، وخسرت إسرائيل الكثير في اليوم الثالث من القتال، ووقع في الأسر مئات من الجنود خاصة جنود المدرعات، ومنهم «عساف ياجوري» قائد قوة الهجوم المضاد على جسر الفردان، وشاهده الملايين في تلفزيون مصر نفس الليلة وهو يتكلم منكسر النفس ذليلًا!

واستمر تدفق القوات المدرعة المصرية شرقًا عبر الجسور، ووصل قادة الجيش الإسرائيلي إلى حافة الفشل أكثر من مرة، وتحول الهجوم المضاد إلى الدفاع لصد هجمات المصريين، ولكنهم لم يستطيعوا الصمود ووَلوا الأدبار. وفي اليوم الرابع قتال تبعثرت القوات الإسرائيلية وتفككت، بينما نحن نحسن مواقعنا ونتقدم.

وهكذا نجحت القوات المصرية في اقتحام قناة السويس وحصون خط بارليف القوية، واستطاعوا سحق خط الدفاع الإسرائيلي الأول وإبادة وحدات إسرائيلية مدرعة وأسر مئات الضباط والجنود، ورفرفت أعلام النصر على أرض مصر في سيناء تعلن أنها ستظل دائمًا مرتفعة وستتقدم قواتنا إلى الشرق بقوة، رافعة أعلامها لترفرف على كل شبر من أرض مصر الطاهرة بإذن الله. وتحقق حلم صانع القرار، ليس في ١٠ سنتيمترات من الأرض، ولكن إلى أكثر من ١٠ كيلومترات والحمد لله.

ومهما كانت المتاعب مستقبلًا، فقد كانت ساعة انتصار رائعة بعد هزائم أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ جعلت «جولدا مائير» يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ تقول:

ـ نحن ندافع عن أنفسنا، إنهم هم المعتدون، ونحن لا نريد إلا السلام.

مشاعر الحنان والحب والخوف

وجاءت الساعة الثانية بعد الظهر يوم السبت العاشر من رمضان، وأعلنت البلاغات المصرية عبور القنال ورفع أعلام مصر عالية على حصون خط بارليف،

وهنا شعرت بحنين عجيب إلى رجالي، شعور الحنان والحب والخوف عليهم، وتذكرتهم جميعًا واحدًا واحدًا، وأول ما تذكرت العميد أ.ح فؤاد عزيز قائد قطاع القنطرة وكيف يمكن التغلب على حصون خط بارليف القوية الحصينة أمامه في القنطرة شرق وهي كثيرة. ثم اللواء عمر خالد في قطاع بورسعيد، وكانت أمامه نقطة قوية حصينة شرق بورفؤاد على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وكانت خطة اقتحامها من البر والبحر والبحيرات تحتاج مفاجأة ودقة وشجاعة، وأمامه أيضًا في الكيلو ١٠ ونصف تقريبًا موقع آخر حصين على قناة السويس خلاف مواقع حصون بارليف الأخرى. وكان قلبي يدعو الله لهم بالنصر.

ومرت أمامي صورة العميد أ.ح عبد رب النبي حافظ في جنوب الإسماعيلية وموقع الدفرسوار الحصين القوي وما في عمقه من دفاعات تحميه واحتياطيات للمدرعات الإسرائيلية ومنطقة الضخ والمزرعة الصينية! ولكني كنت واثقًا أن عبده ـ وهكذا كنت أناديه ـ قادر بإذن الله على التغلب على هذه الصعوبات، وهو الذي عايش هذه المنطقة سنوات طوالًا، فقد كان قائد اللواء في هذا القطاع عندما كنت قائدًا للفرقة الثالثة في قطاع جنوب الإسماعيلية.

أما العميد أ.ح حسن أبو سعدة فقد قص عليَّ رؤيا له قبل العبور بأسابيع، وكان واثقًا من نفسه ورجاله، فهو في المنتصف وقلت: «خير الأمور الوسط»، برغم أن أمامه حصون بارليف العتيدة في رقم ٦ أمام الإسماعيلية وكوبري الفردان وغيرها، والأرض شرقًا غرود رملية كثيفة، ولكن الوسط دائمًا قد يتعرض للهجمات الإسرائيلية التي تستخدم الطريق الأوسط الرئيسي إلى عمق سيناء.

وسرحت بأفكاري إلى مركز قيادة الجيش الثاني وما فيه من رجال قادرين على إدارة دفة المعركة إلى النصر تحت قيادة الأخ والزميل اللواء أ.ح سعد مأمون، واطمأن قلبي أكثر على تحقيق العبور واقتحام حصون خط بارليف.

وانتقل بي شريط الذكريات إلى الضفة الشرقية وكيف سيتمكن المشاة بأحمالهم من تسلق تلال هذه الحصون. ولكن ثقتي في الجندي المشاة وصموده وقدرته وما كنت أشاهده في فترات التدريب، جعلني أطمئن أنهم سيواصلون التقدم بمعاونة عناصر المهندسين الأَكْفَاء في فتح الثغرات في هذه الجبال المنيعة باستخدام قوة

اندفاع المياه التي تحطم الصخر، وكانت تجاربها في قطاع الجيش الثاني ناجحة ١٠٠٪، وبالطبع سرعة فتح هذه الثغرات في خط بارليف تحقق اندفاع أسلحة الدعم للمشاة حتى يمكنها الصمود شرقًا لهجمات العدو المضادة بالمدرعات أساسًا لمنعهم من التقدم وإجبارهم على الارتداد غربًا.

وكانت ثقتي كبيرة في الله سبحانه وتعالى في أنه سيحقق النصر لرجال آمنوا بالله إيمانًا راسخًا وكان شعارهم من أعماق القلوب «الله أكبر»، فكيف يخذلهم مَن هو أكبر من كل شيء؟

ومع هدير أصوات نيران المدفعية البعيدة المدى والمتوسطة والقريبة وثقتي في رجال القوات المسلحة عامة، ومدفعية الجيش الثاني خاصة تفوق كل تقدير، فهي الدقة بكل معانيها والسرعة في الإجابة عند الشدة.

وبالطبع فقد كان على رأس مدفعية الجيش الثاني قائد خدم معي سنوات طوالًا عرفت فيه الرجولة والشجاعة وإنكار الذات عندما كنا معًا ندك مواقع العدو بمدفعيتنا، أو نعاون رجالنا عند العبور والاقتحام في الدوريات وفي الإغارات على مواقع العدو شرقًا وتدمير قولاته ومدرعاته وإسكات مواقع مدفعيته، فقد كان العميد أ.ح محمد عبد الحليم أبو غزالة قائدًا لمدفعية الجيش الثاني، وكان محمد ـ كما كنت أناديه ـ يفهم بوضوح ما أريد وما يجب أن يكون بسرعة وبدقة وعناية. وبجانبه في الناحية الأخرى بالجيش الثالث كان التعاون بين مدفعية الجيشين تعاونًا كاملًا بفضل تعاون قائد المدفعية هناك العميد أ.ح يوسف صبري أبو طالب، ثم العميد أ.ح منير شاش، وكان صديقي وأخي وزميلي اللواء أ.ح عبد المنعم واصل مثلًا رائعًا للتعاون والثقة والوفاء ـ حفظهم الله وحقق النصر على أيديهم جميعًا. وهكذا كنت أفكر وأنا قائد للمنطقة العسكرية المركزية بالقاهرة والحرب دائرة في جبهة الجيش الثاني والثالث وقلبي معهم جميعًا. وكنت أحسدهم ـ سامحني الله ـ أنهم سبقوني إلى تذوق حلاوة النصر وربما حلاوة الشهادة، ونحن هنا في القاهرة في أمان نوعًا ما وقلق. حتى أسرتي كانت حزينة وتقول لي زوجتي وأولادي:

ـ كنا نحب أن يكون لك شرف قيادة الجيش الثاني الذي عشت مع رجاله أكثر

مما عشت معنا.. وتعبر معهم القناة وتقتحم حصون خط بارليف وتحقق معهم النصر لمصر.

وكان ردي:

ـ هذه إرادة الله.

وأعود إلى متابعة موقف قواتنا في الجبهة وموقف وحداتي التي أرسلتها من المنطقة المركزية لدعم قوات الجيش ومدى ما كان فيه الضباط والجنود من فخر وهم يتحركون إلى الجبهة للاشتراك في القتال. لقد كان العميد أ.ح أحمد عبود الزمر رئيسًا لعملياتي في المنطقة العسكرية المركزية، ثم تولى قيادة الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكية، وتحرك إلى الجبهة. وكذلك العميد أ.ح محمد نجاتي فرحات، كان قائدًا للفرقة الثالثة المشاة التي دعمت الجبهة في بداية العمليات باللواء العاشر المشاة قيادة العميد أ.ح نمر، واللواء ٢٥ مدرع قيادة العقيد أ.ح أحمد حلمي الذي دعم الجيش الثالث، والفرقة السادسة المشاة قيادة العميد أ.ح محمد أبو الفتح محرم الذي كان واجب عملياتها في الخطة بدر للعمل في قطاع الجيش الثالث. أوصيت عليهم صديقي اللواء أ.ح عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث وقلت له:

ـ خذ بالك منهم جميعًا يا عبد المنعم يا واصل.

والله يعلم كم كنت مشغولًا عليهم وعلى كل رجل يقاتل في الجبهة في سبيل مصر، وأحاول معرفة تفاصيل الموقف على الجبهة من بورسعيد إلى السويس. أما العمق، فحتى يوم ١٢ أكتوبر ١٩٧٣ كنت مطمئنًّا كل الاطمئنان على عمق الجيش الثاني لوجود الفرقة ٢١ المدرعة قيادة العميد أ.ح إبراهيم العرابي، فكل ضابط وجندي فيها يعرف واجبه في الدفاع وفي الهجوم المضاد ثم في العبور شرقًا وتطوير الهجوم، وكانت الفرقة مدربة تدريبًا راقيًا، ولن أنسى موقفًا رائعًا أثناء التدريب، وبرغم أنهم رجال مدرعات فقد كان تدريب بعض أفراد أطقم الدبابات مع أفراد المشاة الميكانيكية في كيفية تدمير دبابات العدو بالقنابل الحارقة والقنابل اليدوية، وكيف كانوا يلقون بأنفسهم أسفل الدبابات وتمر عليهم ثم يتسلقونها ويلقون عليها المواد الحارقة والمتفجرات. لقد

شاهدت هذه التدريبات الرائعة وشاهدها معنا المستشارون الروس، وكانوا معجبين جدًّا بهذه الجرأة.

وقد اشترك في هذا التدريب العنيف كل ضباط الفرقة إلى قادة فصائل الدبابات والمشاة، مما دعا باقي الفرق المشاة وغيرها إلى محاولة الوصول إلى هذا المستوى في التدريب الواقعي حتى تحقق النصر على مدرعات العدو، وقد قال قائد إحدى كتائب دبابات الهجوم المضاد الإسرائيلي:

ـ ما هذه التضحية وهذا الصمود من الجندي المشاة؟! عندما تحركت دباباتي لملاقاة المشاة المصريين واكتساحهم حسب تدريبنا، فوجئت بأن المشاة المصريين يقذفون بأنفسهم تحت جنازير الدبابات والنيران تشتعل في مؤخرة معظم دباباتي وتحترق كما تحترق علبة الكبريت.

وعندما قرأت هذا تذكرت العميد أ.ح عادل سوكة في تدريبه للفرقة ٢١ المدرعة عام ١٩٧١ عندما كان قائدًا لها، وتذكرت أيضًا اللواء ١٥ مدرع المستقل الذي كان يقوده عادل قبل هذا التاريخ. وهذا اللواء كان يعتبر احتياطي الجيش الثاني شمال ترعة الإسماعيلية وجنوب مدينة الإسماعيلية، وكان مدربًا تدريبًا ممتازًا، وكان مفخرة للواءات المدرعة المصرية، وكان في الخطة بدر له دور للعبور في قطاع الفرقة ١٨ مشاة في القنطرة، واشترك في القتال شمال شرق القنطرة بقيادة العميد أ.ح تحسين شنن. وحقًّا كنت أحب هذا اللواء قائدًا وضباطًا وجنودًا، أرى فيهم الإيمان وحب مصر والرجولة والشجاعة والشهامة، وكان أملي كبيرًا أن توافق القيادة العليا على قراري بإعادته للضفة الغربية كاحتياطي لقائد الجيش الثاني بعد ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، ولم يصدِّق لي بذلك.

وعاد بي الحنين إلى رجال المظلات الذين شرفت بقيادتهم أكثر من ثلاث سنوات ومعهم أشقاؤهم رجال الصاعقة، وبرغم علمي بمقدرتهم وشجاعتهم فقد أحسست بالخوف عليهم من تفوق العدو الجوي في عمق سيناء واحتمالات تعثر القوات اللاحقة في الوصول إليهم برًّا أو التقاطهم جوًّا!

حتى قادة تشكيلات الجيش الثالث وجدت قلبي يسألني عن حالهم. فالعميد أحمد بدوي قائد الفرقة ٧ المشاة ومعه العميد قدري بدر وكذا العميد يوسف عفيفي

قائد الفرقة ١٩ المشاة، خدموا معي وتحت قيادتي فترات كلها ذكرى حلوة. قلبي معهم أيضًا.

وبعيدًا في منطقة البحر الأحمر تذكرت العميد أ.ح إبراهيم رشيد الذي تولى رئاسة مركز قيادة مشترك بحري وجوي لقيادة عمليات وحدات الصاعقة التي كلفت بمهام على الساحل الشرقي لخليج السويس، بالتنسيق مع لواء مشاة ميكانيكي يدفعه الجيش الثالث إلى الجنوب بحذاء الساحل، وتحملت هذه القيادة الصغيرة متاعب كبيرة بصبر وجلد، ولكن ثقتي في إبراهيم ومن تحت قيادته من قوات وقيادات تجعلني أكثر اطمئنانًا.

فترة تثبيت الأقدام: ٩-١٣ أكتوبر

١ ـ الموقف العام

تمخضت كفاءة التخطيط والدقة في التنفيذ مع المباغتة عن عملية من أكبر عمليات العبور المائي البارزة في التاريخ العسكري، ونجحت قواتنا في عبور قناة السويس واقتحام مواقع العدو المحصنة في خط بارليف وكل أماكن أسلحة العدو خلف الجدر التي احتموا بها، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وخربوا بيوتهم وحصونهم بأيديهم وبأيدي جند مصر المؤمنين، ورفعوا أعلام مصر على الأماكن التي اكتسحوها.

وحاول العدو القيام بهجوم مضاد كبير بالمدرعات في اتجاه جسر الفردان، ولكنه اندحر وبدأت فترة تثبيت الأقدام على أرض سيناء الحبيبة.

وقد تم استسلام كل حاميات حصون خط بارليف عدا حصن شرق بورفؤاد الذي لم تستطع قواتنا اقتحامه، وهو الحصن الوحيد الذي استمر في يد القوات الإسرائيلية شرقًا بعد ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

ولقد امتازت هذه الفترة بهدوء نسبي في جبهة القتال، ولم يحاول أحد الطرفين المصري والإسرائيلي القيام بهجوم كبير منسق بعد اليوم التاسع من أكتوبر ١٩٧٣ والأيام التالية له مباشرة.

وقد استمرت القوات المصرية في تحسين أوضاعها ومواقعها بعمليات محدودة شرقًا. كما كانت الهجمات الإسرائيلية المضادة تتم على مستوى سرايا وكتائب

دبابات بغرض إيقاف امتداد رأس الشاطئ المصري لأعمق ما وصلت له القوات المصرية حتى يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣.

وخلال هذه الفترة تمكنت عناصر استطلاع إسرائيلية من الوصول إلى شاطئ البحيرات المُرة الكبرى الشرقي عند تل سلام الذي لم تكن به أي قوات مصرية أو حتى مركز مراقبة برغم أهميته، حيث إنه يقع في الثغرة بين الجيشين الثالث والثاني شرق قناة السويس ويشرف على منطقة متسعة حوله وعلى البحيرات المُرة الكبرى بالكامل تقريبًا. وقد قرأت في أحد الكتب أن الجنرال «شارون» الإسرائيلي وصل يوم ١٣ أكتوبر إلى هذه المنطقة مع وحدة استطلاع إسرائيلية، واطمأن أن ليس للمصريين أي قوات بها، وفكر في سرعة الاختراق غربًا، واتصل بالجنرال «ديان» طالبًا هذا ولكن لم يصدق له برغم أنه زعم أن قدميه مغروستان في مياه البحيرة.

والحقيقة أنه كانت توجد فكرة في القيادة الإسرائيلية عن ضرورة إعادة الحرب مع المصريين عن طريق عبور القناة غربًا، ولكن متى وأين وكيف؟

٢ ـ النداء السوري العاجل: ١١ أكتوبر ١٩٧٣

تطور الموقف في الجولان السورية لصالح إسرائيل بعد الثامن من أكتوبر ١٩٧٣، وطلبت سوريا من القيادة العليا المصرية معاونة عاجلة لتخفيف الضغط عن قواتها في الجولان، وقد وافق القائد الأعلى للقوات المسلحة المصرية على هذه المعاونة، ولكن بعد تردد. وتقرر دفع القوات المدرعة المصرية شرقًا ليلة ١١-١٢ أكتوبر وليلة ١٢-١٣ منه للتقدم في اتجاه المضائق: متلا، الجدي، الختمية، وكذا في اتجاه رمانة شمالًا.

وحدثت مناقشات حامية بين القائد العام للقوات المسلحة وقادة الجيوش الميدانية عن توقيت الدفع والمهام. وأخيرًا استقر الأمر على الدفع أول ضوء يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣.

وتمت مرحلة عبور القوات المدرعة شرقًا حسب الخطة الموضوعة، وتم عبور وانتقال بطاريات سام المختلفة الأعيرة ووحدات الدعم المختلفة حسب التخطيط والإمكانيات.

وفي يوم ١٣ أكتوبر ١٩٧٣ وبعد أن تمت الانتقالات والعبور، واتخذت القوات مواقعها الجديدة في الشرق، ظهرت في سماء المنطقة طائرتا استطلاع، يقال إنهما أمريكيتان لتأكيد المعلومات بالتصوير الدقيق عما تم في الشرق وعما أصبح عليه الغرب.

٣ ـ أوضاع القوات المصرية بعد دفع الفرقة ٢١ المدرعة شرقًا

عندما عبرت الفرقة ١٦ المشاة شرقًا يوم ٦ أكتوبر واقتحمت حصون خط بارليف واحتلت مواقع العدو في الدفرسوار وكذا قرية الجلاء (المزرعة الصينية) ومرتفعات الطالية وغيرها، أرسلت قوة إلى تل سلام على ساحل البحيرات المُرة الشرقي لتأمين الجانب الأيمن للفرقة وتأمين نقطة الاتصال مع الجيش الثالث.. وبالطبع تركت الفرقة ١٦ والوحدات الأخرى التي عبرت شرقًا مؤخرات إدارية كثيرة من مهمات ومعدات وأدوات منوعة، وكلفت بعض عناصر إدارية لحراستها.

أما مطار الدفرسوار فكان به مؤخرات من القوات الجوية المصرية ومن وحدات رادار إلكترونية وكيميائية، إلخ. وحتى الفرقة المدرعة تركت بالطبع مؤخرات كثيرة. وهذه المؤخرات لها مشاكل كثيرة أثارها الرئيس عبد الناصر منذ عام ١٩٦٧، وطالب بإيجاد حلول جذرية لها.

وكانت القوات التي تولت الأعمال الدفاعية والتأمين والحراسة غرب القناة في هذا القطاع يوم ١٣ أكتوبر هي الوحدات التالية:

- كتيبة المغاوير الكويتية، وكانت مسؤوليتها تمتد من جنوب مَرْسَى أبو سلطان حتى فايد ورئاستها في معسكر المأمون بفايد.
- عناصر من اللواء الفلسطيني على الجانب الأيمن للكتيبة الكويتية منتشرة على طول شاطئ البحيرات المُرة الغربي.
- وحدات محطة فايد العسكرية، ومعظمها وحدات إدارية ووحدات إصلاح وصيانة وورش مركبات وأسلحة ومخازن ذخيرة ووقود ومهمات وخلافه.
- وفي مطار فايد كانت تتواجد وحدة حراسة وبعض العناصر الإدارية.

وكان ضمن الخطة الدفاعية نقطة إنذار وملاحظة وتأمين على قمة جبل شبراويت، ولكنها سحبت من مواقعها لدعم وحداتها العابرة شرقًا.

وحتى يعيد قائد الجيش الثاني التوازن في الموقع الدفاعي غرب القناة بعد دفع الفرقة المدرعة شرقًا، أصدر الأوامر إلى قائد الفرقة ٢٣ المشاة الميكانيكية بدفع اللواء ١١٦ المشاة من مواقعه شمال ترعة الإسماعيلية إلى مواقع جديدة جنوب الترعة في منطقة عثمان أحمد عثمان، ويتولى مسؤولية تأمين المنطقة بالكامل محل الفرقتين ١٦ و٢١. وتم تمركز اللواء أول ضوء يوم ١٣ أكتوبر.

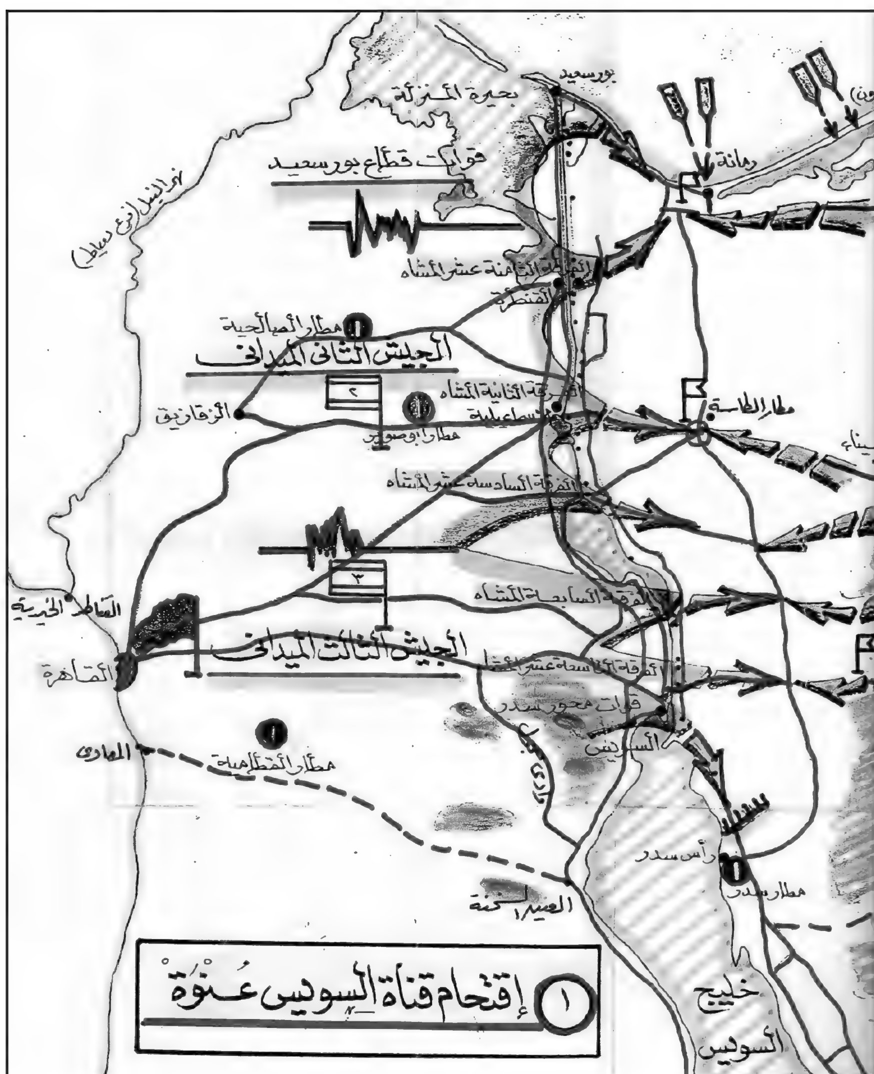
٤ ـ نشاط القوات الإسرائيلية يوم ١٣ أكتوبر

ساد الهدوء النسبي جبهة القتال إلا من بعض نشاط للطائرات الإسرائيلية وأعمال الاستطلاع الجوي والأرضي والاستطلاع اللاسلكي والإلكتروني وبعض التحركات العرضية.

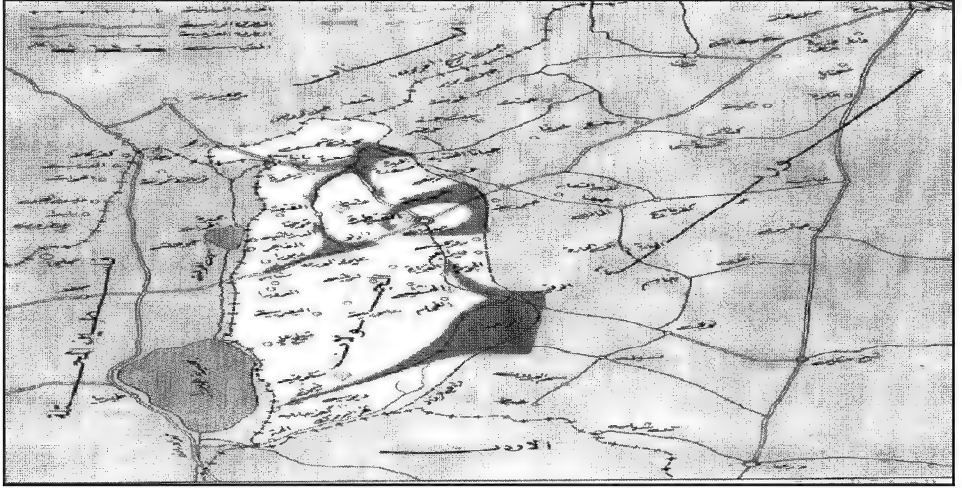
وأعتقد أن وصول القوات العراقية إلى الجبهة السورية يوم ١٢ أكتوبر، وثبات الفرقة الثالثة السورية بجبهة الجولان، وإجهاد القوات الإسرائيلية بعد حوالي ٧ أيام قتال متواصل، كان له أثر كبير على هذا الهدوء النسبي بالجبهة المصرية.

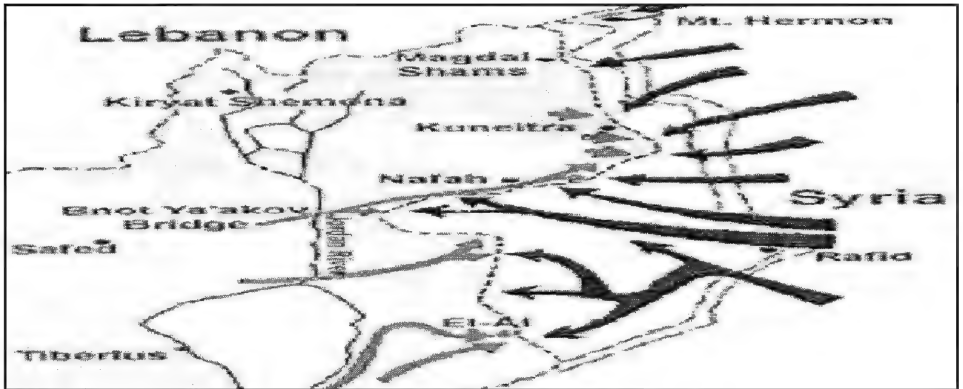


العلم المصري يرتفع على خط بارليف ـ ٦ أكتوبر ١٩٧٣



بورسعيد
بحيرة المنزلة
قوات قطاع بورسعيد
رمانة
نهر النيل (فرع دمياط)
الفرقة الثامنة عشر المشاة
القنطرة
مطار الصالحية
الجيش الثانى الميدانى
الفرقة الثانية المشاة
الإسماعيلية
الزقازيق
مطار أبو صوير
مطار الطاسة
٢
الفرقة السادسة عشر المشاة
٣
الفرقة السابعة المشاة
القاهرة
الجيش الثالث الميدانى
الفرقة التاسعة عشر المشاة
قوات محور سدر
السويس
المعادى
مطار القطامية
رأس سدر
مطار سدر
العين السخنة
خليج السويس
١ إقتحام قناة السويس عنوة





الموقف على الجبهة السورية: بعد مرور ٤٨ ساعة من القتال كان السوريون على وشك أن يحققوا المهمة ولكنهم فقدوا قوتهم الدافعة نتيجة الهجمات الجوية الإسرائيلية المركزة التي أحدثت ارتباكًا في الجبهة السورية بين القوات العراقية والأردنية والسورية والمغربية

توقيتات سقوط النقط الحصينة الإسرائيلية في خط بارليف

تابع توقيتات سقوط النقط الحصينة الإسرائيلية في خط بارليف



الشهيد لواء مهندس أحمد حمدي



العميد أركان حرب شفيق متري سدراك



قائد الجيش الثاني مع أعضاء من الكونجرس الأمريكي في سيناء (موقع الطالية لواء ثالث مشاة)



أسرى إسرائيل



قادة الجيش الإسرائيلي بعد تدمير الهجوم المدرع الإسرائيلي يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣



صلاة الشكر في منطقة عيون موسى بعد استيلاء قواتنا على الموقع، ويُرى وراء الإمام، الشيخ حافظ سلامة قائد المقاومة الشعبية في السويس

الفصل الخامس عشر

«في أيام نحسات»

١٤ أكتوبر ١٩٧٣

قررت القيادة السياسية معاونة القوات السورية وتخفيف الضغط الإسرائيلي عنها، فأصدرت أوامرها إلى القائد العام بدفع القوات المدرعة المصرية للعبور شرقًا والتقدم إلى المضايق. ونفذ القائد العام الأوامر بسرعة أحدثت بلبلة وحيرة بين القادة، فتأجل الدفع يومًا آخر لمحاولة إزالة هذه السحابة السوداء. ثم أصدر الأوامر مرة أخرى بأن يتم الدفع فجر يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ في اتجاه المضايق ـ الجيش الثالث في اتجاه ممري متلا والجدي، والجيش الثاني في اتجاه الختمية شمال وجنوب الطاسة على المحور الأوسط، وقول آخر مدرع من القنطرة شرق إلى اتجاه رمانة شمالًا على طريق العريش.

وبرغم التمهيد النيراني الكبير بالنيران وتحريك كتائب صواريخ سام ٦ و٣ لحماية القوات في تقدمها، إلا أن القوات الإسرائيلية المدرعة تعاونها القوات الجوية استطاعت صد هجوم هذه القوات وإيقاف تقدمها وتكبيدها خسائر كثيرة في الأرواح والمعدات، وفقدنا عددًا كبيرًا من المدرعات والمركبات في وقت قصير.

وفي مساء هذا اليوم النحس ساد التشاؤم على الجبهة المصرية، وحدث كثير من الارتباك في قطاع رأس الشاطئ المزدحم بقوات الفرقتين ١٦، ٢١ وغيرهما من القوات المدعمة.

وانتهز الإسرائيليون الفرصة، فقد أصبح الغرب المصري في قطاع البحيرات

المُرة وكل المنطقة جنوب الإسماعيلية وغرب قناة السويس خاليًا من القوات المقاتلة المصرية، اللهم إلا من بعض كتائب الصواريخ المضادة للطائرات وكتائب مدفعية الميدان ووحدات إدارية ومؤخرات الوحدات التي عبرت شرقًا. كما اتسعت الفجوة بين الجيشين الثاني والثالث غرب قناة السويس وشرق وغرب البحيرات المُرة. فقررت القيادة الإسرائيلية سرعة تنفيذ خطة الاختراق غربًا في هذا القطاع الخالي في منطقة الدفرسوار، وتحددت ساعة الصفر يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣، تمشيًا مع إستراتيجية الحرب الوقائية التي يؤمن بها.. أي نقل المعركة إلى أرض العدو وحصار قواته وتدميرها لردعه.

فقد سنحت له فرصة تنفيذ خطة سبق تجهيزها والتدريب عليها تحقق له تصفية رؤوس الشواطئ المصرية شرقًا بطريق غير مباشر، وهي تثبيتها بهجمات مضادة متتالية في مختلف الاتجاهات للتضليل والخداع عن اتجاه الهجوم الرئيسي للعبور غربًا والاختراق بمنطقة الدفرسوار.

وبدأ العدو الإسرائيلي فعلًا في تنفيذ المخطط منذ أن أضاءت أمريكا له النور الأخضر بالدعم المادي الضخم، ووصلته إمدادات هائلة أهمها الدبابات المجهزة بأحدث الأسلحة المتطورة والمدفعيات الثقيلة ذاتية الحركة من عيارات ١٧٥مم و٢٠٣,٢مم، وقطع غيار لكل المعدات التي فقدها في الفترة السابقة منذ ٦ أكتوبر ١٩٧٣، ما أعطاه قوة هائلة أمكنته من إيقاف تقدم قواتنا المدرعة شرقًا. فوصل الدعم الأمريكي إلى الموانئ البحرية والجوية لإسرائيل يوم ١٣/ ١٠/ ١٩٧٣. وكان أمام العدو الإسرائيلي عدة طرق وحلول مفتوحة يمكنه استخدامها أو إحداها لتنفيذ الهدف الرئيسي الذي يسعى إليه وهو الحرب الوقائية، وكلٌّ من هذه الطرق لها مزاياها وعيوبها. والمنطقة الممتدة من بورسعيد-بورفؤاد شمالًا حتى جنوب بورتوفيق-السويس بها ثغرات في الدفاعات يمكن للقائد أن يختار أصلح الطرق وأقربها إلى تحقيق الهدف الإستراتيجي للدولة.

طرق الحل المفتوحة أمام القوات الإسرائيلية

١ ـ تثبيت قوات رأس الشاطئ المصري للجيشين الثاني والثالث والقيام بعملية

إبرار بحري وجوي مع عملية أرضية من اتجاه شرق بورفؤاد، حيث ما زالت قواته متمسكة بمواقعها الحصينة على ساحل البحر الأبيض المتوسط بهدف احتلال مدينتَي بورفؤاد وبورسعيد، وله في هذه العملية تجارب سابقة أيام العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦.

٢ ـ الاختراق من منطقة رقبة الوزة في المنطقة بين شمال القنطرة وجنوب الكاب والمنطقة غربها يصعب الدفاع عنها بقوات معقولة، وهي تعطي للمهاجم فرصة الاندفاع إلى الجنوب الغربي مطوقًا مدينة القنطرة غرب، ويمكنه الاستيلاء على مطار الصالحية كقاعدة وطيدة لتطويق الإسماعيلية من الشمال والغرب، ثم الاستيلاء على مطار الإسماعيلية ومطار أبو صوير جنوب الإسماعيلية.

٣ ـ العبور من المنطقة شمال الفردان وجنوب جزيرة البلاح ما بين جناح أيمن الفرقة ١٨ المشاة بالقنطرة شرق وجناح أيسر الفرقة الثانية المشاة شمال-شرق كوبري الفردان، ولكن هذا الحل فيه مخاطر كثيرة لقواته، وكان قد ذاق في هذه المنطقة شر هزيمة لقواته المدرعة وأسر قائد هذه القوة منذ حوالي أسبوع.

٤ ـ منطقة الحدود بين الجيشين الثاني والثالث، وهي منطقة ذات مواجهة واسعة جدًّا ومرتكزة على البحيرات المُرة الكبرى، وغربها خالٍ تقريبًا من القوات المقاتلة التي قد تعرقل عملية عبوره غربًا أو تتدخل في منعه من تثبيت أقدامه على الساحل الغربي للقناة، وهذا الحل يحقق للعدو مزايا كثيرة:

ـ سهولة العبور غربًا لوجود منازل ومطالع مجهزة من قبل لإقامة المعديات والكباري.

ـ جانب القوة العابرة الأيسر يرتكز على مانع مائي، وهو البحيرات المُرة الكبرى، فيحقق له التأمين.

ـ خلو مواقعه القديمة في تل سلام على الشاطئ الشرقي للبحيرة المُرة من أي قوات مصرية، وكذا مواقعه الحصينة في خط بارليف بالدفرسوار.

ـ يقع على الحد الأمامي غرب القناة مباشرة مطار الدفرسوار، وفي عمق

حتى حوالي ٤ كيلومترات غربًا يوجد مطار فايد الكبير والمجهز، ويعتبر صالحًا للاستخدام المباشر لكل أنواع الطائرات المقاتلة، على عكس مطار الدفرسوار الذي يحتاج إلى وقت كبير للإصلاح.

- أقرب منطقة إلى القاهرة حيث تخدمها عدة طرق جيدة توصل إلى طريق الإسماعيلية-القاهرة الصحراوي مباشرة: حوالي ١٤٠كم.
- سهولة الوصول شمالًا إلى الإسماعيلية أو جنوبًا إلى فايد فالسويس.
- وجود منطقة مخازن أبو سلطان المتسعة والتي تسهل للقوات الإسرائيلية استخدامها في انتشار قواتها، وإخفاء ومبيت مدرعاتها داخل الدشم القوية بها، والانتفاع بالطبع بما فيها من خيرات سواء أغذية محفوظة ومهمات وذخائر وألغام، إلخ.
- يستطيع العدو تهديد مواقع كتائب الصواريخ سام ومحاولة تدميرها لفتح ثغرة في نظام الدفاع الجوي المصري، حتى تستطيع قواته الجوية الاختراق غربًا بسهولة، واستكمال تدمير قواعد الصواريخ ومرابض المدفعية، وفرض سيطرته الجوية على منطقة رأس الشاطئ الشرقي لقواتنا، وحماية قواته التي تنجح في الاختراق غربًا.
- الاستيلاء على المعدات الهندسية التي تستخدمها قواتنا من معدات عبور وكبارٍ ومعديات وعوامات يمكن لقواته استخدامها للعبور غربًا!
- هذه المنطقة بها كثير من القرى والأراضي الزراعية والحدائق الغنية بأشجار الموالح والمانجو، وهي تعطيه ميدانًا جيدًا للإخفاء والوقاية مع الطعام.

٥ ـ منطقة جنوب كبريت في قطاع الجيش الثالث الميداني، ولكن المنطقة في الغرب ما زالت بها قوات مدرعة ومشاة ميكانيكية تستطيع التدخل وحرمانه من تنفيذ خطته.

ونخرج من هذا التحليل أن الحل رقم ٤ هو الأصلح والأضمن. وقد اختارته القيادة الإسرائيلية، وتم تنفيذ المخطط في منطقة مثلث قاعدته تمتد من جنوب بحيرة التمساح حيث تلتقي مع قناة السويس جنوب شرق الإسماعيلية إلى منطقة الدفرسوار على شاطئ البحيرات المُرة الكبرى بمواجهة حوالي ٤٠كم، ورأس

المثلث ممتد شرقًا من منطقة الطاسة على الطريق الأوسط ـ عمق ٣٠كم ـ من قناة السويس، ويقع في هذا القطاع تبة الطالية المشرفة على المنطقة، كما توجد بها المزرعة الصينية وتمتاز بوجود شبكة من قنوات الري يمكن استخدامها في الإخفاء والتمركز، كما تشمل المنطقة على بعض من حصون خط بارليف وموقع محصن يسمى تل سلام، وكلها مواقع قد استولت عليها قواتنا يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣. كما يمتد في هذه المنطقة عدة طرق طولية وعرضية تساعد على الحشد والتحرك. أما المنطقة غرب هذا المثلث والتي تمتد من جنوب الإسماعيلية غرب الدفرسوار، فيمكن تقسيمها إلى ثلاث مناطق مختلفة:

المنطقة الأولى: الموازية لقناة السويس، وهو شريط ضيق من المزروعات وبعض المستنقعات، ويقع فيه مطار الدفرسوار المهجور، وتحده غربًا ترعة المياه الحلوة الممتدة من الإسماعيلية إلى السويس.

المنطقة الثانية: وتكثر بها المعسكرات المهجورة، منها معسكر أبو سلطان المتسع. كذا توجد بعض القرى والحدائق والمزروعات، ويحدها غربًا طريق الإسماعيلية-السويس الصحراوي المسمى «طريق المعاهدة».

المنطقة الثالثة: وهي أرض صحراوية مفتوحة تمتد شمالًا حتى نفيشة جنوب الإسماعيلية وجنوبًا إلى فايد وغربًا إلى القاهرة، ويمر بها عدة طرق أهمها طريق الإسماعيلية-القاهرة الصحراوي، وطريق الدفرسوار-أبو سلطان، إلى وصلة عثمان أحمد عثمان، فطريق القاهرة-الإسماعيلية، وطريق آخر عرضي يربط هذه الطرق بمنطقة أبو صوير، وطريق آخر إلى القصاصين.

خطوات تنفيذ المخطط الإسرائيلي للاختراق غربًا

١ ـ ملخص الموقف يوم ١٤ أكتوبر

في حوالي الساعة السادسة والنصف من صباح يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ دفعت ستة طوابير مدرعة من خلال رؤوس شواطئ الفرق المصرية في اتجاه المضائق ـ متلا، الجدي، الخاتمية ـ وشمالًا في اتجاه رمانة. ولكن توقف الهجوم برغم أن الطابور المدرع في الجنوب كاد يصل إلى هدفه في ممر متلا.

وفوجئت القيادة العليا المصرية بفشل هذه الطوابير المدرعة وتكبدها كثيرًا من الخسائر، واضطرارها للارتداد غربًا داخل رؤوس الكباري التي اندفعت من خلالها منذ ساعات قليلة.

ولما عادت الوحدات المدرعة لم يكن بالطبع ارتدادها منظمًا، وحدثت مواقف صعبة، الأمر الذي جعل هذه المنطقة شعلة من جحيم! واستمرت القوات الجوية الإسرائيلية تقصف هذه القوات المرتدة، وكذا مناطق رؤوس الكباري طوال هذا اليوم.

وفي هذه اللحظات الحرجة المحيرة أصيب اللواء مأمون بأزمة قلبية حادة ألزمته الفراش في استراحة القائد بالإسماعيلية، فانتقل على الفور اللواء أ.ح تيسير العقاد من مركز القيادة الرئيسي إلى مركز القيادة المتقدم بالإسماعيلية وتولى إدارة المعركة.

٢ ـ أعمال قتال يوم ١٥ أكتوبر ١٩٧٣

ركزت القوات الإسرائيلية هجماتها المضادة بالدبابات ضد وسط ويسار رأس كوبري الفرقة ١٦ المشاة في مواجهة اللواء ٣ المشاة واللواء ١١٢ المشاة، مع استمرار القصف الجوي المُركَّز، وتجمعات مدفعية على قوات اللواء ١٦ المشاة ـ لواء اليمين ـ في تشكيل قتال الفرقة بدون قيامه بأي هجمات مضادة في هذا الاتجاه. وكان الهدف من هذا هو جذب انتباه قيادة رأس الشاطئ، وكذا قيادة الجيش الثاني إلى الوسط واليسار حتى يتمكن من تحريك لواء مدرع من منطقة الطاسة إلى منطقة تل سلام شمال-شرق البحيرات المُرة، ونجح العدو في خطته، وواصلت وحداته المدرعة تحركاتها في أرتال سرايا وكتائب. وحوالي الساعة الثالثة بعد الظهر تمكنت بعض الدبابات من التسلل غرب تل سلام في اتجاه مواقعه الحصينة السابقة في خط بارليف بمنطقة الدفرسوار، مستغلًّا وجود ثغرة حوالي ٣كم بين جناح أيمن اللواء ١٦ المشاة وقناة السويس.

وتمكنت قواته من إعادة احتلال مواقعه السابقة بالدفرسوار شرقًا، ولم تكن بها قوات مصرية. ونجحت دبابات العدو في الاختراق في هذه الثغرة حتى هددت مؤخرة اللواء ١٦ المشاة.

وكذا تمكن من تهديد الجناح الأيسر لهذا اللواء في الثغرة بينه وبين اللواء

الأوسط ـ ل١٦ ـ وهدفه من هذا هو محاولة الضغط على اللواء ١٦ من الجانبين لحصاره وتدميره والحصول على قاعدة استناد على الضفة الشرقية للقناة تسمح له بتأمين الجنب الأيمن لقواته للاختراق غرب قناة السويس. واستمر القتال طوال يوم ١٥، وقبيل منتصف الليل بقليل دخلت قوات العدو قرية الجلاء واستولت عليها، وبهذا أصبحت منطقة الاختراق تسمح بمرور القوات والمعدات الخاصة بالعبور حتى شاطئ القناة الشرقي.

لم تكن قوات رأس الشاطئ في قطاع الفرقتين ١٦ مشاة و٢١ مدرع قد استكملت تنظيم التعاون بينهما للدفاع وصد هجمات العدو المضادة أو تنسيق صد اختراق مدرعات العدو إذا نجحت في اختراق دفاعاتنا، لأن الفرقة ٢١ ما زالت في وضع لا يسمح لعناصرها الرئيسية بتقديم مساعدات فعالة لقوات الفرقة ١٦ في قتالها المرير مع العدو، ولم تتمكن كل وحداتها من تثبيت أقدامها في مواقع دفاعية متماسكة. وبرغم هذا فقد أصدر قائد الفرقة ٢١ أوامر إلى قائد اللواء ١٨ مشاة ميكانيكي والتابع للفرقة بدفع سرية دبابات مدعمة بالمشاة لمعاونة اللواء ١٦ المشاة في صد الاختراق، وتم فعلًا دفع هذه القوة حوالي الساعة التاسعة مساء، وتمكنت بالتعاون مع وحدات اللواء ١٦ من صد مدرعات العدو، بمعاونة مدفعية مركزة من مدفعية الجيش الثاني، وتوقف العدو عن التقدم في منتصف الليل.

ولما شعر قائد اللواء ١١٦ المشاة وهو في مركز قيادته في الغرب في منطقة عثمان أحمد عثمان بنشاط قوات العدو في مواجهة الكتيبة ٣٥٠ من هذا اللواء، والمتخذة مواقع ساترة على مواجهة واسعة على شاطئ القناة الغربي من الدفرسوار حتى الضخ، وسيرابيوم بقوة فصيلة في كل موقع على السواتر الرملية غربًا، أَمَر بدفع سرية دبابات إلى منطقة الضخ-سيرابيوم لاحتلال المصاطب على الساتر الترابي تستطيع منها صب نيران مدفعيتها على قوات العدو شرقًا، ولكن الوقت كان ليلًا، فقد تجاوزت الساعة التاسعة مساء يوم ١٥، وأعتقد أن هذه الوحدة الصغيرة لم تستطع الوصول إلى مواقعها وبالتالي لم تحقق المهمة.

وكانت قيادة الجيش الثاني تركز مجهودها الرئيسي على الوضع في الشرق، والذي أخذ يتطور منذ أول ضوء يوم ١٤ عند دفع الفرقة المدرعة شرقًا واستمرار

القتال الرهيب حتى بعد منتصف ليلة ١٥-١٦ أكتوبر ١٩٧٣، وما زال اللواء مأمون يرقد مريضًا ويتولى القيادة بالنيابة اللواء العقاد.

٣ ـ يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ (٢٠ رمضان ١٣٩٣)

في ساعة مبكرة من صباح يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ وصلتنا أنباء تفيد بتسلل ٧ دبابات للعدو الإسرائيلي غربًا من منطقة الدفرسوار، فطالبت رئيس استطلاع المنطقة العسكرية المركزية بضرورة تأكيد هذه المعلومات من الجيش الثاني الميداني ومن إدارة المخابرات الحربية ـ فرع الاستطلاع ـ فقد تشككت في صحة هذه المعلومات التي لم تصلني كقائد للمنطقة العسكرية المركزية عن طريق القيادة العامة للقوات المسلحة: هل هذا الخبر صحيح؟

لا أصدق أن بعد هذا الانتصار الكبير الذي اكتسبته قواتنا منذ يوم ٦ أكتوبر والأيام التالية له حتى ١٣ منه، يحدث هذا الاختراق، وأين؟ في قطاع الجيش الثاني الميداني الذي تشرفت بقيادته سنوات طوالًا منذ عام ١٩٦٩ حتى ٥ يناير ١٩٧٢، وأعلم تمامًا قدرات قادته وشجاعة رجاله.

ومر الوقت ببطء شديد ولم تصلنا معلومات تؤكد أو تنفي. وبعد صلاة الظهر والتي أقمناها في مركز قيادة المنطقة العسكرية المركزية ببدروم وزارة العدل بالعباسية، شعرت أن في الجو شيئًا رهيبًا ومحيرًا، وأنني سأعود لقيادة الجيش الثاني مرة ثانية، خاصة أن اللواء مأمون قائد الجيش ما زال راقدًا ومريضًا. وبعد حوالي نصف ساعة، وفي الساعة الثانية عشرة والنصف، كنت أتلقى أخطر مهمة كُلفت بها في حياتي العسكرية الطويلة، وبرغم أنني اعتبرتها مهمة خطرة ومحيرة إلا أنني كنت سعيدًا وفخورًا بتكليفي بها. يكفي بعد الثقة أن أعود إلى رجالي في الجيش الثاني مرة أخرى! وفي طريقي إلى مركز قيادة الجيش الثاني بالإسماعيلية لتولي مسؤولية هذا الجيش الكبير في هذه الظروف الحرجة المحيرة، بدأت في تقدير موقف شخصي عن الموقف وظروف قواتنا وقوات العدو المحتمل أن تكون قد نجحت في العبور غربًا، وما هي طرق الحل المفتوحة أمام العدو وأمام قواتنا وأمامي شخصيًّا؟ كيف أتصرف؟

وما هي خطتي لتحقيق المهمة التي كلفني بها الفريق الشاذلي منذ دقائق قليلة؟

كيف يمكنني أن أنهي موقف الثغرة بقوة وبسرعة؟ والحقيقة مرت بخاطري أشياء كثيرة، فأرض الجيش الثاني، وخاصة هذا القطاع، عشت فيها سنوات طويلة وأعلم عنها كل شبر، وكثيرًا ما مررت بها وطرقاتها ومدقاتها وحتى حدائقها ومرتفعاتها! ومنطقة الدفرسوار بالذات خبرتُها منذ عام ١٩٦٧ وعشت فيها وحولها حتى عام ١٩٧١، والقوات التي كلفت بمهام فيها كنت أنا قائدها المباشر مرة والأعلى مرات.

رؤيا حرب رمضان

٦٥٤ يومًا مرت منذ فراق رجال الجيش الثاني الأوفياء، حيث وقفت أمام الله سبحانه وتعالى بينهم في صالة السينما بمعسكر الجلاء بالإسماعيلية أودعهم ويودعونني، فقد أخطرني الفريق أول محمد صادق تلفونيًّا بأنه قد تم نقلي رئيسًا لهيئة تدريب القوات المسلحة بعد فترة قيادتي للجيش الثاني منذ ربيع ١٩٦٩، حيث عشنا معًا معارك استعادة الأنفاس وتثبيت الأقدام والصمود والحسم.

وقبل أن أغادر هذا اللقاء الأخير مع رجالي في اليوم الخامس من يناير ١٩٧٢، دعوت الله أن أعود إلى رجالي مرة أخرى إذا أراد الله لهم العبور شرقًا.

وشاءت إرادة الله القوي العزيز أن يستجيب لدعائي الصادق، وعدت إلى رجالي لأتولى قيادتهم للمرة الثانية في الساعة الرابعة من بعد عصر يوم ١٦ أكتوبر المسمى يوم الثغرة. وسعدت بمقابلة أعضاء مركز القيادة المتقدم للجيش الثاني، واستمعت إلى تقرير عن الموقف من اللواء أ.ح تيسير العقاد رئيس الأركان، ثم زرت الأخ اللواء أ.ح سعد مأمون في استراحة القائد حيث كان يرقد منذ صباح يوم ١٤ أكتوبر مصابًا بأزمة قلبية، ودعوت له بالشفاء وعدت إلى متابعة الموقف المحير.

١ ـ تقدير الموقف

بعد محاولة تجميع معلومات من كل مكان أستطيع الحصول منه على بصيص من نور، تذكرت قائد كتيبة المغاوير الكويتي في مركز قيادته في قطاع فايد جنوب الدفرسوار مباشرة، وطلبت الاتصال به، ولشدة دهشتي رد عليَّ هو شخصيًّا وسألته عن الموقف، وكانت الساعة حوالي السابعة مساء يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، فقال

كل شيء هادئ عنده، وطلبت منه إرسال دوريات لمناطق حوله لمعرفة الموقف وإخطاري، فأجاب بالموافقة وأنه سينفذ فورًا. وللأسف كانت هذه المكالمة آخر لقاء معًا. تحياتي له ولكل رجاله مع خالص شكري وتقديري على الفترة التي قضيناها معًا على الجبهة سنوات طوالًا. وفي محاولات شخصية للحصول على معلومات تم الاتصال بقائد محطة فايد العسكرية، وهو قائد إداري، وكلفته شخصيًّا بمهمة التعرف على الموقف حوله في قطاع مسؤوليته.

وكان الرجل بحق يتصل بي بصفة مستمرة طول ليل ١٦-١٧ أكتوبر، وكان يخطرني بأحداث عجيبة تدل على ازدياد قوة العدو في قطاع الاختراق: هبوط طائرة هليكوبتر في مطار فايد، ثم مرة أخرى يقول بهبوط طائرة هليكوبتر خلف مستشفى فايد، ثم نيران في منطقة، إلخ.

ثم قبل فجر ١٧ أكتوبر انقطع الاتصال معه، وللأسف لم يكن لدى قيادة الجيش الثاني أي احتياطيات يمكن استخدامها للتعامل مع هذه القوات.

وحرصًا مني على إعطاء جاري الأيمن فكرة عن الموقف عندي وأخذ فكرة عن موقفه، اتصلت بالأخ اللواء أ.ح عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميداني، وأخطرته بوصولي، وكم كان سعيدًا بعودتي ثانية إلى قيادة الجيش الثاني، واتفقنا معًا على استمرار الاتصال والتعاون بكل الإمكانيات والقدرات المتيسرة، ويسعدني أن أدون هنا تعاونه الصادق هو ورجاله الشرفاء معي ومع رجالي في كل الأوقات والظروف.

٢ ـ تحية إلى رجال الجيش الثاني

قمت بالاتصال الشخصي بقادة تشكيلات الجيش الثاني الميداني والرؤساء، ويسعدني هنا أن أحيي كل رجل منهم، فقد كانوا أقوياء وأمناء والله دائمًا يحب القوي الأمين. تحية مني لهم جميعًا وإلى كل من شارك في إعداد القوى ورباط الخيل، حتى تمكنت قواتنا المسلحة من إحداث الذعر والرهبة في نفوس العدو الإسرائيلي.

كان أول من اتصلت بهم قائد الفرقة ١٦ مشاة العميد أنور حب الرمان، الذي تولى القيادة بعد إصابة العميد عبد رب النبي وإخلائه للخلف قبل وصولي، وأخطرني

بتعرض جناح الفرقة الأيمن لضغط عنيف من العدو الجوي والأرضي، وتمنيت له التوفيق، وكان صوته فيه ثقة واطمئنان، وهذا ما نريده لأي قائد.

وفي نفس قطاع مسؤولية الفرقة ١٦ مشاة كان قائد الفرقة ٢١ المدرعة العميد أ.ح إبراهيم عبد الغفور العرابي، وكنت أعرفه معرفة وثيقة عندما عمل معي في قيادة القوات العربية في اليمن وبعدها، وكان في موقف لا يحسد عليه، فهو قائد الفرقة المدرعة التي عبرت يوم ١٤ أكتوبر إلى الشرق وتحملت خسائر في الأرواح والعتاد أجبرتها على التوقف وإعادة التنظيم في رأس شاطئ الفرقة ١٦ مشاة تحت تهديد هجمات العدو الجوية ومدرعاته ونيران مدفعيته، وما زالت قوات الفرقة في الاشتباك مع العدو.

أما العميد أ.ح حسن أبو سعدة قائد الفرقة الثانية مشاة، فكان هادئ البال، فالموقف في قطاعه كان هادئًا بعد انتصار قواته على مدرعات لواء مدرع إسرائيلي وصدها لهجماته المضادة المتكررة وتدمير معظم دبابات هذا اللواء وأسر العقيد «عساف ياجوري» قائد كتيبة دبابات من هذا اللواء، وقلت له: «مبروك».

وجاء دور القنطرة شرق واتصلت بالعميد أ.ح فؤاد عزيز غالي الذي دائمًا ما قال لي إنني سأضغط على زراير في قيادتي تفتح للفرقة ١٨ مشاة طريق العبور إلى القنطرة شرق، وذكرني بهذا وأنه وعدني قبل ٢٤ شهرًا مسبقًا بهذا النصر بالزراير.

واستفسرت منه عن موقف اللواء ١٥ المدرع الذي كنت أعتز بقائده ورجاله وأقدر شجاعتهم وإقدامهم، حتى إني أصدرت أوامري بإعادة هذا اللواء إلى الغرب والتمركز في مكانه القديم شمال-شرق الإسماعيلية ليكون احتياطيًّا قويًّا للجيش الثاني الميداني، ولم يصدَّق على قراري.

وكانت قوات قطاع بورسعيد قد نجحت في استعادة كل الضفة الشرقية للقناة، واستولت على أقوى حصون خط بارليف، خاصة موقع الكيلو ١٠، ولكنها لم تنجح في الاستيلاء على موقع العدو شرق بورفؤاد. وكان الموقف في قطاع اللواء عمر خالد ببورسعيد هادئًا نسبيًّا، وكان يعاونه نخبة من الضباط والقادة الأَكْفَاء من القوات البرية والقوات البحرية والدفاع الجوي.

وحاولت الاتصال بالعميد أ.ح أحمد عبود الزمر، قائد الفرقة ٢٣ المشاة

الميكانيكية، والذي كان منذ فترة قصيرة مضت رئيسًا لعمليات المنطقة العسكرية المركزية التي كنت أتولى قيادتها حتى قبل ساعات قلائل. ولم أستطع الاتصال به لأنه كان يتحرك ليعيد تنظيم قواته، وخاصة بعد استشهاد العقيد أ.ح حسين رضوان قائد اللواء ١١٦ مشاة صباح نفس اليوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ في كمين نصبه العدو للقوة التي كان يتولى قيادتها متحركًا تجاه تقاطع طريق أبو سلطان-طريق الإسماعيلية.

أما الاحتياطي العام للجيش، فقد كان عبارة عن لواء مشاة ميكانيكي، وهو ل١١٨ من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكي، وتتمركز قيادته بمنطقة الإسماعيلية ووحداته موزعة منها كتيبة في قطاع الفرقة الثانية المشاة شرقًا.. وكتيبة تتولى أعمال الحراسة والدفاع والتأمين، والباقي يمثل احتياطي قائد الجيش الثاني.

والحقيقة أن وحدات اللواء كانت مسؤولة عن الدفاع عن منطقة الإسماعيلية ولا يمكن أن يسمى احتياطي قائد الجيش.

كما كان اتصالي مستمرًّا مع القيادة الرئيسية للجيش الثاني الميداني، وكان يتولى قيادته اللواء أ.ح عمر الموجي مساعد قائد الجيش الذي كان يتولى منصب قائد مدفعية الجيش الثاني عندما كنت قائدًا للجيش في الفترة الأولى، وهو يمتاز بالهدوء وحسن الخلق.

وكذا اتصلت بمركز القيادة الخلفي (الإداري والفني) بقيادة العميد أ.ح علي سعيد، الرجل الإداري الكفء.

وكذا تم الاتصال مع باقي رؤساء الجيش، كل في موقعه، لإخطارهم بعودتي قائدًا لهم ولمعرفة الموقف الخاص بأفرعهم المسؤولين عنها وأطمئن عليهم.

وبعدما خلوت لنفسي لحظات برغم كثرة الاتصالات التلفونية من القاهرة التي دائمًا ما عكرت صفو تفكيري، وبعدما اطلعت عليه من وثائق وسمعت من معلومات وأحداث منذ يوم ١٤ أكتوبر، وهو توقيت دفع الفرقة ٢١ مدرعة للاشتباك شرقًا، وما حدث من أحداث جسيمة وتغيرات في القيادة، تأكد لي أن القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية لم تكن في الصورة الصحيحة للموقف، والدليل على هذا أن التلقين المعطى لي عن قوة العدو في ثغرة الدفرسوار غير حقيقي.

وبالطبع لا بد أن يكون للعدو في اللحظات الأولى من صباح ١٦ أكتوبر

١٩٧٣ قوة لا تقل عن لواء مشاة مدعم بالدبابات، كما أن سيطرة العدو الجوي في منطقة الدفرسوار كانت كاملة، ولم يُشِر الفريق سعد الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة لي عنه شيئًا، ولا حتى نائب رئيس هيئة العمليات، وحتى ما حدث من وقوع ل١١٦ مشاة ميكانيكي في الكمين لم تعلم القيادة العامة به إلا بعد مدة طويلة.

وتساءلت: أين نشاط قواتنا الجوية؟

وسألت قائد مجموعة المعاونة الجوية في قيادة الجيش الثاني عنها، فقال إن المعاونة الجوية تأتي الآن رأسًا من القيادة العامة للقوات المسلحة ولا نشعر بها.

هذه نقطة مهمة تحتاج إلى أكثر من استفسار!

قرار وزير الحربية الأول

فوجئت، ولم يمضِ على وصولي إلى مركز القيادة إلا دقائق، باللواء أ.ح تيسير العقاد يعرض عليَّ قرار القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية، المشير أحمد إسماعيل علي، الذي أرسلته القيادة العامة إلى قيادة الجيش الثاني قبل وصولي إليها بدقائق قليلة.

وكان القرار سعت ١٥٤٥ يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣:

- تثبيت العدو أمام الفرقة ١٦ مشاة ومنعه من التقدم شمالًا.
- اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكي يتغلب على المقاومة التي أمامه ويستولي على الساتر الترابي والمصاطب على الشاطئ الغربي للقناة.
- اللواء ٢٣ مدرع ومعه كتيبة مظلات يصل للتمركز في منطقة طريق الإسماعيلية-القصاصين (استراحة عثمان أحمد عثمان).
- الجيش الثالث الميداني يدفع اللواء ٢٥ مدرع لضرب مؤخرة العدو في طولون شرقًا، بالتعاون مع الفرقة ٢١ المدرعة من رأس الشاطئ لتدمير العدو في ثغرة الاختراق.

فكرت كثيرًا في هذا القرار، وساءلت نفسي كيف يقوم ل١١٦ مشاة ميكانيكي بهذه المهمة، وما زالت أهم عناصره في منطقة كمين العدو قبل تقاطع طريق

أبو سلطان-السويس، واستشهد قائده، وليس لضباط اللواء أو جنوده خبرة سابقة بهذه المنطقة ولم تستطلع من قبل؟

وما هي المفارز المواجهة له من العدو؟ وما هي قدرتها؟ وكيف يحقق مهمته باحتلال المصاطب على الشاطئ الغربي للقناة وهي كثيرة؟

وما هي المعاونة الجوية التي ستسانده في هذه العملية؟ والقيادة العامة للقوات المسلحة تعلم تمامًا، ولا يمكن أن تتجاهل التفوق الجوي للعدو في هذه المنطقة، وإن كتائب الصواريخ أرض-جو في هذا القطاع بالكامل قد فقدت كفاءتها إن لم تكن قد دمرت!

١ ـ القيادة والسيطرة

تعتبر القيادة والسيطرة في منطقة الثغرة مفقودة أو غير محددة المعالم. فقائد الفرقة ٢٣ مشاة الميكانيكية، العميد أ.ح أحمد عبود الزمر، تحرك صباح يوم ١٦ أكتوبر من مركز قيادته شمال الإسماعيلية إلى منطقة تمركز اللواء ١١٦ مشاة جنوب الترعة لمواجهة الموقف الصعب الذي وقع فيه اللواء في أول اشتباك مع العدو غرب القناة، وهو الكمين الذي عطل تقدم اللواء إلى الدفرسوار. ولم يكن هناك أي اتصال لاسلكي بين قيادة الجيش الثاني وقائد الفرقة في هذا المكان، وتمكنت عناصر إشارة الجيش من تأمين الاتصال مع العميد الزمر حوالي الساعة السادسة مساء، وقد أسعدني سماع صوته وأخطرني بالموقف الكامل للواء ١١٦ واستشهاد العقيد أ.ح حسين رضوان قائد اللواء، وعدد من الأفراد، وتدمير بعض المركبات. كما أفاد أن العدو هاجم الكتيبة ٣٥٠ من قوة اللواء في منطقة تقاطع طريق سيرابيوم مع طريق الإسماعيلية بقوة كبيرة من الدبابات وأصيب قائد الكتيبة.

وأخطرته بقرار وزير الحربية مع إضافة إجراء مهم، وهو أن تتحرك عناصر المشاة سيرًا على الأقدام لتطهير المنطقة على محور جانبي الطريق، وتمنيت له ولرجاله التوفيق. ولم أكن أعلم أنها آخر محادثة لنا، فقد استشهد بعد ساعات. رحمه الله فقد مات بطلًا شجاعًا.

وهكذا اتضح لي أن القيادة والسيطرة مفقودة في منطقة ثغرة الدفرسوار غربًا،

وكذا في القطاع الغربي كله جنوب الإسماعيلية حتى فايد، وفي العمق حتى طريق الإسماعيلية-أبو سلطان-القصاصين، برغم وجود قائد الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكية بالمنطقة. ولكنه لم يكن لديه أجهزة قيادة وسيطرة تُمكِّنه من السيطرة على الموقف بهذه المنطقة، فقررت نقل قيادة الفرقة ٢٣ مشاة إليه من أماكنها شمال ترعة الإسماعيلية، وأصدرت أوامري فعلًا بذلك مساء يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، ولكن حدث تأخير في تنفيذ الأوامر لم يُمكِّن قيادة الفرقة من الوصول إلى المكان الجديد في الوقت المناسب، فقد تطور الموقف واتسعت الثغرة وازداد عمق الاختراق المعادي.

وقد فكرت أيضًا في سحب قيادة الفرقة ٢١ المدرعة من الشرق لتعود إلى مكانها القديم غربًا، حيث يستطيع قائدها السيطرة على الموقف في منطقة الاختراق لمعرفته الجيدة بالأرض فيها، ولكن رُفض اقتراحي كما رُفضت كل اقتراحاتي لتكوين احتياطي أو إعادة التوازن في قطاع الاختراق!

٢ ـ موقف محير

الحقيقة أنني مررت بموقف لا أحسد عليه، فالقيادة العامة تصدر قرارات خطيرة وسريعة دون الرجوع إلى قائد الجيش الذي يجب أن يقدر الموقف التقدير السليم المبني على الحقائق ثم يتخذ القرار المناسب.

ولكني وضعت في موقف محير حقًّا جعلني أعود بالذاكرة إلى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٧١ في نهاية عام الحسم كما سماه الرئيس السادات، حيث صدر أمر نقلي من قيادة الجيش الثاني على غير رغبة مني، بل طلبت من الوزير شخصيًّا عدم رغبتي في النقل، ولكنني فوجئت بالنقل. والحمد لله فقد أراد الله لي أن أعود مرة أخرى لهذا المنصب الذي أحببته، ولكنه اختبار قاسٍ!

هناك ثغرة في الدفاعات غربًا نفذ منها العدو بقوة وعناد، واستطاع السيطرة على منطقة كبيرة غرب القناة في الثغرة بين الجيشين الثاني والثالث.

ثم مرض القائد السابق للجيش وعدم تمكنه من مواصلة القيادة، وهو ومعه رئيس أركان الجيش أدرى مني بالموقف: لماذا هذا الاختيار؟ هل هو اختبار ثقة، أم لأني أعرف كل تفاصيل الأرض في الجيش الثاني؟ وربما هناك سبب آخر أهم

من وجهة نظري، وهو حبي الكبير لرجالي وأنهم يبادلونني هذا الحب! أو لتوريطي في مسؤولية الثغرة كما قال لي الفريق الشاذلي بعد انتهاء القتال! الله وحده أعلم، وعمومًا فقد كنت سعيدًا بالعودة، أفلا أكون عبدًا شكورًا؟!

٣ ـ تعليق مؤرخ عسكري

اطلعت على ما كتبه اللواء أ.ح جمال حماد في مجلة أكتوبر الأسبوعية، والذي كان قائدًا للواء ١٨ مشاة بمنطقة العريش عام ١٩٦٠، وكنت قائدًا للكتيبة ٥٢ مشاة التي كانت تحتل منطقة أم قطف-أبو عجيلة في سيناء بعد عدوان ١٩٥٦، ولنا معًا ذكريات كثيرة. المهم أن عنوان هذه المقالة التي أريد أن أشير إليها هو:

مأزق قيادة الجيش الثاني بعد مرض سعد مأمون وتحولات المعركة

وفي سرد أحداث هذا المأزق ـ كما سماه ـ أَوضح حقائق الموقف بأمانة، وقال:

> وبرغم اعترافنا بكفاءة اللواء عبد المنعم خليل وقدراته العسكرية والذهنية، وبرغم اقتناعنا بصفاته الشخصية ومؤهلاته التي جعلت منه قائدًا ناجحًا ومحبوبًا في مختلف المناصب التي تولاها، فإن تعيينه قائدًا للجيش الثاني بهذه الطريقة المفاجئة وإرساله رأسًا من القاهرة إلى ميدان القتال ليتولى قيادة الجيش في أخطر مرحلة من مراحل الحرب دون أن يكون له اتصال سابق بمجرى العمليات في ساحة القتال، أو يكون على دراية بالموقف المتدهور الذي بات عليه أن يواجهه، هو خطأ كبير بلا شك وفيه إجحاف باللواء عبد المنعم خليل وتاريخه، لأنه لا يعني سوى أنه قد أُرسل ليواجه الفشل الذي لم يرضَ أحد من القادة الكبار أن يواجهه.

قيادة قوات رأس الشاطئ

اتصل بي القائد العام للقوات المسلحة ضمن المرات الكثيرة التي اتصل بي فيها من خلال التلفون السري، برغم أنه لم يمضِ على وصولي إلى قيادة الجيش إلا ساعة واحدة فقط، ووجه لي اللوم لأني لم أعين أحدًا من القادة لقيادة قوات رأس الشاطئ! ولقد تصورت أنه أرهقته الأحداث، فقلت له:

ـ أنا عبد المنعم خليل ولم يمضِ على وصولي هنا إلا ساعة!

ولكنه طلب مني سرعة تعيين اللواء تيسير العقاد قائدًا لرأس الشاطئ ويتحرك

فورًا وأخطره بمجرد وصوله إلى هناك، ولما ناقشته في الأمر وأني في حاجة إلى اللواء تيسير معي، قال:

ـ عندك اللواء فاروق سالم رئيس العمليات وهو في الصورة.

وكان لا بد لي من تنفيذ الأوامر.

وتحرك اللواء تيسير إلى الشرق فورًا ومعه عناصر قيادة وسيطرة، ووصل إلى رأس الشاطئ حوالي منتصف الليل، وأخطرت الوزير بوصوله فقال لي:

ـ كان يجب إرساله من زمان!

ولن أستطيع أن أترك هذه اللحظة تمر دون أن أشير إلى ما حدث فعلًا في قطاع رأس الشاطئ قبل وصولي إلى قيادة الجيش الثاني. فالمفروض أن يتولى قيادة قوات رأس الشاطئ أقدم القادة، وفعلًا كان العميد أ.ح عبد رب النبي الأقدم وتولى القيادة، ولكنه أصيب وأُخلي للخلف وتولى قيادة الفرقة العميد أنور حب الرمان، فظهرت مشكلة قيادة قوات الفرقتين لتنظيم التعاون في هذه اللحظات الحرجة، والقتال مستمر والعدو يضغط بكل قواه على أجناب رأس شاطئ الفرقتين!

وعلمت بعد وصولي إلى القيادة بالإسماعيلية أن موقف القيادة في رأس الشاطئ غير واضح وأنه من الصعب إدارة العمليات بين قيادتين غير متعاونتين، والعدو في صراع مع الوقت ويسعى جاهدًا لتوسيع ثغرة الاختراق شرقًا ليسمح هذا الاتساع بعبور قواته غربًا بحُرية. وقد يكون هذا ما دفع القائد العام إلى إصدار أمره لي بإرسال اللواء تيسير للشرق لقيادة القوات هناك.

١ ـ الضربة المصرية المضادة

قررت القيادة العليا توجيه ضربة قوية للعدو الإسرائيلي في قطاع الاختراق غرب قناة السويس، على أن تكون الضربة صباح يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣. ولكن حدث اختلاف في وجهات النظر بين وزير الحربية ورئيس الأركان عن اتجاه الضربة!

كانت وجهة نظر الوزير هي توجيه الضربة من الشرق بواسطة اللواء ٢٥ مدرع، تعاونه الفرقة ٢١ من اتجاه الجنوب وعناصر اللواء ١١٦ من الغرب ومعها وحدات الصاعقة.

وكانت وجهة نظر الفريق الشاذلي أن تكون الضربة مركزة أكثر من الغرب

وبقوات أكثر من لواء مدرع، وجاء اقتراحه بسحب عناصر من الفرقة المدرعة من الشرق، وكذا اللواء ٢٥ مدرع من قطاع الجيش الثالث وتوجه الضرب بقوة ٢ لواء مدرع من اتجاه غرب القناة إلى الشمال الشرقي، وفي الوقت نفسه يقوم اللواء ١١٦ مشاة تعاونه وحدات الصاعقة واللواء ٢٣ مدرع من قطاع الجيش الثاني بتوجيه ضربة ثانوية من الغرب إلى الشرق، بينما تقوم الفرقة ٢١ مدرعة من مواقعها شرقًا بتوجيه ضربة إلى جنب العدو في اتجاه الجنوب بهدف إغلاق الطريق المؤدي إلى الثغرة من الشرق.

وللتاريخ أوافق الفريق الشاذلي على وجهة نظره هذه، وأضيف عليه ما قررته بعودة اللواء ١٥ المدرع من رأس شاطئ الفرقة ١٨ بالقنطرة شرق إلى الغرب ليكون الاحتياطي الوحيد لديَّ. وبالطبع لم يصدَّق على قراري هذا أيضًا!

وأصدر القائد العام أوامره بدفع اللواء ٢٥ مدرع من رأس شاطئ الجيش لتوجيه الضربة ضد مؤخرة العدو في ثغرة الاختراق شرقًا، تعاونه الفرقة ٢١ مدرع من مواقعها في اتجاه الجنوب. وقد تعرض هذا اللواء لكمائن العدو المدرعة والتي تغطيها وتحميها الطائرات الإسرائيلية مع التركيز المدفعي والصواريخ، فلم يستطع مواصلة التقدم، وتكبد خسائر كبيرة، وارتد إلى رأس شاطئ الجيش الثالث.

٢ ـ موقف الفرقة ٢١ المدرعة

دفعت الفرقة ٢١ مدرع صباح يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ من خط الدفع داخل رأس شاطئ فر ١٦ مشاة في اتجاه الطاسة على الطريق الأوسط، وتعرض اللواء الأول المدرع في الجانب الأيمن من خط الدفع إلى نيران أسلحة مضادة للدبابات من احتياطي مضاد للدبابات طائر محمل على طائرات هليكوبتر، كما تعرض لإغارات جوية مركزة من الطائرات الإسرائيلية الفانتوم والميراج، ومن كمائن مدرعة للعدو في مواقع سابقة التجهيز أحدثت به خسائر وهو ما زال في طريقه للفتح إلى تشكيل القتال. واستشهد قائد اللواء، واضطُرت أطقم بعض الدبابات إلى ترك دباباتهم من شدة وعنف الهجوم الجوي واحتراق الدبابات من الأسلحة المضادة للدبابات، وهكذا فقدت الفرقة ثلث قوتها الضاربة. وقد استخدمت الفرقة ستارة دخان في تقدمها ساعدت على فقد السيطرة والاتجاهات!

أما بالنسبة للواء ١٤ مدرع من الفرقة ٢١ مدرع، فقد تعرضت عناصر فيه للأسلحة المضادة للدبابات والقصف الجوي المعادي في منطقة رأس الشاطئ، الذي كان يضم أساسًا الفرقة ١٦ مشاة، ودفعت الفرقة ٢١ مدرع خلاله. حدث هذا الارتباك عندما ارتدت بعض الدبابات من عناصر الفرقة ٢١ مدرع من الأمام للخلف تحت ضغط من نيران العدو العنيفة. ولما هدأت المعركة أرسلنا جماعات لسحب الدبابات، وقامت إدارة المدرعات مشكورة، وكان على رأسها اللواء أ.ح كمال حسن علي، بتجميع أكبر عدد من السائقين، وتم بحمد الله سحب عدد كبير من هذه الدبابات ومن دبابات العدو سالمة إلى غرب القناة.

أما اللواء الثالث من الفرقة ٢١ المدرعة وهو اللواء ١٨ مشاة ميكانيكي، فقد تعرض أيضًا لضغط العدو من الجانب الأيمن لرأس شاطئ الفرقة ١٦ مشاة، وتحمل كثيرًا من الخسائر سواء من الضرب الجوي المُركَّز أو مدفعية العدو أو من محاولات دبابات العدو للاختراق لتوسيع ثغرة رأس الشاطئ شرقًا، حتى تمكنت قوات العدو من إقامة الجسور للعبور غربًا لتعزيز قوات الاختراق في ثغرة الدفرسوار.

وقد ارتد هذا اللواء للخلف قليلًا، فقد نجحت هجمات العدو المركزة في زحزحته من مواقعه الدفاعية السريعة التجهيز، وبذا فقد هذا اللواء أيضًا جزءًا غير قليل من كفاءته القتالية، برغم أنه قاتل ببسالة وشجاعة.

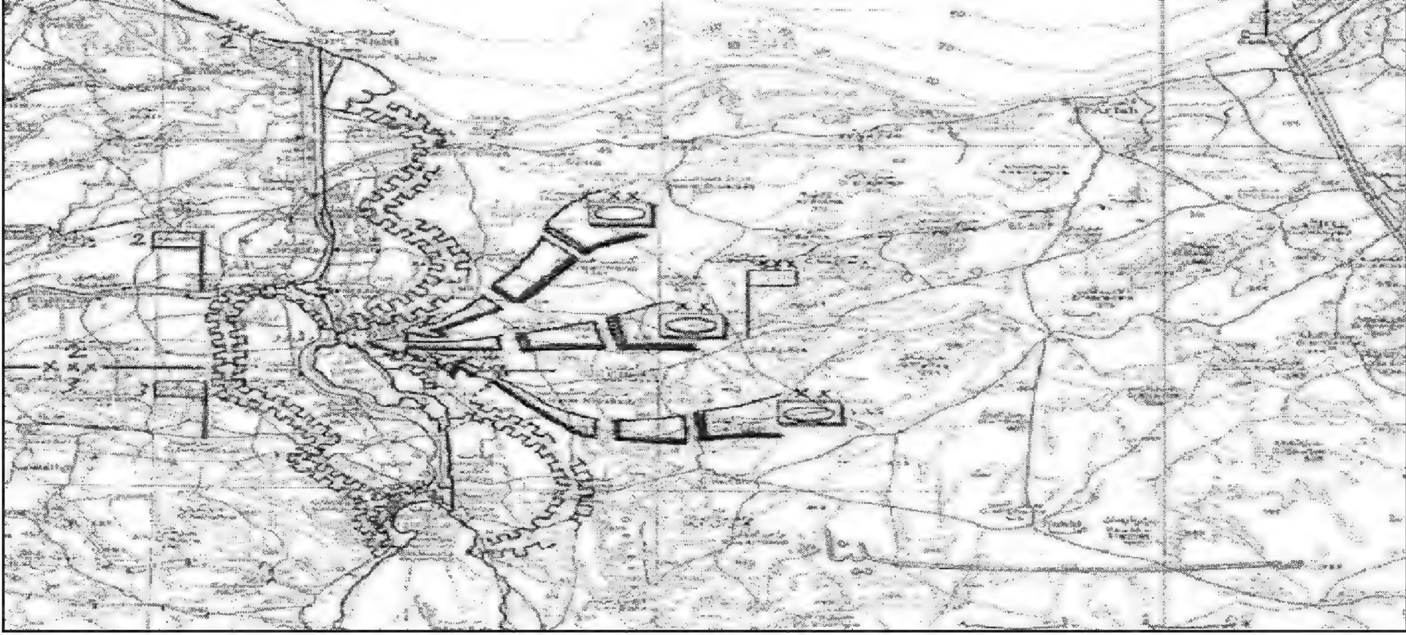
وقد أصدرت أوامر إلى العميد عرابي بتنفيذ قرار وزير الحربية الخاص بمعاونة اللواء ٢٥ مدرع، وأنا على يقين أنه في موقف لا يسمح له بتنفيذ هذه المهمة! وبرغم هذا فإني أقرر أن قوات الفرقة ١٦ مشاة وكذا قوات الفرقة ٢١ مدرع قاتلت بشرف وبسالة وصمود برغم ما تعرضت له من هجمات جوية وبرية ونيران مدفعية من العدو الإسرائيلي الذي كان يصر على توسيع ثغرة الاختراق شرقًا حتى تتمكن قواته الأخرى من العبور غربًا.

٣ ـ محاولة تكوين احتياطي لقائد الجيش

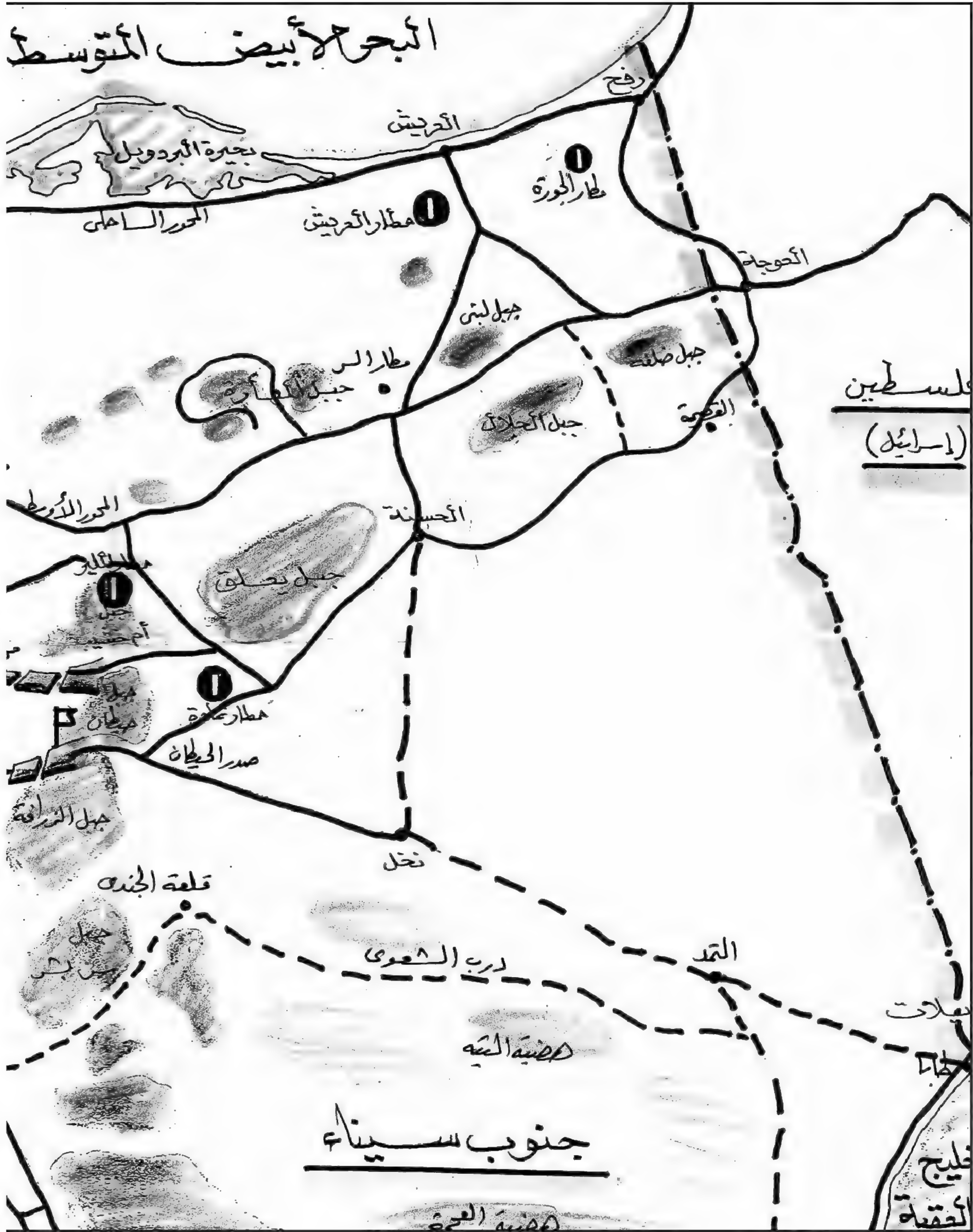
طلبت من هيئة عمليات القوات المسلحة بعد غروب شمس يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ دفع لواء مظلات لتكليفه بمهمة تأمين الضفة الغربية للقناة ما بين جنوب الدفرسوار وحتى جبل مريم، وهذا الجبل مقام عليه نصب تذكاري لموتى الحرب

العالمية من الإيطاليين، وهو موقع مسيطر سيطرة تامة على المنطقة حوله لمسافات واسعة شرق وغرب قناة السويس، واحتلاله بقوة يؤمن مدينة الإسماعيلية، كما تستطيع القوات التي تحتله من تأمين المنطقة غرب رأس شاطئ الفرقة ١٦ والفرقة ٢١، وهذا يمكنني من إعادة تجميع عناصر اللواء ١١٨ المشاة الميكانيكي لينفذ مهمته الأساسية في تأمين قطاع مدينة الإسماعيلية ويعمل كاحتياطي لقائد الجيش الثاني غرب القناة، كما أصدرت أوامري بسحب إحدى كتائبه المدعمة للفرقة الثانية المشاة شرقًا، وللأسف لم يصدَّق على طلبي السابق. كما اتخذت قرارًا بسحب اللواء ١٥ مدرع المستقل الموجود في قطاع الفرقة ١٨ مشاة بالقنطرة شرق ليقوم بواجبه القديم في الخطة الدفاعية السابقة لقرار العبور، وهي مهام كان مكلفًا بها من قبل ومدربًا عليها تدريبًا واقعيًّا.

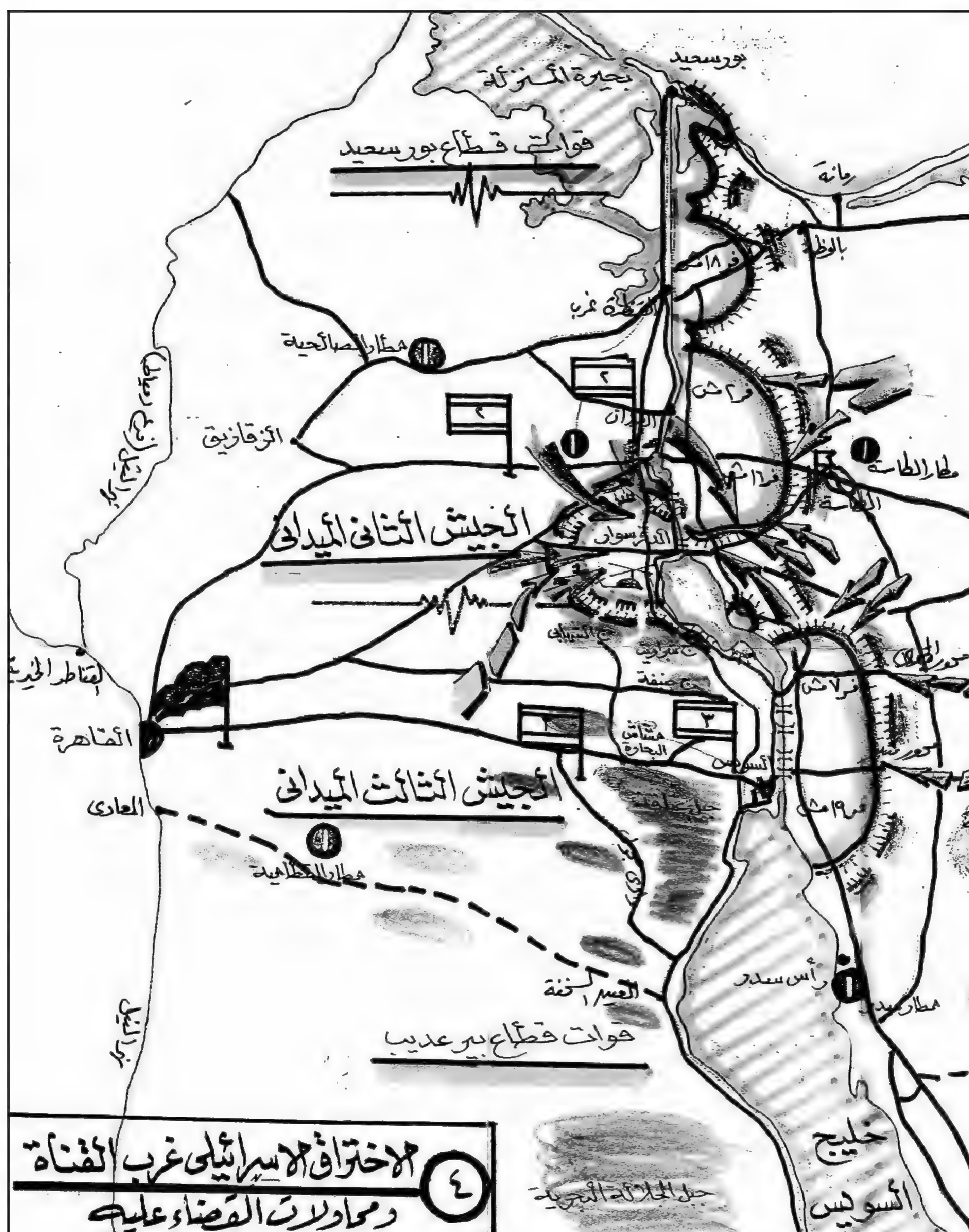
ولم يصدَّق على قراري هذا أيضًا! بل أخطرني وزير الحربية الفريق أول أحمد إسماعيل بأن هذا ضد رغبة رئيس الجمهورية، وأنه لا يوافق على سحب أي وحدات من الشرق إلى الغرب، وأنه «زعلان مني»! وكيف أقود قوات وأتحمل مسؤولية تطهير ثغرة الدفرسوار وتأمين قواتي وصد هجمات العدو بدون احتياطي في يدي كقائد جيش؟



ليلة ١٥-١٦ أكتوبر ١٩٧٣، نفذ العدو خطة الغزالة المدرب عليها منذ ١٩٦٨ (ثغرة الدفرسوار)



البحر الأبيض المتوسط
رفح
العريش
بحيرة البردويل
مطار الجورة
مطار العريش
المحور الساحلي
الكونتلا
جبل لبنى
جبل ضلفة
مطار السر
جبل يلاق
فلسطين
(إسرائيل)
القصيمة
المحور الأوسط
الحسنة
جبل يعلق
أم خشيب
مطار عالوة
صدر الحيطان
جبل الراحة
نخل
قلعة الجندي
التمد
درب الشعوي
هضبة التيه
جنوب سيناء
خليج العقبة



الاختراق الإسرائيلى غرب القناة
ومحاولات القضاء عليه

الفصل السادس عشر

تطور الموقف بعد يوم الثغرة

موقف العدو الإسرائيلي

استمر تدفق القوات الإسرائيلية المدرعة غربًا على الجسور والمعديات التي أقامها المهندسون الإسرائيليون، وقد تمكنت المدفعية المصرية من إصابة عدد كبير من المركبات والدبابات والأفراد أثناء العبور غربًا، وتعطل العبور على فترات تفاديًا لنيران المدفعية. وبرغم هذا فقد وصلت القوات الإسرائيلية إلى منطقة شريط المزروعات الموازي لقناة السويس ولترعة الإسماعيلية السويس الحلوة، واستخدمت المعابر الكثيرة المقامة على هذه الترعة، وتسربت سرايا من دبابات العدو ومشاته الميكانيكية إلى الأرض المفتوحة غربًا، وتمكنت من الإغارة على مواقع الصواريخ المصرية المضادة للطائرات، وكذا مرابطي المدفعية في منطقة نصف قطرها حوالي ١٠ كيلومترات، وتمكنت من تدمير وإسكات عدد منها. وقد استخدمت في عبور الترعة الحلوة المخاضات التي سبق لنا تجهيزها بالدبش والحجارة من قبل.

ومع آخر ضوء يوم ١٧ أكتوبر أصبح للعدو في منطقة الاختراق غربًا حوالي ٢٥٠ دبابة مستعدة للقتال من صباح اليوم التالي.

كما نشط الطيران الإسرائيلي نشاطًا كبيرًا على قوات رأس الشاطئ المصري شرقًا، خاصة قطاع الفرقة ١٦، ٢١، وكذا في قطاع الاختراق غربًا، وحدث اشتباك جوي كبير مع القوة الجوية المصرية التي قامت بأعمال فدائية تستحق التقدير أحدثت خسائر كبيرة في قوات العدو وخسرنا عددًا من الطائرات.

موقف قواتنا

لم تكن الصورة واضحة عن موقف قوات العدو في الغرب، ولم تصلني معلومات كافية تحدد بالضبط أين قوات العدو وما هي قدراتها.

وبرغم هذا كانت قواتنا تقاتل بإصرار وعناد، كبدت المدرعات الإسرائيلية بعض الخسائر، ولكن التفوق الإسرائيلي في المدرعات، تعاونها القوات الجوية الإسرائيلية التي سيطرت على المنطقة بعد تدمير وإسكات معظم كتائب الصواريخ المضادة للطائرات بالمنطقة، لم تمكن قواتنا من الهجوم، واتخذت أسلوب الكمائن والدفاع في مواقع محصنة إلى حد ما، والتي كانت تستخدمها قواتنا قبل العبور شرقًا. وظلت عناصر من المجموعة ١٢٩ صاعقة تقاتل بالقرب من مطار الدفرسوار لمدة أكثر من ٧٢ ساعة قتالًا ضاريًا لآخر طلقة وآخر رجل.

أما قوات رأس الشاطئ المصري شرقًا فكانت في اشتباك مستمر مع العدو الذي كان يحاول في عناد وإصرار الضغط على الجانب الأيمن لجناح الجيش الثاني شرقًا، كما تعرضت هذه القوات لقصف طائرات العدو ونيران مدفعيته، وبرغم هذا فقد صمدت في مواقعها تعاونها مدفعية الجيش الثاني بالكامل والتي كبدت العدو خسائر كبيرة في معداته وأفراده وأوقفت هجمات العدو المتكررة.

ولم تستطع الفرقة ٢١ مدرع معاونة هجوم اللواء ٢٥ مدرع حسب أوامر وزير الحربية نظرًا لظروف اشتباكها المستمر مع العدو.

أما باقي مواجهة الجيش حتى بورسعيد، فكان موقفها هادئًا نسبيًّا إلا من بعض الاشتباكات بنيران المدفعية من الجانبين، وتحسينًا للمواقع من جانب قواتنا دفعت القيادة العامة اللواء ٢٣ مدرع التابع للفرقة الثالثة مشاة إلى منطقة الجيش الثاني، الذي وصل إلى منطقة تقاطع طريق الإسماعيلية القصاصين بعد منتصف ليلة ١٦-١٧ أكتوبر، كما دفعت أيضًا اللواء ١٥٠ مظلات للجبهة بمهمة محددة والذي كنت قد طلبت دفعه منذ وصولي ولكن لم يصدَّق على قراري في أول الأمر.

قرار وزير الحربية الثاني

في الساعة ١٦٤٥ يوم ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ أصدر وزير الحربية القرار التالي:

- يدفع اللواء ٢٣ مدرع لتوجيه ضربة مضادة في اتجاه الدفرسوار دون توقف وبأسرع ما يمكن ودون الاشتباك بأي مقاومات وتقبل الخسائر من الكمائن بمهمة.
- تدمير العدو في منطقة الدفرسوار واحتلال المصاطب على الضفة الغربية لمسافة ٥ كيلومترات شمالًا من الدفرسوار.
- منع أي قوات معادية من عبور القناة أو عبر البحيرات المُرة غربًا.
- يدفع اللواء أمامه سرية استطلاع.
- كتيبة مشاة ميكانيكية تعمل كمقدمة وباقي اللواء يعمل في مجموعات.

حاولت مراجعة وزير الحربية في هذا القرار لصعوبة تحرك هذا اللواء ليلًا من منطقة تمركزه ولم يحصل قائده على معلومات كافية عن العدو المحتمل أن يقابله، ولم يكن له دراية تامة بالأرض في هذه المنطقة ولم يتسنَّ له ولقادته استطلاع الأرض، وطرق التقدم والمناطق المحتمل مقابلة العدو بها، ونصحت بإعادة التفكير في هذا القرار ونجحت في إقناع الوزير بالتأجيل ٢٤ ساعة.

وعدل الوزير القرار وجاء في صيغة تعليمات كالآتي:

- يدفع اللواء ٢٣ مدرع عدا كتيبة سعت ٦٣٠ يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ لتدمير العدو المتسرب في منطقة الدفرسوار.

أصدرت تعليمات كتابية إلى العميد الزمر قائد هذا القطاع لتنفيذ قرار وزير الحربية، وحملها له اثنان من ضباط فرع عمليات الجيش الثاني وأخطروني بوصول هذه التعليمات إليه حوالي منتصف ليلة ١٧-١٨ أكتوبر. وبالطبع لا يمكن أن تتم إجراءات معركة للواء في الهجوم في هذا الوقت الضيق وليلًا.

دفع اللواء ٢٣ مدرع

وقبل سعت ٦٣٠ من صباح يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ اتصلت بوزير الحربية أطلب منه التصديق على تأخير توقيت الهجوم نصف ساعة حتى ينقشع الضباب الكثيف في

المنطقة، وبعد تردد، وافق. وحتى اللواء الجمسي رئيس هيئة العمليات أخطرنا بأن الضباب يمنع خروج طلعات الطيران التي خصصت لمعاونة هذا اللواء في هجومه بالتمهيد النيراني من الجو، وأخطرني بالاعتماد على المدفعية في التمهيد. وهذا بالطبع يضعف إمكانيات الهجوم، وللأسف الشديد تعرض هذا اللواء المدرب تدريبًا راقيًا إلى هجمات جوية معادية عنيفة ومركَّزة، وطالبت القيادة العامة بحمايته جوًّا بطلعات من طائراتنا والتي مفروض أنها خصصت لذلك، حتى يمكن مواصلة التقدم وتنفيذ المهمة. وللأسف وصلني بلاغ من ضابط اتصال الجيش الثاني مع اللواء ٢٣ مدرع يفيد بأن اللواء تشتت.

وكان بلاغًا مثيرًا مخيفًا!

واتصلت فورًا بالقيادة العامة للقوات المسلحة لتأخذ مسؤولية تأمين المحور الرئيسي إلى القاهرة من تقاطع طريق الإسماعيلية-أبو سلطان-القصاصين بوحدات من الجيش الثالث الميداني، لأن الموقف في منطقة أبو سلطان أصبح خطيرًا بعد فشل اللواء المدرع في تنفيذ مهمته وحدثت به خسائر كبيرة ونجاح دبابات العدو تحت مظلة جوية من التسلل غربًا.

واستجابت القيادة العامة لهذا المطلب وتم دفع لواء مدرع وعناصر من قيادة الفرقة الرابعة المدرعة بقيادة العميد أ.ح عبد العزيز قابيل إلى المنطقة لإيقاف تقدم العدو غربًا، ونجحت الخطة والحمد لله.

فترة محيرة: ١٨-٢٠ أكتوبر ١٩٧٣

١ ـ وصول الفريق الشاذلي

تمكن العدو من إيقاف هجوم اللواء ٢٣ مدرع وكذا أعمال قتال «ل ١١٦» مشاة ميكانيكي وتكبدت قواتنا خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات، وفقدنا عددًا كبيرًا من دبابات اللواء المدرع، واستغل العدو الموقف ونجح في تطويق واقتحام موقع طريق أبو سلطان-المعاهدة وواصلت قواته تقدمها تجاه تقاطع طريق أبو صوير-الإسماعيلية كما وصلت مفارز منها إلى الجنوب تجاه مطار فايد وشمالًا تجاه واحة المنايف.

ومرت ساعات نهار يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ في قتال عنيف مرير وساعات قلق

أعنف، وفي الساعة ١٧٠٠ وصل الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان القوات المسلحة المصرية إلى مركز قيادتي في الإسماعيلية وقال:

ـ طلب مني الرئيس السادات الحضور إلى الجيش الثاني وتولي المسؤولية.

ثم أخذ الوضع وأخطر الرؤساء الموجودين أن جميع الأوامر والتعليمات ستصدر منه شخصيًّا، حتى جميع اتصالات القادة تتم معه شخصيًّا.

وكان هذا أول إجراء لمحاولة شل قدرتي على قيادة قواتي والسيطرة عليها، والفريق الشاذلي شخصيًّا هو الذي اختارني قبل ٤٨ ساعة فقط لهذه المهمة الخطيرة.

٢ ـ استماع الشاذلي لتقارير الرؤساء

واتخذ مكانه بجواري أمام خريطة العمليات لدراسة الموقف مع رئيس عمليات الجيش ورئيس الاستطلاع وأنا أتابع الموقف ثم أتصل بقائد الفرقة ١٦ مشاة، وسأل:

ـ هل هناك سيطرة أم أعتبرها ٤٠٪؟

وقال:

ـ كل من يترك محله يضرب بالنار!

ثم قال:

ـ قول للكسار عمك بتاع الكونغو يقطع رقبتك. (يقصد عقيد أ.ح محمد الكسار قائد اللواء الثالث مشاة من الفرقة ١٦ مشاة).

ثم كان اتصاله بالعميد أ.ح إبراهيم العرابي قائد الفرقة ٢١ مدرع وقال له:

ـ الرئيس معنا طول النهار وإسرائيل تطلب إيقاف القتال، شكل جماعات فدائية ودمر بهم دبابات العدو. أي شخص ينسحب من مكانه يطلق عليه النار.. ما دام في آر بي جي (سلاح مضاد للدبابات فردي) سنقاتل، وهذه معركة مصر وشرفنا كلنا ويهمني تدمير العدو ولا تهمني الأرض.

واستمع إلى تقرير العميد أ.ح محمد عبد الحليم أبو غزالة، قائد مدفعية الجيش الثاني، عن موقف المدفعية في الجيش الثاني، ثم اتصل مرة أخرى بالعميد العرابي حسمًا لوضع القيادة في رأس شاطئ الفرقة ١٦ مشاة، حيث طلبت عودة اللواء تيسير العقاد رئيس أركان الجيش إلى عمله الأصلي، قائلًا له:

ـ من يكون عنده حجم أكبر من القوات يتولى القيادة. وطالما حب الرمان (يقصد العميد أنور حب الرمان قائد الفرقة ١٦ مشاة بعد إخلاء العميد

أ.ح عبد رب النبي حافظ يوم ١٦ أكتوبر لإصابته) عنده عدد أكبر فهو يتولى القيادة. أنا عاوزك يا عرابي تعمل كجندي لمصر.

ثم عدل الأمر مرة أخرى واتصل بالعميد أنور حب الرمان بأن يترك القيادة لعرابي، ثم عاد وأخطر عرابي بهذا!

واستمر اتصاله بقادة التشكيلات بعد سماعه تقرير بعض رؤساء القيادة.

٣ ـ قرارات الفريق الشاذلي

بعد أن استمع إلى تقارير الرؤساء وقام بالاتصال بقادة التشكيلات، أصدر رئيس أركان القوات المسلحة والمتولي مسؤولية القيادة القرارات التالية:

ـ قوات رأس شاطئ الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرع تحاول التمسك بمواقعها وتقوم بتدمير العدو الذي اخترق قرية الجلاء ومدق السواحل.

ـ يقوم اللواء ١٥٠ اقتحام جوي بتأمين الضفة الغربية للقناة بين تقاطع طريق أبو سلطان وتقاطع طريق سيرابيوم معينًا إحداثَي التقاطعين من الخريطة.

واتصل تلفونيًّا باللواء أ.ح الجمسي رئيس عمليات القوات المسلحة سعت ١٨٥٠ قائلًا له:

ـ الموقف غير ما كنا نتوقع.

أعطيت القيادة لعرابي وقلت لهم يصدوا فقط ولا يقوم بهجوم مضاد الآن.

المنطقة في الغرب بها عدو غير مسيطر عليه وإسماعيل (يقصد قائد اللواء ١٥٠ مظلات) حسم الموقف في جزء كبير من المنطقة.

لا يمكن التعامل مع عمليات الإبرار المعادية إلا بالمدفعية.

اللواء ١١٦ مشاة لا يوجد عنده غير كتيبة مشاة في منطقة طريق أبو سلطان– المعاهدة.

دبابات العدو تتحرك كما تريد وضربت مواقع كتيبة صواريخ مضادة للطائرات ومطار فايد وتبيت في ملاجئ ليلًا.

يجب توزيع آر بي جي على كتائب الصاعقة لأن العملية غير مسيطر عليها.

موقف حسن أبو سعدة (يقصد قائد الفرقة الثانية المشاة) سليم، ولو أننا أخذنا منه المدرع (يقصد اللواء ٢٤ مدرع وهو احتياطي قائد الجيش شرقًا وقد دفع جنوبًا لمعاونة قوات رأس الشاطئ).

فؤاد عزيز (يقصد قائد الفرقة ١٨ مشاة بالقنطرة) موقفه كويس.

نريد منع موقف عبد ربه من الانهيار (يقصد رأس شاطئ الفرقة ١٦ مشاة شرقًا).

ثم قال له:

ـ نحن نتصرف على أساس الموجود. عاوز الماحي يكلمني (يقصد مدير المدفعية) واحد مشاة على قابيل. ابعث لي اثنين للإسماعيلية. جهز ثلاثة وأربعة للتحرك على الطريق الزراعي.

الحقيقة أني لم أفهم من هذا شيئًا وهو بدوره لم يحاول تفسير ذلك لي: قد تكون أسرارًا عُليا! وأصدر الفريق الشاذلي تعليماته إلى رئيس مهندسي الجيش الثاني، العقيد أ.ح مهندس عصمت محمد، لتنفيذ الأعمال الهندسية الآتية قبل أول ضوء يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣:

ـ نسف الكوبري الحجري وعدد ٢ كوبري بيلي على الترعة الحلوة.

ـ تلغيم المخاضات في ترعة الإسماعيلية السويس الحلوة.

ـ رفع كوبري بيلي على الترعة الحلوة بمنطقة فايد.

ـ تجهيز مطار فايد للنسف وينسف.

وبالطبع لم ينفذ رئيس المهندسين هذا لتواجد العدو بالمنطقة.

وفي اتصال تلفوني مع وزير الحربية سمعت الفريق الشاذلي يرد عليه قائلًا:

ـ وحدات اللواء ١٥٠ مظلات تقاتل فيما قبل المصطبة الأخيرة وباقي واحدة فقط!

ثم قال إن جنب عرابي (يقصد الفرقة ٢١ مدرع) مؤمن تمامًا، ثم قال في ثقة:

ـ باكر سنعمل مجزرة لدبابات العدو.

وانتهت المكالمة مع وزير الحربية، ولم يعلق على ما دار من الوزير إليه، وذهب إلى الاستراحة بعد منتصف الليل بقليل، وتوليت القيادة وتابعت الموقف.

٤ ـ مجموعة الرفاعي

وقبيل فجر يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ فوجئت بالعقيد إبراهيم الرفاعي قائد مجموعة عمليات خاصة واقفًا أمامي، وكان قد خدم تحت قيادتي في قطاع الجبل الأحمر بالجوف العلوي لليمن عندما كان قائدًا لكتيبة صاعقة.

وقال لي بعد التحية إنه كلف بمهمة خاصة من القائد الأعلى الرئيس السادات وسيتوجه بمجموعته مباشرة إلى منطقة عمله في الدفرسوار لإنهاء الموقف

بطريقته الخاصة. واستمعت له وهو يقول هذا السر الخطير وتمنيت له التوفيق، وفقط قلت له:

ـ لا يمكنك يا إبراهيم الوصول إلى فايد عن طريق الإسماعيلية–نفيشة ولا بالطبع عن طريق القناة، فهذه المناطق بها كمائن العدو، وأحسن طريق لمجموعتك هو تحركها إلى فايد من الخلف عن طريق القصاصين أو الجيش الثالث.

ولكنه رد عليَّ بثقة واعتزاز قائلًا:

ـ لا إحنا لنا طرق أخرى للوصول.

وكان الصباح قد لاح بالخارج، وحضر الفريق الشاذلي في لحظة انصراف الرفاعي إلى مهمته، وبدأ الهمس معًا عن هذه المهمة الخطيرة، وأعتقد أني فهمت أنها تدمير معبر العدو على قناة السويس عند الدفرسوار.

المهم بعد هذا قال له الفريق الشاذلي:

ـ لا تنفذ هذه المهمة.

والحقيقة أنني أعجبت بهذا القرار. وقال له:

ـ مهمتك هي تطهير العدو على طريق المعاهدة من جنوب نفيشة حتى تقاطع طريق سيرابيوم–الإسماعيلية، وتأمين منطقة التقاطع ثم القيام بعمليات إغارة ليلية على العدو الموجود بالمنطقة.

تحرك سعت ٩٠٠ يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ وخذ معك خريطة.

وتحرك الرفاعي غاضبًا، وكان هذا آخر لقاء لنا معه إذ استشهد رحمه الله بعد ساعتين من هذا اللقاء! وانتهت بذلك مهمة هذه المجموعة التي تولى قيادتها من بعده طبيب المجموعة.

٥ ـ تطور الموقف غربًا وشرقًا

بدأ الموقف يتطور من سيئ إلى أسوأ والفريق الشاذلي ما زال يتولى القيادة والعدو يتدفق غربًا وينتشر في المنطقة غرب قناة السويس وجنوب الإسماعيلية–نفيشة.

وفي مكالمة من الفريق الشاذلي للوزير أحمد إسماعيل قال له بالحرف الواحد:

ـ بدأ العدو ينتشر بقوة في منطقة فايد وسيرابيوم ويعيث في الأرض فسادًا.

ولم تكن الساعة قد جاوزت العاشرة والربع صباحًا، وكان للعدو أكثر من لواءين

مدرعين في الغرب وقد سيطر على مطار الدفرسوار، وانسحبت الكتيبة الكويتية ووصل العدو فايد واحتل معسكر قادش وله قوات مدرعة تتجه من سيرابيوم إلى الإسماعيلية!

وسمعت مكالمة من الفريق الشاذلي إلى العميد العرابي سعت ١٠٤٢ يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣ يقول له:

ـ الموقف أصبح سيئًا للغاية في الغرب والشرق. ماذا نستطيع أن نفعل؟

وبالطبع لم يخطرني برد عرابي عليه في هذه اللحظات، ولماذا يخطره بهذه الأخبار السيئة في هذا الوقت بالذات؟

وكانت الكباري المقامة على الترعة الحلوة بالإسماعيلية مُعدة للنسف، وأصدر أوامره إلى رئيس عمليات الجيش الثاني بنسفها في حالة اقتراب العدو ومحاولته العبور إلى الإسماعيلية.

ثم اتصل بمَن يسمى السباعي وعلم أنه انسحب إلى مكتب مخابرات فايد، وطلب معرفة موقف المنيسي، والحقيقة للآن لا أعلم من هو المنيسي ومن هو السباعي! الله أعلم.

حتى قوات المظلات صدق الفريق الشاذلي على قرار قائدها بالارتداد قليلًا بعدما نجح العدو في استرداد مناطق الضخ وحنيدق. وأخطر الفريق الشاذلي عرابي بهذا الارتداد حيث كان مؤمنًا جانب الفرقة ٢١ مدرعة الأيمن.

وأخطر الفريق الشاذلي هيئة عمليات القوات المسلحة سعت ١٦٥٠ يوم ١٩ أكتوبر بملخص الموقف، وهي أن المصاطب كلها قد انضربت من الخلف وأن جانب عرابي الأيمن أصبح مهددًا خاصة بعد ارتداد قوات المظلات إلى طوسون، واعتبر أن كل كتائب الصواريخ والمدفعية في الغرب خسائر!

وأعطى أوامره إلى عرابي، قائد الفرقة ٢١ مدرعة، بالارتداد بجانبه الأيمن إلى طوسون، حتى تكون كتفه اليمنى مع قوات عزمي قائد لواء المظلات في الضفة الغربية.

٦ ـ فترات توليت فيها القيادة

وفي سعت ١٨٤٠ يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣، وصلت تعليمات عمليات من القيادة العامة للقوات المسلحة بدفع مفارز قوية لتأمين المناطق المهددة، وتدفع مجموعة

الصاعقة بالكامل إلى البحيرات المُرة! ولم أفهم ماذا يريدون، وأخطرت الفريق الشاذلي في الاستراحة بهذه التعليمات.

وبالتنسيق مع العميد أ.ح محمد عبد الحليم أبو غزالة أصدرت أوامري بقصف مدفعية مركزة من مدفعية الجيش الثاني على منطقة مطار الدفرسوار وعلى معبر الدفرسوار.

وقد نسقت هذا مع اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث الميداني، واشتركت مدفعيته بقيادة العميد أ.ح منير شاش مع مدفعية الجيش الثاني في هذا وشكرًا للمدفعية.

وفي المساء أخطرني قائد قطاع بورسعيد الجديد، اللواء أ.ح سعد الدين صبري، الذي عين قائدًا للقطاع بدلًا من اللواء عمر خالد الذي أدار عمليات قطاع بورسعيد خلال الأيام الأولى من حرب أكتوبر بنجاح، ولست أدري سر هذا التغيير في أثناء الاشتباك مع العدو.

وكان البلاغ يفيد بأن قنابل العدو الجوي تمكنت من فتح ثغرة في الترعة الحلوة، وتسربت المياه إلى قناة السويس، فأمرت المهندسين بقفل المياه الحلوة عند القنطرة غرب لإنزال المستوى في الترعة، وتعيين مجموعات إصلاح فورًا، وتم الإصلاح والحمد لله.

٧ ـ مجموعة أسامة

ووصلت في الساعة ٢٢٣٠ يوم ١٩ أكتوبر ١٩٧٣، المجموعة ١٣٩ صاعقة بقيادة العميد أ.ح أسامة ـ وتسمى «مجموعة أسامة» ـ بمهمة خاصة من القيادة العامة، وهي العمل في الاتجاه جنوبًا إلى البحيرات المُرة. ولما قابلني قائدها أعطيته صورة عن الموقف في المنطقة التي تعمل بها قواته وفكرة تامة عن الأرض في هذا القطاع وأسلوب القتال الذي تحتمه الظروف، وهي مجموعات قتال صغيرة وعناصر اقتناص طالما أن المهمة المكلف بها مطلوب تنفيذها فورًا، أي ليلًا، وأن التحرك بالسيارات ليلًا على هذه المدقات غير سليم وسيعرض قواته للخطر الجسيم. وبرغم اقتناعه بما أعطيته من خبرة، خاصة أنه لا يعرف الأرض في المنطقة وليس بيده إلا تنفيذ المهمة التي أعطاها له وزير الحربية، قال:

ـ أمرني وزير الحربية بالتنفيذ الليلة.

وتركني وقلبي يحدثني أنه ورجاله سيكونون صيدًا ثمينًا للعدو.

وبرغم هذا فقد اتصلت باللواء أ.ح محمد حسن غنيم نائب رئيس هيئة عمليات القوات المسلحة وأخبرته بالرأي في عمل مجموعة أسامة هذه الليلة بالذات. ولم يستطع أحد أن يفهم قصدي!

وأخطرت الفريق الشاذلي في الاستراحة، وكان قائدًا للقوات الخاصة وهو على دراية تامة بأسلوب أعمالها، وهو بدوره قال لي إنه قابل أسامة في الاستراحة وأفهمه أن يعمل في مجموعات سرايا أولًا ثم تزاد إلى كتائب على ضوء نتائج التقدم ومقاومة العدو!

وفي سعت ١١٥ يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣، أي بعد أن انطلق أسامة ومعه مجموعته لتنفيذ مهمة وزير الحربية، اتصل بي الوزير أحمد إسماعيل شخصيًّا وهو في انفعال شديد وهياج عجيب قائلًا:

ـ أنا بعت مجموعة صاعقة في مهمة معينة، ليه أنت منعتها من العمل؟ إحنا عاوزين ننهي الموقف بسرعة.

وكان ردي بأني لم أعطلها، وكل ما فعلته هو أني كنت أمينًا على إعطاء القائد صورة حقيقية للموقف، وخبرتي عن الأرض والقتال، وأني قلت له لن تستطيع تنفيذ هذه المهمة بهذه الطريقة السريعة ليلًا، «وكان الصبر ردائي» على حد قول الرسول القائد عليه الصلاة والسلام.

وفي هذه اللحظة بالذات أرى أمامي وجهًا لوجه العقيد أسامة قائد مجموعة الصاعقة، وقلت للوزير:

ـ هذا هو أسامة معك.

قال أسامة لوزير الحربية:

ـ لا يا سيادة الوزير، اللواء عبد المنعم لم يعطلني، لقد كلمني بأمانة ونصحني، ولكني اضطررت لتنفيذ الأوامر، وحدثت خسائر كثيرة في وحداتي، ودمرت العربات وتمكنت من التخلص من الكمين وانسحبت كيلو للخلف لضمان السيطرة.

ولم أعلق على هذه المكالمة أو أقول شيئًا سوى الحمد لله.

وأصدرت أوامري فورًا إلى العقيد أسامة بإعادة تجميع قواته، وحددت له مكانًا في معسكر الجلاء للراحة والاستعداد للعمل في نفس الاتجاه، وفي نفس المهام المكلفين بها حسب أوامر وزير الحربية والقائد العام!

وكان لصدمة هذه المكالمة بأسلوبها المؤلم من وزير الحربية لي في الساعات الأولى من صباح يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ أثر كبير في نفسي وما حدث من خسائر في مجموعة صاعقة شابة شجاعة، ولكن هذا الجرح العميق لمسته يد أرحم الراحمين، بأن أظهر الحق في لحظة كنت في أشد الحاجة إليه، والمفروض أن القائد المسؤول أمامهم الآن هو الفريق الشاذلي الذي ما زال موجودًا في قيادة الجيش وهو المتصرف الوحيد، ولم أستطع طول هذه الفترة منذ وصولي قبل غروب شمس يوم ١٦ أكتوبر حتى هذه اللحظات أن أجد للراحة طعمًا أو مذاقًا أو مكانًا في عقلي أو قلبي أو جسدي، والله وحده يعلم وهو الذي أعطاني قدرة الصبر والصمود.

٨ ـ نشاط العدو الإسرائيلي

بلغ حجم القوات الإسرائيلية التي اخترقت الدفاعات إلى الضفة الغربية حوالي ١٢ ألف رجل وحوالي ٢٠٠ إلى ٣٠٠ دبابة. وسيطرت هذه القوات على شريط موازٍ لقناة السويس ويقع بين شمالي البحيرات المُرة وجنوبي الإسماعيلية، وقد تمكنت قوات العدو المدرعة من تدمير أكبر عدد من قواعد الصواريخ المصرية، والتي فتحت الطريق إلى قواته الجوية لاستخدامها بحُرية نسبية في هذا القطاع، خاصة وقد اعتمد على المطارات التي استولى عليها في المنطقة (مطار فايد ومطار الدفرسوار). كان أمام القائد الإسرائيلي في جيب الاختراق ثلاثة احتمالات للعمل ضد القوات المصرية وهي:

- تطويق قوات الجيش الثاني الميداني بالتقدم تجاه الشمال والشمال الغربي على محورَي طريق فايد-الإسماعيلية الصحراوي أو «المدق الترابي» سيرابيوم-عين غصين-الإسماعيلية، أو كلاهما معًا.
- تطويق الجيش الثالث الميداني بالتقدم إلى الجنوب الغربي حتى طريق السويس-القاهرة، والمنطقة بها عدد طرق ومدقات تسمح بالتقدم والاختفاء بالمعسكرات المنتشرة بالمنطقة.

ـ التقدم في كلا الاتجاهين لتطويق الجيشين الثاني والثالث، ولكن هذا الحل يتطلب قوات كبيرة، وكان الجنرال «شارون» خلال مقابلته الصحفية مع جريدة «نيويورك تايمز» الأمريكية اتهم قيادته بأنها لم تدعم قواته بسرعة في اللحظة الحاسمة، ولم تسمح له بتنفيذ هذه الخطة بتطويق الجيشين الثاني والثالث وفي وقت واحد. واختار تطويق الجيش الثاني كحل سريع وحاسم حسب وجهة نظره لأهمية الجيش الثاني ومدينة الإسماعيلية.

وتقدم قولان مدرعان للعدو في اتجاه الإسماعيلية: أحدهما على محور الطريق الصحراوي إلى الإسماعيلية تجاه نفيشة، والثاني على المدق الترابي مارًّا بعين غصين تجاه معسكر الجلاء بالإسماعيلية. حاول العدو توسيع رأس الكوبري غرب القناة وإنشاء معابر جديدة، ووصلت قواته إلى حدود وصلة أبو صوير-أبو سلطان في اتجاه القاهرة. كما تمكنت قواته من الضغط على قوات اللواء ١٥٠ فارتدت من مواقعها التي استولت عليها في مصاطب طوسون وحنيدق، ولكن العدو لم يتمكن من الوصول إلى منطقة جبل مريم (النصب التذكاري، ويعتبر مفتاحًا حيويًّا للدفاع عن مدينة الإسماعيلية)، وحاول مهاجمتها عدة مرات برغم استمرار قصفها جوًّا وبالمدفعية ولكنه فشل.

نجح العدو في توسيع ثغرة الاختراق شرقًا في قطاع الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ المدرعة، وتمكنت دباباته من الوصول إلى الطالية، ولكن قوات رأس الشاطئ قامت بهجوم مضاد على الطالية، وطردت العدو منها ودمرت للعدو ١٣ دبابة وأسرت ١٢ أسيرًا إسرائيليًّا من رجال المدرعات وضابطًا.

ركز العدو الإسرائيلي قواته الجوية لضرب مناطق بورفؤاد وبورسعيد ومناطق كتائب الصواريخ بها ونجح في شل حركتها وتدمير ثلاث كتائب صواريخ سام ٣، كما نجح في ضرب مواقع المدفعية المضادة للطائرات وتجمعات القوات وبعض قطاعات في المدينة والترعة الحلوة التي تغذي المياه إلى بورسعيد، واستمرت الهجمات الجوية طوال يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣. كما أخطرتني قيادة بورسعيد أن هناك تحركات مريبة في البحر الأبيض المتوسط تجاه بورفؤاد وشمال شرق بورسعيد، واحتمال عمليات إبرار بحري معادٍ في بورفؤاد أو غرب بورسعيد على طريق بورسعيد-دمياط.

وطلب اللواء سعد صبري القائد الجديد للقطاع طلباتٍ يستحيل عليَّ تنفيذها كقائد جيش، وهي دعمه بكتائب صواريخ أخرى بدلًا من التي دمرت، وكذا طلب معاونة جوية عاجلة لتخفيف الضغط على بورسعيد.

وقد أخطرت القيادة العامة بالموقف وتنفيذ طلبات قائد القطاع، وحاول العدو زيادة نشاطه الجوي في قطاع القنطرة شرق جزيرة البلاح، وتمكنت الصواريخ المضادة للطائرات من إسقاط طائرتين للعدو شمال شرق القنطرة، وأحدثت ارتياحًا شديدًا للقوات في هذا الوقت العصيب، كما ركز العدو هجماته الجوية على منطقة الإسماعيلية ومعسكر الجلاء والكباري المقامة على ترعة الإسماعيلية، كما استخدم قنابل زمنية للإزعاج وفي الوقت نفسه استمر في دعم قواته شرق وغرب الدفرسوار ومهاجمة رأس الشاطئ شرقًا مع تمهيد نيراني مُركز بالمدفعية الثقيلة بالإضافة إلى القصف الجوي، وتمكنت بعضٌ من قواته في الغرب من الاقتراب من الكوبري العلوي جنوب غرب الإسماعيلية، وكذا على الطريق الصحراوي الإسماعيلية- القاهرة وفي وادي العشرة غرب مطار فايد، وكذا في اتجاه مدينة فايد وجنوبًا.

٩ ـ موقف قواتنا

كان يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ من أخطر أيام القتال في الحرب، فكانت ضربات العدو مركزة في مناطق عديدة من الجبهة، وخسائر قواتنا تزداد، وارتداد لقواتنا في مناطق رأس شاطئ الفرقة ١٦ مشاة وغرب القناة، حيث مجموعات الصاعقة ولواء المظلات وقوات اللواء ٢٣ مدرع وعناصر من اللواء ١١٦ مشاة، إلخ. وكما يحدث في كل الحروب ازدادت مجموعة الفارين[١] من جحيم المعارك، وتجمع عدد ضخم منهم في معسكر الجلاء كشاردين، وكلفت قائد محطة الإسماعيلية العسكرية بتجميع أكبر عدد من اللواري، ونقل هؤلاء الشاردين إلى معسكر التل الكبير وتسليحهم وإعادتهم إلى وحداتهم. وقد يكون هذا التجمع الضخم من السيارات المحملة بالجنود سببًا رئيسيًّا لضربات العدو الجوية على معسكر الجلاء،

---

(١) كانت مشكلة ازدحام الطرق والمدقات والكباري على الترعة الحلوة بالهاربين من جحيم المعارك من مدنيين ومعهم النساء والأطفال والحيوانات وبعض المركبات، لها تأثير كبير على تحركات قواتي وحرية حركتها وحرية فتح النيران تجاه قوات العدو أو تركيز ضربات المدفعية.

وفي تدمير كباري الترعة الحلوة بالإسماعيلية وجنوبها وغربها، لمنع إمدادات قواتنا من العبور جنوبًا إلى قطاع نشاطه الجديد في الغرب.

فوجئت باستدعاء الفريق سعد الشاذلي لي في صالون الاستراحة العلوي وخريطة الموقف أمامة وقال لي:

ـ ما رأيك؟ الموقف خطير جدًّا وأنا عاوز أنزل مصر أقابل الرئيس وأطلب منه إيقاف القتال.

قلت له فعلًا الموقف خطير جدًّا، ولكني لا أستطيع كقائد جيش أن أطلب إيقاف القتال، وعملي هنا هو القتال، وأشرف لي الموت هنا من أن أطلب هذا!

ثم عدت إلى غرفة عمليات قيادة الجيش ورجع هو إلى القاهرة.

١٠ ـ عودة الفريق الشاذلي إلى القاهرة

كتب في سجل حوادث الجيش الثاني الميداني سعت ١٣٠٥ يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣، ما يلي:

> من الفريق الشاذلي إلى وزير الحربية
> عن إذنك آجي أعرض على سيادتك الموقف وكذا الموقف على الجهات الأخرى:
> هيكل اشتغل كويس ـ قواتنا انسحبت من فايد من سعت ١٠٠٠ اليوم والعدو احتل السفوح الغربية واستشهد المنيسي.

(المقصود بهيكل هو قائد المجموعة ١٢٩ صاعقة، أما المنيسي فلم أعرف من هو إلى الآن!).

وعاد الفريق سعد الدين الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية إلى القاهرة حوالي سعت ١٣٠٠ يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣، وعادت لي مسؤولية القيادة للمرة الثالثة!

تعليق على أسلوب القيادة والسيطرة

أود هنا أن أشير إلى نقطة مهمة في القيادة والسيطرة لها أهمية كبرى في إعطاء القائد حرية التصرف حسب الموقف. فعندما أرسل القائد الأعلى رئيس أركان القوات المسلحة الفريق الشاذلي إلى قيادة الجيش الثاني بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣ لمواجهة الموقف

بالثغرة، لم يعطه الحق أو السلطة المفروض أن تكون معه للمناورة بالقوات ومحاولة تكوين احتياطي للتعامل مع الثغرة التعامل العسكري السليم، وهو الأمر الذي كان لا بد أن لا تتدخل فيه القيادة العامة مطلقًا وتحرم القائد من هذا الحق بل وتتوعده بالعقاب إذا أقدم عليه! كيف يمكن للقائد قيادة قواته والسيطرة على الموقف وهو ليس لديه سلطة تحريك جندي من الشرق للغرب، وهو الوحيد الموجود أمامه صورة الموقف وتطوراته السريعة واحتمالاتها في أرض المعركة، وكل التعاليم العسكرية ومبادئ القيادة تعطيه حق المناورة بالقوات كمبدأ حيوي من مبادئ الحرب؟! وهي نفس الظروف التي واجهتني في قيادتي للجيش الثاني الميداني وحرمتني من حرية المناورة وتكوين احتياطي، بل وهددت بأن التفكير فيها ـ وليس تنفيذها ـ قد أثار القائد الأعلى و«زعل مني» كما أخطرني القائد العام بذلك! كما أن القيادة العامة دفعت قوات من الخلف للتعامل مباشرة مع الثغرة بأوامرها وتخطيطها، وهذا خطأ كبير في أسلوب القيادة والسيطرة على القوات. وكانت نتائج كل هذه المعارك المخطط لها خارج نطاق الجيش الفشل والخسائر التي لا مبرر لها!



الفريق سعد الشاذلي

الفصل السابع عشر

عودة القيادة والسيطرة لي للمرة الثالثة

توليت مهام قيادة الجيش الثاني وعادت لي السيطرة على قواتي وحدي مرة أخرى بعد الساعة ١٣٠٠ يوم ٢٠ أكتوبر، وأصبح لديَّ حرية العمل واتخاذ القرارات، ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يقف بجانبي ويدافع عني، وكنت مخلصًا في هذا الدعاء، وشعرت، برغم خطورة الموقف برًّا وبحرًا وجوًّا، بأن الله سبحانه وتعالى سينصرنا قريبًا جدًّا.

أصدرت أوامري إلى العقيد أسامة، قائد مجموعة ١٣٩ صاعقة والتي لم تنجح في مهامها أمس، وكانت تحتل منطقة جنوب الترعة الحلوة بالإسماعيلية حتى منطقة غرب جبل مريم، ومنطقة المزروعات والمباني شرق واحة المنايف، بإعمال كمائن واقتناص دبابات في المنطقة وتدمير أي مدرعات للعدو تحاول التقدم تجاه الإسماعيلية سواء على المدقات أو بحذاء السكة الحديد أو على الطريق الرئيسي الأسفلت، وأوامر إلى العقيد هيكل، قائد المجموعة ١٢٩ صاعقة، بوضع خططه كقائد للمجموعة غرب واحة المنايف حتى جنوب أبو صوير.

كلفت العميد أ.ح محمد عبد الحليم أبو غزالة، قائد مدفعية الجيش الثاني، والذي عمل معي سنوات طوالًا في تعاون مستمر وأعرف كفاءته وقدراته وقدرة مدفعية الجيش الثاني تحت قيادته، بأن ينسق الدفاع المضاد للدبابات في منطقة الكوبري العلوي غرب الإسماعيلية، مستخدمًا كل ما يمكن استخدامه من أسلحة مضادة للدبابات ودبابات ونيران المدفعية. وقام هو شخصيًّا في هذا الموقف الحرج

بتنسيق الدفاع في المنطقة وتخطيط ضرب تجمعات مدفعية من مدفعية الجيش الثاني على قولات العدو المدرعة المتقدمة تجاه الإسماعيلية، وفتح نقاط ملاحظة مدفعية في المنطقة، ونسق هذا مع قائد اللواء ١١٨ مشاة الذي تولى مسؤولية الدفاع عن هذه المنطقة.

تم تأمين منطقة النصب التذكاري في جبل مريم بواسطة كتيبة مظلات بقيادة المقدم عاطف منصف، ودعمتها بدبابات وأسلحة مضادة للدبابات من اللواء ١١٨ مشاة ميكانيكي، واتصلت شخصيًّا بالمقدم عاطف منصف مشجعًا له على التمسك بمواقعه، وكان هو أيضًا يعمل تحت قيادتي عندما كنت قائدًا لوحدات المظلات عام ١٩٦٥ وما بعده، وكنت مطمئنًّا لكفاءته وكفاءة وحداته في هذه المهمة.

اتصلت بقادة التشكيلات كلٌّ في قطاعه أخطرهم بعودتي مرة ثالثة إلى قيادتهم، وأوضحت لهم الموقف بأمانة وصدق حتى نتحمل معًا جميعًا مسؤولياتنا أمام الله ومصر والتاريخ.

محاولات العدو لتطويق الإسماعيلية

توالت البلاغات من جميع القطاعات، وكان أخطرها أن «قول مدرع» للعدو يتحرك تجاه الكوبري العلوي جنوب غرب الإسماعيلية تجاه نفيشة، ونجحت قواتنا في إيقاف تقدمه، ولم يحاول التقدم أكثر حتى لا يدخل في مرمى أسلحتنا الصاروخية المضادة للدبابات.

وقول مدرع آخر على المدق جنوب معسكر الجلاء والموصل حتى سيرابيوم جنوبًا، هذا بالإضافة إلى استمرار نشاط العدو الجوي، فكان تقديري للموقف أن العدو يحاول الوصول إلى الإسماعيلية وتطويقها. ولكن لماذا دمر الكباري المقامة على الترعة الحلوة، والتي كانت تسهل له العبور إلى الإسماعيلية؟

وفجأة وصلت معلومات عاجلة تحمل بشرى تدمير قول للعدو مكون من ثلاث مدرعات احترقت واحترقت معها جثث أطقمها من الإسرائيليين وهي في اندفاعها السريع على المدق الواصل من سيرابيوم إلى عين غصين تجاه معسكر الجلاء، وهذا بفضل كمائن مجموعة أسامة التي اتخذت مواقعها بعناية، وارتفعت

معنويات رجال الصاعقة، خاصة وقد شاهدوا ثلاث دبابات تحترق ومعها أطقمها من جنوب إسرائيل.

أما القول التابع لهذه المقدمة فقد عاد أدراجه وسط أشجار البرتقال واليوسفي والمانجو بعيدًا وانسحب تجاه سيرابيوم. وركزت مجموعة مدفعية الجيش نيرانها على مناطق تجمعه. وأعتقد أنها أحدثت بهم خسائر كثيرة! وهكذا توقف هجوم العدو تجاه الإسماعيلية على محورَي جنوب غرب نفيشة وجنوب غرب عين غصين، كما تمكنت قوات رأس شاطئ الفرقة ١٦ مشاة وعناصر من قوات الفرقة ٢١ مدرع من إيقاف تقدم العدو شمالًا على الجانب الأيمن للفرقة المدرعة، وأسرت ١٢ جنديًّا إسرائيليًّا، معظمهم من المدرعات منهم أسير برتبة ضابط، ودمر له ١٣ دبابة، وارتد إلى الجنوب، واطمأن قلبي كقائد جيش وازدادت ثقتي في قدرة قوات الجيش الثاني، وحمدت الله سبحانه وتعالى على هذا النصر، وأخطرت الوزير بهذا الخبر السعيد.

وأرسل وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة برقية شكر وتهنئة إلى قيادة الفرقة ٢١ مدرع والفرقة ١٦ مشاة هذا نصها:

> إن البسالة والشجاعة التي تتسم بها أعمال الفرقة ١٦ مشاة والفرقة ٢١ مدرع تعتبر المثل الذي تحتذي به القوات المسلحة في معركتنا المصيرية، تهنئتي القلبية للقادة والضباط والجنود على هذا الصمود الرائع والروح القتالية العالية، والنصر لكم بإذن الله.

واتصلت بالعميد أنور حب الرمان والعميد العرابي أهنئهما على هذا النصر العظيم، كما اتصلت بالعقيد أسامة قائد المجموعة ١٣٩ صاعقة متمنيًا له ولرجاله التوفيق والنصر دائمًا، ويسعدني أن أبعث لهم وكذا لكل رجال الصاعقة الشجعان تحية تقدير وإعجاب.

قرارات جديدة

وقبيل آخر ضوء يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ كنت بعد تقديري للموقف العام أمام وعلى أجناب جبهة الجيش الثاني شمالًا من بورسعيد وشرقًا من شرق بورفؤاد إلى قطاع الاختراق الإسرائيلي في الدفرسوار وفي عمق الجيش الثاني، وأمام مواجهة

رؤوس الشواطئ شرقًا، أصدرت عدة قرارات تحقق السيطرة والتأمين وإعادة تنظيم القوات لرفع الكفاءة القتالية للقوات، وكان أهمها إعادة تنظيم القوات الموجودة في رأس شاطئ فرقة ١٦ مشاة بحيث يتولى القيادة قائد الفرقة ١٦ مشاة العميد أنور حب الرمان (كان أقدم من العميد أ.ح إبراهيم العرابي وتسبب ذلك في مشاكل القيادة والسيطرة)، وتدعم بعناصر قيادة وسيطرة من قيادة الفرقة ٢١ مدرع على أن يعبر غربًا العميد أ.ح العرابي ومعه قيادة الفرقة ٢١ مدرع وتتمركز في مكانها القديم في منطقة طريق عثمان والملاك والقصاصين لتتولى قيادة الوحدات التي يعاد تجميعها وتنظيمها، وتشترك في حصار العدو جنوب ترعة الإسماعيلية وغرب القناة. كما خصصت مهام جديدة لوحدات المظلات ومجموعات الصاعقة بهدف حصر العدو جنوب ترعة الإسماعيلية، وتكوين عناصر اقتناص دبابات وكمائن لاصطياد قوات العدو، وشل حركتها الهجومية. ولم تعترض القيادة العامة على هذه القرارات واعتبرتها بمثابة التصديق.

مكالمات تلفونية محيرة

جاءتني مكالمة من وزير الحربية قبل منتصف ليل ٢٠ أكتوبر ٧٣ بقليل تعقيبًا على مكالمة سابقة بيننا في مساء نفس الليلة يسألني عن اللواء سعد مأمون: أين هو؟ فكنت قد أخبرته في المكالمة السابقة أنه نزل مصر بعد الساعة الرابعة والنصف مساء يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، وربما يكون في مستشفى المعادي الآن أو في منزله، الله أعلم! ولست أدري كيف لم يعلم وزير الحربية بموقف اللواء سعد مأمون حتى اليوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣، وربما تكون الأحداث التي مرت بنا سببًا في عدم علمه!

والحقيقة أن الوزير كان منفعلًا جدًّا عن الصورة التي نقلها له الفريق الشاذلي بعد عودته إلى القاهرة بعد ظهر يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣، وعلمت أنه طلب سحب بعض القوات المدرعة المصرية من الشرق للغرب للاستفادة بها في تصفية الثغرة، وقد وافقني على سحب اللواء ١٥ مدرع إلى الغرب، ولكن الوزير لم يصدق على هذا.

ثم جاءت مكالمة أخرى من الفريق الشاذلي في حوالي ٣٥ دقيقة بعد منتصف ليل ٢٠-٢١ أكتوبر ١٩٧٣، كان يسألني عن شيء، ولم أفهم ما يقصد، ثم سمعت هيصة، وأخذ الوزير التلفون وكان يستفسر مني عن موقف مجموعة أسامة، أي المجموعة ١٣٩ صاعقة التي نجحت عناصرها في تدمير مقدمة مدرعات العدو التي كانت مندفعة تجاه الإسماعيلية عند عين غصين، وكانت مكالمة عجيبة لدرجة أنني أذكر أني قلت له بحدة:

ـ هذا كلام غير مضبوط! أنا يا افندم متأكد من الكلام اللي باقوله.

وكانت مناقشة حادة إلى أن قال:

ـ يستمر أسامة في تنفيذ المهمة!

ثم قال:

ـ أرسلت لك كتيبة دبابات الحرس الجمهوري تستخدم في أعمال كمائن في الأراضي الزراعية.

فرفضت، وقلت له:

ـ كيف تعمل الدبابات في الأراضي الزراعية؟ إني أريدها احتياطيًّا في اليد أستخدمها حسب الموقف وحسب قراري.

واستمرت المكالمة بيننا وقتًا طويلًا إلى أن حسمت المكالمة بقولي:

ـ أنا مش خايف من حاجة، أنا ماشي في المهمة، بس سيادتك اطمئن وافتح لي صدرك ولو دقيقة واحدة.

ولكنه رد...

فقلت له:

ـ طيب حاضر يا افندم... مع السلامة!

هذه قصة أحد الاتصالات التلفونية بين وزير الحربية وقائد جيش ميداني المفروض أنه له مسؤولياته وله حرية التصرف واتخاذ القرارات.

وأعتقد أن الفريق الشاذلي أعطاهم صورة عن الموقف أحدثت خلخلة في جهاز القيادة العامة وعدم اطمئنان ظهرت أثناء محادثة الوزير معي. سمعت من يحدد لقائد الجيش قراراته، بعضهم يقول: «يا عبد المنعم حرك قوات لرص ألغام»، «اعمل

احتياطي مضاد للدبابات»، إلخ. ومرة أخرى اتصل بي الوزير والساعة تقترب من الثانية صباح يوم ٢١ أكتوبر ١٩٧٣، وكان ردي كالآتي:

ـ سيادتك بتعاملني معاملة قاسية. كل المناطق في العمق جاري رص ألغام بها، وتم تكوين احتياطي مضاد للدبابات في اليد، وتم إعادة تنظيم قواتي بعد عودة الفريق الشاذلي للقاهرة، وقررت تجميع المدرعات في قوة واحدة وأستفيد برئاسة الفرقة ٢١ مدرع في الخلف في إعادة تنظيم اللواء ٢٣ مدرع وتنسيق العمل مع وحدات الجيش الثالث التي تم تمركزها في عثمان أحمد عثمان وهو اللواء الثاني المدرع، ووحدات دعم بقيادة العميد أ.ح عبد العزيز قابيل، كما قررت تعيين العميد أنور حب الرمان قائد الفرقة ١٦ مشاة قائدًا لرأس شاطئ الفرقة، ومعه العميد أ.ح بكير محمد بكير رئيسًا للأركان.

وأخبرته أني قد أرسلت نداء للقوات بأني قد عدت إليهم مرة أخرى كقائد للجيش، كما أخطرته بقصفات المدفعية التي أمرت العميد أ.ح أبو غزالة بتنفيذها على تجمعات العدو ومناطق عبوره غربًا، وقد طمأنته عن الموقف، وقلت سننتصر بإذن الله برغم كل ما حدث، ثم قلت له:

ـ سيادتك اطمئن وإن شاء الله مش حايهزمونا، سيادتك صلي الفجر وحاتسمع حاجة كويسة. شكرًا يا افندم.

مكالمة كلها اطمئنان وثقة والحمد لله حتى تهدأ النفوس ويتركوني أعمل في هدوء وحرية.

ومع أذان فجر يوم ٢١ أكتوبر ١٩٧٣، دوت أصوات نيران مدفعية الجيش الثاني الميداني تدك معابر العدو ومناطق تجمعاته ومحلات مبيت مدرعاته وكل الأماكن المحتمل تواجد قوات له بها، واشترك في هذا القصف كل مدفعية الجيش الثاني الميداني وقصفات مدفعية الجيش الثالث، والفضل لله في هذا، ويحق لي هنا أن أحيي رجال مدفعية الجيشين الثاني والثالث الأبطال.

ولقد علمت بعد هدوء الموقف أن وزير الحربية بعد مكالمتي له شعر باطمئنان وثقة، وعلق على مكالماتي وتصرفاتي بأني قائد بارد الأعصاب وغيري يشتم ويتخانق عندما يتصل به أحد.

ملخص قرارتي حتى نهاية يوم ٢١ أكتوبر ١٩٧٣

١ ـ بعد أن فشلت المجموعة ١٣٩ صاعقة (مجموعة أسامة) في تنفيذ مهامها المكلفة بها من القيادة العامة في اتجاه الدفرسوار ووضعت تحت قيادتي، أصدرت لها الأوامر بعمل قاعدة وطيدة للانطلاق منها بأعمال كمائن وإغارات بمنطقة نفيشة وعين غصين والمنطقة الواقعة جنوب ترعة الإسماعيلية الحلوة، بالتنسيق مع قوات اللواء ١٥٠ مظلات، ومع قائد المجموعة ١٢٩ صاعقة التي تعمل في المنطقة غرب واحة المنايف وجنوب أبو صوير والمحسمة.

٢ ـ إعادة تنظيم اللواء ١٥٠ مظلات والتمسك بمنطقة جبل مريم ومعسكر المهندسين جنوبه، وكذا المنطقة حتى جنوب كوبري الجلاء والتمسك بها لآخر طلقة وآخر رجل مع الاستعداد لاسترداد تبة حنيدق وطوسون وتأمين منطقة عمله.

٣ ـ أصدرت مهمة إلى اللواء ٢٣ مدرع بالدفاع عن المنطقة بالنطاق الثاني في منطقة تقاطع طريق سيرابيوم مع طريق القصاصين حتى القصاصين غرب ثغرة الاختراق.

٤ ـ كلفت الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكية بتولي مسؤولية الدفاع عن قطاع محطة المحسمة حتى القصاصين، وفي اتجاه الجنوب والشرق والدفاع عن الإسماعيلية وكان تحت قيادتها اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكي بعد إعادة تجميعه، واللواء ١١٨ مشاة ميكانيكي عدا كتيبة لوجودها في رأس كوبري الفرقة الثانية المشاة.

٥ ـ أصدرت أوامري بعودة عناصر من قيادة الفرقة ٢١ المدرعة إلى غرب القناة والتمركز في مواقعها القديمة في النطاق الثاني جنوب ترعة الإسماعيلية، ومعها عناصر من اللواء الأول مدرع، توطئة لإعادة كل الفرقة ٢١ مدرعة إلى أماكنها الأصلية، وتتولى قيادة كل القوات في هذه المنطقة ومنها اللواء ٢٣ مدرع.

٦ ـ تقوم قوات رؤوس الشواطئ بأعمال نشطة في مواجهتها بالنيران والقوات، كما تم تدعيم رأس شاطئ الفرقة ١٦ مشاة ميكانيكية باللواء ٢٤ مدرع بقيادة

العميد أ.ح نيازي الشيمي الموجود في قطاع الفرقة الثانية المشاة، ونجحت القوات في إيقاف العدو أمامه وتثبيته.

٧ ـ استمرار وحدات مدفعية الجيش الثاني الميداني في معاونة رأس شاطئ فر ١٦ مش، ومنع العدو من التدفق غربًا أو شمالًا، وضرب معابر العدو في الدفرسوار، وتأمين القوات، ومنع العدو من الاستيلاء على جبل مريم أو تطويق الإسماعيلية، وقد نفذت المدفعية مهامها بكفاءة وبسرعة ودقة.

٨ ـ استمرار أعمال الاستطلاع وجماعات المؤخرة في الحصول على المعلومات.

٩ ـ قيام عناصر المهندسين العكسريين برص ألغام على المحاور الرئيسية وتحديد أجناب العدو وتأمين عبور قواتنا وإمداداتنا على المعابر إلى الشرق، مع استمرار أعمال التجهيز الهندسي لمواقع رؤوس الكباري.

١٠ ـ نجحت عناصر الدفاع الجوي في التشكيلات ودفاع جوي الفرقة الثامنة في إسقاط عدد من طائرات العدو، مما ساعد على رفع معنويات القوات.

١١ ـ أصدرت أوامري بإعادة كتيبة دبابات من اللواء ١٥ المدرع من القنطرة شرق إلى الغرب والتمركز في منطقة أبو صوير، وكذا إعادة الكتيبة المشاة التابعة للواء ١١٨ مشاة من قطاع الإسماعيلية شرق المدعمة للفرقة الثانية المشاة لتنضم على قيادتها في الإسماعيلية.

إيقاف القتال وإعادة التنظيم

وفي يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ صدرت الأوامر لنا بإيقاف إطلاق النار إذا التزم العدو بذلك. ولكن العدو في صباح اليوم التالي، ٢٣ أكتوبر، بدأ يتحرك تجاه قطاع فنارة-السويس لاكتساب أرض جديدة، وحاول القيام بخدعة في قطاع الجيش الثاني بالتظاهر بالارتداد بهدف محاولة جذب قواتنا إلى مناطق قتل وكمائن سبق له تخطيطها، محاولًا كسب نصر عسكري والاستفادة منه سياسيًّا وإعلاميًّا. ولم يوقف العدو القتال إلا بعد وصوله إلى طريق السويس وعزل مدينة السويس وحصار الجيش الثالث شرق القناة. وبعد إيقاف إطلاق النيران أصدرت قرارات لإعادة التوازن في منطقة الجيش الثاني، سواء في قطاعات رؤوس الشواطئ شرقًا

وفي قطاع بورسعيد-بورفؤاد، أو في قطاعات الغرب شمال الإسماعيلية أو جنوبها، وأهمها إعادة باقي عناصر الفرقة ٢١ المدرعة إلى مواقعها الدفاعية قبل الدفع للاشتباك في ١٤ أكتوبر ١٩٧٣، وكذا أصدرت أوامري بإعادة الوحدات الفرعية إلى الوحدة الأم لتكون الوحدات متكاملة والمسؤوليات محددة.

في سعت ١٣٠٠ يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ وفي اليوم الثاني من أيام عيد الفطر المبارك توقف إطلاق النيران بين مصر وإسرائيل، وفي يوم ٢٨ استدعيت لمقابلة وزير الحربية الفريق أول أحمد إسماعيل علي، وأخطرني بتحملي مسؤولية قيادة الجيش الثاني. وتعينت رسميًّا قائدًا للجيش الثاني، بالرغم من أني تحملت هذه المسؤولية في أحلك أيام القتال وهو يوم الثغرة في ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، وكلفني بتجهيز قرار تصفية الثغرة وعرضه عليه يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٧٣، كما أخطرني بتعيين اللواء أ.ح سعد مأمون لمراجعة موقف خبرات القتال المكتسبة في التشكيلات بالجيشين الثاني والثالث الميداني، وأنه سيقوم بالمرور على الجبهة لهذا الغرض. وقلت له:

- لماذا لا يعود سعد لقيادة الجيش الثاني وأعود أنا إلى منطقتي وقيادتي في المنطقة المركزية بالقاهرة؟

فقال:

- إنت خلاص اتعينت قائدًا للجيش الثاني مبروك!

وقام الوزير بعد ذلك بزيارة ميدانية للجيش الثاني يوم ٧ نوفمبر، وزار قطاع القنطرة شرق ثم اجتمع مع قادة التشكيلات في مركز قيادة اللواء ١١٨ في الإسماعيلية، ثم زار قيادة الفرقة ٢١ مدرع في منطقتها القديمة قبل العبور شرقًا.

وبعد زيارة الوزير أحمد إسماعيل للضفة الشرقية للقناة، أصدر أوامره بسحب الدبابات الإسرائيلية السليمة والمعطلة إلى الغرب. ولقد قامت إدارة المدرعات في سحب هذه الدبابات غربًا عبر المعديات والكباري المقامة، كما قام اللواء أ.ح كمال حسن علي، مدير المدرعات في ذلك الوقت، بمجهود عظيم في توفير الأطقم للدبابات المعطلة وإعادة دعم الفرقة ٢١ المدرعة بعدد كبير من الدبابات الجديدة كانت تصل إلى مواقعها في منطقة الملاك في سرعة مذهلة، مما مكنني من إعادة القدرة القتالية للفرقة ٢١ مدرعة بنسبة أكثر من ٨٠٪، وكذا باقي الدبابات

في تشكيلات المشاة واللواءات المدرعة المستقلة، وإني أقدم له ولجميع رجال المدرعات خالص الشكر والتقدير.

وخلال الأيام الأولى من شهر نوفمبر ١٩٧٣ استعادت معظم التشكيلات قدرتها القتالية سواء في استكمال النقص في المعدات أو الأسلحة أو الأفراد، وكانت كل إدارات الأسلحة تعطي كل إمكاناتها في هذا التدعيم.

وتم سحب المعدات والأسلحة والعربات المعطلة، وتم الإصلاح والصيانة لكل الأسلحة والمركبات والدبابات بدقة وعناية وسرعة أثبتت جدارة هؤلاء الرجال خلف المعدات وخلف المقاتلين، كما تم استكمال الموقف الإداري وخطوط الإمداد بالذخيرة وغيرها، وفي الوقت نفسه أخذت القوات في تحسين مواقعها الدفاعية وزيادة قدراتها، وفتحت نسبة من الإجازات للضباط والجنود واطمأنت النفوس وهدأت الأعصاب والحمد لله. والفضل بعد الله لهؤلاء الرجال خلف المعدات من فنيين وإداريين، فلهم مني ومن رجال الجيش الثاني وافر الشكر.

الفصل الثامن عشر

خطوات تصفية الثغرة

لم تكن القيادة العامة المصرية ولا قيادة الجيش الثاني الميداني تتوقع الاختراق الإسرائيلي بهذا الشكل الكبير في القوات وفي محاولة الوصول إلى العمق وعلى الإسماعيلية ثم السويس.

وكانت المعلومات التي بنيت عليها خطط تصفية الثغرة والتعامل معها في أول الأمر معلومات غير مؤكدة، ولكنها تشير إلى أن قوة العدو لا تتعدى سرية دبابات وبعض المشاة (٧ دبابات)! وبالطبع هذا التقرير غير سليم وإذا بنيت عليه أي خطة لا تنجح.

وعندما كلفت بمهمة التحرك إلى قيادة الجيش الثاني في الإسماعيلية بعد ظهر يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ وحتى عند وصولي إلى قيادة الجيش، كانت المعلومات أن للعدو عدد ٧ دبابات فقط دمرت الصاعقةُ منها ٤، أي باقي ثلاث دبابات. وحتى أستطيع تقدير الموقف واتخاذ قرار كان يجب أن أبني قراري على معلومات مؤكدة حتى أتخذ القرار المناسب في الوقت المناسب وبالقوات المناسبة.

ولكن للأسف لم تكن المعلومات كافية ولا حقيقية.

لا يوجد في يد قائد الجيش أي احتياطي يمكن استخدامه سوى قوات الصاعقة المشتبكة فعلًا مع العدو في كمائن. وحرمتني القيادة العامة من سلطة المناورة بالقوات من الشرق للغرب لتكوين احتياطي، وكان لا بد من الحصول على معلومات مؤكدة عن قوة العدو غربًا، وأين هو.

ثم التفكير في تكوين احتياطي لقائد الجيش.

وكان أول احتياطي متيسر يمكن الاعتماد عليه وعلى دراية بالمنطقة تمامًا، هو اللواء ١٥ المدرع والموجود حاليًّا في قطاع القنطرة شرق ضمن قوات الفرقة ١٨ المشاة، فأصدرت أوامري فورًا إلى قائد قوات القنطرة بإعداد اللواء للعودة إلى الغرب، وهذه سلطتي كقائد ميداني مسؤول، وفي الوقت نفسه يجب أن أخطر القيادة العامة بقراري للتصديق حسب التعليمات والأوامر العسكرية. وقبل أن أخطرهم جاء الرفض لقراري، بل والأمر الصارم من الرئيس السادات بعدم سحب أي قوات من الشرق للغرب. ولم يوافقني على سحب اللواء ١٥ مدرع إلا الفريق الشاذلي، ولكن ما باليد حيلة! ماذا أفعل كقائد جيش؟ ومن أين أكوِّن احتياطيًّا؟

وطلبت من القيادة العامة دفع لواء مظلات للعمل في الثغرة، وعندي ثقة في كفاءة هذه الوحدات التي توليت قيادتها أكثر من ثلاث سنوات، ولكن طلبي رُفض أيضًا.

وفوجئت بقرار من القيادة العامة بدفع اللواء ٢٣ مدرع من الفرقة الثالثة المشاة الموجودة بالقاهرة في الاحتياطي العام ومعه كتيبة مظلات، ووصل اللواء فعلًا مساء يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ إلى منطقة طريق عثمان على الطريق الصحراوي إلى الإسماعيلية.

وكان اللواء الوحيد القادر على التحرك هو اللواء ١١٦ من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكية، وكان فعلًا في منطقة العمليات غرب القناة، ولكن مقدمة اللواء وقعت في كمين صباح يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، واستشهد قائد اللواء وحدثت بعض الخسائر في القوات ولم تستطع استمرار التقدم. حتى قائد هذه الفرقة برغم وجوده بالمنطقة، إلا أن الاتصال به لم يتم إلا مساء يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، لأنه كان يتحرك في عربة مدرعة ليس بها أجهزة للاتصال مع قيادة الجيش، ولا مع قيادة فرقته شمال ترعة الإسماعيلية، فكيف يسيطر على القوات؟

وبرغم هذا فقد أصدرت القيادة العامة للقوات المسلحة قرار وزير الحربية باستمرار هجوم اللواء ١١٦ حتى يصل إلى الساتر الترابي على قناة السويس غربًا ويستولي على المصاطب به ويؤمنها.

وأعتقد أنها لم تكن تعلم شيئًا عما حدث لهذا اللواء، ولم تكن تعلم قدرة العدو وقواته حتى هذا التوقيت!

نقطة أخرى لها أهميتها وحساسيتها، فقائد الجيش الثاني مريض ولا يستطيع تولي القيادة وإدارة المعركة، ورئيس الأركان يتولى القيادة، وهو بالطبع على علم ودراية بالموقف كاملًا، ولكني أفاجأ بقرار من وزير الحربية ولم يمضِ على وصولي إلا ساعة تقريبًا يقضي بتحرك رئيس الأركان إلى الضفة الشرقية لقيادة قوات رأس شاطئ الفرقتين ٢١ مدرع و١٦ مشاة. كيف يتم هذا؟ وبرغم هذا فقد تم تنفيذ القرار.

وأصدرت القيادة العامة قرارًا مساء يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ بتوجيه ضربة مضادة صباح ١٧ أكتوبر ١٩٧٣ للعدو في جيب الاختراق من الشرق بواسطة اللواء ٢٥ مدرع يعاونه الفرقة ٢١ مدرعة (لم تكن الفرقة قادرة على القتال، ولم تكن قد استعادت كفاءتها القتالية بعد عمليات يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣)، ويعاون هذه الضربة من الغرب اللواء ١١٦ مشاة وعناصر من الصاعقة.

فكرة العملية معقولة، ولكن أسلوب وقدرة التنفيذ محيرة تدل على أن من أصدر هذا القرار لم يدرسه الدراسة الكافية وكان في عجلة.

وبالطبع لم تحقق هذه الضربة أي نجاح ولم تكتمل منذ أول لحظة، بل خسرنا كثيرًا وفقدنا قدرة قتال اللواء ٢٥ مدرع في أول معركة له ولم يخطط لها جيدًا أو حتى بطريقة سليمة.

كل هذه الخطوات تتم في زمن قياسي، والموقف في الشرق والغرب يتطور ضد مصلحتنا. وأصبح للعدو في ثغرة الاختراق ما يزيد على ٢٥٠ دبابة ولم يمضِ على وجودي في المسؤولية إلا ٢٤ ساعة فقط أو أقل!

ومحاولة أخرى من القيادة العامة بدفع اللواء ٢٣ مدرع من منطقة تمركزه في عثمان أحمد عثمان لتوجيه ضربة أخرى مضادة في اتجاه الدفرسوار، وتم وضع الخطة التفصيلية لهذه الضربة من القيادة العامة، وأصدرت الأوامر بتنفيذ الضربة سعت ٠٦٣٠ يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣. كيف يتم ذلك؟ وقائد اللواء وضباطه لم يتمكنوا من استطلاع الأرض ولا معرفة العدو أين هو، وما هي قواته. وكان من ضمن تخطيط القيادة العامة لتنفيذ هذه الضربة المضادة معاونة جوية لهذا اللواء في هجومه، ولكن

للأسف حالت ظروف الجو دون تنفيذ أي عملية جوية، لا استطلاع جوي وبالطبع لا معاونة جوية. وصدر الأمر بالتنفيذ برغم معارضتي كقائد جيش مسؤول، ولكن جاء الأمر بصيغة أمر، بدفع اللواء ٢٣ مدرع عدا كتيبة الساعة السادسة والنصف صباح يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣.

وتم التنفيذ وتم تشتيت اللواء وفقدنا لواء آخر في ساعات قلائل. وأصبح الموقف أخطر مما يتصور أحد، فالعدو في الشرق يضغط على قوات رأس الشاطئ بشدة مستخدمًا قواته الجوية مع قصفات مدفعية مركزة وهجمات متفرقة للإشغال، وفي الغرب أخذ يعيث في الأرض الفساد.

وشعرت القيادة العامة بهذه الخطورة، فأرسلت رئيس أركان حرب القوات المسلحة الفريق سعد الشاذلي لتولي تصفية موقف الثغرة.. ووصل بعد ظهر يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣، إلى قيادة الجيش الثاني بالإسماعيلية وتولى مسؤولية القيادة حتى بعد ظهر يوم ٢٠ منه، وقال السادات في أول لقاء بعد إيقاف القتال:

ـ لقد ضاعت ليلة منا في محاولة تدمير الثغرة ليلة ما وصل سعد إلى هناك!

ولست أدري لماذا قال هذا وهو الذي عينه لهذه المهمة. قد يكون ذلك تمهيدًا لتحميله مسؤولية الثغرة! والله أعلم.

وحاولت القيادة العامة شد أزر الفريق الشاذلي بقوات جديدة، فأرسلت لواء مظلات ودخل فعلًا المعركة بسرعة مذهلة ولم يحقق الهدف، ثم مجموعة صاعقة وقد فشلت في أول تقدم لها نحو الثغرة وتحملت خسائر كبيرة، وبالطبع كانت أوامرها تصدر لها من القيادة العامة مباشرة.

ومجموعة خاصة مدربة على العمليات الخاصة الدقيقة فشلت في مهمتها واستشهد قائدها قبل أن تخطو خطوة واحدة! ولما فشلت جهود رئيس الأركان في محاولة التعامل مع الثغرة ولم يوافقوا على قراره بسحب بعض لواءات مدرعة من الشرق إلى الغرب وتطور الموقف إلى الأخطر، عاد الفريق الشاذلي إلى القاهرة لرفع الأمر للقائد الأعلى لمحاولة إنقاذ الموقف.

ولما عادت لي السيطرة مرة ثالثة على قواتي بعد الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣، تمكنت قوات الصاعقة من تدمير قول مدرع للعدو كان

يتقدم إلى الإسماعيلية من اتجاه سيرابيوم-عين غصين، ونجحت في تدمير وقتل رجاله، وتوقفت محاولات العدو تجاه الإسماعيلية، خاصة أن «قول» آخر له تحمل خسائر كثيرة في تقدمه نحو الكوبري العلوي عند نفيشة وانسحب.

وتحول العدو أمام قواتي في جيب الاختراق إلى الدفاع ومحاولة التخندق حتى يتفادى نيران مدفعية الجيش الثاني العنيفة وهجمات الفدائيين من الصاعقة والمظلات التي استمرت ليل نهار. وكان هدفي الرئيسي هو احتواء العدو أولًا ثم اتخاذ الإجراءات القوية القادرة لتنفيذ المهمة.

ومن جانبي كقائد جيش اتخذت خطوة جريئة بسحب قيادة الفرقة ٢١ مدرعة من الشرق إلى الغرب، وتمركزت في مكانها القديم واستطاعت السيطرة على القوات الموجودة في منطقتها بما فيها وحدات الفرقة الرابعة المدرعة التي أرسلت لتأمين الطريق إلى القاهرة وعناصر اللواء ١١٦ مشاة واللواء ٢٣ مدرع والقوات الأخرى. والحق يقال إن قيادتها استطاعت بسرعة فائقة السيطرة وتماسك الموقف في أخطر اللحظات.

وعاونتنا قيادة المدرعات في سرعة الاستكمال للدبابات والسائقين والأطقم، وأصبح موقف الغرب قويًّا ومطَمئنًا والحمد لله.

وفي الشرق نجحت قوات الجيش الثاني في صد هجوم للعدو على منطقة الطالية، وتم أسر ١٢ جنديًّا إسرائيليًّا، منهم ضابط، وكانت بداية الخير.

كما تم سحب كتيبة دبابات اللواء ١٥ مدرع من القنطرة شرق إلى الغرب لتكون احتياطيًّا في يدي كقائد جيش! وعادت فعلًا كتيبة مدرعة مدعمة بمشاة ميكانيكي من اللواء ١٥ مدرع، ولم تعترض القيادة العامة على هذا.

كما أصدرت أوامر بتجميع اللواء العاشر المشاة الميكانيكي في القنطرة غرب ومعه كتيبة مدرعات اللواء ١٥ مدرع للعمل كاحتياطي لقائد الجيش شمال ترعة الإسماعيلية.

الخطة شامل

خططت القيادة العامة للقوات المسلحة خطة لتصفية ثغرة الدفرسوار بعد إيقاف القتال في ٢٧ أكتوبر ١٩٧٣ استعدادًا للقيام بضربة قوية لإرغام العدو على

الارتداد شرقًا وتصفية رأس الكوبري في الغرب واستعادة الموقف. وقد أصبحت القوات المسلحة المصرية في موقف إستراتيجي جيد يسمح بالدفاع المتماسك شرق وغرب قناة السويس مع إمكانية تنفيذ الخطة شامل.

وأصبح الدفاع الجوي في قطاع الجيش الثاني متماسكًا شرقًا وغربًا، وبدأت حركة الاستكمال والتدريب تسير بخطًى واسعة، مع الأخذ في الاعتبار الدروس المستفادة وتفادي الأخطاء السابقة.

وحضر الرئيس السادات مؤتمر القادة لشرح الخطة ومناقشتها في أوائل نوفمبر ١٩٧٣، وبعد أن استمع إلى تقارير قادة القوات الجوية والدفاع الجوي والبحرية وقادة الجيوش ورئيس هيئة العمليات علق عليها بالآتي:

- بعد هذه الصورة لشرح القادة يهمني أن أتكلم إجماليًّا.. ففي آخر اجتماع لنا قبل المعركة كنا نستعرض الخطة، ثم بعد العمليات ووقف إطلاق النار نستطيع أن نقول إننا حققنا أهدافنا إستراتيجيًّا ووضعنا إسرائيل في إطار الأربع نقاط التالية:

١ ـ حرب طويلة: فهي تحت التعبئة الآن ومتاعبهم واضحة.

٢ ـ حرب الاستنزاف وتحقيق نسبة خسائر كبيرة: لم يقولوا حقيقتها، فقد قالوا إنهم ١٠ آلاف قتيل، وهي نسبة مميتة لهم.

٣ ـ الحرب على جبهتين سوريا ومصر: وهي دائمًا تتفاداه ولكنه حدث.

٤ ـ العامل النفسي ومحاولة إصابتنا بالشلل قبل البدء في أي معركة وجدار الخوف الذي بنوه وأنه لا يمكننا أن نطول عمقهم داخل إسرائيل: وقد تحطم كل هذا.

ومن هذا يتضح أن نظرية الأمن الإسرائيلي بنقل المعركة خارجها حتى لا تتكبد خسائر ولكن تكبدت إسرائيل خسائر برغم أنها حاربت بعيدًا عن أرضها!

إننا قد استعدنا ثقتنا في أنفسنا واستعدنا وصمة ١٩٦٧، والحقيقة أنه تكتيكيًّا حدثت أخطاء وعملية الدفرسوار كانت تمثيلية أو «تياترو»، ويجب ألا ننهار ونكون جاهزين في المستقبل ونتعلم خفة الحركة وتحسين المواقع والحركة، ويجب أن نتعلم من العدو ومن الدروس المستفادة ما نستخلصه عمليًّا. ويوجد في السويس حاليًّا سخافات ورذالات ولكن يجب ألا ننهار أبدًا، ونحن حاليًّا

في فترة إيقاف نيران، ولكن يجب أن تكونوا جاهزين بخطط نيران وخطط بديلة، ويجب أن نفكر في حرب المغارز والقوات الصغيرة المدعمة بعناصر مضادة للدبابات. وقد ضاعت منا ليلة بالكامل في الدفرسوار ليلة ما سافر سعد الشاذلي إلى هناك. لماذا ضاعت؟

وطلب سرعة التفكير وسرعة التصرف وسرعة اتخاذ القرار ومواجهة الموقف:

ـ فمن يوم ٦ أكتوبر إلى يوم ٢٢ وضعنا إسرائيل عارية أمام العالم، ولولا أمريكا ما استطاعت إسرائيل تحقيق ما عملته أثناء وقف إطلاق النيران ووصولها إلى السويس. لا تنسوا أننا عسكريين ويجب أن يكون لدينا حالة دائمة من اليقظة.

لماذا وافق السادات على إيقاف إطلاق النيران؟

قال السادات:

ـ لم يطلب مني أحد ذلك، ولكني أردت ألا أعطي إسرائيل فرصة استخدام الأسلحة الأمريكية الحديثة التي وصلتهم، كما أني وجدت روح ١٩٦٧ قد بدأت في بعض القادة، وكنت أحب ألا يحدث هذا. والعامل الثالث أن القائد العام لم يكن لديه احتياطي يستخدمه، وهذا خطير. وقبولي وقف إطلاق النيران هذه المرة يختلف عما حدث عام ١٩٦٧، فقواتنا ١٠ فرق شرق وغرب وإن شاء الله سنستعوض الدبابات، وبعد كسر حائط الخوف والجيش الذي لا يقهر وبهذه الروح العالية أمكننا أن نحقق كثيرًا.

ويجب أن تتحركوا، خذوا أرضًا، تحركوا، وبعد فصل القوات ندخل مؤتمر السلام. ومفروض أن تظل القضية حية، فقرار أكتوبر وما نفذته القوات المسلحة كان روعة ونفذ ضد إرادة الكبار، روسيا وأمريكا، وكانوا يقولوا لي: «إوعى الحرب!».

وختم السادات هذا الاجتماع بتوجيه الشكر الخالص على العمل الذي تم، وقال إن كل المعارك يحدث فيها أخطاء:

ـ ولكن لا نصل إلى ما حدث في ١٩٦٧ ونقول: «انتصرنا»، وننسى الدروس والثغرات والأخطاء، فيجب دراستها تمامًا وسنعيد تنظيم الدولة والقوات المسلحة بالكامل، وسأراجع الخطة شامل مع الوزير وأدعو لكم بالتوفيق.

مفاجأة نهاية عام ١٩٧٣

وجاءت نهاية ١٩٧٣ بمفاجأة عجيبة لي.

ففي يوم ١١ ديسمبر ١٩٧٣ استُدعيت إلى مركز القيادة لمقابلة الفريق أول أحمد إسماعيل علي وزير الحربية، وجلسنا معًا في مكتبه في المركز بعد مروري على مكتب رئيس الأركان الفريق سعد الشاذلي الذي وجدت مكتبه مغلقًا، وسألت الحارس، قال إنه موجود بداخله ولا يقابل أحدًا. ودار الحديث مع الوزير أحمد إسماعيل في عدة موضوعات تتعلق بالجيش الثاني، وأخذ رأيي فيما يخص بعض الضباط بالجيش، وحضر هذا اللقاء اللواء أ.ح حسن الجريدلي أمين عام وزارة الحربية، وكان يرافق الوزير أحمد إسماعيل في كل تحركاته واشترك معنا في المناقشة المشار إليها.

وبعد انتهاء هذه المقابلة وفي طريقي إلى خارج المركز قابلت اللواء أ.ح محمد عبد الغني الجمسي بمكتبه، وبعد التحية قلت له:

ـ مبروك لك فقد رأيت لك ما يبشر بمنصب أعلى إن شاء الله.

ولم يعلق، والحقيقة أنه كان يعرف أنه تعين رئيسًا للأركان اعتبارًا من ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣ بدل الفريق الشاذلي الذي ركن أو تقوقع في غرفته ونحن كنا لا ندري.

وكانت المفاجأة الثانية والأهم أنه في اليوم التالي، ١٢ ديسمبر ١٩٧٣، اتصل بي الوزير أحمد إسماعيل بمنزلي وقال لي:

ـ مبروك يا عبد المنعم!

ـ خير يا افندم؟

قال:

ـ أصبحت مساعدًا لوزير الحربية وقائدًا للدفاع الشعبي والعسكري، وتعين اللواء فؤاد عزيز قائدًا للجيش الثاني... مبروك!

فقلت له:

ـ شكرًا والحمد لله.

ملحق ٧

رسالة حب إلى مصرنا العزيزة

حبيبة قلبي،

سلام عليك أيتها الجوهرة الخضراء في كتاب الله المبين... في خمس آيات نتلوها في كتاب الله خاشعين.

كما أشاد الرحمن باسمك في التوراة والإنجيل أنك خزائن العالمين... وضمت كثير من الآيات والأصفار من أنك جنات وعيون وكنوز ومقام المكرمين.

وحتى نيلك يا مصر أوحى الله إليه أن يحفظ موسى على سطحه ويكون من الناجين... وسلام عليك يا مريم فقد هربت بوليدك عيسى إلى الأمان في حصن أمين.

ويكفيك يا أرض الكنانة هاجر رفيق درب إبراهيم أبي الموحدين... يا أم إسماعيل تحية لك في سعيك بين الصفا والمروة فأفضت زمزم للشاربين.

وسلام عليك يا ماريا يا هدية المقوقس القبطي التي اختارها الله زوجة للأمين صلى الله عليه وسلم.

حبيبة قلبي،

لك أن تفخري بجندك وتحيطيهم بعطفك وحبك فهم خير أجناد الأرض أجمعين.

هكذا وصفهم الرسول الأمين... كما أوصى بشعبها خيرًا فهم من الطيبين وأكد لنا وللدنيا أنهم في رباط ومحبة وتعاون دائمًا مع المسلمين.

مصر العزيزة،

رغم أن ٥ يونيو ٦٧ كان في التاريخ يوم اثنين أسود حزين، إلا أن من أحبوك يا مصر طرزوا ثوبًا سندسًا أخضر موديل ٧٣، فقد غزلوه بدمائهم وعرقهم ودماء شهدائهم في ٦ سنوات عن يقين.

فلبست يا مصر ثوب النصر وتمنيت ١٠ رمضان ربيع عمري عبر السنين... وها هم الخلق وقفوا ينظرون إليك متسائلين... كيف استطعت بناء قواعد هذا المجد وحدك... رغم شبابك وأشراك الصيادين... قولي لهم الحقيقة... قولي لهم حقيقة قوة وإرادة وأمانة وإخلاص أهلك الصامدين... وجند الله مع جندك عبروا القناة ودكوا حصون بارليف مكبرين فمنحهم الله النصر المبين ورفع أعلام مصر على أرض المرسلين.

حبيبة قلبي،

هذا وجهي الذي كنت تعرفين... وهذا قلبي الذي كان وما زال زاده حبك الدفين.

وهذا صوتي ينادي معلنًا للناس أجمعين... اجعلوا دائمًا مصر أولًا قبل الآخرين.

سلام عليك.... فإني سأمضي رغم الحنين.

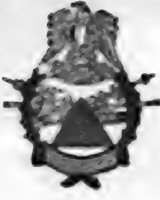
وعذري أني منحتك عمري طول هذه السنين... وسطرت حبك فوق الجبين.

فلا تحزني إن حملت عصاي وداعًا إلى أرحم الراحمين.

فقد دعوت الله أن أكون شهيدًا أهواك... لأنك كنت الأمان وحصني الحصين ولكني من المتقاعدين.

أكتوبر ٧٣

حبيبك عبد المنعم خليل



بسم الله الرحمن الرحيم

نظراً لما امتزت به من طهارة القلب واللسان وطهارة في العمل
ولما لمسناه منك من يقين كامل بصر بعد الله ومن قرب إلى
الله تعالى في كل أعمالك .

فإني أتشرف بدعوتك وأسرتك لقضاء يوم كضيف القائد
بمعسكر الترفيه من المقاتلين وعائلاتهم بمعسكر العباسية .

ما بين سعت ٩٠٠ حتى سعت ٢٠٠٠ يوم / / ١٩٧

لواء
عبد المنعم خليل



دبابة «عساف ياجوري» ـ ٨ أكتوبر ١٩٧٣



في قطاع القنطرة شرق الفريق أول أحمد إسماعيل وقائد الجيش الثاني الميداني وقائد القطاع



زيارة الوفد الأمريكي للقنطرة ـ ٢١ نوفمبر ١٩٧٣

الباب السادس

تحليل الموقف العسكري للقوات المتحاربة

الفصل التاسع عشر

المشاركة العربية في حرب رمضان

بالرغم من تباين حجم الجيوش العربية واختلاف بُعدها عن مسارح العمليات في سيناء والجولان، فإن جيشَي مصر وسوريا، اللذَيْن حملا عبء القتال في الأيام الأولى للحرب الرابعة، لم يبقيا وحدهما في الميدان، بل سارعت لدعمهما قوات عربية مختلفة. وكان وصول هذه القوات واشتراكها في القتال متتابعًا، نظرًا لبعد مواقع تمركزها وضرورة انتقالها إلى أرض المعركة بعد تعبئتها وتمام استعدادها للقتال. كما شاركت الدول الغنية بتعويض جزء كبير من نفقات الحرب بأموال لدعم الصمود.

العراق

عندما اندلعت الحرب دفعت القيادة العراقية قواتها الجوية منذ الأيام الأولى للمعركة، كما حركت فرقتين، إحداهما مدرعة والأخرى ميكانيكية، إلى الجبهة الشمالية. وشاركت هذه القوات في القتال إلى جانب القوات السورية. وأعلنت العراق أنها تضع كل قواتها المسلحة تحت تصرف مصر وسوريا، كما أعلنت اشتراكها في حرب البترول العربية. واشتراك العراق غيَّر موازين القوى بالجبهة الشمالية.

الجزائر

اشترك الطيران الجزائري منذ الأيام الأولى للمعركة، ووصلت إلى مصر قوات جزائرية برية ومعها ٢٠٠ دبابة، وانضمت إلى الاحتياطي الإستراتيجي بالجبهة

المصرية قبل وقف القتال. وكانت الجزائر قد شاركت مصر في القتال بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ مباشرة، وأعلن بومدين وضع القوات الجزائرية في خدمة المعركة، فقد وصلت إلى جبهة قناة السويس كتيبة مشاة جزائرية قوامها ٣٢ ضابطًا و٦٠٦ صف ضابط وجندي، وقد كان لي شرف وضعها تحت قيادتي في قطاع السويس اعتبارًا من يوم ١٤ يونيو ١٩٦٧. وتم تخصيص المهام لقائدها بعد الانتهاء من ترتيبات الإعاشة والإيواء في السويس.

ويسعدني أن أنوه هنا بروح التعاون الصادق والأخوة والمحبة التي لمستها شخصيًّا، وشعر بها كل من عاش معنا في قطاع السويس من رجالي ومن أهل السويس جميعًا في تلك الفترة الحرجة في تاريخ مصر.

ثم شاء القدر أن أتولى قيادة الفرقة الثالثة المشاة في قطاع جنوب الإسماعيلية الذي تتبعه منطقة الدفرسوار وفايد، ويوضع تحت قيادتي لواء جزائري مدرع ووحدات مشاة ميكانيكية ومدفعية جزائرية على مستوى رفيع من التدريب والانضباط. وقد أشاد الرئيس جمال عبد الناصر بهذه الصفات عندما زار الجبهة واجتمع بهم معنا في شهر مارس ١٩٦٨ كما سماه الرئيس جمال: «اجتماع محبة وعرفان بالجميل».

واستمرت القوات الجزائرية تعمل معنا خلال سنوات الاستنزاف والحسم، وكانت تحت قيادتي أيضًا عندما كنت قائدًا للجيش الثاني في هذه الفترة أيضًا.

وقد خصصت للقوات الجزائرية مهام قتالية، أهمها مسؤولية الهجوم المضاد على منطقة الدفرسوار في حالة نجاح العدو في العبور غربًا. كما كان لها مهام أخرى، أهمها التعامل مع قوات العدو التي يحاول إبرارها في المنطقة غرب البحيرات المُرة في فايد وما حولها، وتم تدريبهم على كل هذه المهام واختبار كفاءتهم في التنفيذ. كما كان للعميد أ.ح أبو غزالة دور كبير في تدريبهم على مهام الاشتباك مع مدفعية العدو والاشتراك في خطة القصف المدفعي على مواقع ووحدات العدو في الشرق.

كما شاركت القوات الجزائرية قواتي في جميع المشروعات التدريبية والرماية

وفي المسابقات الرياضية والترفيهية وتبادل الزيارات بين الوحدات في الجيشين الثاني والثالث. تحية خاصة إلى رجال القوات الجزائرية الأبطال الذين اشتركوا معنا منذ عدوان ١٩٦٧ حتى أكتوبر ١٩٧٣، وتحية إلى الشعب الجزائري الطيب النبيل.

القوات المسلحة الكويتية

شاركتنا وحدات من الجيش العربي الكويتي على جبهة قناة السويس، وكانت الكتائب تتبادل المهمة كل ثلاثة أشهر، وتتجمع في معسكر بالجبل الأحمر بالعباسية للترحيل جوًّا إلى الكويت، وكانت لي صداقات مع قادة الكتائب الكويتية وبعض ضباطها ومع بعض ضباط الصف.

وكنت وأنا قائد الجيش الثاني في سنوات ما قبل حرب ١٩٧٣ أجد متعة في مشاركتهم طعامهم وقهوتهم المُرة-الحلوة المذاق، وكنت معهم دائمًا في التدريب والرماية، وكان لديهم أسلحة غريبة تختلف عما لدينا في بعض أنواعها، وكنت أحاول الاستفادة من إمكانياتها في الدفاع والتراشق بالنيران.

ولم أعطهم حقيقة فرصة للعبور شرقًا خوفًا عليهم، ولكني أشركتهم في عمليات اصطياد قوات العدو واقتناص أفراده، وخصصت لهم مهامَّ ليس في قطاع فايد فقط، ولكن في الإسماعيلية في مواجهة نمرة ٦ حيث حصن العدو القوي شرقها.

وكان تمركزهم في جزيرة الفرسان حيث كانت توجد استراحة اتخذها الرئيس السادات استراحة له بعد الحرب، وذلك بعد تجديدها والعناية بها: وأذكر أنه قد تعرضت المنطقة للقصف الجوي والقصف المدفعي من العدو، وللأسف فقد سقطت دانة مباشرة على ملجأ تحت الأرض سدت فتحاته وانهار عليهم، واستشهد منهم من استشهد وجرح منهم من جرح، وارتوت أرض مصر من دمائهم الشريفة، وقلت لنفسي: يا ليتني أرسلتهم حسب رغبتهم شرقًا لقتال اليهود! ولكن هذه هي إرادة الله سبحانه وتعالى.

وعندما قامت قواتنا بالعبور واقتحام حصون خط بارليف كانوا معنا لحماية مؤخرة القوات جنوب الدفرسوار ومَرْسَى أبو سلطان، وكلفتهم بمهام التأمين والدوريات والدفاع.

وأذكر أن الرئيس محمد أنور السادات، أثناء زيارته للجيش الثاني في أوائل عام ١٩٧١، قام بزيارتهم في مواقعهم والتُقطت له معهم صور تذكارية.

المغرب

شارك المغرب منذ الجولة الأولى من حرب رمضان بالمجموعة القتالية التي وصلت سوريا وأخذت مواقعها بالجبهة السورية في أكتوبر ١٩٧٣، وأثبتت وحدات هذه المجموعة شجاعة نادرة وكفاءة قتالية عالية، كما وصل إلى الجبهة المصرية لواء مغربي للاشتراك معنا في القتال.

السودان

أعلنت الحكومة السودانية عن استعدادها للمشاركة في القتال، كما أن قواتها التي أرسلت إلى مصر في حدود لواء مشاة أسهم في مزيد من الدعم العسكري لمصر.

الأردن

اشترك الأردن في الجولة الأولى بواسطة لواء مدرع أردني بالجبهة السورية، واشترك في التصدي لمحاولات الاختراق الإسرائيلية في الأسبوع الثاني قتال، ووضع لواء آخر مدرع في المعاونة المباشرة.

السعودية

ساهمت القوات السعودية بحوالي لواء على الجبهة السورية، كذلك ساهمت بدفع ثمن نقدي لعدد مائتَيْ دبابة لسد خسائر الدبابات السورية التي دمرت أو التي تعطلت. وهذا بالطبع بالإضافة إلى المساهمات المادية والمساهمة في حرب البترول.

الثورة الفلسطينية

شاركت القوات النظامية الفلسطينية في القتال على جبهة قناة السويس في قطاع فايد حسبما لديها من إمكانيات وقدرات.

ليبيا

أعلن الرئيس القذافي منذ بداية حرب رمضان أن ليبيا ستقدم الأموال اللازمة لكلٍّ من سوريا ومصر لدعم المجهود الحربي، وكذلك تموينهما بالنفط، كما حذر الولايات المتحدة من التدخل في الحرب ووقف تصدير النفط إليها. وقد علق الرئيس السادات على اشتراك القوات العربية المسلحة في القتال على الجبهتين المصرية والسورية وعن مساعدات العرب المادية والمعنوية قائلًا:

ـ حصل أروع ما حصل للوحدة العربية، ففي وقت الأزمة وقفنا جميعًا وقفة رجل واحد، ولو كانت المعركة امتدت لفترة أكثر من ذلك كان من الممكن إشراك القوات المسلحة العربية في القتال وكانت نتائجه ستكون حاسمة.



الرئيس السادات مع القوات العربية الكويتية بالجبهة ـ ١٩٧١



الشيخ سعد العبد الله بالجبهة ـ مايو ١٩٧١



زيارة ولي عهد الكويت للجيش الثاني - ١٩٧١
تحية لرجال الجيش العربي الكويتي. نيشان بطل الجيش الثاني لقائد القوة

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الشيخ سعد العبد لله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

فقد شاءت قدرة الله سبحانه وتعالى ان اجد وسيله لتقديم هذه الصور التذكارية الى سموك عندما تشرفت جبهة قناة السويس بزيارتك عام ١٩٧١ خاصة قطاع الجيش الثانى الميدانى ومناطق مسئولية القوات العربية الكويتيه .

ويسعدني ان تقبل يا سمو الشيخ المحترم هذه الصور كنموذج للمحبة والتعاون .

والله اسأل ان يسدد على طريق الخير والنور خطاكم وخطانا ..

مع وافر التحية والاحترام ،

لواء ا ح / عبد المنعم خليل

قائد الجيش الثانى الميدانى اثناء سنوات الاستنزاف والحسم

خطاب إلى ولي عهد الكويت



الاخ الفاضل اللواء أركان حرب عبد المنعم خليل المحترم
القاهرة - جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فاعرب لكم عن وافر الشكر للمشاعر الطيبة التي تضمنتها رسالتكم المؤرخة في أول رجب ١٤٠٩ ومجموعة الصور الخاصة بزيارتي لجبهة قناة السويس ١٩٧١ ... تلك الزيارة التي لها في نفسي ذكريات باقية والتي سعدت خلالها بلقائكم وسائر الاخوة رجال الجيش الثاني المصري واخوانهم رجال الجيش الكويتي الرابضين معا على جبهة القناة يخوضون حرب الاستنزاف ضد قوات العدوان ويتهيأون لمعركة العبور المبارك في رمضان ١٣٩٣ التي كانت بعون الله وتوفيقه نصرا مبينا لمصر الشقيقة وامتنا المجيدة .

ومع خالص تحياتي أبعث لكم أطيب تمنيات الصحة والسعاده.

سعد العبدالله السالم الصباح

الكويت في ٢٩ شعبان ١٤٠٩
٥ ابريل ١٩٨٩

خطاب شكر من ولي عهد الكويت

الفصل العشرون

العقيدة الإسرائيلية ووجهة نظر الجنرال الفرنسي «بوفر»

آمنت إسرائيل بفكرة الحرب الصاعقة الهجومية كأساس وحيد لبقائها واستكمال سيطرتها، وأقامت نظام قواتها وأسلوب عملها وفق هذه العقيدة العسكرية. ولكنها في العاشر من رمضان وجدت نفسها فجأة أمام هجوم عربي قام بدوره على الحرب الخاطفة المبنية على المفاجأة والخداع والتي حققت قول الرسول القائد عليه الصلاة والسلام: «الحرب خدعة».

وكان الخداع من أكثر مظاهر هذه الحرب الخاطفة في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ (يوم الغفران)، وبرغم أن جميع الشواهد على جبهتَي القناة والجولان تؤكد أن الحرب وشيكة الوقوع: من تحركات كثيرة للوحدات المسلحة إلى جبهة قناة السويس في مصر وجبهة الجولان في سوريا، وحتى تصريحات الرئيس السادات بالحرب، ومناورات القوات المسلحة المصرية ومشروعاتها، واستدعاء الاحتياطي، وتصريحات الرئيس السادات أيضًا عند اجتماعه مع ياسر عرفات في أغسطس ١٩٧٣ بحضور قادة منظمة التحرير الفلسطينية، أنه قرر دخول الحرب وسألهم عن الدور الذي سيقومون به.

واقترح عليهم أن يمدوه بقوات أكثر للعمل على جبهة القناة مع اللواء الفلسطيني الذي كان يحتل مواقعه فعلًا على شاطئ البحيرات في جبهة الجيش الثاني بجانب القوات الكويتية. وبالطبع لم يأخذ الزعماء الفلسطينيون هذا القرار بجدية، فقد قيل هذا القرار من قبل، ولم تحدث الحرب خلال سنوات ست منذ هزيمة ١٩٦٧. واجتمع بعد ذلك الزعماء الفلسطينيون في بيروت، وقرروا أن الهدف الرئيسي

للسادات هو توليد ضغط أمريكي على إسرائيل. وحتى في مجلس الشيوخ الأمريكي اتفق الجميع على أن السادات يهوِّش!

وأنقل هنا خمس نقاط تحدد هذه العقيدة من وجهة نظر القيادة المصرية كما صرح بها الرئيس السادات في اجتماعه بقادة القوات.

قال إن إسرائيل بنت أهدافها الإستراتيجية على أساس الآتي:

١ ـ لا حرب على جبهتين: ولكن حدث أن اضطُرت إسرائيل للحرب في جبهتين في وقت واحد.

٢ ـ لا خسائر في الأفراد: أخذت إسرائيل خسائر جيل بالكامل.

٣ ـ أهمية الفُرقة بين العرب: وقف العرب جميعًا وقفة رجل واحد.

٤ ـ الحرب يجب أن تكون خاطفة وقصيرة: امتدت الحرب إلى أكثر من ١٧ يومًا.

٥ ـ الاعتماد على المبادرة والمفاجأة: أخذت مصر وسوريا المبادرة في الاثنتين.

تحليل الوضع السياسي والعقيدة العسكرية والأهداف الإستراتيجية للعدو

١ ـ إن أمن إسرائيل بني على أساس حدود قوية وقرى محصنة يسهل الدفاع عنها، وهذا بالطبع سيجعل العرب يفكرون كثيرًا قبل محاولتهم القيام بأي هجوم، وقد صرح «ديان» بعد حرب ١٩٦٧ بأن هدف إسرائيل هو تحويل خطوط وقف إطلاق النيران إلى سلام دائم مع العالم العربي، وللوصول إلى ذلك فإن علينا حماية حدودنا الجديدة بطريقة تطرد أدنى أمل قد يعلق في أذهان أعدائنا بقدرتهم على طردنا بقوة السلاح. وقالت «جولدا مائير» عن حصون خط بارليف إنها لن تسمح بعبور القوات المصرية للضفة الشرقية، وإلا سيعتبر عبورها إهانة للذكاء الإسرائيلي.

٢ ـ هدف القوات الإسرائيلية المسلحة هو ردع العدو عند بدء حرب جديدة وخارج نطاق المناطق السكانية بإسرائيل، وبالطبع فإن احتلال إسرائيل للضفة الغربية والجولان وسيناء يزيد في عمق وعرض إسرائيل الإستراتيجي بشكل يعطي القيادة العسكرية فرصة كبيرة للمناورة في المكان والزمان، ويحقق لها النصر بأكبر قدر من السرعة والكفاءة مع أقل قدر من الخسائر.

٣ ـ زيادة الكثافة النارية لتعوض النقص البشري: إن ضخامة المعدات العسكرية الحديثة التي حصلت عليها إسرائيل من أمريكا، وكذا ضمان استمرارها ستضمن لإسرائيل التفوق وتعويض مشكلة النقص البشري.

٤ ـ تؤمن إسرائيل بمهارة مخابراتها التي لا تخطئ: كانت دقة المعلومات التي تحصل عليها إسرائيل بشكل مباشر أو غير مباشر تضمن لها تنفيذ عملياتها المحدودة أو الكبيرة بشكل مذهل يحطم معنويات المواطن العربي الذي أصبح يعتقد أن العدو يعرف عن بلاده وقواته المسلحة الشيء الكثير إن لم يكن كل شيء.

وأعتقد أن المفاجأة التي أحدثت الذعر في نفوس الإسرائيليين خير دليل على عدم كفاءة المخابرات الإسرائيلية في حرب رمضان، علمًا بأنها علمت بنية الهجوم المصري-السوري يوم ٢٨/ ٩/ ١٩٧٣ حسب تصريحات الرئيس الأسد، وأن الموساد أخطر «ديان» و«أليعازر» به، ولكنهم اعتقدوا أن هذا تهويش من الرئيس السادات.

٥ ـ خطأ التقديرات الإسرائيلية في الآتي:

ـ إن خروج السوفييت من مصر سيضعف قدرة القوات المسلحة المصرية، وخاصة الدفاع الجوي والطيران.

ـ لن يبدأ العرب القتال في ظل علاقتهم المتوترة مع الاتحاد السوفيتي، خاصة بعد طرد المستشارين السوفييت من مصر.

ـ اعتبرت إسرائيل أن الجبهة الشرقية «حبر على ورق» ولن تقوم لها قائمة، وأن الجيش العراقي لن يتحرك لا إلى الشمال ولا إلى الشرق.

ـ أخذت إسرائيل نشاط الرئيس السادات قبل المعركة وتصريحاته بأن استئناف القتال أصبح أمرًا محتمًا، أنه لأغراض الدعاية.

ـ لا يمكن للعرب أن يقاتلونا جميعًا نظرًا لكثرة الخلافات العربية. ولكن حرب رمضان أظهرت قدرة الأخوَّة العربية.

ـ الغرور الإسرائيلي والاعتماد على جدر الخوف التي أقاموها في نفوس العرب أنستهم أن في السويداء رجالًا وأننا نحن العرب قد صدَّرنا الذعر إليهم وحطمنا الغرور.

وزار الجنرال «بوفر» جبهة الجيش الثاني بعد إيقاف القتال، وكان معه الصحفي الكبير الأستاذ هيكل، ودار الحديث بيننا في قيادة الفرقة الثانية المشاة شرق الإسماعيلية على مائدة غداء ميداني حضره العميد أ.ح حسن أبو سعدة، قائد الفرقة التي صدت الهجوم المضاد الإسرائيلي يوم ٨ أكتوبر وأسرت قائده. وكان ملخص ما دار من حديث لا يخرج عن تقريره في ديسمبر ١٩٧٣:

إن الموقف العالمي الحالي مع وجود القوتين الأعظم وتهديد الحرب النووية، يجعل الحرب محدودة من حيث الوقت ومن حيث الأهداف، وإن ذلك لا يرجع إلى رغبتنا أو عدم رغبتنا في ذلك، ففي الواقع وفي الحقيقة كانت حرب أكتوبر حربًا محدودة على الرغم من أن عدة آلاف قد قتلوا فيها، إلا أنها محدودة في هدفها، محدودة في مدتها.

وتعتبر المعركة المسلحة جزءًا من مباراة كبيرة تتطلب عمليات دعائية واقتصادية ودبلوماسية وعسكرية مكثفة، تعتبر مباراة كاملة. كذلك تعتبر القوات المسلحة مثل طبلة كبيرة في سيمفونية تعمل مع الآلات الأخرى في الوقت المناسب. فالمباراة عبارة عن فرقة موسيقية بمختلف الوسائل وللعسكريين فيها دور.

ولو أننا كعسكريين نفضل أن نعزف وحدنا مقطوعة «سولو» (أي منفردة)، إلا أن الأمر ليس كذلك حاليًّا بسبب الطبيعة المحدودة للحرب.

ومن وجهة النظر هذه يعتبر الهجوم المصري في العاشر من رمضان عملًا رائعًا، فقد حطم هذا الهجوم الثلج الذي شل الموقف السياسي وخلق فهمًا أفضل للحقيقة. وإذا لم يرضخ الإسرائيليون للحل الوسط، فإن عليهم أن يواجهوا حربًا أخرى. ولقد فهم العالم كله هذه الحقيقة بما فيهم الإسرائيليون أنفسهم.

ولقد أنجز المصريون هذا العمل بجدارة وشجاعة برغم أن الإسرائيليين قد بالغوا في تقدير قوتهم وقللوا كثيرًا من قدرة المصريين، وبذلك نشأ عنصر المفاجأة، واعتقد الإسرائيليون أن الأمر سيكون كما كان في عام ١٩٦٧ سهلًا جدًّا بالنسبة لهم، وعندما اكتشفوا أن الأمر ليس بهذه السهولة أصابهم الذعر.

وقد استطاع الإسرائيليون أن يدركوا أخطاءهم بسرعة وطلبوا من أمريكا أن تمدهم بالأسلحة اللازمة وحصلوا عليها في نهاية الأسبوع الأول من القتال، فاستطاعوا أن يكيفوا أنفسهم بسرعة مع المشكلة الجديدة،

وأصبحوا مستعدين لشن هجومهم في الأسبوع الثاني في موقف جوي ملائم، وكانت خطتهم هي اختراق الوسط وإقامة رأس جسر غرب قناة السويس بهدف سيكولوجي أكثر منه عسكري. فقد اعتقدوا أنهم بعد أن يعبروا القناة فإن وقف إطلاق النيران سوف يأتي ليحميهم ضد القوات المصرية.

والواقع أنه نتيجة للصدفة أو المهارة الإسرائيلية، فقد حققت عملياتهم هذه نجاحًا حتى ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣ بسبب الاتساع الأكثر من اللازم للجبهة المصرية والتأخر في شن الهجوم المصري المضاد.. ولكن في ٢٣ أكتوبر ١٩٧٣ خرقوا وقف إطلاق النيران واستطاعوا بالغش أن يتقدموا، وهذه خدعة إسرائيلية لجأوا إليها أكثر من مرة، ودفعوا بقوات مدرعة إلى السويس وإلى الغرب بهدف حماية وقف إطلاق النيران، وقد حصلوا على مظهر من مظاهر النصر، وأقنعوا الرأي العام الإسرائيلي بأنهم يستطيعون كسب الحرب وأنهم ليسوا ملزمين بتقديم تنازلات.

وكان على إسرائيل إما زيادة قوتهم العسكرية خاصة من الناحية النوعية، لأنهم لا يستطيعون تعبئة قوات أكثر، ويصبحون أكثر تشددًا فيما يتعلق بما يسمونه حدودًا آمنة، أو كحَلٍّ ثانٍ أن يوافقوا على التوصل إلى تسوية على اعتقاد منهم بأنها أفضل وسيلة لبث الفُرقة بين العرب. ونجحت إسرائيل في اتخاذ الحل الثاني مع مصر وحدث ما حدث.

وعمومًا يجب علينا أن نكون دائمًا أكثر قدرة وقوة ونستفيد من الدروس التي تعلمناها وأن نكون على استعداد لمرحلة عسكرية جديدة، وسيظل دائمًا السباق النوعي للتسليح مستمرًا.

الفصل الحادي والعشرون

تحليل الموقف من وجهة نظر العسكرية الأمريكية

زارت اللجنة الفرعية من أعضاء الكونجرس الخاصة بالشرق الأوسط إسرائيل في الفترة من ١٧ إلى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٣، كما زارت مصر في المدة من ٢١ إلى ٢٤ منه. وفي زيارتها لإسرائيل عقدت اللجنة محادثات مع «جولدا مائير» رئيسة الوزراء، ومع «موشي ديان» وزير الدفاع. أما في مصر فقد تقابلت مع الرئيس السادات والجنرال أحمد إسماعيل، وجاء في تقريرها، والذي وصلتني منه نسخة خاصة بصفتي قائد الجيش الثاني الذي استقبل اللجنة في جبهة الجيش.

وتمت مقابلة اللجنة في معسكر الراحة التابع للجيش الثاني بالإسماعيلية، حيث أعطيتهم فكرة عن الموقف العام، ثم صحبتهم لزيارة الضفة الشرقية بمنطقة القنطرة، وشاهدوا حصون خط بارليف المدمرة والتي ارتفع عليها علم مصر في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣. وقد أشادت اللجنة بالاستقبال الذي تم لهم في قطاع القنطرة شرقًا، حيث قوبلوا بالموسيقى العسكرية للجيش الثاني فوق حصن مدمر من حصون خط بارليف تعزف لحنًا من أوبرا عايدة قصدت أن يسمعوها لتعبر عن نصر قواتي في حرب رمضان. كما تم لهم زيارة مقبرة ميدانية صغيرة دُفن بها على عجل اثنان من الشهداء المصريين واثنان قتلى من الإسرائيليين جنبًا إلى جنب في مكان معركة حدثت بعد عبور قواتنا، ومع أنغام موسيقى الجيش في تكريم الشهداء والقتلى يطلق عليها «نوبة صحيان»، وضعوا معي أكاليل من سعف النخل على قبورهم. ثم زارت اللجنة قطاعات أخرى من جبهة الجيش حتى

بورسعيد وبورفؤاد، حيث قابلنا محافظ بورسعيد وزار معهم أماكن مدنية من منازل ومدارس ومستشفيات قصفتها القوات الجوية الإسرائيلية خلال حرب رمضان.

بعض نقاط مهمة من تقرير اللجنة الفرعية والتي كان يرأسها «صامويل س. ستراتون» من مقاطعة نيويورك، ومعه حوالي ٢٠ عضوًا أمريكيًّا:

- جاء في مقدمة تقرير اللجنة أن الصحافة قد بالغت أكثر من اللازم وعظمت قدر السوفييت إلى ١٠ أقدام أطول من حقيقتها بسبب ما أحدثته أسلحتهم في حرب أكتوبر. وكانت هذه بداية حيث تم تحليل إمكانيات الأسلحة السوفيتية، خاصة الدبابة ت ٦٢ والصواريخ سام ٦ السوفيتية الصنع ودورها في تأمين العبور المصري، ثم نجاح القوات الأرضية الإسرائيلية في تدمير كثير من البطاريات سام ٦ خاصة غرب القناة بعد ١٦ أكتوبر ١٩٧٣.
- وعن المفاجأة التي حققتها القوات المصرية قالوا إن المصادر الإسرائيلية شاهدت الحشد المصري للمعدات والتحركات على طول الجبهة، ولكنها اعتبرت هذا تدريبًا عاديًّا أو مناورة للقوات المصرية بهدف تدريبي وليس قتالي. كما تمكنت مصر حقيقة من حشد ما بين ٧٠ ألف و٨٠ ألف مقاتل وعدد كبير من الدبابات والعربات المختلفة الأنواع، وتحركت إلى منطقة القناة دون أن يحددها العدو.
- وأشارت اللجنة أن سبب القصف الجوي المُركَّز للمساكن في بورسعيد برغم أن منطقة بورسعيد كانت محمية جيدًا بصواريخ سام المضادة للطائرات، أن إسرائيل ظنت أن المصريين استخدموا هذه المساكن والمباني في إخفاء قوات مصرية مجهزة لعمليات عبور جديدة إلى الشرق من هذا القطاع.
- وقد ذكرت اللجنة أن الجانب الإسرائيلي اعترف بكفاءة وفاعلية قوات الصاعقة والمظلات والقوات الخاصة التي أسقطت خلف خطوطهم، ولكنهم تعجبوا أنه لم تلحق بهم أي قوات برية لاستغلال نجاحهم أو لم يحاول المصريون إعادتهم بعد تنفيذ مهامهم. وقالوا إن بعض الضباط المصريين قالوا لهم إن هذا كان ضمن خط الخداع في أن القوات المصرية تشن هجماتها من جميع الاتجاهات ويحتار العدو الإسرائيلي عن اتجاه الهجوم الرئيسي المصري.

ـ وشهدت اللجنة في تقريرها أنه في طريقهم من القاهرة إلى الإسماعيلية والقناة شاهدوا حشود مدرعات وعربات متنوعة في طريقها إلى الجبهة، وكل كيلومتر في الطريق تقام به تحصينات، وشاهدوا انتشارًا كبيرًا لأسلحة مصرية متنوعة في حفر محصنة.

ـ وقالت اللجنة أيضًا في تقريرها إن المصريين فخورون بما استولت عليه قواتهم من أسلحة ومعدات أمريكية الصنع يستخدمها الإسرائيليون، وقد شاهدت اللجنة عددًا كبيرًا من دبابات أمريكية في طريقها إلى وسط القاهرة للعرض أمام الشعب المصري في شهر ديسمبر ١٩٧٣.

ـ وادعت إسرائيل أن الضباط السوفييت هم الذين خططوا للعبور المصري في ٦ أكتوبر ١٩٧٣ حتى مستوى الكتيبة المشاة. ولكن اللجنة أشارت أنها لم تشاهد أي قوات سوفيتية أو ضباطًا سوفييت في كل المناطق التي زاروها أو مروا عليها.

ـ واعترف الجانب الإسرائيلي بصراحة أنهم فوجئوا بالهجوم المصري مفاجأة تامة ولم يقدروا قدرة مصر وسوريا تقديرًا سليمًا. وقال «أليعازر» رئيس الأركان الإسرائيلي: «لا أصدق أن العرب قادرون على القتال».

ـ وعن الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ١٩٧٣ بالنسبة للجانب الإسرائيلي أشارت اللجنة إلى أهمية اعتماد القوات المسلحة الإسرائيلية في الحرب المقبلة على قوة نيران كبيرة، وكعقيدة يجب تنفيذ هذا لتعويضهم النقص في القوة البشرية. أما عن القوات الجوية فيجب أن يكون لديهم رصيد أكبر من الطيارين المدربين والطائرات في الاحتياط وفي التخزين.

ـ وعن الطائرة الهليكوبتر، أشاروا أن قائد القوات الجوية الإسرائيلية لا يحبذ الاهتمام التام بها إلا إذا استخدمت ليلًا وبطريقة... (محظور النشر في التقرير). أما بعد إيقاف القتال فقد استخدمت في عمليات النقل والإمداد نهارًا، وكذا في توصيل الوجبات الساخنة إلى الجنود في الخطوط الأمامية.

ـ وختمت اللجنة جزءًا من تقريرها تقول على لسان بعض القادة الإسرائيليين: «كانت الأسلحة والمعدات الأمريكية هي المتفوقة، ولكن المهمات والأسلحة

الروسية كانت بكميات كبيرة تهدد باتجاه ميزان القوى في صالحهم، وإن العرب كانوا في درجة عالية جدًّا من الروح المعنوية ظهرت في قواتهم المسلحة عند اقتحامهم لحصون خط بارليف».

وقد أرفقت اللجنة بتقريرها رسالة خاصة لي توضح عظيم شكرهم على المحادثات الممتدة التي تمت بيننا خلال زيارتهم لجمهورية مصر العربية، وذلك عندما كنت قائدًا للجيش الثاني خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، مع التمنيات بالسلام الدائم في منطقة الشرق الأوسط.

MELVIN PRICE, ILL.
O. C. FISHER, TEX.
CHARLES E. BENNETT, FLA.
SAMUEL S. STRATTON, N.Y.
OTIS G. PIKE, N.Y.
RICHARD H. ICHORD, MO.
LUCIEN N. NEDZI, MICH.
WILLIAM J. RANDALL, MO.
CHARLES H. WILSON, CALIF.
ROBERT L. LEGGETT, CALIF.
FLOYD V. HICKS, WASH.
RICHARD C. WHITE, TEX.
BILL NICHOLS, ALA.
JACK BRINKLEY, GA.
ROBERT H. (BOB) MOLLOHAN, W. VA.
DAN DANIEL, VA.
G. V. (SONNY) MONTGOMERY, MISS.
HAROLD RUNNELS, N. MEX.
LES ASPIN, WIS.
RONALD V. DELLUMS, CALIF.
MENDEL J. DAVIS, S.C.
JAMES R. JONES, OKLA.
PATRICIA SCHROEDER, COLO.

U.S. House of Representatives
COMMITTEE ON ARMED SERVICES
Washington, D.C. 20515

NINETY-THIRD CONGRESS
F. EDWARD HÉBERT, CHAIRMAN

WILLIAM G. BRAY, IND.
LESLIE C. ARENDS, ILL.
BOB WILSON, CALIF.
CHARLES S. GUBSER, CALIF.
CARLETON J. KING, N.Y.
WILLIAM L. DICKINSON, ALA.
JOHN E. HUNT, N.J.
G. WILLIAM WHITEHURST, VA.
C. W. BILL YOUNG, FLA.
FLOYD D. SPENCE, S.C.
WALTER E. POWELL, OHIO
ROBERT PRICE, TEX.
DAVID C. TREEN, LA.
WILLIAM L. ARMSTRONG, COLO.
GEORGE M. O'BRIEN, ILL.
ROBIN L. BEARD, TENN.
DONALD J. MITCHELL, N.Y.
MARJORIE S. HOLT, MD.
ROBERT W. DANIEL, JR., VA.

FRANK M. SLATINSHEK, CHIEF COUNSEL
ONETA L. STOCKSTILL, EXECUTIVE SECRETARY

December 19, 1973

Dear General Khalil:

On behalf of all the members of the Special Subcommittee on the Middle East, I want to tell you how grateful we are to you for the many courtesies extended to us during our recent visit to Egypt while you were serving as commanding general of the 2nd Army.

I recognize that our visit, coming in the midst of a continuing wartime situation, imposed special burdens on you, and we are sincerely appreciative that you went out of your way to receive us and help us carry out our mission.

All the members came back convinced that our trip was one of the most valuable experiences we have ever had, and we are hopeful that our official report, a copy of which I am enclosing, will make a contribution a just and lasting peace in the Middle East.

Once again, our warmest thanks for all your courtesies and kindnesses. I know all the members of the subcommittee look forward to the opportunity to return to Israel very soon for another and longer visit.

Cordially,

Samuel S. Stratton, Chairman
Special Subcommittee on the Middle East

enclosure

Maj. Gen. Abdul Moneim Khalil
Assistant to the Minister of War
Cairo, Egypt

Thanks for the grand reception at Kantara East - for the wonderful plaque of your flag + great 2nd Army and the medal.

Good luck

خطاب لجنة أعضاء الكونجرس

الفصل الثاني والعشرون

تحليل الموقف من وجهة نظر العسكرية السوفيتية

خلال شهر نوفمبر ١٩٧٣ زار الجبهة وفد عسكري سوفيتي على مستوى عالٍ برئاسة الجنرال «لاشنكوف»، وضم الوفد بعضًا من المستشارين والخبراء السوفييت الذين سبق لهم العمل معنا في أفرع القوات المسلحة المصرية المختلفة. وبعد زيارة بعض مواقع حصون خط بارليف وزيارة بعض المناطق التي دارت فيها المعارك المهمة، طلبوا الاجتماع معي ومع بعض قادة التشكيلات والرؤساء بالجيش الثاني، وناقشوا معنا موضوعات كثيرة وأهمها تأثير الأسلحة الروسية في الحرب ومقارنتها بالأسلحة الأمريكية التي استخدمتها إسرائيل، وبعض نقاط تكتيكية تخص استخدام الأسلحة عمومًا، وكتبوا تقريرًا عن وجهة نظرهم رفعوه إلى الرئيس السادات، وكان ملخصه النقط التالية:

كفاءة القوات المسلحة المصرية

مستوى الكفاءة القتالية للقادة والضباط والوحدات عالية، كذلك الروح المعنوية مرتفعة، ونفذ الجميع واجباتهم والمهام التي أعطيت لهم. وحدثت أعمال بطولية كثيرة في قوات مصر ونشعر بها كسوفييت والتخطيط الذي تم تخطيط تقليدي، وما تم تسبب في فقد كثيرٍ من فرص المناورة.

وكان يجب دفع القوات المدرعة فورًا بعد نجاح القوات في تأمين رؤوس الكباري المستولى عليها، وقد نجحت القوات المصرية في مفاجأة العدو الإسرائيلي.

وعن تشكيلات الجيش أشار التقرير إلى أن الفرق المشاة نفذت مهامها بنجاح وتوقفت!

أما الفرق المدرعة فكان يجب استخدامها بطريقة أفضل ولم تؤمن عند الدفع للاشتباك التأمين الكافي، خاصة من ناحية القوات الجوية والدفاع الجوي.

أما رؤوس الشواطئ، فنظرًا لثباتها فترة طويلة، فقد استطاع العدو معرفة نقاط الضعف في الدفاعات المصرية وتسرب من الثغرة.

وقد نفذت المدفعية المصرية أعمالها بنجاح إلا أنها لم تستخدم بطريقة كاملة لتدمير دبابات العدو، وقد كان يمكن الاستفادة منها أكثر من ذلك. أما المناورة بنيران وأسلحة المدفعية فكانت ضعيفة، وكان ضرب المدفعية ضربًا مساحيًّا وليس على أهداف محددة، وكان استخدام المالوتكا جيدًا.

وأضاف التقرير ملاحظة مهمة، وهي أنه في حالة هجوم على جزء من القوات فيجب أن تعمل جميع القوات الأخرى أعمالًا إيجابية في اتجاهات مختلفة.

القوات الجوية والدفاع الجوي

كانت كفاءة القوات الجوية المصرية ٤ , ١ : ١ بالنسبة للطيران الإسرائيلي. وكان استخدام الطيران في الاستطلاع غير جيد، وكانت طائرات الاستطلاع تطير منخفضة.

أما قوات الدفاع الجوي فقد نجحت في مهامها وخسائرها أقل مما كان متوقعًا لها بكثير.

الاستطلاع والاتصال

يجب إعادة تنظيم عناصر الاستطلاع والتركيز على أعمال المؤخرة نهارًا وليلًا، ونلاحظ أنه للآن لا يوجد استطلاع مؤخرة. ويجب أن يكون تحليل المعلومات أكثر عمقًا مما حدث.

كما كانت جميع القوات تعتمد على الاتصال الخطي وليس اللاسلكي، وهذا يؤدي إلى تعطل الاتصال بين الوحدات. كما لم يتم تنظيم التعاون لتأمين رؤوس الشواطئ أو تأمين الفواصل لا بين التشكيلات وبعضها ولا بين الجيشين الثاني والثالث، مما سمح للعدو الإسرائيلي بالتسلل بينهم.

القوات المصرية غرب القناة

الحقيقة أن القوات المصرية غرب القناة مفتتة أكثر من اللازم! ويقترح الجنرال السوفيتي «لاشنكوف» أن تعود عناصر كل وحدة إلى وحدتها الأصلية كلما أمكن.. وفي الحقيقة أني حاولت تجميع الوحدات مع الوحدة الأم بمجرد وصولي إلى قيادة الجيش الثاني في الإسماعيلية يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣، ولكن أوامر القيادة العليا تقضي بعدم سحب أي قوات من الشرق.

كما أشار الجنرال إلى أن محاولات القوات المصرية للقضاء على القوات الإسرائيلية غربًا كانت متفرقة وضعيفة، ولو كانت القوات المخصصة أو التي خصصت قد ركزت أعمالها معًا لكان الموقف قد تغير. وأكد الجنرال الروسي «لاشنكوف» في لقائه معنا وفي تقريره أن تقدم القوات المصرية إلى الأمام لتدمير العدو الإسرائيلي لم يكن هو الاتجاه السليم للتقدم، وكان يجب عدم الهجوم بالمواجهة، فقد خسرت القوات المصرية فرص المناورة، وقال كان يجب أن تتقدم القوات المصرية إلى وسط سيناء مباشرة ـ وأعتقد أنه يقصد المضايق (متلا والجدي، إلخ) وبدون وقفة تعبوية وهي الوقفة الطويلة التي وقفتها القوات المصرية في رأس الشاطئ الذي لم يتعدَّ عشرة كيلومترات.

وبرغم أننا حققنا مفاجأة العدو تمامًا إلا أن هذه الوقفة أعطت القائد الإسرائيلي ورقة رابحة بمعرفة نقط الضعف في القوات المصرية وفي المواجهة وفي الغرب، وقام بالتسرب في ثغرة الدفرسوار، ووصلت قواته إلى حوالي ٦ لواءات في الغرب.

وقد علق الرئيس السادات على المساعدات السوفيتية لنا في حرب أكتوبر قائلًا:

ـ لقد أرسلت لنا روسيا مساعدات مستمرة، ولكن لا تقارن بما فعلته أمريكا لإسرائيل، ولم ترسل لنا طائرات ولا دبابات، وكانت كمظاهرة روسية أمام العالم الغربي! وكلها كانت عن عقود مبرمة ومتأخرة عمدًا كسياسة تسويف.

وقص علينا الرئيس السادات قصة ذهاب الرئيس الجزائري بومدين إلى روسيا للتفاوض في شراء دبابات، وأنه أخذ معه ٢٠٠ مليون دولار وعمل كزبون يريد شراء سلاح بالثمن النقدي الفوري ولكنهم ماطلوا. وقال:

ـ كان يمكن أن ترسل لنا روسيا ٢٥ طائرة كل شهر، بعكس أمريكا أو إنجلترا، لأن مصانعهما لها طابع القطاع الخاص، أما روسيا فمصانعها ملك الدولة وقادرة على العطاء.

صور عن بعض المستشارين السوفييت

١ ـ العقيد «بوريس»

عقيد في الجيش السوفيتي، وهو أول مستشار روسي يعمل كمستشار لقائد الفرقة الثالثة المشاة أثناء فترة إعادة التنظيم ثم حرب الاستنزاف، وكانت الفرقة مسؤولة عن الدفاع عن قطاع جنوب الإسماعيلية حتى فايد، وكانت قيادة الفرقة في منطقة غرب الدفرسوار بحوالي ٥ كيلومترات.

وتطلبت إعادة التنظيم والتدريب إجراءات كثيرة مضنية، وكان يتعاون معي بصدق وإخلاص في العمل ولا يتكلم إلا في الأمور والموضوعات التي أجدها في صالح رجالي ورفع كفاءتهم القتالية، وأحترمه لشخصيته القوية وعلمه ومعرفته بفنون القتال والتكتيكات الصغرى وأعمال الرماية، واشترك في الإعداد لكل المشروعات بالجنود وغيرها بما فيها مشروعات الرماية بالذخيرة الحية للمشاة والمدرعات والمدفعية والدفاع الجوي، وجاءت نتائج وحدات الفرقة في أعمال الرماية ممتازة والحمد لله. كما كانت سيطرته على الخبراء والمستشارين في اللواءات والكتائب التابعة للفرقة حاسمة وقوية، وبعد انتهاء خدمته في مصر خلع حزامه الجلد من على وسطه وألبسه لي كتقليد عسكري رائع يدل على المحبة والتعاون. تحية له في وطنه ولكل من شاركه من المستشارين في الفرقة الثالثة المشاة.

٢ ـ الجنرال الروسي «بوكاتو»

عينت القيادة العامة للقوات المسلحة مستشارين سوفييت على مستوى القادة من القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية إلى قادة الكتائب، وبالطبع كانت لهم مزايا كما كانت لهم عيوب. وسأختار في هذا الموقف بالذات شخصية جنرال روسي كان مستشارًا للجيش الثاني الميداني قبل تعييني قائدًا للجيش،

ثم عمل معي عندما كنت رئيسًا لأركان الجيش ثم قائدًا له، ونحلل معًا فكر هذا الجنرال.

فبعد تعييني قائدًا للجيش الثاني الميداني اعتبارًا من ١٢ أغسطس ١٩٦٩ عقدت مؤتمرًا لقادة التشكيلات ومعنا المستشارون السوفييت وعلى رأسهم الجنرال «بوكاتو»، وكنت أعرفه من قبل منذ تعيينه مستشارًا لقائد الجيش الثاني في أوائل عام ١٩٦٨، وهو اللواء أ.ح عدلي حسن سعيد، ثم مع قائد الجيش الثاني اللواء أ.ح أحمد عبد السلام توفيق الذي كنت أعمل معه رئيسًا لأركان الجيش الثاني. وفي هذا المؤتمر دار حوار للتعرف على أفكاره وتقديراته. قال الجنرال الروسي «بوكاتو»:

- لقد حضرت مؤخرًا وخلال شهر أكتوبر مؤتمرًا في السفارة الروسية بالقاهرة بخصوص الموقف الخارجي والدولي وموقف نشاط العدو الإسرائيلي وقواتنا المصرية، وقيل في هذا المؤتمر إن أمريكا تحاول تقسيم الدول العربية انتقامًا من ليبيا والسودان، وإن الرئيس جمال (هكذا قال) سيعلن الموقف يوم ٦ نوفمبر.

وكنا في هذا الموقف يوم أول نوفمبر ١٩٦٩، ثم استطرد قائلًا:

- وأسباب نشاط اليهود الحالي هي الانتخابات والاستفادة من موقف لبنان في هدم الدول العربية. وقد أصدرت روسيا تحذيرًا إلى أمريكا عن أعمالها في لبنان وعن الموقف في الشرق الأوسط وخطورته.

وعن تحليله لموقف العدو الإسرائيلي قال الجنرال «بوكاتو»:

- إن العدو يستغل تفوقه الجوي في الهجمات الجوية نهارًا وليلًا، ولكن يوم ٢٠ نوفمبر الحالي ستصل ٥ كتائب صواريخ سام مضادة للطائرات إلى الجيش الثاني تغطي بعضها بعضًا بنسبة ٥٠٪.

ثم اقترح إعادة النظر في موقف المستشارين السوفييت في الوحدات والتشكيلات، وطالب بتعيين مستشارين جدد للوحدات التي ليس بها مستشارون، ثم طالب بتسليح المستشارين السوفييت بصرف سلاح شخصي لكل فرد مع كمامة

ونظارة ميدان، ثم طلب تأمينهم في التعيينات وتحسين إقامتهم ومعيشتهم. ثم اقترح أنسب طريقة لرفع معنويات الجنود والضباط قائلًا:

ـ هو الدين والإخلاص للوطن.

وحسب ما فهمته من المترجم كان يقصد: «يجب أن نستغل الدين مع الإخلاص للوطن لرفع المعنويات»!

ثم أشار إلى أهمية دراسة موقف الضباط الأصاغر، فهم جوهر الجيش ويجب توجيههم ومعرفة مشاكلهم وحلها. ثم طالب باختيار ضباط صف متطوعين أَكْفَاء وترقيتهم إلى ضباط مثلما يحدث في الجيش الروسي. وعمومًا كان هذا الجنرال يظهر الإخلاص، وكان حقًّا مملوءًا بالنشاط والحيوية ودائم المرور على التشكيلات والوحدات، ويراقب أعمال المستشارين بعناية ويبدي ملاحظاته لي عن التدريب وعن كل ما يراه لصالح الجيش الثاني، له مني تحية شكر وتقدير.

ملخص تقرير مستشار قائد الجيش الثاني الجنرال «بوكاتو»

قال الجنرال «بوكاتو» في المؤتمر المشترك مساء ٨ يناير ١٩٧٠ :

- مضى عليَّ سنتان مع الجيش الثاني الميداني في قناة السويس منذ أول تنظيم للدفاع، وأعرف موقف الجيش تمامًا وأعرف ما تم من أعمال به.
- ثم رُفع مستوى الجيش الثاني في جميع موضوعات التدريب والاستعداد للقتال.
- اكتسبت القوات أثناء العمليات النشطة خبرة كافية في أعمال القتال.
- تم تطعيم القوات للمعركة وارتفعت معنوياتها، ولدينا أمثلة كثيرة في الشجاعة والصمود، وأهم نقاط الضعف في الدفاعات هي منطقة البحيرات المُرة جنوب الدفرسوار وجزيرة البلاح جنوب القنطرة والمنطقة المسماة رقبة الوزة من شمال القنطرة حتى بورسعيد.

وأشار إلى قدرة الجيش الثاني على تدمير النقط القوية للعدو شرقًا خلال ثلاثة أشهر وعلى مراحل.. واختتم تقريره مشيدًا بالعلاقة الودية والثقة بين الجميع.

٣ ـ الجنرال المؤمن

بعد أن أنهى الجنرال «بوكاتو» عمله كمستشار لقائد الجيش الثاني لفترة حوالي

أكثر من عامين وترك بصماته في قلوب رجال الجيش الثاني وعلى صفحات رمال الصحراء والأراضي الزراعية وكل شبر من أرض الجيش الثاني الميداني من بورسعيد شمالًا إلى فايد جنوبًا وعاد إلى وطنه، تعين جنرال آخر ليشغل منصب مستشار قائد الجيش الثاني، وشاء سوء حظه أن صحته لم تسمح له بأداء عمله بدرجة توازي من سبقه، بل إنها لم تساعده على متابعة ما بدأه سلفه. ولم يستمر أكثر من شهرين ثم نقل وتعين بدلًا منه الجنرال «باريس».

قد يكون هذا الوصف ـ مؤمن ـ لا ينطبق تمامًا على الجنرال الروسي الجديد «باريس زيتسينوف» الذي تعين مستشارًا لقائد الجيش الثاني في أوائل عام ١٩٧١. وقد سميته بالجنرال المؤمن لأكثر من سبب، أولها فهو من أصل عربي وأجداده مسلمون كما عرفت منه في أوقات التجلي.

وكنت أثناء مروري على الوحدات الأمامية يراني ويسمعني أتحدث مع الجنود ولا يفهم ما أقول إلا إذا كان المترجم معنا، فهو ينقل له الترجمة ولكنا كنا لا نستعين كثيرًا بالمترجم حيث كان التفاهم بيننا واضحًا بغير لغة. وذات مرة قال لي إنه برغم أنه لا يفهم العربية ولكنه حفظ عني معانيها وما أريد أن أعبر عنه، وقد وصف جنودي أنهم «من ذهب»:

ـ إنهم يعيشون في الخنادق الأمامية وفي هذا الجو وتحت سيطرة نيران العدو وطعامهم جاف، ولكن بسمة الحب في عيونهم وعبرات الإيمان وحب مصر واضحة أنهم يطلبون منك إعطاء الأمر بالعبور ويستعجلون ذلك. كيف هذا؟ إنها لمسات الإيمان بالله التي أسمعك وأحس أنك تخاطبهم بها وحب مصر الذي حفظت اسمها، وأنها مذكورة في القرآن عندكم خمس مرات.

ثم قال:

ـ حقيقةً هذا الجندي من ذهب.

ثم طلب مني نسخة من القرآن الكريم يحتفظ بها معه في روسيا برغم أنه لا يعلم إلا كلمات بسيطة من العربية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾.

تحية لهذا الرجل ذي القلب الكبير، فقد بكى عندما صدر أمر نقلي إلى خارج

الجيش الثاني، واشترك مع الضباط والجنود في لقائهم الأخير معي في الإسماعيلية في الخامس من يناير ١٩٧٢، والتقط مصور الجيش صورة لنا بالأحضان. وشاءت الظروف أن أزوره في معسكر الحلمية في منزله وأتعرف على زوجته وأقدم له ويقدم لي هدية تقدير وعرفان بالمحبة والتعاون، كتابًا روسيًّا عليه تحياته وتوقيعه ولم يذكر عنوانه، والله أعلم أين هو الآن.

За нашу Советскую Родину!

НАШ ЛОЗУНГ ДОЛЖЕН БЫТЬ ОДИН — УЧИТЬСЯ ВОЕННОМУ ДЕЛУ НАСТОЯЩИМ ОБРАЗОМ...

В. И. ЛЕНИН

ГРАМОТА

إلى السيد قائد الجيش الثاني الميداني

اللواء / عبد المنعم خليل

من اجل العمل الكبير المثمر لتوطيد الصداقة السوفييتية العربية ورمزاً للشكر والاحترام العميق ...

جنرال [signature] /ب. ن. دزوتسييف/

"٥" يناير سنة ١٩٧٢

Г299974. Изд. № 4624.

ФОЛ УВИ МО. Зак. 2349.

خطاب شكر من القيادة السوفيتية إلى المؤلف



اللواء عبد المنعم خليل والجنرال «بوكاتو» ـ ١٩٧٠



مع الجنرال المؤمن بالجبهة ـ ١٩٧١



الفريق أول محمد صادق وكبير الخبراء السوفييت ومجموعة من القادة والمستشارين في زيارة الجيش الثاني ـ ديسمبر ١٩٧١



اللواء عبد المنعم خليل يصافح اللواء عبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث ـ الإسماعيلية ـ نوفمبر ١٩٧١

الباب السابع

الخبرات المكتسبة والدروس المستفادة

الفصل الثالث والعشرون

لقطات من بين الأوراق

رأس الشاطئ المصري

قال لنا الرئيس السادات في أحد الاجتماعات الرسمية في عام ١٩٧١:

ـ كل ما أريده منكم هو أن تعطوني عشرة سنتيمترات فقط في الضفة الشرقية لقناة السويس في سيناء وأنا كفيل بعد هذا في حل الموضوع سلميًّا.

وفي مرة أخرى قال:

ـ لا أريد منكم إلا شبر واحد في سيناء وأحل المشكلة.

وفي حرب أكتوبر ١٩٧٣ وصل رأس الشاطئ المصري إلى عمق ما بين عشرة وخمسة عشر كيلومترًا في سيناء ليتحقق لأنور السادات ما طلب قبلها بأكثر من ٢٤ شهرًا. إن هذا العمق يعتبر من الناحية العسكرية عمقًا بسيطًا لا يسمح للقوات بحُرية المناورة أو سهولة الحشد، بل يحد من حرية حركة القوات في صد الهجمات المضادة للعدو، ويزيد من تهديد مدرعات العدو وإمكانيات اختراقها لمواقعنا في رأس الشاطئ. كذلك يجب تأمين رأس الشاطئ باحتلال نقاط حاكمة أو مشرفة خارج حدوده وعلى أجنابه تسمى في العرف العسكري «نقط خارجية» على مسافة من القوات الرئيسية تسمح بالإنذار المبكر وتعطيل العدو. ولكن رأس الشاطئ كان قليل العمق وكان لا بد أن لا يقل عن ٢٥-٣٥ كيلومترًا على الأقل. وكان عدم احتلال مواقع إنذار أمامية وعلى الأجناب، خاصة موقع تل سلام شرق البحيرات المُرة، الذي كان يجب الاستمرار في احتلاله بواسطة قوة من الفرقة ١٦ المشاة

بصفة مستمرة، وهذا الإجراء أعطى «شارون» الفرصة لاحتلاله والنفوذ إلى ثغرة الدفرسوار بعد أربعة أيام فقط من بداية الأسبوع الثاني للقتال. وأذكر أنه في جميع الخطط الدفاعية والهجومية وفي المشروعات الإستراتيجية والتعبوية للجيش الثاني، كنا نضع في الفقرة الخاصة بتنظيم التعاون بين الجيشين الثاني والثالث، سواء غرب القناة أو شرقها، في الفاصل الكبير بينهما والذي يشمل شاطئ البحيرات المُرة الغربي والشرقي، أسلوبًا خاصًّا بالتعاون.

ففي الغرب، وعند الدفرسوار بالتحديد، خُصص للجيشين قوات مدرعة ومشاة للتعاون في الهجوم المضاد على العدو الذي يحاول الاختراق غربًا.

كما كان التخطيط مبنيًّا على المعاونة بالدوريات وبالنيران في هذا الفاصل بعد العبور شرقًا مع احتلال مواقع لحماية الجنب، خاصة موقع تل سلام شمال شرق البحيرات المُرة، وهو موقع إسرائيلي محصن، وكان قائد الجيش الثاني يخصص له قوة معينة لتأمينه. والحقيقة كان المستشارون الروس يؤكدون دائمًا على هذه النقطة وأهمية تخصيص مهام المدفعية لتغطية مثل هذه الثغرات. كما كان للجيش الثاني قبل العبور عناصر مدرعة ومشاة تحتل أعلى قمة جبل شبراويت المشرف على منطقة فايد بالكامل، وبالتالي على البحيرات المُرة، بغرض الإنذار والمراقبة والتعامل مع القوات المحتمل إبرارها هناك.

فكرة القرار الإسرائيلي للعبور غربًا

بعد نهاية الأسبوع الأول قتال وإضاءة الرئيس الأمريكي «نيكسون» الضوء الأخضر بإمداد إسرائيل بالأسلحة، تشجعت إسرائيل بهذا التدخل الأمريكي واستطاعوا تكييف أنفسهم بسرعة مع المشكلة التي كادت تنهي دولتهم، وأصبحوا مستعدين لشن هجومهم في الأسبوع الثاني في موقف جوي ملائم، وكانت إسرائيل في عام ١٩٦٨ قد أجرت مباراة كبروفة للهجوم المصري شرقًا لتحرير سيناء والأعمال الإسرائيلية المضادة لإيقاف هذا الهجوم المنتظر، ومثلوا في هذه المباراة الحربية الخصم والصديق.

وتم اختيار الميجور جنرال «لشياعوجا فيتش» لقيادة القوات الإسرائيلية على

جبهة سيناء، بينما تم اختيار الميجور جنرال «مردخاي جور» للقيام بدور القائد المصري للقوات التي ستهاجم في مواجهة جبهة القناة إلى سيناء شرقًا.

وفي جو هذه المباراة التي تشابه الحرب الحقيقية بدأ الميجور جنرال «مردخاي جور» يقود قواته كما لو كانت عبرت قناة السويس من الضفة الغربية، متقدمة على جميع المحاور (يشبه الأسلوب الذي خطط لحرب رمضان ونفذ في مراحله الأولى)، كما أنه أرسل قوات محمولة جوًّا بواسطة الهليكوبتر إلى عمق سيناء خلف الخطوط الإسرائيلية.

كما قامت إسرائيل في السبعينيات بمناورات بقوات، منها مناورة واسعة النطاق حول بحيرة طبرية تمثل القتال عبر البحيرات وحركات التطويق والالتفاف واستخدام البرمائيات، وكانت المخابرات المصرية تتابع هذه المناورات وتحللها وتقوم القيادة المصرية بدراسة نتائجها وتعدل خططها وأفكارها على ضوء هذه النتائج.

وكان الجنرال «شارون»، وهو قائد المنطقة الجنوبية، قد أعد خطة في أوائل ١٩٧١ للعبور غربًا عند الدفرسوار، وكانت الخطة المصرية ٢٠٠ ـ كما كان يطلق عليها ـ وما بعدها من خطط تُبنى على أساس صد العدو وتدميره إذا حاول العبور في هذا القطاع غربًا بالتعاون بين الجيشين الثاني والثالث ومتابعة العدو شرقًا.

وعندما تحرَّج الموقف بالجبهة السورية ودفعت مصر قواتها المدرعة شرقًا لتخفيف الضغط على الجبهة السورية، استغلت إسرائيل الفرصة بعد خلو الضفة الغربية جنوب الإسماعيلية من قوات الفرقة ٢١ مدرعة، وقررت تنفيذ الخطة الموضوعة لعبور قناة السويس وتكوين رأسَي شاطئ في الغرب.

وبالطبع حدثت تعديلات كبيرة في الخطة الإسرائيلية نتيجة للصعاب والمشاكل التي واجهتها قوات العدو، ولكن قبل ظهر يوم ١٦ أكتوبر ظهرت رئيسة وزراء إسرائيل تعلن بالتلفزيون أن إسرائيل قد أنشأت رأس جسر بالضفة الغربية عند الدفرسوار، وهكذا نجحت إسرائيل في تحقيق الحلم الذي طالما داعب خيال الجنرال «شارون».

﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ ﴾

في الساعة الثانية بعد ظهر يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ تمكن حوالي ٨٠٠٠ من المشاة

المصريين من النزول من الساتر الترابي الغربي غرب قناة السويس، ومعهم قواربهم المطاطية، وعبروا القناة، وفي هذه اللحظات اكتشف الإسرائيليون أن جهاز تحويل القناة إلى بركة من نار لا يعمل! فقد كان بين كل حصن من حصون خط بارليف خزانات وقود مدفونة تحت الأرض متصلة بعضها ببعض بواسطة أنابيب تنتهي بفوهات واسعة تصب في مياه قناة السويس، ويوجد بكل حصن مفتاح تشغيل لضخ الوقود إلى سطح المياه حيث تشتعل بواسطة قنابل «سيرمايت» وتحول سطح القناة إلى لهيب حارق.

وفي الأعوام السابقة لحرب رمضان كنت قائدًا للجيش الثاني الميداني، وخلال سنوات الاستنزاف وفترات إيقاف النيران بدأ اليهود منذ عام ١٩٧٠ في إنشاء هذه الأجهزة، وكنا نراهم أمامنا أثناء عملية الإنشاء، واستنتجنا أنها لا بد أن تكون أحد الجدر التي يبني عليها الإسرائيليون تخطيطهم الدفاعي، وقد تكون نوعًا من الكيميائيات أو قاذفات. وشاء الله سبحانه وتعالى أن يُكتشف هذا المخطط بوضوح، إذ انفجر أحد هذه الخزانات في قطاع الجيش الثالث في أوائل عام ١٩٧٠، واشتعلت النيران على سطح القناة لفترة، وتأكدنا من صحة ما توقعناه ولم نعلن شيئًا عن هذا الموضوع، ومرت الأيام ونحن نتابع رصد كل ما يتم أمامنا من أعمال ونحدد المكان بدقة.

وكانت دوريات استطلاع خاصة من المهندسين تقوم بمحاولات دراستها وتأكيد المعلومات عنها، ولما حان وقت الاقتحام كلفت القوات الخاصة، والتي تضم أفرادًا متخصصين، بتعطيل هذه الأجهزة، ونجحت في مهمتها في معظم القطاعات ليلة الهجوم، وبالصدفة كان المهندس الذي ابتكر هذه الطريقة في رحلة تفتيش على هذه الأجهزة في حصون خط بارليف، واكتشف صباح «يوم كيبور» العطل في إحداها، وأخذ في الإصلاح ولكنه وقع في الأسر، ويعتبر من أوائل الأسرى الإسرائيليين.

وقال إنه حضر يوم الجمعة ٥ أكتوبر للتفتيش، وأثناء قيامه بالإصلاح لم يشعر إلا والمصريون فوق رأسه. وقد قللت إسرائيل من أهمية هذه الطريقة وقالوا إنه عندما نفذوها عام ١٩٧٠ وجدوا أنها قليلة القيمة! وكانت المخابرات الحربية المصرية قد اكتشفت تجربة مثل هذا النظام في بحيرة البردويل عام ١٩٧٠.

قوة المياه

﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾

كان لا بد من عبور المدرعات المصرية شرقًا بأسرع ما يمكن لتدعيم المشاة التي عبرت في الموجات الأولى، ونجح المهندسون المصريون في فتح الثغرات في الساتر الترابي ـ ارتفاع ٦٠ قدمًا ـ وتوسيعها، حتى يمكن للمدرعات المصرية المرور منها شرقًا، واستخدموا في ذلك مضخات مياه تحت ضغط قوي في فتح هذه الثغرات، وخلال من ٦ إلى ٩ ساعات نجح هؤلاء الأبطال في فتح الثغرات المطلوبة، وهي حوالي ٦٠ ثغرة، وإنشاء ١٠ كبارٍ وتشغيل حوالي ٥٠ معدية.

وبعد عشر ساعات من بدء الحرب تمكنت مصر من حشد حوالي ٥٠٠ دبابة وسلاح مضاد للدبابات وقطعة مدفعية في الضفة الشرقية للقناة، وكان هذا أكبر نجاح حصلنا عليه حتى الآن، وهذا بفضل نعمة الله وقدرته في قوة المياه.

والحقيقة أن الفضل بعد الله يرجع إلى عناصر المهندسين الشباب في الجيش، وكان على رأسهم العميد أ.ح مهندس جلال سري رئيس مهندسي الجيش الثاني، والذي كان وراء كل التجارب الكثيرة التي أجريت في الجيش الثاني منذ عام ١٩٦٨. وقد ناقشنا المستشارين السوفييت في هذا الموضوع وكانت ردودهم متباينة، فقد أشار المارشال «جريتشكو» أن هذا يتطلب قنبلة ذرية، وقال الخبراء: «اطلبوا طائرات هليكوبتر»، وتعددت الأفكار، ولكن هذه القوة الهائلة للمياه حسمت الموقف!

﴿فَعَمِيَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَنۢبَآءُ يَوۡمَئِذٖ فَهُمۡ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾

تم التصعيد في مصر والاستعداد للقتال وإعلان التعبئة الكاملة وحالة الاستعداد القصوى أربع مرات، وفي كل مرة كانت إسرائيل تستعد وتتحرك بما يتفق مع خطة الدفاع عن سيناء.

وكانت المرة الأولى في نهاية عام ١٩٧١، وكنت يومئذ قائدًا للجيش الثاني الميداني، وكان المستشارون السوفييت لا يزالون في مصر. ثم جاءت المرة الثانية في ديسمبر ١٩٧٢ والثالثة في أبريل ومايو ١٩٧٣ بنفس الدرجة والأسلوب، وآخر مرة وهي الرابعة في أول أكتوبر ١٩٧٣، وكانت الإجراءات مماثلة تمامًا للإجراءات

السابقة. وكونت إسرائيل من تجاربها معنا صورة معينة لمصر تقوم على أساس الاستعداد للقتال إلى آخر الحدود ثم لا شيء! وهكذا اعتقدوا في المرة الرابعة أن الأمر سيمر مثل المرات الثلاث السابقة، وابتلعوا طعم مصر وأصبحوا بذلك لا يبصرون. يرون بأعينهم، ولا يصدقون ما يرونه.

ومن الأخطاء الإسرائيلية التي ساعدتنا على تحقيق المفاجأة، هي أن القيادة الإسرائيلية كونت لنفسها انطباعًا مؤداه أن مصر لن تدخل الحرب ما لم يمدها الاتحاد السوفيتي بقاذفات أو مقاتلات قاذفة مثل الميج ٢٣ قادرة على تهديد العمق، حيث المراكز السكنية في إسرائيل وقواعدها الجوية. وبناء على تقرير المخابرات الإسرائيلية فإن «المصريين لن يحصلوا على مثل هذه الطائرات قبل عام ١٩٧٥». وهذا ما حدث بالفعل.

ملحوظة

الميج ٢١ بعد تعديلها يمكنها الوصول إلى عمق إسرائيل والهبوط في أحد المطارات السورية الأمامية.

ومع ذلك فإن الرئيس أنور السادات قرر أنه لا يستطيع الانتظار إلى هذا التاريخ واستغنى عن هذه الطائرات بالصواريخ أرض-أرض بعيدة المدى من طراز سكود ولونا، التي نجح وزير الحربية في الحصول عليها من الاتحاد السوفيتي خلال زيارته لروسيا في مارس ١٩٧٣، ووصلت طلائع هذه الصواريخ إلى مصر في أبريل ١٩٧٣.

وحققت مصر المفاجأة التي هزت إسرائيل في يوم عيد الغفران ويوم رمضان وفي وضح النهار وعلى مواجهة واسعة، هذا بالإضافة إلى المفاجأة في المجالات الإستراتيجية والسياسية وغيرها.

وقالت «جولدا مائير» بعد حرب رمضان:

ـ لقد استطاع السادات أن يلعب بالصمت والسرية والمفاجأة والبترول.

قدرة الله

عندما كنت قائدًا للجيش الثاني في المرة الأولى وخلال عام ١٩٧١، تعين اللواء أ.ح عبد الرحمن فهمي من المدرعات رئيسًا لأركان الجيش الثاني

الميداني ونائبًا لي، والحمد لله فقد كان الرجل مثالًا صادقًا للمصري المؤمن بمصر ذا عقيدة وتصميم. وكانت تواجهنا مشاكل كثيرة في بعض الأسلحة والمعدات التي نحتاج إليها، خاصة في فتح الثغرات في حصون خط بارليف وتدمير بعض أجزاء هذه الحصون بطريقة فعالة، فقد بنيت بأسلوب جديد مغطى تقريبًا في معظم مناطقها. ولم تكن المدفعية بكل عياراتها المثيرة قادرة على عمل شيء في هذه الحصون. وفكرنا مع الضباط والفنيين من مهندسين وغيرهم في كيفية التغلب على هذه المشكلة. طورنا طوربيد البنجالور حتى مدى ١٣٠٠ متر، وقام اللواء عبد الرحمن فهمي شخصيًّا بتجربته في قطاع الجيش الثاني، أو رمي براميل نابالم من الطائرات ثم إشعالها بالمدفعية أو استخدام صواريخ مبتكرة أرض-أرض أو استخدام عربات المطافي لضخ سولار لمسافة ٣٠٠ متر. والحقيقة تم تجربة كل شيء ممكن، علمًا بأنه قد يكون لدى الروس معدة أو صاروخ معين يستطيع فتح ثغرات في السواتر وفي الألغام الكثيفة. وخلال هذه الفترة كان عبد الرحمن فهمي يعمل في صمت، إلى أن جاءني يومًا سعيدًا جدًّا وقال لي:

- خلاص يا افندم حط حصون بارليف في جيب ساعتك!

- خير يا عبد الرحمن؟

رددت عليه بسعادة فقد كنت أثق فيه وفي كل أعماله وأقواله. قال:

- لقد توصلت إلى النجاح في صاروخ معين سيحقق ما نريد.

ثم قال:

- وقد أسميته «قدرة الله».

ومات عبد الرحمن بالسكتة القلبية وهو في مكتبه في الجيش ولم يشارك في معركة العبور بجسده، ولكنه شارك بـ«قدرة الله» التي ساعدت على تحقيق النصر.



اللواء أ.ح مهندس جلال سري



مع اللواء عبد الرحمن فهمي يوم الوداع ـ ٥ يناير ١٩٧٢

الفصل الرابع والعشرون

كلمات حق

رسالة من والد شهيد

إن أروع ما قرأت عن حرب أكتوبر رسالة من والد شهيد أرسلها إلى بريد «الأهرام» يوم ١٩ نوفمبر ١٩٨٨ بعنوان: «ذكريات خاصة»، وهي صورة حية للإيمان بالله وبمصر والوفاء والحب. وقد لمسَت أوتار قلبي ونفسي، ولم أستطع إلا أن أسطر لوالد هذا الشهيد رسالة صغيرة، أعبر بها عن شعوري كمصري مؤمن، ووطني يحب مصر، وقائد يحترم رجاله، وأرسلتها إلى بريد «الأهرام» الذي نشرها في يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٨٨. وكنت أتمنى أن أتعرف على والد هذا الشهيد ولكن لم يسعدني الحظ، وإني أعتبر هذه الرسالة وسام شرف على صدري كجندي وهب حياته في حب مصر، وأرجو أن يقرأ ردي هذا كل مواطن ومواطنة فقد ابنًا أو أخًا أو صديقًا شهيدًا في سبيل الله ومصر، فهي موجهة إليهم جميعًا. وإني أرفق صورة هذه الرسالة التي نشرَتها جريدة الأهرام يوم السبت ١٩ نوفمبر ١٩٨٨ (٩ ربيع الآخر ١٤٠٩) وردي عليها في يوم الأربعاء الموافق ١٣ ربيع الآخر ١٤٠٩، ورسالتي الشخصية إلى المسؤول عن بريد «الأهرام» الذي حمل لي هذه الرسالة المملوءة بالوفاء عن ذكرياتي في سنوات الحب والحرب.

طب المعركة

بُنيت الجيوش على أساس من أفراد متحدين في مجموعات تكون أنواعًا مختلفة من الوحدات، وبالرغم من توافر جميع الصفات العسكرية التقليدية كالشجاعة

والإقدام وإنكار الذات وغيرها في الفرد، إلا أن كفاءة المجموعات تتوقف أساسًا على جودة تدريب الفرد على القيام بالواجبات التي يكلف بها في القتال، فالفرد إذا قام بواجبه فإنه يساعد المجموعة على النصر، وخلف كل جندي مقاتل في الميدان، وكل سلاح ومعدة ومركبة أيًّا كان نوعها في البر أو البحر أو الجو، عشرات الجنود الآخرين يؤدون واجباتهم، كلٌّ في تخصصه وبفنه وخبرته، حتى يحافظوا على بقاء الجنود أحياء والسلاح والمعدة صالحَين للعمل.

وخلال فترة خدمتي العسكرية الطويلة لمست كفاءات هؤلاء وتضحياتهم، ويسعدني هنا في شريط ذكرياتي أن أدوِّن بعضًا من الأعمال التي قاموا بها أثناء القتال في تلك الحروب الكثيرة التي خاضتها مصر منذ سنوات الحرب العالمية الثانية حتى حرب أكتوبر ١٩٧٣، وبالطبع لن أستطيع أن أكتب عن كل فرد منهم أو عن كل تخصص طبي أو إداري أو فني وحتى معنوي، ولكني سأشير إلى بعض دون ذكر أسماء، فإن التاريخ كفيل بتوضيح الحقائق كاملة.

- في أثناء حرب فلسطين ١٩٤٨-١٩٤٩ كنا جيشًا قليل العدد والعدة، وكانت أسلحتنا ومعداتنا وعربات القتال والذخيرة إنجليزية الصنع أو المصدر، وهي بالطبع بقايا ما تخلف عن الحرب العالمية الثانية التي انتهت عام ١٩٤٥، وبرغم هذا فقد قام سلاح الصيانة بالجيش المصري في ذلك الوقت بأعماله بكفاءة تامة، بل وتمكنوا من عمل تعديلات واختراعات للمركبات وحاملات نقل الجنود المدرعة وتحويل بعضها إلى حاملات قاذفة لهب سميت «الدبور»، وذاق من نيرانها جنود إسرائيل على التبة ٨٦ على طريق رفح-خان يونس-غزة، وفي محاولات الاختراق في الفالوجا وعراق المنشية في نهاية عام ١٩٤٨. وبهذه المناسبة لا يفوتني أن أشيد بما قام به أطباء وحدات الفالوجا المحاصرة من عمليات جراحية ناجحة ومبهرة بمعدات بدائية وسكاكين المطبخ.
- وقد كان المجال في الجمهورية العربية اليمنية أوسع للأعمال الإدارية والفنية والطبية والمعنوية، فقد كان ميدان المسؤولية متسِعًا والوحدات في أماكن متفرقة بعيدة وعلى قمم الجبال وفي الوديان الوعرة، وبرغم هذا فلم تشْكُ وحدة واحدة من نقص في التعيين أو في طلقة ذخيرة لأي سلاح، وكان الإمداد

يتم بكل الطرق جوًّا بأنواع مختلفة من الطائرات وبرًّا بالسيارات وفي الوديان والخيران بالجِمال والبغال والحمير، وتعرضت قولات الإمداد الإداري لكمائن القبائل الثائرة ضد الجمهورية، واستشهد عدد غير قليل من الرجال الإداريين. وعندما كنت قائدًا لقطاع الجوف الأعلى في اليمن عام ١٩٦٥، وكان العميد أ.ح محمد محمود قاسم رئيس فرع القبائل في القيادة العربية باليمن في اجتماع مع القبائل الشمالية، وكان يجلس بجوار شباك في أحد منازل المطمة، وإذا برصاصة مُنشَّنة تخترق فكه وتخرج من أذنه، ونقل فورًا إلى قيادتي في سفح الجبل الأحمر حيث أعددنا خيمة كحجرة عمليات.

وقام أطباء المجموعة بإجراء جراحة دقيقة له، وأمدتنا القيادة في صنعاء ببعض المواد الطبية المهمة أُسقطت لنا جوًّا. ودامت العملية أكثر من ١٢ ساعة والحمد لله تم تضميد الجراح، ونقل بعد هدوء الموقف جوًّا إلى مستشفى صنعاء ثم القاهرة وعاد إلى اليمن بعد الشفاء. تحية إلى هؤلاء الأطباء الأوفياء الذين جاهدوا في عملهم وهداهم الله إلى شفاء الجريح.

- وخلال سنوات الاستنزاف والحسم كانت هناك بطولات إدارية كثيرة، وأذكر منها على سبيل المثال ما قام به بعض من الرجال الفنيين من مهندسي المدرعات من أعمال بطولية في نجدة دبابات ثقيلة تعطلت في الاشتباك مع العدو، وتمكنوا من نجدتها وإصلاحها في محلاتها في قطاع بورفؤاد تحت وابل من نيران مدفعية العدو وقصفاته الجوية المتكررة.
- وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ببطولات نادرة لكل فرد شارك في إنقاذ حياة رجل أو معدة أو إصلاح جهاز تحت نيران مدفعية العدو وأسلحته وقصف الطيران، وقام أطباء مستشفيات الميدان بأعمال جراحية دقيقة وضرورية أنقذت حياة عدد كبير من الجرحى. تحية لكل يد ساعدت في إنقاذ حياة جندي أو ضمدت جراحه.
- أما رجال الفكر والقلم فلهم فضل كبير في تحويل مسار نفوس ضعيفة تأثرت بالأحداث المحيطة إلى طريقها السليم ودافعت عن الحق العربي عامة والمصري خاصة بالكلمة والصورة. وترجع بي الذكريات إلى قصة الأسلحة

الفاسدة في نهاية عام ١٩٤٨ ونحن نقاتل في فلسطين، وكانت حملة قوية من رجال الفكر والقلم هزت عرش الملوك.

- وختامًا لا أنسى أبدًا رجال الدين في الدعوة إلى الله بالحق وفي نداء الشهادة في سبيل الله والوطن. تحية لكل رجل شارك بيده وبلسانه وبقلمه في بناء دعائم النصر لمصر العزيزة.

الإيمان والحرب

للدين أثره في حياة الفرد والمجتمع، فهو يضع من المبادئ والقيم ما ينظم علاقة الفرد بربه، وعلاقة الفرد بالفرد، وعلاقة الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه، وإن التدين لهو آخر المطاف للشخصية السوية وهو دليل الكمال والاستقرار والاتزان، كذلك في البيئة المتدينة لا توجد أمراض نفسية مثل الموجودة في أي مجتمع آخر.

فالقيم الدينية سلوك وعمل وواقع حياة، وهي تتجه إلى تكوين الفرد الصالح، فإذا تم ذلك تحقق قيام المجتمع القوي السليم المنظم الذي يتعاون أفراده على البر والتقوى وتستقر فيه دعائم الكفاية والعدل والسلام. ونحن في القوات المسلحة في حاجة ماسة إلى تكوين الفرد الصالح حتى نبني جيشًا قويًّا منظمًا، قائمًا على المحبة والتعاون، يشعر فيه الفرد بالاطمئنان، وإذا وصل فعلًا إلى مرحلة الاطمئنان فسيشاهد الخير واضحًا ويسلك طريق الطهارة والرحمة واليقين ويجتهد في القرب من الله سبحانه وتعالى، وإذا نجح في هذا القرب فوض أمره إلى الله واجتهد في عمله وأخلص في أداء واجبه، وهذا ما نتمناه لكل فرد في مصر عامة وفي القوات المسلحة خاصة.

وإذا زاد إيمان الجندي استطاع التغلب على طائف الشيطان، شيطان النفس الفاجرة، واكتسب نفسًا مطمئنة لا تخاف، وهو يحمل سلاحه القوي وذخيرته الفتاكة ضد القوى الأخرى فيتمتع بالثبات، وإذا التقى بعدوه فلا يُوَلِّه دُبرًا إلا إذا كانت خطط القتال تقتضي ذلك.

وفي الرماية على عدوه يؤدي دوره فيها بدقة وعناية حتى يطمئن إلى إصابة عدوه

من أول طلقة. ويمتاز الجندي الذي يتحلى بنيشان الإيمان بطاعة قادته ورؤسائه بعد الله وإطاعة أوامر القتال والاستشهاد في سبيل العقيدة دون تردد.

ولا يستمع إلى الفتن وهواجس الشيطان لتثنيه عن واجبه، ويرعى العهد ولا يخون الأمانة، ويتحلى بالانضباط التام، فقد تعلمها في الصلاة، وهو أمام الله دائمًا يشعر أنه يرضي الله وهو يؤدي واجبه بإخلاص وصدق وأمانة.

وإذا تطلب الأمر الجنوح إلى السلم بدل الحرب، فيستجيب للنداء الحق ويحترم إيقاف القتال ومطالب السلم العادلة، ولا ينقض العهد والمواثيق.

وفي القتال يكون الجندي المؤمن قويًّا صامدًا ضد عدوه، ويتحلى بدرع الوقاية من الإشاعات والحرب النفسية التي يبثها العدو وأعوانه عبر الإذاعات المختلفة أو في صورة منشورات أو إشاعات أو نكت، فلا تهتز نفسه أو يفقد في لحظةٍ ما إيمانه.

ولقد سعدت بزيارة الإمام الأكبر فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود، شيخ الإسلام، لجبهة قناة السويس بعد إيقاف القتال في شهر نوفمبر ١٩٧٣. وبعد جولة وسط الجنود في مواقع خط بارليف التي استولت عليها قواتنا وفي قطاع القنطرة شرق، وَجَّه لي سؤالًا عجيبًا بصوته الهادئ الرزين المملوء بالإيمان والورع والتقوى:

ـ هل هناك أشياء لامعقولة حدثت أثناء حرب رمضان؟

قلت له بسرعة وكأني كنت أتوقع هذا السؤال:

قلوب العارفين لها عيـون   ترى ما لا يراه الناظرينا

فقال لي فورًا:

صدقت.

رحمه الله فقد كان رجلًا قويًّا أمينًا.

وللحقيقة وللتاريخ أُدون في مذكراتي ما قاله الجنرال السوفيتي «باريس» و«بنتسوف» وغيره من المستشارين السوفييت الذين خدموا معي في قطاع الجيش الثاني خلال سنوات الاستنزاف والحسم عن أدب الجندي المصري في الحرب. قال:

ـ إن جنودكم من ذهب، فرغم ما يعانيه الجندي المصري من حياة تقشف ومعيشة

في الخنادق فترات طويلة وتحت نيران مدفعية العدو وطائراته بصفة مستمرة، فأجده يبتسم عندما يراك وتتحدث معه في الدين وحب الوطن ويطلب العبور للضفة الشرقية، وقد فهمت لغتك ولو أني لا أتكلم العربية.

والحقيقة أن كل الأحداث التي حدثت أمامي أو للرجال تحت قيادتي في قطاع الجيش الثاني الميداني من بورسعيد شمالًا حتى فايد جنوبًا وشرق القناة وغربها طوال فترات القتال الرهيب والأحداث المحيرة التي مرت بنا، أقول وأؤكد أن الله أرسل إلينا جنودًا قاتلت معنا وانطلقت معنا تغير صيحة «هع» التي كنا في القوات المسلحة نرددها دائمًا رمزًا لوجودنا واستعدادنا، وكان جندي البوليس في الماضي يتجول في طرقات القاهرة وسلاحه «هع» أيضًا تأكيدًا لوجوده وإرهابًا لقُطاع الطرق! فجاءت صيحة «الله أكبر، الله أكبر» نابعة من القلب المؤمن صاعدة إلى السماء حاملة رسالة إلى الله تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.



وسام بطل الجيش الثاني الميداني للدكتور عبد الحليم محمود شيخ الإسلام

ذكريـــــات خاصـــــة

تردد في الايام الاخيرة ان شارون مرشح لوزارة الدفاع في حكومة شامير الجديدة وقد اثار هذا في نفسي ذكريات خاصة ذلك ان ابني استشهد وهو يدافع عن مدينة الاسماعيلية وكان يقود الهجوم الاسرائيلي الجنرال شارون على رأس فرقة مدرعة بعد أن استطاع ان يعزز مواقعه في الدفرسوار فإندفع شمالا في ٢١ اكتوبر ١٩٧٣ ليستولى على مدينة الاسماعيلية وفي اعتقاده انه سوف يدخلها في ساعات فتصدى له اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني الذى قام بإعداد خطة دفاع ممتازة عن الاسماعيلية تركزت في ثلاثة مواقع جبل مريم وابو عطوه ونفيشه وفي جبل مريم كان امر اللواء عبد المنعم خليل الى القوات المدافعة ومنها قوات الصاعقة بقيادة العميد اسامة إبراهيم ان هذا الموقع هو المدخل إلى مدينة الاسماعيلية وان الدفاع عنه لاخر طلقة واخر رجل وقد شهدت كل هذه المواقع اعنف المعارك واشتركت فيها مدفعية الجيش الثاني بقيادة العميد محمد عبد الحليم ابو غزالة وتحطم الهجوم الاسرائيلي وتمت هزيمة الجنرال شارون

(تتمة مقالة.)

رسالة من والد شهيد

وظلت الاعلام المصرية ترفرف على كل المواقع وقد اصيب ابني بقذيفة في صدره مزقته اشلاء وعلى مدى خمسة عشر عاما لم يمر على يوم دون ان ابكيه فهو في انفاسي وفي كل نبضة قلب وقد غرست في قلبه منذ ان كان طفلا صغيراً الايمان فحفظ القرآن الكريم قبل بلوغ سن العاشرة وبعد النكسة عام ١٩٦٧ كانت امنيته ان يموت شهيدا دفاعا عن مصر وعن ترابها وانا الان اعيش وحيدا وقد توفيت والدته في علم ١٩٧٥ من شدة الحزن عليه وكان اخر ما قالته : يا بني كن شفيعي بين يدى الله يوم الحساب . وتمر الايام ويزداد الأسى وتشتد اللوعة وقد ذهبت إلى المكان الذى استشهد فيه ابني مرارا ووقفت هناك طويلا واستنشقت هواء العزة والكرامة وقرأت الفاتحة له ولاخوانه الشهداء وكثيرا ما فكرت في ان اذهب لأقابل اللواء عبد المنعم خليل الذى استشهد ابني تحت قيادته لأقول له .انني كمصري اعتز بك لأنك حطمت غرور شارون واذقته الهزيمة المنكرة وإنني اكتب إليك ليعلم كل مصرى صفحة من أروع صفحات العسكرية المصرية ولاحيي قائدا مصريا عظيما هو اللواء عبد المنعم خليل ولك مني خالص الاحترام .

والد شهيد

■ محرر بريد الاهرام : ولك أيضا يا سيدي كل الاحترام وكل العرفان .. وارجو أن تخفف من أحزانك على ولدك الشهيد .. لأن أرواح أعزائنا تشقى بحزننا عليهم وهي في أعلى عليين فلا تفسد عليه سعادته الأبدية وهو حي يرزق عند ربه فرح بما أتاه الله من فضله .. وبما أعزه به خفف الله عنك وعنا جميعاً الأحزان .. وعوضك عنه خيرا وفضلا والسلام .

الأهرام

١٣ ربيـــع الآخـــر ١٤٠٩
٢٣ نوفمبر ـ تشرين ثان ـ ١٩٨٨
١٤ هاتـــــــــور ١٧٠٥
23 NOV 1988

رسالة الى والد شهيد :

.. ولولا هـــــؤلاء لما كان النصـــــر

نشر بريد الاهرام منذ يومين رسالة من والد الشهيد بعنوان « ذكريات خاصة » . يقول فيها انه قرأ عن ان الجنرال شارون مرشح لوزارة الدفاع في حكومة شامير الجديدة فتذكر ابنه الشهيد الذى استشهد وهو يدافع عن مدينة الاسماعيلية في ٢١ اكتوبر ١٩٧٣ ضد قوات شارون التي حاولت الاستيلاء على الاسماعيلية وفي اعتقاده انه سوف يستولى عليها بعد ساعات وكيف تصدى له اللواء عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني الذى قام باعداد خطة دفاع ممتازة عن الاسماعيلية . ثم يروى كيف ذهب مرارا الى مكان المعركة ليستنشق هواء العزة والكرامة وليقرأ الفاتحة على روح ابنه الشهيد وكيف تمنى مرارا ان يقابل اللواء عبد المنعم خليل الذى استشهد ابنه تحت قيادته .

وتعليقا على الرسالة تلقى بريد الاهرام هذه الرسالة من اللواء متقاعد .عبد المنعم خليل قائد الجيش الثاني في حرب اكتوبر يقول فيها :

الى والد الشهيد : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . لقد اسعدني الله سبحانه وتعالى ان القاك في بريد الاهرام الذى نقل لي صفحات من الوفاء وذكريات سنوات الحب والحرب التي عشنا فيها نستنشق هواء العزة والكرامة مرددين فاتحة الكتاب الكريم على روح ابنك ابن مصر وكل شهداء مصر في صراعنا وجولاتنا مع الحق ضد الباطل ولولا هؤلاء الشهداء لما كتب الله لنا النصر .

ولم يكن لي فيها الاخ الوالى اى فضل في هذا النصر بل الفضل كل الفضل بعد الله لهؤلاء الرجال خلف السلاح الذين تحلوا بقوة الايمان فملكوا مفاتيح النصر

ويشرفني ان القاك ويسعدني التعرف عليك

المخلص

لواء أ . ح : عبد المنعم خليل

□ محرر بريد الاهرام : ارجو ان يكتب الى والد الشهيد باسمه وعنوانه ورقم تليفونه تلبية لرغبة اللواء عبد المنعم خليل وشكرا لهما معا .

الأستاذ عبد الوهاب مطاوع المسئول عن بريد الأهرام

تحية طيبة وبعد يسعدني ان اكتب اليك معبرا عن شكري وتقديري عن رسالة الوفاء وذكريات سنوات الحب والحرب التى حملها بريد الأهرام يوم ١٩/١١/١٩٨٨ وقد كنت اعتقد انك قد [illegible] النسيان [illegible] والاسرة . بريد الأهرام كل الفضل في [illegible] الحياة ، ومرسل رفقه هذا ردا على هذه الذكريات ارجو التكرم بنشرها

[illegible] لواء أ ح متقاعد عبد المنعم خليل

القاهرة في ٢٠/١١/١٩٨٨

رسالة من والد شهيد إلى بريد «الأهرام» ورد المؤلف عليها – ١٩٨٨

الفصل الخامس والعشرون

مرآة التقييم

القائد القدوة

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

يتم تعيين القائد دائمًا عن طريق السلطات المختصة، ولكن تعيينه لا يكون نافذًا إلا عن طريق مرؤوسيه. وهذا لا يعني أنه يتعين أن يسمح للجنود باختيار قادتهم، بل يعني أن الموقف الأفضل هو أن يعترف الجنود بقائدهم ويقدروه كما لو كانوا قد انتخبوه بأنفسهم، ولدى الجنود إحساس جماعي على مستوًى عالٍ وهم قلما يخطئون فيما يتعلق بقائدهم، وهم الأشخاص المؤهلون أفضل من غيرهم للحكم عليه. ومن الممكن خداعهم عن طريق الدعاية وفنون الإعلام، ومن الممكن أيضًا إيجاد نوع من العبادة والتقدير لشخصية عسكرية، فلما تكون على اتصال بهم مثلما حدث لقوات الجيش الإنجليزي في معارك الصحراء الغربية في الحرب العالمية الثانية وعبادتهم للقائد الألماني الكبير «روميل»، ولكن من المستحيل على الإطلاق خداعهم فيما يتعلق بشخصية وصفات قادتهم المباشرين الذين يعملون معهم يوميًّا.

وعندما يحظى القائد بثقة رجاله فلن يصبح بحاجة إلى اللجوء إلى القانون والقيادة الفظة، وإذا اضطر إلى توقيع عقوبة فسوف يقبل مرؤوسوه ذلك باعتباره أمرًا عادلًا وله ما يبرره. وليست هناك وحدات سيئة بل قادة سيئون فقط.

وليست القيادة خلق شيء بقدر ما هي خلق الرجال أو السيطرة عليهم وحبهم والحصول على محبتهم، وهي ليست مجرد اندفاع أو ذلاقة لسان أو شجاعة أو

مهارة أو جمع عدد من المُنفِّذين والمستغَلِّين، إنها جمع الرجال وتشغيلهم ومعرفة إمكانياتهم واستغلالها ووضع كل منهم في المكان الذي يلائمه وبث فكرة القوة والمساواة بينهم وتوزيع المسؤوليات عليهم وإشراكهم جميعًا في خدمة المصلحة العامة أولًا، على أن يبقى كل فرد منهم ضمن اختصاصه.

ويكفي حضور القائد المحبوب لإثارة الاندفاع والعمل في سبيل الهدف المشترك، أما الرؤساء والقادة فيكفي ذكرهم لإثارة مثل هذا الاندفاع.

يقول الرسول الكريم والقائد العظيم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام في موضوع القيادة: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه حفظ أو ضيع».

ويصل القائد إلى عقل مرؤوسيه بكسب احترامهم وتقديرهم بما يحمله من علم ومعرفة وقوة وقدرة وشجاعة، وبما يقدمه من أمثلة في الرجولة والحزم والانضباط مع العدل، ثم يصل إلى قلوبهم بكسب ثقتهم ومحبتهم لاهتمامه بدقائق حياتهم وباستماعه إليهم بكل تبسيط شريف ومعاملتهم المعاملة الحسنة التي تخفف عنهم متاعب الحياة العسكرية وتسمح بحل القضايا الشائكة بهدوء، ويا لسعادة الجندي لو ناداه القائد باسمه. إنها لمسات حنان تصل مباشرة إلى القلب المملوء بالعواطف الرقيقة الصافية. وعندما ننظر في مرآة التقييم نبحث فيها عن القائد القدوة خلال حروب مصر المعاصرة، لا نستطيع أن نراه بين صفوف القادة في أثناء الحرب العالمية الثانية، حيث لم يشترك الجيش المصري اشتراكًا فعليًّا في الحرب إلا في عمليات دفاعية وحراسة وحسب التخطيط البريطاني، ولكن لما اشتركنا في حرب فعلية في فلسطين عام ١٩٤٨ وجهًا لوجه ضد العدو الصهيوني في عدد كبير من المعارك الدفاعية والهجومية والإغارات والدوريات، ظهر في المرآة قادة أَكْفَاء نعتبرهم قدوة في القوة والأمانة، وفي الوقت نفسه كان هناك قادة لم تظهر صورتهم في مرآة التقييم إلا باهتة مظلمة، لأن هذا القائد أو ذاك فَقَد ثقة مرؤوسيه لتردده وضعف إرادته، ولن ننسى أبدًا تخبط الأوامر المفاجئة الخاصة بالانسحاب من أسدود والمجدل ثم إلغائها ثم إعادتها، وانتهز العدو هذه الفرصة الفريدة وقذف في قلوبنا إشاعات الذعر والرهبة. والحقيقة وكنت ضابطًا صغيرًا مررت بإشاعة الأسلحة الفاسدة ثم هذا التردد وفقدان الثقة في القائد والقيادة وأشعر بالخوف

على المصير، ولما تغير القائد بقائد آخر ولو أنه لم يختبر بعد، إلا أن الاطمئنان على المصير هدأ بأمل أننا لن نكون ضحية التردد والضعف مرة أخرى.

ولما قامت الثورة وقادها رجل قوي وتعهد ببناء جيش قوي قادر على الوقوف أمام العدو اللعين، هدأت النفوس واطمأنت، ولكن نقطة الضعف التي مرت بها القوات المسلحة كانت في اختيار الضابط الثقة ليتولى القيادة بصرف النظر عن الكفاءة بهدف تأمين الثورة. وبرغم أن كثيرًا ممن وقع عليه الاختيار كان يجمع بين الثقة والكفاءة، إلا أنه ما زال في النفوس أشياء أهمها الشعور بعدم العدل. وكان لهذا الشعور آثاره فيما بعد، خاصة في عدوان ١٩٥٦، وظهر أكثر في نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧.

وظهر أيضًا أكثر وضوحًا في الصراع بين القمم حيث هبت عواصف الحقد والغضب، وشاء الله أن يحمي مصر من مصير مدمر، فاستعاد القائد السياسي السيطرة ووضعت الاختصاصات ووضحت تمامًا، فسارت عجلة القيادة تدفع بحزم وقوة وأمانة القوات المسلحة المصرية برغم وعورة الطريق إلى عالم القوة والأمانة، وأثبتت القوات المسلحة خلال سنوات الاستنزاف قدرتها على تحقيق النصر المنشود، ورأينا في مرآة التقييم جيلًا من القادة حمل الأمانة وحقق النصر في أكتوبر ١٩٧٣.

مشكلة المسافة

خرجت إسرائيل بنتائج كثيرة من جراء الأبحاث التي أجرتها أجهزتها على الأسرى المصريين بعد عمليات ١٩٥٦ وكذا بعد عمليات ١٩٦٧، وأظهرت مشكلة كبرى لم تنتبه لها القيادة المصرية بعد عام ١٩٥٦ ولا بعد ١٩٦٧ إلا بعد فترة طويلة، ولم ننجح نحن القادة كل النجاح في التغلب عليها، ولكني أعرضها هنا وأعرض بعض الحلول التي حاولت السير فيها حتى أقلل المسافة بين الضباط والجندي إلى أقرب ما يمكن.

إن مشكلة المسافة التي يجب المحافظة عليها بين الضباط والجنود لها أنصار: الابتعاد من جانب الضباط، ويقولون إن ذلك يعمل على تحسين النظام، والقائد

الذي يجعل نفسه بعيدًا بقدر مناسب عن الجنود لن يتيح لهم الفرصة لملاحظة نواحي ضعفه، وسيصبح تدريجيًّا نوعًا من الشخصية الغامضة التي تتمتع بسلطات عليا لا نقص فيها.

والذين يؤيدون قيام علاقة أوثق بين الضباط والجنود يقولون إن هذا الانفصال المصطنع يتعارض مع مبدأ المساواة الاجتماعية التي يجب التمسك بها.

والحقيقة أن الخوف من اكتشاف القائد لصفاته الحقيقية مبالغ فيه. فإذا كان حقًّا شخصية ضعيفة ويفتقر إلى بعض الصفات الأساسية، فمن الأفضل أن يُكتشف في الوقت المناسب حتى يمكن إبعاده عن وضع المسؤولية.

ولكن إذا كان رجلًا من طينة أكثر نقاء فمن الممكن اكتساب كثير من التأثير التربوي لاتصاله المباشر بالجنود الذين يشرف عليهم، ومن المرغوب فيه أن يكون هناك قدر من المسافة، ولكن ليس هناك داعٍ لإقامتها بالوسائل المصطنعة فهي تتحقق بشكل طبيعي.

أما الاحترام إذا كان ذلك هو الهدف فلا يتأتى عن طريق إقامة حواجز بين القائد ومرؤوسيه، بل يتحقق عن طريق سلوك القائد وشخصيته وصلابته، والقائد الذي لا يتمتع بهذه الصفات والذي يحيد عن طريقه ليقيم مسافة بينه وبين جنوده غير جدير بمركزه.

وقد يوافق المرء على أن تكون هناك نوادٍ مستقلة للضباط عن نوادي الجنود حيث يلتقي الضباط معًا ويتعارفون ويناقشون المشكلات المشتركة دون إزعاج، ولكن ليس هناك مبرر لوجود قاعات مستقلة لتناول الطعام، وإن فُرض مظهرية وجودها فيجب ألا يختلف طعام الضباط عن طعام الجنود مهما قيل إن هذا فيه تحسينٌ من حساب الضباط. فالمساواة في التضحية بغض النظر عن الرتبة من بين المبادئ الأساسية التي يُبنى عليها جيش قوي، ويجب ألا يجعل القائد نفسه في وضع أعلى من جنوده، ولا بد أن يكون واحدًا منهم ويقودهم تحت إمرته في طريق القيادة الطبيعي.

وقد أثار اليهود هذه الموضوعات وقالوا إن الفارق بين الضابط والجندي المصري كبير، وهو فارق مصطنع أساسه الزهو والكبرياء، وهو الذي سبب طول

المسافة بينهما، ومما زادها إلى أضعاف أخرى طعام الجنود ورداءته وفقر أنواعه بخلاف طعام الضباط الفاخر والمتنوع!

هذه حقيقة أُقر وأعترف بها برغم أني منذ أن توليت قيادة وحدة حاولت تقريب المسافة على قدر استطاعتي. فعندما كنت قائدًا لكتيبة مشاة في سيناء سنحت لي فرص القيادة في مناطق مختلفة بها أن أبذل جهدًا معقولًا في هذا بأن أضرب المثل بنفسي أولًا.

أمُر على الرجال وأعطف عليهم وأشعرهم بالرحمة وأحاول أن أُبعِد عن قلوبهم الحقد على من هو أعلى درجة، وأجلس معهم مجلسًا عامًّا أتواضع فيه لله سبحانه وتعالى وأُبعِد عنهم كابوس الرقابة ليفتحوا قلوبهم لي، ومن هو ذو حاجة يجدني دائمًا معه لأعاونه معنويًّا وماديًّا، وكان شعاري لهم جميعًا مع العدل كأساس لقيادتي هو: المحبة والتعاون.

وقد يقرأ هذه السطور يومًا مَن عاش معي هذه الفترة من عام ١٩٦٠ وما بعده في العريش وأبو عجيلة وغيرهما، ويتذكر هذه المحبة التي أعتقد أنها دفينة في القلب لا يمكن للأيام أن تمحوها، ويشعر بقوة التعاون الذي نفتقر إليه دائمًا حتى بين الإخوة في عائلة واحدة.

ومرت بي الأيام ورجال المظلات الذين كان لي شرف الخدمة معهم قائدًا وأبًا ومعلمًا يعرفون أيضًا هذه الحقيقة التي عاشوها معي في مصر واليمن وشرم الشيخ وغيرها، وكان هدفي هو تقليل المسافة، وعندما أراد الله لي قيادة جيش ميداني حاولت ونجحت في اكتساب ثقة ضباطي وجنودي، وهذا أعطاني فرصة كبيرة في إقناع الضباط بأن أقصر الطرق إلى قلب الجندي طعامه، وخاصة إذا شاركه فيه قائده المباشر، وأعتقد أنني نجحت في تقصير المسافة بيني وبين جنودي وبين الضباط والجنود، ولكني دائمًا أطلب المزيد طالما كان هدفي وسيكون: مصر أولًا.

إعداد الجنود للمعركة

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾

لما كان الغرض النهائي للتدريب العسكري هو إعداد الجنود للمعركة فيجب

أن يكون القائد مسؤولًا حتمًا عن عملية التدريب التي يؤديها جنوده، وما من شك في أن الاهتمام باحتياجاتهم المادية ونومهم وغذائهم وعلاجهم الطبي والترفيه عنهم يقع في حدود مسؤولية القائد. ولا يكفي أن يهتم القائد بالنشاط العسكري والفني لجنوده، بل عليه غرس عادات النظام والانضباط في نفوسهم. والمعركة ليست مجرد ترابط بين إطلاق النيران والتحرك، بل هي تكامل بين إطلاق النيران والتحرك والوعي، ولا يمكن للقائد بالتالي أن يقنع بتوجيه النيران والتحركات، بل عليه أن يوجه ردود الفعل العقلية للجنود نحو المعركة، ومن ثَمَّ فالقائد مسؤول عن الإعداد العقلي لجنوده بما لا يقل عن مسؤوليته عن تدريباتهم الجسمانية والمادية وإعدادهم للمعركة التي خططها بمقدرة وأمانة.

والاهتمام الأبوي بالجندي ورفاهيته لا يعني تدليله على الإطلاق. فالاهتمام الصادق بالجندي يؤدي إلى كسب ثقة الجنود ويُعدهم لمواجهة أفظع التجارب. والقائد الذي يقف من جنوده موقف الأب من أبنائه هو وحده الذي له الحق في إرسالهم إلى المعركة.

والجنود الذين يعرفون أن قائدهم يقدر قيمة أرواحهم على نحو ما يفعل مع نفسه ولن يعرضهم بسهولة لخطر الموت، سيقبلون عن فهم وطيب خاطر أية مهمة يعرضها عليهم حتى ولو كانت بالغة الصعوبة أو الخطورة، وسوف يخوضون المعركة مدركين أنه لا يمكن تجنبها وأن كل شيء ممكن قد بُذل لضمان نجاحها، وسوف يبذلون أقصى ما لديهم في أداء مهمتهم.

ونعود إلى مرآة التقييم لننظر فيها بعمق نبحث عن أسلوب إعداد القوات للمعركة، فقد دخلت القوات أرض فلسطين عام ١٩٤٨ دون إعداد مادي أو معنوي أو إداري أو فني لجيش من الرجال يدخل حربًا حقيقية لأول مرة، يقاتل عدوًّا لا يعرف عنه شيئًا يُذكر، وهو في الحقيقة كان مستعدًّا للقتال وأخذ خبرة حرب منذ الحرب العالمية الأولى ثم بالاشتراك الفعلي في الحرب العالمية الثانية مع الحلفاء، وله دراية كاملة بالأرض التي يعيش عليها ولديه أسلحة ومعدات متطورة وخلفه دول كبرى تزوده بما يحقق له النصر على كل العرب، بالإضافة إلى حرية الحركة والتخطيط الذاتي.

أما الجيوش العربية فقد حدد لها الاستعمار البريطاني متى وأين تدخل الأرض المقدسة، وإلى أي مدى تتحرك، وأيًّا من الأهداف تحقق. وكان الجيش المصري يفتقد إلى كثير من المعدات والإمكانيات والأسلحة والعربات للنقل. هذا بالإضافة إلى أهم المقومات للقتال، وهي القيادة المدربة المدركة الواعية. حقيقةً كانت هناك معنويات بين الجميع تطلب التطوع للحرب ولكن ليست الحرب معنويات فقط.

ودخلت القوات إلى أرض المعركة وقاتلت وتذوقت طعم النصر مرة ولهيب الهزيمة مرة ومرة. ولما توفرت لدينا بعض المعدات والأسحلة أثناء القتال الفعلي سرت إشاعة الأسلحة الفاسدة وانفجر مدفع هاون في الطاقم أثناء التدريب على إطلاق النيران، وانفجرت بعض القنابل اليدوية في يد بعض الضباط والمدربين فأصبحنا نخاف استخدامها.

وبعد الثورة بدأت القيادة العامة بوضع خطط التدريب وإعداد الرجال للمعركة، ولكن ظروف التأمين والموقف الداخلي والموقف الخارجي وموقف المستعمر ـ وكان قد تقوقع في منطقة القناة ولكن ما زلنا نعمل له حسابًا واحتمالات التدخل في أي وقت ـ حالت دون استمرار التدريب الجدي الواقعي. وقد حاولت القيادة المصرية الحصول على أسلحة متطورة ونجحت في عقد صفقة أسلحة تشيكية-شرقية، وقام الاستعمار علينا وقلقت إسرائيل وبدأ التخطيط للعدوان.

وبرغم أن العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ أظهر قدرة وصلابة الجندي المصري في الدفاع وبعض العمليات الهجومية المضادة، إلا أن ظروف هذا العدوان لم تُظهر قدرة المقاتل المصري ولم تُعطِنا خبرات قتال يُعتمد عليها.

ثم جاءت مساندة القوات المسلحة المصرية للثورة اليمنية عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٦٧، وبالطبع لم تستطع القوات التي كانت تسافر إلى اليمن أن تلقى التدريب الكافي الذي يؤهلها لخوض المعارك المحتملة ضد العدو الإسرائيلي بكفاءة وقدرة ذاتية.

وبعد نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ بدأت مرحلة جديدة وجدية لإعداد الرجال للمعركة الإعداد الواقعي العملي المبني على أسس القتال التقليدية والمهارة الفردية وأسلوب العمل الجماعي، مع عبور للموانع المائية واقتحام الحصون والتغلب على الموانع

المختلفة. ومرت القوات المسلحة في الممر المعنوي الذي حقق لها إزالة آثار الماضي القريب الرهيب، فاستعادت القوات المسلحة ثقتها بقيادتها وبنفسها، وتم تدعيمها بالأسلحة الحديثة التي فقدتها، واشترك المستشارون السوفييت معنا في تدريب الرجال وإعدادهم للمعركة، وكانت حرب الاستنزاف ضد العدو الإسرائيلي الغاصب أكبر إعداد فعلي للمعارك المنتظرة ضد العدو سواء في عبور قناة السويس واقتحام حصون خط بارليف بالمواجهة ومن الأجناب وضد الهجمات المضادة والدفاع السريع مع قتل العدو أو أسره والبقاء أحياء. وكانت معركة رأس العش ثم تدمير المدمرة الإسرائيلية «إيلات» ثم معركة القتال المتلاحم الجوي وغيرها من العمليات الهجومية الجريئة خيرَ دليل على جدية الإعداد للمعركة. ويعتبر عام ١٩٦٧ عام التحول الكبير للقوات المسلحة المصرية في البر والبحر والجو، وفي الدفاع الجوي وفي كل أجهزة القوات المسلحة القتالية والفنية والإدارية والتكنولوجية، مما كان له الأثر الكبير في تحقيق نصر أكتوبر العظيم.

معرفة الرجال

إن معرفة الرجال بعمق لَمِن أدق أعمال القائد وأكثرها تأثيرًا، إنها ينبوع القوة التي يملكها. فمعرفة الشخص والعيش معه والشعور بشعوره والتألم لآلامه ينعش الإنسان المهموم ويجعله يشتكي لقائده فينال منه النصح أو العون ولا يضطر إلى اللجوء لشخص جاهل أو غير مسؤول، فالكائن البشري يحتاج إلى الشعور بأنه معروف ومفهوم ومحترم حتى يستطيع بذل نفسه في سبيل مهمته.

وعلى القائد أن ينظر إلى رجاله بمنظار العطف فالسيئات أكثر ظهورًا من الحسنات، وإن احتكاك القائد مع مرؤوسيه فرصة تمكنه من مراقبتهم عن كثب ومعرفة تصرفاتهم على حقيقتها وطريقة مثلى لتشجيعهم على البوح بأسرارهم وآلامهم، والمقصود بمنظار العطف هو المعاملة الحسنة التي تخلق جوًّا من الثقة والألفة وتخفف كثيرًا من متاعب الحياة العسكرية وتسمح بحل القضايا الشائكة بهدوء وتساعد على نشر فكرة المحبة والتعاون.

وليست المعاملة الإنسانية سوى تصرفات صغيرة غير متكلفة صادرة من قلب

بشري كالسؤال عن الصحة أو الأولاد أو الحالة المالية والاهتمام الصادق بكل ما يهم الآخرين ويقلق بالهم.

العقيدة الصادقة

في أثناء المؤتمر الشهري الذي كان يعقده الفريق سعد الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة لقادة الجيوش والمناطق العسكرية والرؤساء قبل ٦ أكتوبر ١٩٧٣ طلبت الكلمة، وكانت خاصة بالعقيدة العسكرية المصرية، وكانت لوحاتها معلقة في المعسكرات وفي الطريق إليها وفي كل المكاتب والطرقات وحتى في صالة الاجتماعات التي كنا نجلس بها في مؤتمرات القيادة العامة. والحقيقة لم يستطع عقلي حفظها ولم يجد قلبي ميلًا إليها. وقلت في هذا المؤتمر أمام إخواني وزملائي القادة من جميع أفرع القوات المسلحة البحرية والجوية والدفاع الجوي والبرية وغيرهم:

> إن العقيدة الصادقة هي التي تنبع من الاقتناع الكامل، وهذا لا يكون إلا إذا اقتنع بها العقل ثم القلب وكلاهما معًا إن كانت لها قوة النفوذ إليهما معًا فتصبح عقدة يصعب حلها مهما حدث، واقترحت بناء عقيدة صادقة يقتنع بها الجندي والقائد حتى يمكن تحقيق النصر، وأحمد الله تعالى أن حرب رمضان أثبتت أن العقيدة الصادقة المبنية على الإيمان الكامل بالله مع الإحسان وعلى الوطنية المصرية والحب كل الحب لمصر وكل القيم والمبادئ الأخلاقية السامية، إنها مفتاح النصر في هذه الحرب وأي حرب مشروعة.
>
> والقائد القدوة يريد أن يطمئن إلى أن ما يبذله من جهد وعرق في سبيل الاستعداد للقتال يجعل الجندي قادرًا على تحمل هذه الأعباء الكبيرة بصدر رحب وثقة واطمئنان واقتناع، وإذا وصلنا إلى مرحلة الاقتناع وهي أعلى المراحل فمعناها أننا وصلنا إلى العقل والقلب وهذا هو أساس البناء السليم للجندي.
>
> فالعقل هو الوعاء الذي خلقه الله سبحانه وتعالى لصيانة العقيدة وحفظها، وهو الدرع الذي يحميها من سهام الأعداء وطغيان الجهلة والحاقدين، والعقل يولد صغيرًا ثم ينمو ويتطور حينًا بعد حين. وفي حديث شريف عن قيمة العقل يقول صلى الله عليه وسلم: «يا علي

إذا تقرب الناس إلى خالقهم في أبواب البر فتقرَّبْ إليه بأنواع العقل تسبقهم».
أما القلب فيقول الحديث الشريف أيضًا: «إن لله تعالى في الأرض أواني ألا وهي القلوب، فأحبها إلى الله أرقها وأصفاها وأصلبها». وكان يجب أن نصل إلى العقل والقلب حتى نضيء شعلة الاقتناع.
ولكن كيف السبيل إلى الوصول إلى العقل والقلب لضابط حديث العهد بالجندية ضاع في كثبان نكسة ١٩٦٧ أو قائد لم يستطع أن يقرأ أو يفهم عن عقيدة القتال شيئًا مقنعًا، وبالطبع فالجندي تائه في بحار العسكرية الجامدة وحائر لا يرى إلا سراب الأمل.
واجهَتنا بعد نكسة ١٩٦٧ هذه المشاكل العنيفة والتي تحتاج إلى جهد قيادي كبير يوقف الحيرة وينير طريق التائهين ويهدي إلى التي هي أقوم.
وحاولت وحاول معي كل القادة والمسؤولين أن نجد مفتاحًا يفتح لنا أبواب العقول والقلوب التي كادت تيأس منا.
لقد اكتسبت خبرات كثيرة في قيادة الرجال عندما كنت قائدًا صغيرًا وكنت مقتنعًا بعقلي وقلبي بأهمية القائد القدوة، والحمد لله أني استطعت أن أدرس بعضًا من سمات الرسول القائد صلى الله عليه وسلم، ونمَت معي هذه الخبرة أكثر عندما توليت قائدًا لوحدات المظلات وهي وحدات خاصة في أسلوب التعامل، خاصة في أسلوب اختيار ضباطها وجنودها، وفي نواحيها التدريبية. إنها نوعيات من الضباط والصف ضباط المتطوعين والجنود ينظر إليهم غيرهم بإعجاب مع سحابة حقد لامتيازهم عن غيرهم في الملبس والمأكل والتعامل، والقائد الذي يتولى منصبًا قياديًّا لهؤلاء الرجال يجب أن يكون قدوة في كل شيء.
قدوة في القوة أي يتصف بشجاعة القلب وخبرة الحرب والقدرة على أنواع القتال، كما يجب أن يكون سلاحه العلم والمعرفة واليقين بقدرته على قيادة الرجال بالعدل والحزم مع الرحمة.
كما يجب أن يكون أمينًا يخشى الله ويعلم أن «القيادة أمانة وأنها يوم القيامة خزي وندامة». فتعلمت أكثر، وعلمتني الحياة أن المودة والرحمة والمعاملة الحسنة هي أولى الخطوات إلى القلب، وأن الطهارة وعفة النفس مع لمسات الإيمان الصادق يلتقطها العقل، فاتبعت أولى الخطوات وهي المودة والرحمة وإزالة الرهبة والخوف والمعاونة في حل المشاكل وتقريب المسافة بين الضابط والجندي خاصة في الطعام،

ثم تابعت معالجة النفوس المستهترة أو المشمئزة والمتشائمة أو المهملة لتحويلها إلى نفوس متفائلة يملأها الإيمان بالله والوطن.

ثم ركزت على الوطنية وحب مصر ثم مرحلة أخرى بمعرفة العدو وصفاته وأساليب قتاله وكيفية التغلب عليه، وجاء دور التدريب الواقعي الجاد والشاق، كل هذا في إطار الانضباط العسكري المبني على الحزم مع العدل والرحمة.

إن العقيدة حركة وحياة، وعاطفة وانفعال، قوة والتزام، وليست العقيدة فلسفة فكرية سلاحها الجدل والمنطق، ولكنها قوة ربانية سلاحها الحق والخير، وقد انطلقت من أعماق كل الرجال يوم العاشر من رمضان تكبر الله وتحمده.

والنصـر من عند العزيـز ينالـه   جيش مضى للحرب وهو يكبر

عقيدة ورجال

التقطت قواتنا إشارة لاسلكية لقائد كتيبة دبابات إسرائيلية في الهجوم المضاد الإسرائيلي على رأس كوبري الفرقة الثانية مشاة في اتجاه الفردان يوم ٨ أكتوبر ١٩٧٣، وهو يصرخ في الجهاز اللاسلكي مناديًا قواته يقول:

ـ إن المصريين يقذفون بأنفسهم تحت جنازير الدبابات ليعوقوا تقدمنا. ما هذه العقيدة التي تحركهم؟

والحقيقة يجب أن يسطر التاريخ بكل فخر وشجاعة بسالة الجندي المصري، فقد كان الجنود المصريون يركضون نحو الدبابات الإسرائيلية يتسلقونها ويقتلون من فيها، وعن هذا يقول قائد لواء إسرائيلي:

ـ رأيت حولنا آلافًا من الجنود المصريين يزحفون نحونا بما يشبه الزحف الصيني.

«واسودت التلال الرملية من كثرة البشر الذين غطوا الرمال كالسجاد». قائد إسرائيلي آخر كان قائدًا لإحدى كتائب الدبابات في الهجوم المضاد الإسرائيلي يقول في كتاب صدر عن كاتب إسرائيلي: «عندما تحركت دباباتي لملاقاة المشاة المصريين واكتساحهم حسب تدريباتنا، فوجئت بأن المشاة المصريين يقذفون بأنفسهم تحت جنازير الدبابات والنيران تشتعل فجأة في مؤخرة معظم دباباتي وتحترق كما تحترق علبة الكبريت». ثم قال: «لقد أدركت أنني أمام سلاح جبار

لا يقل خطورة عن الدبابات المصرية التي لم تكن قد واجهتنا بعد: إنهم رجال العقيدة التي لم نكن نتصورها وأفهمونا غير هذا».

الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ١٩٧٣

١ ـ اعتمدت الجيوش قديمًا وحديثًا على الخطوط الدفاعية القوية لتعطيل قوات الخصم أمامها ثم القضاء عليه بهجمات مضادة مركزة: خط «ماجينو»، خط «سيجفريد»، خطوط «كورسك» الدفاعية في روسيا ثم أخيرًا خط «بارليف» الإسرائيلي، فهل حققت إقامة خط دفاعي على طول الضفة الشرقية لقناة السويس قمة الإستراتيجية والتكتيكية؟

والرد هو أن هذا الخط الحصين برغم إقامته بكل الذكاء والخبرة الإسرائيلية المتقدمة، وبرغم أن أمامه مانعًا مائيًّا كبيرًا عرضه ٢٠٠ متر، إلا أن القوات المصرية استغلت المفاجأة ونجحت في عبور هذا المانع المائي الكبير وفي اقتحام حصون خط بارليف. وأعتقد أنه فقد قيمته الإستراتيجية والتكتيكية.

٢ ـ فشلت المخابرات الإسرائيلية قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ في اكتشاف استعداد القوات المصرية البرية والجوية والبحرية للهجوم، ولم تستطع تقدير الوقت ولا المكان ولا الاتجاهات، وكذلك فشلت المخابرات المصرية والاستطلاع المصري في معرفة التخطيط الإسرائيلي للعبور أو توقيته أو تقدير قوة العدو التي استطاعت التسلل غربًا يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣.

٣ ـ إن وجود نزاع بين القادة على المستويات العليا، خاصة إذا كان الماضي له أثر على العلاقة بين القادة الكبار أو في حالة اختلاف وجهات النظر بطريقة حادة، تؤثر تأثيرًا مباشرًا على سير الأحداث وعلى القوات. والأمثلة على ذلك في الجانب الإسرائيلي كثيرة، منها النزاع بين الجنرال «شارون» من جانب وبين الجنرال «جونين» والجنرال «بارليف» من جانب آخر، ونزاع آخر بين الجنرالات خاصة بخصوص الهجوم المضاد الإسرائيلي يوم ٨ أكتوبر.

وفي الجانب المصري كان النزاع أكبر، بين وزير الحربية الفريق أول أحمد إسماعيل وبين الفريق سعد الشاذلي رئيس الأركان، نزاعًا له جذور في الماضي

دفع بالرئيس السادات إلى عزل الشاذلي من رئاسة الأركان اعتبارًا من يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٧٣، مع أسباب أخرى.

٤ ـ تدخل القيادة العليا في أعمال قائد الجيش بالاتصال المباشر مع القادة المرؤوسين له مباشرة، كما سمحوا للمرؤوسين بمخاطبتهم مباشرة دون علم قائد الجيش، وهذا يشرح سلسلة القيادة.

٥ ـ يعتبر تغيير القادة الكبار أثناء فترات القتال بدون مبرر قوي عملًا يؤدي بالقائد الجديد إلى أن يكون أكثر حذرًا في التعامل مع الأحداث والمواقف الطارئة والتي لها تأثير مباشر على قواته وكفاءتها، خاصة إذا لم يكن متابعًا موقف الأحداث منذ البداية، ومنها:

ـ تعيين قائد للجيش الثاني الميداني بدل القائد السابق الذي أصيب بأزمة قلبية، وكان يمكن أن يتولى هذه القيادة الرجل الثاني في القيادة.

ـ تعيين قائد جديد لقطاع مهم من قطاعات المواجهة لم يكن له دراية سابقة بالموقف أو المنطقة، وعزل القائد القديم من القيادة أثناء المعركة.

ـ تعيين قائد لرأس الشاطئ أحدث في الأقدمية من قائد فرقة تحت قيادته، وبالطبع لن تكون النفوس صافية لتقبل الأوامر أو التعاون، وخاصة أن القوات مشتبكة مع العدو والقتال مستمر وعنيف.

ـ إرسال رئيس أركان القوات المسلحة إلى قيادة الجيش الثاني الميداني لإدارة دفة المعركة وركن القائد الأصلي أو سلبه اختصاصاته وسيطرته على قواته لفترة طويلة.

ـ فرض رقابة مستترة على أعمال القادة الكبار أثناء تولي القيادة في صورة زيارات من رتب أعلى لمراكز القيادات ولفترة طويلة، وهذه تسبب شرخًا في جدار الثقة المفروض تواجدها بصفة دائمة. مثال:

أ) في أثناء قيادتي لقوات شرم الشيخ في مايو ١٩٦٧ وقبل ٥ يونيو مباشرة زارني في القيادة ضابط برتبة لواء وأقدم مني بسنوات ولازمني في كل تحركاتي وأعمالي لفترة خمسة أيام، ولولا ٥ يونيو ما كان قد عاد إلى القاهرة. ولست أدري للآن سر هذه الزيارة.

ب) في قطاع بورسعيد بالجبهة التابعة للجيش الثاني أرسلت القيادة العامة للقطاع ضباطًا برتبة اللواء للمراقبة، وكانوا لا يتركون قائد القطاع لحظة.

جـ) وصل إلى قيادة الجيش الثاني اثنان من اللواءات قضيا معي في قيادة الجيش أكثر من ٢٤ ساعة ثم عادا إلى القاهرة، والحقيقة أنهما لم يتدخلا في أعمالي ولكن شعوري بالمراقبة أدخل الشك في عقلي ونفسي.

د) عندما ترسل القيادة العليا قوات إلى الجبهة لتوضع تحت قيادة قائد الجيش الميداني يجب أن يُترك للقائد حرية التصرف في استخدامها وبالأسلوب الذي يراه حسب الموقف والظروف، ولا يجب أن تُفرض عليه مهامها أو أسلوب تنفيذها لهذه المهام، ولا يخفي قادتها سرية مهمتها عن قائد الجيش المسؤول والذي تعمل في قطاعه. كل هذه الإجراءات لم تحقق أي نجاح لأي قوة أرسلت للجيش، وكان يمكن تجميع الجهود وتركيزها في الوقت والمكان المناسبَين للحصول على نصر حاسم، ولكن هذه الجهود وصلت مفككة وانتهت مفككة.

٦ ـ لا راحة للقائد أبدًا لا بالليل ولا بالنهار: هذا أسلوب خاطئ يحطم قدرة الفرد على الصمود والتفكير وتقدير الموقف واتخاذ القرار. وقد حذرنا الرئيس جمال عبد الناصر من هذا عام ١٩٧٠، وأنه يجب أن ينظم الوقت بين القائد ومرؤوسيه ويأخذ القائد قسطًا من الراحة تجعله قادرًا على التفكير. ولم يحدث أن أخذنا بهذه النصيحة في حرب رمضان، ولكني تعلمت من الفريق سعد الشاذلي أنه يجب أن يأخذ القائد راحة إجبارية وبالطبع كان يعتمد على وجودي معه. ولكني كقائد متى أذهب للراحة وعلى من أعتمد والرجل الثاني لي قد عينه الوزير في مهمة خارج القيادة؟ وقد يقول قائل يمكن أن يقوم بمهمته رئيس العمليات طالما أنه برتبة مناسبة، وهذا حق ولكن القائد العام عندما يريد الاتصال فليس أمامه إلا القائد ليرد عليه.

٧ ـ عند تحليل خطة حرب أكتوبر ١٩٧٣ نجد فيها بعض المزايا والعيوب مثل:

ـ نجحت خطة العبور واقتحام خط بارليف بفضل دقة وتخطيط خطوات

العبور وواجب كل فرد مهما كان موقعه، وأقرر أن دعامة هذا النجاح كان ما أصدره الفريق الشاذلي من تعليمات تفصيلية ومحددة.

ـ لم يخصص في الخطة قوات لعمل قاعدة وطيدة للهجوم في الغرب يرتكز عليها وينطلق منها الهجوم شرقًا ولم يتواجد بها احتياطي قادر على التعامل مع قوات يحتمل اختراقها غربًا.

ـ كان توزيع القوات المصرية على المواجهة الواسعة عاملًا على خداع القيادة الإسرائيلية عن الجسم الرئيسي للقوات المصرية، ولكنها أعطت القيادة الإسرائيلية الفرصة لفصل القوات التي في الشمال عن التي في الجنوب، وكذا بين القوات المتمركزة في الضفة الشرقية والأخرى في الضفة الغربية.

ـ أهم نقط ضعف الخطة هي تفتيت التشكيلات من البداية وكذا عند حدوث الثغرة وحرمان الوحدات الفرعية من الوحدة الأم التي تولت قيادتها وتدريبها وإعاشتها سنوات طوالًا.

ـ لم تستخدم الاحتياطيات بالأسلوب المدروس وبالمناورة السليمة التي تُمَكِّن القائد من الحصول على احتياطيات جديدة.

ـ دعمت القيادة العامة فرق مشاة النسق الأول بلواء مدرع إضافي من تشكيلات أخرى أو من الاحتياطي الإستراتيجي بدون داعٍ إيجابي، كما فتتت ـ كمثال ـ الفرقة الثالثة المشاة إلى وحدات كل في اتجاه، وأصبحت قيادة الفرقة تقود لواءً واحدًا فقط: اللواء ١٠ مشاة في القنطرة غرب يدعم الفرقة ١٨، اللواء ٢٣ مدرع دُفع تجاه ثغرة الدفرسوار ولم يكن هو اتجاه عمله في الخطة الموضوعة.

ـ أعتقد أن القيادة العامة كان يمكنها استخدام اللواءات المدرعة التي دعمت بها الفرق الأمامية في تطوير الهجوم شرقًا إلى المضائق أو اللحاق بالقوات الخاصة التي تم إبرارها شرقًا في مناطق حيوية، وفي هذه الحالة ستكون الفرقة المدرعة في الغرب جاهزة للتعامل مع القوات المعادية التي تحاول الاختراق غربًا أو تستخدم في تطوير الهجوم إلى المضائق أو شرقها.

الجندي المصري في الميزان

إن جذور الماضي للجيش المصري عامة وللجندي المصري بصفة خاصة تملأ صفحات التاريخ أمجادًا، فهذا الجيش هو الذي ألقى بالقوات الإنجليزية إلى البحر في حملتهم ضد مصر عام ١٨٠٧ بعد أن هزمهم في معارك رشيد وأبي مندور والحماد، وهو نفسه الذي رفع لواء كرامته عاليًا في معارك المورة عام ١٨٢٥، وفتح عكا عام ١٨٣٢، وأرهق الجيش العثماني ونكل به في معارك حمص وقونية عام ١٨٣٢، وموقعة نصيبين عام ١٨٣٩.

ولم يكن هذا الجيش في عام ١٨٨٢ غير صورة تنعكس عليها كل هذه الصفحات المشرفة والأمجاد الخالدة، ولكن افتقاره إلى القيادة الحقيقية وإلى وجود عقلية عسكرية بارعة حينذاك هي التي تركته حائرًا، يضرب على غير هدى، ويستبسل ويضحي دون أن يصل إلى غايته.

ويحكي التاريخ أن ما قام به الجنود المصريون من أعمال يبدو أمرًا خياليًّا في أية أمة أخرى. فقد أقاموا سلسلة من السدود على ترعة الإسماعيلية لمنع الماء عن القوات البريطانية، ونزعوا الخطوط الحديدية ليَحُولوا دون استخدام الإنجليز لها كوسيلة من وسائل النقل، كما قاموا بحفر المواقع الدفاعية بطريقة لا نظير لها في التحصينات المبتكرة. ولم يفقد الجيش المصري أبدًا أمجاده، ولم يتخلَّ جنوده ساعة القتال عن شجاعتهم وبسالتهم وتضحياتهم، ولم يعزفوا عن القتال إلا حين لم يعد هناك أمل للمقاومة، شأنهم في هذا شأن أي جيش آخر.

وهناك تواريخ مهمة يجب أن لا ننساها أبدًا، مع أحداث قاسية كان لها أثرها وجذورها في الشعب المصري عامة وفي الجندي المصري خاصة.

فقد احتلت القوات الإنجليزية قناة السويس والإسماعيلية في ٢٠ أغسطس ١٨٨٢، وانتصروا على الجيش المصري في معركة التل الكبير في ١٣ سبتمبر ١٨٨٢، ثم احتلوا قلعة القاهرة في اليوم التالي، وهناك يوم أسود حزين في تاريخ الجيش المصري وهو يوم ١٩ سبتمبر ١٨٨٢، حيث أصدر الخديوي أمره بإلغاء الجيش المصري وإلقاء القبض على جميع الضباط الذين اشتركوا في الدفاع عن وطنهم، مع تجريدهم من رتبهم وشارات الشرف وحرمانهم هم وذريتهم من أي حق في المعاش!

الجندي المصري المعاصر

لقد لمست طول فترة خدمتي في القوات المسلحة المصرية خلال فترات السلم القليلة وأيام الحرب الكثيرة منذ قيام الحرب العالمية الثانية في سبتمبر ١٩٣٩ حتى يومنا هذا بعد نصر أكتوبر ١٩٧٣، لمست حقيقة الجندي المصري ومعدنه.

فقد كان جندي الأربعينيات فلاحًا أميًّا يجنَّد خمس سنوات في الجيش المصري ويمتاز بالانضباط والصبر والطاعة مع القوة والأمانة: القوة في تقبل متاعب الحياة العسكرية وقسوتها وخشونتها وطول مدتها؛ والأمانة في التعامل مع نفسه وزملائه وقادته ووحدته ووطنه.

وكان الضابط الصغير خريج المدرسة الحربية يدخل في الصف مع الجندي المستجد لمدة حوالي ٦ أشهر، يعيش مع الجنود كجندي يشاركهم طعامهم وتدريبهم ومسابقاتهم سواء في التدريب أو الرماية أو المسابقات الرياضية، فتكونت صداقات في حدود الاحترام والانضباط حطمت المسافة بين الضابط خريج المدرسة أو الكلية العسكرية والجندي الأمي. فقد كان أساس اختيار الضباط يتم على مبادئ من القيم الاجتماعية والخلقية، وليس من أبناء الإقطاعيين والأغنياء فقط، بل من أبناء الطبقات المتوسطة أيضًا والكادحة، ولكنها أُسر أقامت حياتها على مبادئ من العزة والكرامة والمثل العليا.

وكان رأس مال الجندي في هذه الفترة هو المظهر العسكري السليم ويؤدي أعماله في انضباط تام، حتى في ميدان القتال لم أسمع أن هناك ضابطًا أو جنديًّا فر من المعركة، خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية واشتراك بعض وحداتنا مع الحلفاء أو في حرب فلسطين، برغم قلة التدريب والفقر في الأسلحة والمعدات الحديثة. وكان شرف وطنه هو شرفه.

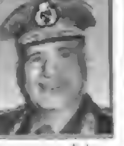
ولما تطورت الأحداث وتطورت الأسلحة والمعدات إلى الأنواع الأكثر قدرة والأكثر تعقيدًا في أسلوب الاستخدام، تطلَّب الأمر الاعتماد على الجندي المتعلم من الدرجة الأولى حتى يساير التطور الحديث للأسلحة والمعدات، ولكنه لن ينجح في إثبات قدرته القتالية وانضباطه العسكري إلا عندما يجد قائده قدوة في القوة والأمانة. ومع تطور الحروب التي خاضتها مصر وكثرة عدد الجنود والضباط

والقادة أضعاف أضعاف الماضي، اختلفت النوعيات لحدٍّ ما وظهرت على السطح فقاعات، كما ظهر في العمق دوامات هزت العلاقة بين القائد والجندي، ولسنا جميعًا قادة صالحين، ثم أثبت التاريخ بعد ذلك أن القيادة القوية الأمينة هي أعمدة بناء القوة العسكرية القادرة فنيًّا ونفسيًّا والتي تستطيع تحويل الرجال من مختلف الأنواع والدرجات والطبقات إلى محاربين أشداء أقوياء وأمناء على شرف الوطن وعزته وكرامته، وكانت حرب العاشر من رمضان مثلًا رائعًا للقوة والأمانة.

وقد ارتبط الجندي المصري مع زميله الجندي العربي في أرض المعارك، فمع أخوة الدم جاءت أخوة المصير. فقد شارك الجندي المصري إخوة له من السعودية والسودان وفلسطين والأردن على أرض فلسطين، ولما زادت جولات الحق ضد الباطل وزادت أعداد الجنود العرب في المشاركة في هذه الجولات زادت المودة واتسعت بحار التعاون، فجاءت الجزائر المجاهِدة والكويت المناضلة وسوريا والعراق واليمن وليبيا الثائرة وباقي البلدان العربية تشارك بالروح والدم وبالعطاء السخي في النضال من أجل نصرة الحق العربي.

وغدًا تشرق شمس الأمل في أن نقف جميعًا نحن العرب على أرض صلبة رافعين أعلام المودة والرحمة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا.

رجال فى قلب ووجدان الجيش الثانى


لواء أ.ح أحمد اسماعيل
٦٧/٦/٢٨ ـ ٦٨/٤/١٤


لواء أ.ح عدلى حسن
٦٨/٤/١٥ ـ ٦٩/٣/١٥


لواء أ.ح أحمد عبد السلام
٦٩/٣/١٦ ـ ٦٩/٩/١٣


لواء أ.ح عبد المنعم خليل
٦٩/٩/١٤ ـ ٧٢/١/٥
٧٣/١٠/١٧ ـ ٧٣/١٢/١١


لواء أ.ح سعد مأمون
٧٢/١/٥ ـ ٧٣/١٠/١٧


لواء أ.ح فؤاد عزيز
٧٣/١٢/١٢ ـ ٧٨/٦/٢٤


لواء أ.ح عبد رب النبى حافظ
٧٨/٦/٢٤ ـ ٧٩/١٢/٦

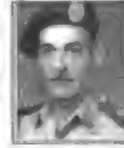

لواء أ.ح ابراهيم عبد الغفور
٧٩/١٢/٦ ـ ٨١/٣/٨


لواء أ.ح أحمد صلاح
٨١/٣/٨ ـ ٨٣/٦/١٨


لواء أ.ح محفوظ حمدى
٨٣/٦/١٨ ـ ٨٤/٦/١٨


لواء أ.ح صفى الدين أبو شناف
٨٤/٦/١٨ ـ ٨٦/١/١




لواء أ.ح عبد المنعم سعيد
٨٦/١/١ ـ ٨٧/٦/٣٠


لواء أ.ح حسين طنطاوى
٨٧/٦/٣٠ ـ ٨٨/١١/٢


لواء أ.ح أحمد وهدان
٨٨/١١/٢ ـ ٨٩/١٢/٧


لواء أ.ح فاروق علم الدين
٨٩/١٢/٧ ـ ٩١/١٢/٧


لواء أ.ح مجدى حتاته
٩١/١٢/٧ ـ ٩٣/٤/٢١


لواء أ.ح سعد أبو ريدة
٩٣/٤/٢٥ ـ ٩٥/١٠/٣٠


لواء أ.ح على ماهر
٩٥/١٠/٣٠ ـ ٩٧/٧/١٠


لواء أ.ح حمدى وهيبة
٩٧/٧/١٠ ـ ٩٩/١١/١


لواء أ.ح صبرى العدوى
٩٩/١١/٢ ـ ٢٠٠١/١٠/٣٠


لواء أ.ح عبد الجليل الفخرانى
٢٠٠١/١٠/٣٠ ـ ٢٠٠٤/٧/١٧


لواء أ.ح مصطفى السيد
٢٠٠٤/٧/١٧ ـ ٢٠٠٦/١/٢


لواء أ.ح أحمد حسين
٢٠٠٦/١/٢

الخاتمة

مفاتيح النصر

لقد تعلمت من رجالي ومن خبرات طويلة كقائد مفاتيح خمسة أسميتها «مفاتيح النصر» أو «عقيدة النصر»، أضعها أمام قادة مصر من الشباب ليحاولوا تجربتها مع تجاربهم الشابة الفتية ربما يجدون فيها مفتاحًا يحقق معجزة النصر على قيادة الرجال في السلم والحرب. والله أسأل أن يوفق رجال مصر الأوفياء إلى طريق الخير والرفاهية لمصر وشعبها وقواتها المسلحة ولقائد مصر.

١ ـ الوصول إلى قلب وعقل الجندي لنصل إلى الاقتناع

ـ المعاملة الحسنة.

ـ إزالة الرهبة والحواجز وتقريب المسافة بين الضابط والجندي.

ـ المعاونة في حل المشاكل وقضاء حوائج الجنود عملًا بالحديث الشريف: **«إن لله عبادًا اختصهم بقضاء حوائج الناس حببهم للخير وحبب الخير إليهم، إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة».**

٢ ـ أعطوا حبكم كله لمصر واجعلوا شعاركم هو دائمًا «مصر أولًا»، فقد كرمها الله في كتابه الكريم في خمس آيات، وذكرت في التوراة والإنجيل وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وما ذكره عن رجالها خير أجناد الأرض.

٣ ـ اعرف عدوك وادرس طباعه وعاداته وأخلاقه وطرق وأساليب قتاله وتعلم لغته.

٤ ـ علموا جنودكم وتعلموا الرماية والسباحة والمهارة في القتال واستخدام الأرض والمعدات، وتزودوا بالعلم فهو سلاح قوي وبالمعرفة فهي رأس مال يحقق النجاح والرفعة.

٥ ـ ركزوا جهودكم لتحويل المستهتر والمشمئز والمتشائم والمهمل إلى إنسان متفائل يملأ الإيمانُ قلبَه وروحه فيصبح مطمئنًا واثقًا من قائده بعد ثقته وإيمانه بالله ووطنه.

وختامًا ليكن تصميمكم على النصر رمزًا لنضال شعبنا العريق وإحياءً للتقاليد العريقة للعسكرية المصرية، وإدراكًا واعيًا لرسالة المقاتل، وتعميمًا لعقيدة القتال.

والله أكبر والعزة والنصر لمصر دائمًا وللعرب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تهنئة

السيد / لواء أ ح عبد المنعم خليل

في الذكرى السادسة عشر لانتصارات أكتوبر المجيدة ومع عودة كل أرض مصر كثمرة لنصر أكتوبر العظيم وللسياسة الحكيمة والدبلوماسية الناجحة التي قادها.

السيد الرئيس / محمد حسني مبارك

يسعدني أن أبعث إليكم بخالص التهنئة وأطيب الأمنيات بهذه المناسبة التاريخية العظيمة.

وستظل القوات المسلحة تذكر أبطالها وقادتها العظام.

مع أطيب التمنيات

التوقيع / [signature]

٦ / ١٠ / ١٩٨٩

فريق أول / يوسف صبري أبو طالب

القائد العام للقوات المسلحة

ووزير الدفاع والإنتاج الحربي



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

صدق الله العظيم

قال رسول الله ـ القائد والمعلم ـ عليه الصلاة والسلام

المعرفة رأس مالى — الصبر ردائى

العقل اصل دينى — الرضا غنيمتى

الحب اساسى — الفقر فخرى

الشوق مركبى — الزهد حرفتى

ذكر الله أنيسى — اليقين قوتى

الثقة كنزى — الصدق شفيعى

الحزن رفيقى — الطاعة حسبى

العلم سلاحى — الجهاد خلقى

وقرة عينى فى الصلاة

صدق رسول الله

صلى الله عليه وسلم

رسالة من المؤلف إلى جنوده

أهم العوامل لنجاح حرب أكتوبر

أركان الحب

١ ـ الطهارة

٢ ـ الرحمة

٣ ـ القرب من الله

٤ ـ اليقين بالإخلاص

٥ ـ الحب

٦ ـ الصبر

٧- الرضا

أركان الحرب

١ ـ اختيار القائد القدوة القوي الأمين

٢ ـ بناء عقيدة إيمانية صادقة

٣ ـ حب الوطن والولاء للقائد

٤ ـ الانضباط العسكري

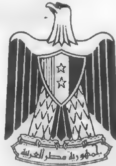
٥ ـ العلم كسلاح والمعرفة كرأس مال

٦ ـ الإعداد الجيد والتدريب المستمر

٧ ـ معرفة العدو معرفة حقيقية

جمهورية مصر العربية

وزارة الحربية



قيادة الجيش الثالث الميدانى

بطل الجيش الثالث الميدانى

«إن الوطن ليعلوا وينتصر بجهود المخلصين والشرفاء من ابنائه.»

إلى السيد اللواء / عبد المنعم خليل رئيس هيئة التدريب للقوات المسلحة

لقد تجلى مدى ايمانكم بالله والوطن فى الجهود العظيمة المثمرة، التى بذلتموها فى خدمة قواتنا المسلحة قائدًا للجيش الثالث الميدانى، ومثلا يحتذى به خلقًا وعملا...

وتقديرًا وعرفانًا منا بالتعاون الوثيق بين قوات الجيشين الثانى والثالث على طول الجبهة مما كان له الأثر المباشر فى صد وردع واستنزاف العدو، فإنه يشرفنى باسمى واسم ضباط وصف وجنود الجيش الثالث الميدانى أن أقدم لكم ميدالية (بطل الجيش الثالث الميدانى).

رمزًا للإرادة القوية فى تحقيق الاهداف الكبرى.. فى الحرية والاشتراكية.. وعزمًا لا يلين سيرًا على طريق المجد والنصر بإذن الله... والله ولى التوفيق.

عويبد فى ٢٠/١/١٩٧٢

لواء / عبد المنعم محمد واصل

قائد الجيش الثالث الميدانى

(توقيع)

شهادة تقدير بطل الجيش الثالث الميدانى

تحية للجيش الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم.. وبه نستعين.. والصلاة والسلام على الرسول القائد القدوة القوي الأمين.

أيها الأحباب

هذه رسالة حب كتبها قلبي قبل قلمي، أهديها إلى من كانوا لنا قادة ورؤساء ومعلمين.

وإلى كل زملاء الحب والحرب الذين كانوا معنا مقاتلين، قادة ورؤساء وضباط وصف وجنود، وحتى المدنيين.

وإلى كل من حمل لواء الوفاء والعطاء وإخلاص الصادقين، وإلى كل من سار على طريق الله أحكم الحاكمين.

طبتم وطابت خطاكم إلى هذا اللقاء الجميل على أرض عطرتها سيرة أنبياء الله والمرسلين وكثير من الصالحين.

ودارت على رحاها عدة حروب ومعارك، وارتوت تربتها بدماء شهداء من زمرة خير أجناد الأرض أجمعين.

طوبى لهم وحسن مآب، فهم أحياء في جنة الخلد وفي أحضان الحب الإلهي منعمين.

أيها الأحباب

هنا في رحاب الجيش الثاني الميداني ذقنا طعم الحب والوفاء والعطاء الدفين، فمشينا بنوره ثابتي الخطى، مرفوعي الرأس، وعلى يقين أن الله سبحانه

وتعالى يدافع دائمًا عن القائد المخلص القوي الأمين فلا يحرمه أبدًا من نعيم إحدى الحسنيين.

تحيات طيبات إلى أشرف الرجال الذين خدموا معي بحب ووفاء وتعاون وإخلاص الصادقين في حب مصر جوهرة الله في كتابه المبين.

تحية طيبة واحترام إلى أول قائد لجيش المحبين.

أحمد إسماعيل (٢٨/ ٦/ ١٩٦٧)، وأنهى الله حياته بنصر أكتوبر المبين.

وخلفه **عدلي سعيد** (١٦/ ٤/ ١٩٦٨)، رحمه الله فقد كان صادق الوعد أمينًا، وأصيب يوم ٩ مارس بشظية من دانة عدو لعين بجوار شهيد مصر من هو في رياض الجنة من الخالدين.

وتولى **أحمد عبد السلام** القيادة فترة من فترات حرب الاستنزاف اللعين.

وخلفه **عبد المنعم خليل** (١٤/ ٩/ ١٩٦٩) وحرب الإرهاق مستمرة وذات رنين.

سلم عبد المنعم القيادة إلى **سعد مأمون** (٥/ ١/ ١٩٧٢) الذي عبر بقواته شرقًا يوم حطين.

وحقق الله أمنية **عبد المنعم** الأولى بعودته قائدًا للجيش الثاني يوم ١٦ أكتوبر ١٩٧٣ يوم اختراق العدو لثغرة الدفرسوار بعد ٦٥٤ يومًا، وأثناء تطور القتال على الجانبين حتى حقق الله النصر المبين.

وسيظل عبد المنعم يدعو الله أن يحقق أمنيته الثانية بنيل الشهادة إحدى الحسنيين.. ولكنه الآن من المتقاعدين!

وبعد إيقاف القتال تولى **فؤاد عزيز** (١٢/ ١٢/ ١٩٧٣) قيادة دفة سفينة المنتصرين.

وجاء بعده **عبد ربه** (٢٤/ ٦/ ١٩٧٨) ابن مصر البار حافظ الود والفضل الدفين.

ثم سلم راية الجيش إلى **إبراهيم العرابي** (٦/ ١٢/ ١٩٧٩) رجل المدرعات الرزين.

وسعد الجيش الثاني بـ**صلاح الدين** (٨/ ٣/ ١٩٨١) الذي له عند الله الحليم هدية المتقين.

وتولى القيادة بعده **محفوظ** من الله (١٩/ ٦/ ١٩٨٣) باسطًا يديه إلى السماء حامدًا رب العالمين.

واصطفت القيادة **صفي الدين** (١٨/ ٦/ ١٩٨٤) قائدًا يتحلى بالصفاء وتواضع القادرين.

وجاء **عبد المنعم سعيد** (١/ ٤/ ١٩٨٦) حاملًا أمانة القيادة بقوة وحب ولين.

وسلم القيادة إلى **الحسين** (١/ ٧/ ١٩٨٧) قائدًا يتحلى بالحكمة والانضباط وأمانة المخلصين.

وأهدى الحسين الراية إلى **أحمد وهدان** (٣/ ١١/ ١٩٨٨) سفير المودة والرحمة والإخلاص المبين.

وحمل **الفاروق علم الدين** (٧/ ١٢/ ١٩٨٩) علم الجيش الثاني بقوة وثقة فأصبح حاملًا للعلمين.

وجاء من **مجده** (٧/ ١٢/ ١٩٩١) مَشيد على الأمانة والثقة ووفاء المخلصين، وله في عنقي دين فضل فقد سطر في سجل القادة اسمي مرتين.

وأضاء **سعد أبو ريدة** (١/ ٥/ ١٩٩٣) ومعه حجاب الحفظ نور الثقة وتعاون المخلصين.

واحتفظ **الحجاب** (٣٠/ ١٠/ ١٩٩٥) بالقيادة ومعه حجاب الود والسر الدفين.

واستمر الود متدفقًا مع **حمدي** (١٠/ ٧/ ١٩٩٧) الذي وهبه الله بسمة الرضا ونور اليقين.

وصبرًا **آل العدوي** (١/ ١١/ ١٩٩٩) فقد أضاء الحب نور فجر جديد هدية للصابرين.

واختارت القيادة **جليل المقام** (٣٠/ ١٠/ ٢٠٠١) فخر الرجال حافظًا للود أمين.

وسعد الجيش الثاني بـ**المصطفى** (١٧/ ٧/ ٢٠٠٤) السيد التقي الرزين، ولي في عنقه دين!!!

وجاء **أحمد حسين** (٢/ ١/ ٢٠٠٦) بقدم صدق نال بفضله وسام المقربين.

وسلم القيادة إلى **إبراهيم** (٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٧) الذي وفَّى ونصح وأعطى، وله البشرى يوم الدين.

وأهلًا وسهلًا بـ**جمال** (١/ ١/ ٢٠٠٩) من اختارته القيادة ليزداد الجيش الثاني جمالًا و«يقين».

وتحية إلى **محمود** خليفة للوفاء والعطاء ورئاسة أركان جيش المخلصين.

وتحية خاصة إلى من تشرف في الخدمة للجيش الثاني الميداني من قادة ورؤساء أركان وشعب وأفرع وقادة فرق وألوية وكتائب وسرايا وفصائل وجماعات وإلى كل من آمن بأن..

دائمًا مصر أولًا

مبارك شعب مصر في التوراة والإنجيل والقرآن.

والله أسأل لمصر وقائدها الأعلى وشعبها الحفظ واطمئنان القلب ونعيم المخلصين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لواء أ.ح. م عبد المنعم خليل
قائد الجيش الثاني الميداني
أثناء سنوات الاستنزاف والحسم وخلال حرب أكتوبر (رمضان)